الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة

احمد محمد الشحاذ



الجمهورية العراقية
وزارة الأعلام

منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقيـة

١٩٧٧

سلسلة (دراسات)
(١٣٠)

الملامح السياسية
في حكايات ألف ليلة وليلة

تأليف

احمد محمد الشحاذ

المقــدمة

ظلت حكايات ألف ليلة وليلة الشهيرة مهملة فوق رفوف النسيان إلاّ عند التفكير في تمضية الوقت عبثاً في مراحل الشباب المبكرة ، وإلاّ عندما يضرب بها المثل عندما تكون حادثة أقرب الى الخرافة أو أبعد عن التصديق فيقال عند ذلك إنها حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة

ولكن الأمر انعكس تماماً بعد ما بدأ المستشرقون يلتفتون اليها ويدرسونها للكشف عن سر هذا الكتاب الغريب ، وقد دخل المجال الجامعي العربي للدراسات العليا خلال الثلاثينيات والاربعينيات

وها هو بحثي الذي اتقدم به الى جامعة عين شمس لنيل درجة الماجستير في ملامح القصص السياسية ، فهي حكايات تضم تقريباً كل شيء وتتحدث عن كل شيء وقد كانت محاولتي هادفة لأمور ثلاثة

اولا البحث عن الدوافع السياسية وراء تأليفه ، أو جمعه لأنه يمزج الضحكة بالدمعة والنقد بالموعظة

ثانياً محاولة الكشف عن تصورات الطبقات الشعبية للمفاهيم السياسية وكيفية ايصالها لهم

ثالثاً أدوات السياسة وأفكارها وأحكامها واتجاهاتها ، ومقارنة ذلك بما جاء

في كتب السياسة والتاريخ والآداب السلطانية

وقد اتبعت منهج النقد الداخلي للحكايات ، مع محاولة لتفريغ كل حكاية على حدة دون الالتزام بها كوحدة قائمة بذاتها ، معتمداً على ما يشبه نظرية الاحتمالات أو الاستنتاج المرتكزة على ربط الحوادث وتفسيرها ، ومقارنة ذلك بالاحكام التاريخية والسياسية المسندة تقريباً حتى حدوث الحكاية عبر العصور المختلفة

وقد وزع البحث على بابين يسبقهما تمهيد تفصيلي في موقف التاريخ المسند والأدب الرفيع ، من الحكاية عموما في قسمه الأول ، ومن ألف ليلة وليلة خاصة في قسمه الثاني

ويشمل الباب الأول أربعة فصول تتعلق بقضايا الخلافة الاسلامية منذ أيام الخلفاء الراشدين الى زمن المعتضد بالله بالنسبة للخلافة العباسية كما يمتد حكمه الى أيام المماليك والاتراك في مصر ، وقد تناولت في الفصل الأول منه موقف الحكاية من الخليفة ، ماله وما عليه ، وحقوقه ، وصفاته ، والنقد الذي كان يوجه اليه ، وفي الفصل الثاني تناولت موقفها من الوزير والحاجب والوالي

أما في الفصل الثالث فقد تعرضت لدراسة الملوك والحكام من غير الخلفاء وطريقة اعدادهم وتربيتهم ونقدها الصريح والخفي لهم

اما الفصل الأخير من الباب الأول فيتحدث عن المظاهر السياسية التي تتعلق بالمراسم والآداب السلطانية والمراسلات والخطب السياسية

وقد خصص الباب الثاني لقضايا سياسية عامة تتعلق بالعروبة والشعوبية والصراع بينهما في الفصل الاول منه

أما الفصل الثاني فيبحث في الدين وأثر سياسة التزهيد على نفسيات الحكام لتحقيق العدالة مع كيفية التقاضي والشروط الواجب توافرها في شخصيات القضاة

ويدور الفصل الثالث حول سياسة الحروب والجند وارتباطها بسياسة الحاكم

وفي آخر فصل أبرزت مغزى حكايات العامة والفتيان الشطار والعيارين وعلاقة ذلك بالسياسة ، لأن الليالي كتبت للعامة قبل الخاصة .

وقد اعتمدت في دراستي على نسختين من كتاب ألف ليلة وليلة احداهما طبعة بولاق المصورة بالاوفست التي نشرتها مكتبة المثنى ببغداد في مجلدين ، والثانية طبعة محمد علي صبيح بميدان الازهر ، وهي ناقصة كثيرا وقد أشرت اليهما برمزين مختلفين ، ولم أعتمد على النسخة المهذبة التي نشرها الآباء اليسوعيون في بيروت عام ١٨٨٩ م لما أحدثوا بها من تغيير

أما مراجع ومصادر البحث فقد تنوعت لدرجة لا أستطيع عرضها وفي استطاعة المطلع الرجوع الى الثبت التفصيلي في آخر هذه الرسالة

واخيرا لا يسعني المقام الا التقدم بالشكر والتقدير لاستاذي المكرم الدكتور ابراهيم عبد الرحمن وعضوي لجنة المناقشة الدكتور مصطفى مندور والدكتور عبدالمنعم اسماعيل وكذلك رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة عين شمس الدكتور عبدالقادر القط الذي كان له التشجيع على اختياري لهذا البحث

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح

احمد محمد الشحاذ

التمهيد

١ - الحكاية بين التاريخ والأدب السياسي
٢ - ألف ليلة وليلة بين التاريخ والأدب السياسي

الحكاية بين التاريخ والأدب السياسي

ـ ١ ـ

تطلق لفظة الحكاية لغة على المشابهة التامة دون التجاوز كما جاء تحت مادة حكى في لسان العرب «حكى الحكاية كقولك حكيت فلاناً أو حاكيته فعلت فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه»

غير أن المفهوم الشائع ، وهو ما يعني القصص غير الفني ، أو ما يتعلق بالاساطير والخرافات وسرد الأخبار فقد جاء تساهلاً كما أكد على ذلك صاحب محيط المحيط حيث قال وتساهل قوم في اطلاق لفظ الحكاية بمعنى الأخبار ومنه قول الحريري في المقامات قال المخبر بهذه الحكاية[٢] «ولكن الحكاية اخذت مفاهيمها تتحدد خلال الأيام تدريجيا بعد أن أتخذت أول الأمر شكلها المعروف فنيا في اعتمادها على السرد لغرض تمضية الوقت خلال المسامرة»[٣] ثم «لم تزل تتطور وتتعقد حتى أمكننا أن نجعلها صورة حية تمثل الأنسان بنفسيته المعقدة وأحاسيسه الغامضة في مختلف مجالات الحياة»[٤]

والشيء الواجب ملاحظته هو اقترانها بالابتعاد عن الواقعية الحياتية وارتكازها على الخيال ، ارضاء للنفس الانسانية ، وتعويضاً عن الواقع الذي تحياه تلك النفس[٥] بل ان الذي «تفعله الحكاية هو انها تحكي حياة في الزمن»[٦]

ولكن الحكاية رغم طبيعة سردها للأخبار ، ونقلها للصور التي أرادتها

---

(١) ابن منظور ، جمال الدين بن محمد/لسان العرب مادة حكى ط بولاق القاهرة ١٣٠٤هـ ط اولى

(٢) المعلم بطرس البستاني محيط المحيط ط أولى سنة ١٨٧٧ ص ٤٣١/٤٣٢

(٣) يوسف امين قصير الحكاية والانسان ص ٧ سلسلة الكتب الحديثة وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٠

(٤) المصدر نفسه ص ٨

(٥) الحكاية والانسان ص ١٦

(٦) ام فوستر/اركان القصة ترجمة كمال عبادة جاد ص ٥١ : سلسلة الالف كتاب ٣٠٦ مطبعة الوحدة القاهرة .

فانها لا تضيّف الينا الكثير ولا تعطينا شيئا هاما عن شخصية الكاتب مثلاً"[٧]

وللحكاية ميزة واحدة هي انها تجعل المستمعين يرغبون في معرفة ماذا سيحدث في المستقبل وهي أدنى وأبسط التراكيب الأدبية"[٨] أو هي ذلك الوجه الاساسي الأسيط من الرواية"[٩]

- ٢ -

وتعريف الحكاية الدقيق بعد أن أتخذت صورتها الأخيرة في أذهاننا ما نص عليه قاموس «لاروس» (Lerousse) «القصة قديماً حكاية حقيقية أو مصطنعة او منشورة ومصبوبة في قالب قصصي ، وهي اليوم عمل أدبي من نسج الخيال يصور بالنثر احداثاً متخيلة ، منمقة بقصد استثارة القاريء وجذب اهتمامه»[١٠] كما وأن «الحكاية فن الشعب واسلوبه في التعبير عن حياته و فكاره كما هي ذاكرته التي تحفظ وتنقل ما تحفظ الى من يأتي من الاجيال وهي ذات هدف اخلاقي وتثقيفي في آن واحد و يغلب على منطق الحكاية مضمون حيوية الأنسان فيما يفعل»[١١]

وكذلك لو رجعنا لتعريف القصة في قاموس «لتريه» (Letra) لوجدناه ينص على ما يلي «القصة إما رواية واقعية حقيقية ، وإما مصطنعة ، أو حكاية ملفقة تستهدف استثارة الاهتمام بتصوير العواطف والمثل الاخلاقية أو بغرابة احداثها ولغتها قد تكون قديمة أو لغة قصصية كما قد تكون نثراً أو شعراً[١٢]»

فإذا ما رجعنا الى تعريفها في موسوعة «دي فوربيير» (De Furbiyer)

---

(٧) المصدر نفسه ص ٥٥

(٨) المصدر نفسه ص ٣٦

(٩) المصدر نفسه ص ٥٥

(١٠) محمد مفيد الشوباشي القصة العربية القديمة ص ٢٠ وزارة الثقافة والارشاد القومي دار القلم القاهرة ١٩٦٤

(١١) عبدالحميد اللاوند الحكاية الموصلية/مجلة التراث الشعبي العدد العاشر السنة ٣ عام ١٩٧٢ .

(١٢) القصة العربية القديمة ص ١٩

وجدناه ينص على أن «القصة حكاية مصطنعة مكتوبة نثرا تستهدف استثارة الاهتمام سواء اكان ذلك بتطور حوادثها أو بتصويرها للعادات والاخلاق او بغرابة أحداثها وقد تتناول الحياة الريفية أو حياة البطولة وقد تكون اخلاقية أو نقدية أو فلسفية او تاريخية ، وقد تتناول المغامرات الغريبة والحكايات العجيبة فتثير الخيال»(١٣)

ومن هنا يمكن اعتماد الحكاية كوسيلة اعلامية بعيدة المدى ، ذلك أن الأعلام بعيد المدى يتمثل في المؤلفات الأدبية والفنية(١٤)، ولكونها «أقدر فنون الأدب على الوصف المفصل الطويل»(١٥)

ولا يمكن للحاكم ان يتخلى عن الأعلام في تسيير أمور حكمه فلابد له من اعتماد الحكاية أداة اعلامية ذات حدين تسلية وتوعية وربما تكون موجهة ضده من قبل معارضيه لاكتساب الجماهير المعجبة بمثل هذا الفن القولي الذي يرتاح له من تسحره السطحية والتوهم طبقا للقاعدة التالية :«ان اكتساب الجماهير الضخمة لا يتم إلاّ عن طريق السطحية والتفاهة»(١٦)، ونحن نجد الغالب من الحكايات رغم خفاء مضامينها سطحية بل ربما اقتربت من التفاهة بأسطوريتها وخرافاتها واعتمادها على عنصر التوهم الذي يعتبر «بداية الفنون جميعا بما فيها الادب والدراما واصل الارتياح والرضى إذ يحاول كل كائن انساني ان يتخفف من سورة الأحداث الأليمة بأن يعيد تخيلها مع اضافة التعديلات اليها ، ونحن نضع في اذهاننا الأشياء من جديد ، ونغير من بعض ملامحها»(١٧)

غير اننا يجب أن نكون حذرين من البداية من الخلط بين القصة الفنية والحكاية وان كانتا مرتبطتين اذ كلا الفنين يهدفان لغاية ، ويستثيران في النفس الانسانية المشاعر ، اما بناء الهيكل فهو أمر مفهوم بالنسبة للأثنتين

---

(١٣) المصدر نفسه ص ١٩

(١٤) فيصل حسين علي بركات/دور الاعلام في الدول النامية ص ٥ اطروحة لم تطبع

(١٥) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ٢٤٨ سلسلة مكتبة الدراسات الادبية دار المعارف مصر ١٩٥٩

(١٦) اريك بارنو الاتصال بالجماهير ترجمة فؤاد كامل ، صلاح عزالدين ص ٩٦ مكتبة مصر سلسلة مكتبة الفنون الدرامية

(١٧) المصدر نفسه ص ٩٩ .

وان كانت لفظة الرواية قد تطلق على الحكاية ذاتها «في العصور الوسطى كانت لفظة «رواية Romance ترادف كلمة قصة في لغة شعبية»[19]

بل ان الأدق من هذا اننا نجد أن الروايات القصيرة تعني الحكايات والأخبار وأن الحكاية إنما هي قصة قصيرة «تشغل بضع صفحات ، ووجه الشبه بينها وبين الرواية من حيث الطول والقصر كوجه الشبه بين قلم ولوحة عريضة»[20] ان عنصر التشويق الذي تلتزم به الحكاية قد يبعدها عن جو القصة الفنية ولكنه شيء ضروري وحتمي لها ، فاذا جردناها منه ، ضاعت الحكاية واصبحت غير ذات اعتبار أو أصبحت مجرد خبر أو اقتربت من التاريخ إلاّ في السند الصحيح

نعم ان كلا من القصة والحكاية تقتربان من التاريخ اقتراباً شديداً إذ أنهما متشابهتان في حالات كثيرة إذ تقومان على تسجيل الأحداث وتسلسلها لتحقيق غاية ، هي امتاع القارىء أو السامع وتسليته بالنسبة للقصة والحكاية وتسجيل الماضي والحكم عليه بالنسبة للتاريخ[21]، ولو تتبعنا الفرق بينهما في اللفظ الانكليزي لوجدناه لا يتجاوز حرفين ، وأن المضمون لكليهما يبدو متقارباً بل ربما كان واحدا كما نرى

فكلمة Story في القاموس الانكليزي تشمل المعاني التالية

(1) An account of some happening or group of happanigs

(2) Such an account either true or made up intended to interest the reader or hearor a faires story (22)

والترجمة تعني ان القصة رواية أو وصف لحادثة أو مجموعة أحداث ومثل هذا التعريف للقصة سواء كانت حقيقية ام مصنوعة مقصود بها

---

(١٨) الياس انطوان الياس قاموس الجيب عربي انكليزي المطبعة العصرية بمصر

(١٩) M. L AbbeoCi. Vincet نظرية الانواع الادبية المجلد الثاني ص ١٢١ طبعة منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٥٨ ترجمة د حسن عوف

(٢٠) نظرية الانواع الادبية المجلد الثاني ص ١٤٦ طبعة منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٥٨ ترجمة د حسن عوف

(٢١) ThoRndike, Barhart: Handes Pocket Diction ary: London, Hodder and Stoughtion, 1952, P. 442.

(٢٢) Ibid, P. 224

تسلية القارىء او السامع وهي ما تعرف بقصص الجن أما بالنسبة لكلمة التاريخ History فتشمل أيضا المعاني التالية

(1) Stateme of what has happened.

(2) Story of a man or nation.

(3) A' Known past. (23)

والمعنى عرض او رواية لما قد حصل للانسان أو للامه أو لمعلومات قديمة[٢٤]

فهناك إذن صلة في مضمون الحوادث ولكن الحوادث الحقيقية أو المختلقة للقصة أو الحكاية تثير الانفعال بينما هي في التاريخ مجرد تسجيل وربما أثارت الانفعال باعتبار اطار كل منهما وهو سرد الحوادث والمعلومات أو كما قيل مقارنة بين حوادث القصة بالنسبة للتاريخ انها تقترب من حوادث التاريخ إلاّ أن المرء فيها يحاول أن يحببها للسامع بأوضاع وحالات داعية للالتفات وفيها تهييج للنفوس بما يدهش او يبهر السامع ويدعو للعجب ، ولو لم تكن ملفقة مصنعة لعدت تاريخا[٢٥] وذلك إن القاص إذا دَوَّن خُيِّل اليه أنه يدون شيئاً حرياً أن يبقى مدى الزمن كما بقيت حوادث التاريخ[٢٦]

فالصلة القوية بين القصة او الحكاية كأدب والتاريخ لا يمكن تناسيها حتى لنجد أن «فيلمان» « Villeman »يقرر ذلك باعتبار ان التاريخ وسيلة لفهم الأدب وتفسيره وتعليل مزاياه في بنيته اذ كان الأدب صورة للحياة الاجتماعية[٢٧]، بل ان «التاريخ والأدب صنوان لا يفترقان وأن الفلاسفة

---

(٢٣) Thorndike. Barhart: Hands Pocket Dictionary, London: Hodder and Stoughton, 1952, P. 442.

(٢٤) لو رجعنا الى ترجمة كلمة Story في قاموس المورد لمنير بعلبكي لوجدنا ان اول معنى ثبتها المترجم هي كلمة تاريخ وكذلك بالنسبة لكلمة History حيث حدد في احدى ترجماتها أنها القصة ارجع الى مادة الكلمتين المورد قاموس انكليزي عربي دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٠ الطبعة الثانية .

(٢٥) عباس العزاوي الأدب العربي في العراق ، ص ٢٩٠ ج ١ مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦١

(٢٦) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ٨١

(٢٧) د . احمد الشايب : اصول النقد الادبي ص ٩٢ : مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ١٩٦٤

الذي يسلكون الأدب مع الفنون الجميلة لا يستطيعون ذلك الا برده الى مفهوم التاريخ»[٢٨]

غير ان هذا التشابك وتلك الأحكام والآراء دعت الفيلسوف الفرنسي «دريدرد» ١٧١٣ ١٧٨٤ الى شن هجوم عنيف على الروايات التاريخية التي تحاول عرض صور التاريخ باطر ادبية بقوله «انكم تخدعون الجهال وتبعثون الاشمئزاز في نفوس المثقفين ، انكم تفسدون التاريخ بهذه الخيالات والأوهام كما انكم تفسدون هذه الخيالات بالتاريخ»[٢٩]

ولكي ندرك الواقع الحقيقي للتاريخ لا بد اذن من الرجوع لتعريفه نقلا عن ابن خلدون لندرك الفرق بينه وبين الحكايات والقصص فهو يعتبر التاريخ فنا في «ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها ..»[٣٠] في حين كان موقفه من الحكايات حادا حيث وصفها بالكذب وبالوضع وبالاضحاك[٣١]

غير ان النتيجة التي لا يمكن اغفالها أنه يمكن اعتماد القصة او الحكاية اساسا لمصدر تاريخي ، لأن «أدب امة من الأمم يعد تعبيرا صادقا عن حياتها السياسية والاجتماعية ومصدراً مهذبا من مصادرها التاريخية ، ذلك بأن الادب يلم بروح الحوادث»[٣٢].

كذلك يمكننا اعتبار التاريخ من حيث «المعنى الخاص المحدود الذي جعل منه نوعاً ادبياً ، فهو يتخذ موضوعه الأنسان ، وهو بهذا الاعتبار ، علم المجتمعات الأنسانية»[٣٣] ولكن تحكم الذوق وهوى وقصد واضع القصة أو الحكاية وعدم التجرد وجنوحه للخيال هو العائق الوحيد الذي يجعل التاريخ يفترق عن القصة والحكاية او يشك في الالتزام بها التزام المعتقد الجازم ولكنه لا يمكنه أن يتغاضى عنها بل ربما ساهمت الحكاية في اغناء المادة

---

(٢٨) د عبدالحميد يونس الهلالية ص ٦/٥ جامعة القاهرة القاهرة ١٩٥٦

(٢٩) نظرية الانواع الادبية ص ١٤٥

(٣٠) ابن خلدون المقدمة ص ٣ مطبعة مصطفى محمد القاهرة

(٣١) المصدر نفسه ص ١٤ ١٥

(٣٢) أصول النقد الأدبي ص ٩٣ - ٩٤

(٣٣) نظرية الانواع الادبية ص ١٤٠

التاريخية لأن الحكاية والقصة حسب اعتقادنا انما تهدفان لاظهار ما يطمح له الأنسان فعلا أو ما وقع فعلا كما في الحقائق التاريخية ، وهذا ما جعل للحكاية مكانة عالية تضارع التاريخ في مكانته بالنسبة لعامة الناس لأنهم «لا يرضون التاريخ إلاّ وفق اهوائهم ومشاعرهم وخيالاتهم»[٣٤]

فأذن للحكاية الأثر المهم في الاطلاع على حياة الأمم لأنها تفتح كوة في حياة المجتمعات المظلمة فترسل اليهم خيوط النور ومن هنا نجد اصداء الآراء القوية التي تزداد علوا في أن كلا من التاريخ والقصة أو الحكاية تعكسان الصراع الطبقي والاجتماعي والسياسي بين الحاكم والمحكوم «وأنه كما توجد قيم وتصورات تعبر عن مصالح السادة الحاكمين فانه كانت هناك ومنذ فجر التاريخ قيم وتصورات تعبر على العكس من ذلك عن احلام المضطهدين في العدل الاجتماعي والخلاص الأنساني والانعتاق السياسي من قبضة الظالمين»[٣٦]

يؤكد هذا الرأي صاحب نظرية «اصل الأنواع الأدبية حيث يقول عن التاريخ «كان التاريخ قبل القرن التاسع عشر يقص الاعمال الصادرة عن كبار الرجال وكان أمره شبيها بالملاحم»[٣٧] فهو قد اتخذ كالحكاية والقصة لهدف اصلاحي وسياسي حيث «كان المؤرخون القدماء يهدفون الى غرض سياسي او اخلاقي وأن التاريخ يرينا الأمثلة الكبرى فيستخدم رذائل الأشقياء في اصلاح اهل الخير»[٣٨]

كما أن «الأدب السياسي أو أدب السياسة هوالفن القولي شعرا وكتابة وخطابة وحوارا الذي يتعاطى بشؤون الحكم تأييداً او تفنيداً أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في سلم أو حرب»[٣٩]

---

(٣٤) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ٢٤٥

(٣٥) الحكاية والانسان ص ٢٢

(٣٦) د محمد على الشهاوي:مقال تقدمية الدعوة الاسلامية ورجعية الطائفية والعرقية مجلة الكاتب العدد ١٥٦ السنة الرابعة عشرة مارس ١٩٧٤

(٣٧) انظر أصل الانواع الادبية مجلد ٢ ص ٥٠

(٣٨) المصدر نفسه ص ٥٣

(٣٩) د . احمد محمد الحوفي ادب السياسة في العصر الاموي ص ٨ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٦٠

ولما كانت الاحداث السياسية جافة شيئا ما يأتي الخيال ليصبغها بشيء من الروعة والجمال فاذا هذه السياسة ملونة بحوادث عن حياة الأبطال الشخصية[٤٠]، ولما كانت اغلبية الناس تتمنى ان تتعلم وتتسلى في آن واحد فكان لابد أن تبرز الحكاية على المسرح الحياتي ليستفيد منها الحاكم والمعترض وكلاهما يهدف لأمر ، ولكن يجب ملاحظة طبيعة الحكم اذ ربما كان الحاكم مستبداً غير أن الناس تبحث عن متنفس وناصح وموجه وهنا يظهر الاديب السياسي أو السياسي الأديب كما ظهر ابن المقفع في كتابه «كليلة ودمنة» مثلاً اذ كان مشتملاً على «غرضين ، سياسي وأدبي فأما السياسي فانه داع الى العدل وزاجر عن البغي ، وفيه بيان سلوك الملوك في آدابهم وتدبيرهم لأمور ممالكهم وما يجب عليهم من العدول عن اللهو ، والغفول الى التيقظ والسهر وان الفاضل من الملوك حقيق بأن يعتبر بأقوال الحكماء ولا يقرّب اليه أهل النميمة والفساد وأما الأدبي ففي بيان المعايش في ظروفها والوانها وسائر احوالها والاقتصاد في تدبير المنزل والمعاملات بين الناس»[٤١]وكما فعل ذلك وبنفس الطريقة سهل بن هارون عندما ألف في زمن المأمون كتابه «ثعلة وعفرة»[٤٢] «فحديث ابن المقفع في كليلة ودمنة عن «دبشليم» كان حديثا عن المنصور الخليفة وان ابن المقفع عمد الى الرمز حين خاف على نفسه»[٤٣]

ان الخوف والرغبة في كسب الحاكم «دفع اكثر القصاص الى الوضع والكذب ارضاء للخليفة حتى تلبس التاريخ بالخرافة ، وتبرجت الحقيقة بوشي الخيال اذ لم يكن همهم الحق فيتبعون أصدق القول وانما همهم الترغيب

---

(٤٠) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ٢٤٨

(٤١) جميل نخله المدور حضارة الاسلام في دار السلام ص ٢١٤ مطبعة الاعتماد مصر ١٣٥١ هـ ١٩٣٢

(٤٢) الحصري زهر الآداب وثمر الالباب المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥ ج ٢ ص ١٨٦ ، وهامش المصدر اعلاه ص ٢١٤

(٤٣) د جميل سعيد نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٦ بغداد ١٩٥٤

والترهيب والتشويق الذي يستميلون به النفوس»[٤٤]

هذا من جهة الحاكم الذي بدأ يستغل الحكاية من أجل مصالحه حتى أتهم الوراقون وواضعو الحكايات بأنهم «آفة من آفات العلم»[٤٥]، وهذا ايضا يذكرنا بقول الجاحظ «وايضا فان لنا في ذلك أجرين اما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها»[٤٦] حين وضح لنا اسباب تأليف كتاب التاج في اخلاق الملوك

وعلى عكس ذلك تماما ما فعله مثلا ابن المقفع كما رأينا عندما عمد الى الرمز والتحدث على لسان الحيوان والذي اصبح فيما بعد فنا ونمطا معروفا بعد عهده حتى أننا لنجد نصاً صريحاً على هذا في كتاب الاشارة الى أدب الوزارة في السياسة «فاخترعت لك وصفاً غريبا وعرضاً قريبا ، ان لقيت به ما جمح من اخلاقك قواك وألانه وانهج لك الصواب وأبانه ، جانحا الى الاختصار عادلا عن الاكثار منسوباً الى بعض الحيوان ، على عادة الأول ممن حذق في السياسة من قبلي او ذهب لما ذهبت في فعلي»[٤٧]، وهذا ما نلاحظه فعلا في رسائل اخوان الصفا التي وضعوها «موسوعة حقيقية من واحد وخمسين بحثا او رسالة لينشروا آراءهم عن طريقها وتتخلل كتاباتهم بين الحين والحين قصص طوال ، وخرافات وحكايات»[٤٨] اذ أن «من الأمور الهامة في منهجهم الاهتمام بالمجتمع العام اهتماما سياسيا ، واجتماعيا ، فقد حملوا على الظلم حملة شعواء وكانوا يقولون اعلم أن السلطان الجائر قصير العمر لأن الله قاصم ظهر كل جبار عنيد»[٤٩]

أو ما فعله ابن حمدون[٥٠] في تذكرته أيام المستنجد العباسي الذي لقي

---

(٤٤) د محمد نبيه حجاب ص ٤٧٢/٤٧١ مظاهر الشعوبية في الادب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٦١

(٤٥) أدم متز الحضارة العربية ص ٣٠٥ د علي الزبيدي في الادب العباسي ص ٢٥

(٤٦) الجاحظ/التاج في أخلاق الملوك المطبعة الاميرية القاهرة سنة ١٩١٤ ص ٢

(٤٧) كتاب الاشارة الى أدب الوزارة من رسائل لسان الدين الخطيب نقلاً عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/ج ١ المجلد ٤٧ بحث عبدالقادر زمامة فاس المغرب الاقصى

(٤٨) آنخل جنثالث بالنثيا/تاريخ الفكر الاندلسي ص ٥٨٨ مطبعة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥ ترجمة حسين مؤنس

(٤٩) د مصطفى الشكعة الادب في موكب الحضارة الاسلامية ص ٧٢٣ الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٨

٥٠) ابن حمدون هو ابو المعالي بهاء الدين محمد بن ابي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب ولد في بغداد عام ٤٩٥هـ وتوفي عام ٥٦٢ هـ .

مصرعه عندما توهم الخليفة العباسي المستنجد بالله أن ابن حمدون كان «يعرض بحكاياته الدولة او يطعن فيها فأخذه من منصبه وكان مسؤولا عن ديوان الزمام المستنجدي فحبسه الى أن مات»[٥٢]

فاذا كان ابن المقفع قد قتل في تنور مسجور من قبل الخليفة المنصور فان ابن حمدون مات صبراً في سجنه وذلك بسبب آرائهما السياسية التي عرضت على شكل حكايات على لسان الحيوان في كليلة ودمنة وعلى صورة من صور الأدب السياسي البعيد عن الرمزية الا انها ذات طابع نقدي موجه للسلطان

ولو تجاوزنا عصر الخلافة العباسية الى عصر سلاطين المماليك في مصر لتبينت لنا صورة واضحة لها نفس العلاقة التي وقعت لابن المقفع ولابن حمدون بسبب تأليفهما الحكايات ولوجدنا أن فكرة المناظرات والمقالات الأدبية والتي اشهرها محاكمة تقي الدين بن تيمية أبرز العلماء الاحرار خلال عصر المماليك والمتوفي عام ٧٢٨هـ حيث نجده يحاكم ويسجن ويشرد بعد أن يمتحن .وهو يناظر في المذاهب مما لا يمنع ان تكون حكاية تودد الجارية في ألف ليلة وليلة صورة لهذه المحاكمات بأسلوب امتحاني يقف فيها الحاكم مستمعا واما المناظرون والممتحن «فهم صورة من صور الهاء الناس عن سوء الحالة السياسية والاقتصادية» بعد سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ

٤

ان القصص الشعبي العربي الاسلامي انما هو صورة «للتاريخ كما فهمه الشعب أو كما أراده زعماؤه ان يفهم فقد كان هذا النوع من الأدب

---

(٥١) المستنجد بالله هو ابو المظفر يوسف بن المقتفي ولي الخلافة من ٥٥٥ الى ٥٦٦هـ

(٥٢) تذكرة ابن حمدون المقدمة ص و ز النهضة بغداد ١٣٤٥هـ ١٩٢٧م

(٥٣) محمد رزق سليم عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي/المجلد السادس/القسم الثاني/الجزء الثالث صفحات ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ : مطبعة الأداب : القاهرة ١٩٦٢ .

حتى وقت قريب من أحسن المحاضرات العامة التي ابتدعت لتدريس القوم تاريخهم»[٥٤]

ولو تتبعنا تاريخيا علاقة الحاكم بالحكاية او علاقتها بالحاكم مهما كانت سلطته لأتضح لنا أن العرب عرفت الحكاية منذ الزمن الجاهلي بسبب ما عرف عنهم من تنازع الرياسة والفخر والشرف الذي كان ولا شك احد اسباب رواج القصص التي تزعم الفضل بقبيلة وتذل لها باقي القبائل ثم أنه في فجر الاسلام الاول نجد ان «القصص العربية القديمة» تتناول «شيئا من تاريخ الأمم المجاورة مما حفظوه من أهل تدمر والفرس والعبرانيين»[٥٦] حين اشتد الصراع بين المسلمين وبين من حارب الدعوة الجديدة الذين كانوا يتصورون امكانية الرد على القرآن الكريم بأن يأتوا بأخبار الأمم السالفة ظنا منهم انما يعملون ما يعمله النبي (ص) وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم «واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين»[٥٧]

كما أن القرآن الكريم اتخذ القصة وسيلة مهمة في نشر الدعوة مما يؤيد معرفة العرب للقصة وارتياحهم لها خاصة وأن أيام العرب مروية شفاها جيلاً بعد جيل كما كانت اخبار فرسانهم وكرامهم وحوادث الأيام معروفة «نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن ، وان كنت من قبله لمن الغافلين»[٥٨]

ثم اننا لنجد سورة كريمة من سور القرآن قائمة بذاتها هي سورة القصص بل نجد «أن العرب يطلبون من النبي (ص) أن يقص عليهم نبأ اهل الكهف»[٥٩] او نبأ ذي القرنين

---

(٥٤) د نبيلة ابراهيم سيرة الاميرة ذات الهمة ص ٥٨ دار الكاتب للطباعة والنشر القاهرة
(٥٥) فاروق خورشيد في الرواية العربية عصر التجمع ص ٨٠
(٥٦) د سلام محمد زغلول القصة في الأدب السوداني الحديث ص ٥٣/معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٠
(٥٧) القرآن الكريم سورة الانفال آية ٣١
(٥٨) القرآن الكريم سورة يوسف آية ٣
(٥٩) القصة في الأدب السوداني الحديث ص ٥٤ .

وفي عهد الخلفاء الراشدين نجد اهتمامهم «بالقصص فهذا عمر بن الخطاب يأذن لقاص أن يقص على الناس يوما في الأسبوع ويأمر بترجمة قصص العدل والسياسة وعثمان يأذن لقاص بأن يقص على الناس يوما في الأسبوع وعلي بن ابي طالب يجيز للحسن البصري أن يقص في المسجد»(٦٠)

ثم «كثر هؤلاء القصاص الذين يقصون سيرة الرسول وقد اختلف في زمن ظهورهم فبعضهم جعله في عهد عمر بن الخطاب (رض) وبعضهم قال «في عهد عثمان بن عفان (رض))»(٦١)

غير أن هذه القصص كانت تعنى بأمور الدين «الا انها أدخلت على المسلمين كثيرا من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية والنصرانية»(٦٢)

وحدثت الفتنة الكبرى بمقتل الخليفة الثالث عثمان (رض) «فاحتدم الصراع السياسي وزاد عدد القصاص الشعبيين «قصاص العامة» وانتشروا في الامصار ولكن كبار المسلمين لم يرتاحوا لذلك فطردهم علي بن ابي طالب (رض) ما خلا الحسن البصري وطردهم ابن عمر من مسجد المدينة»(٦٣)

ثم حدثت واقعة صفين واشتد الصراع بين الأمام علي ومعاوية فاتخذت القصة وسيلة اعلامية يستعان بها «على ترويج حزبه والدعوة له يدل على ذلك ما ورد عن الليث بن سعد وما روى عن ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب أن علياً (رض) قنت فدعا على قوم من اهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو لأهل الشام»(٦٤)

غير أن القصص الاسلامي الأول كان وعظاً «فان اولئك القصاص كانوا بادىء ذي بدء وعاظا يعظون الناس في المساجد وذلك بتفسيرهم القرآن وبهذا اخذوا ينزعون بتفسيراتهم هذه وبوعظهم هذا الى القصص والاساطير»(٦٥)

---

(٦٠) المصدر السابق ص ٥٤

(٦١) بدري محمد فهد العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٢٩ مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٧ ط نقلاً عن خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٥٣

(٦٢) القصص في العصر الاسلامي ص ٢٧ دار الزمان ببغداد

(٦٣) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٣٠

(٦٤) القصص في العصر الاسلامي ص ٤٦ / احمد امين فجر الاسلام ج ١ ص ١٩٦ .

(٦٥) المصدر نفسه ص ١٣

اما في أيام العهد الأموي فقد صار لزاما أن يتحرك القصاص في محيط خيالي آسر لا يستهدف الا الاثارة والمتعة وملء الفراغ[٦٦] «حيث اصبحت هناك علاقة بين رجل الدين والقاص» وهكذا نقول أن عمل القاص في ذلك العصر كان بلا جدال دينيا كان اسلاميا بحتا وقد اختلط بأساطير كان يعرفها القاصون واتصلت اتصالا مباشرا بما ورد في القرآن الكريم من اشارات الى أمم بائدة[٦٧] والقصص من هنا تصلح ان تكون تعبيرا عن حيوات اندثرت وعن واقع قائم فيه شغف في المعرفة وله غايات فكرية معينة ويرسم ايديولوجية اسلامية جديدة

كما كان هناك نوع آخر من القصص يهتم بها الحكام يمكن أن يقال عنها أنها الاسس الأولى لتدوين التاريخ وكان معاوية بن ابي سفيان كما ذكر المسعودي لا ينام الا بعد أن يقرأ له صحائف عن اخبار الماضين[٦٨]

بل اننا نجد أن بعض جامعي القصص يهتمون بالتخصص في جمع قصص قديمة واخبار عن الماضين كما عمل قبل ذلك عبيد بن شربه الذي جمع ما يتعلق باليمن

ويمضي الزمن ثم نجد أن القصة اصبحت أداة من أدوات النضال بين الشيع والاحزاب[٧٠]

هذا ما كان يدور في الحجاز والعراق والشام اما في مصر فيتولى قاضي القضاة منصب القصص

وبعد قيام الدولة العباسية نجد أن الرشيد يأمر قاضيه «بتدوين القصص التاريخي»[٧٢]

---

(٦٦) د احمد كمال زكي الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ص ٢٢٤/٢٢٣ المعارف مصر ١٩٧١

(٦٧) د احمد كمال زكي الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ص ٢٢٦/٢٢٥

(٦٨) ثابت اسماعيل الراوي تأريخ الدولة العربية،خلافة الراشدين والامويين ص ١٣٨ ط اولى بغداد مطبعة الارشاد ١٩٧٠

(٦٩) المصدر نفسه ص ١٣٨

(٧٠) في الرواية العربية عصر التجميع ص ٧٩

(٧١) القصة في الادب السوداني الحديث ص ٥٤

(٧٢) القصة في الأدب السوداني الحديث ص ٥٤ .

غير ان القصة والقصاصين عبر التاريخ كانا محاطين بالشكوك والريبة ففي سنة ٢٨٤ هـ أثار القصاص الفتن بين اتباع المذاهب الدينية مما حمل الخليفة المعتضد العباسي على منع القصاص من الجلوس في المساجد والطرقات لرواية الحكايات واثارة النزعة الطائفية بين العامة[٧٣]

«وفي سنة ٣٦٧هـ منع عضد الدولة (البويهي) القصاص من الظهور في المساجد وغيرها من الأماكن واعتبرهم آفة المجتمع لأن احاديثهم كانت سببا في اثارة الناس وكذلك في سنة ٤٠٨هـ أمر الخليفة القادر بالله العباسي بضرب القصاص وعمل على مناهضتهم بسبب اثارتهم .الفتن الداخلية»[٧٤]

ان الأزمة التي عانت منها القصة العربية خلال التاريخ تبدو واضحة جلية بعد أن ألف الجهشياري كتابا في اسمار العرب حيث ادى الى أن يوصف المتزمتون بالقصاصين وان الحذر منهم ومن اقوالهم واجب[٧٥]

ولكن القصة لا تقف ، ولا يتراجع القصاصون ، وانما هم ينتشرون ويستمرون في مواصلة نشاطهم «ولشدة اقبال العامة على القصص وحضور مجالسه دفع ذلك الوراقين في القرن الثالث الى كتابة القصص ، فاشتهر منهم ابن دلان احمد بن محمد ، وآخر عرف بأبن العطار»[٧٦]، واستمر التأليف في الاسمار والحكايات خلال القرن الرابع[٧٧] فلما جاء القرن الخامس الهجري كان عدد القصاص كثيرا وكانت مجالسهم عامرة بالعامة[٧٨]

- ٥ -

ومما سبق يظهر لنا جلياً ان صراعاً خفياً يحدث للقصاص الذين ينقسمون الى قسمين

---

(٧٣) د مليحة رحمةالله الحياة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ص ٩٨ نقلاً عن الطبري تأريخ الامم ج ٨ ص ١٨٢

(٧٤) نفسه ص ٩٨ ، ٩٩ نقلاً عن كتاب المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٨٨ وكتاب العبر في تأريخ من غبر لشمس الدين الذهبي ص ٦٦/٦٥

(٧٥) القصة في الأدب السوداني ص ٥٥/٥٤

(٧٦) ابن النديم الفهرست ص ٤٤٢ مطبعة الاستقامة القاهرة

(٧٧) تأريخ القفطي ص ٣٣١ مؤسسة الخانجي - مصر

(٧٨) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٣١ .

أولا قصاص الخاصة و «هو ما استحدثه معاوية حيث ولى رجلاً على القصص فاذا سلم في صلاة الصبح جلس وذكر الله عزّ وجلّ ومجدّه وصلى على النبي ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على اهل حربه وعلى المشركين كافة»(٧٩)

ثانيا قصاص العامة وهم الذين وصفهم ابن الجوزي في تلبيس القصاص بقوله «ان بعض القصاص افسدوا قلوب العوام وأن أغلب القصاص لا يتحرجون في ذكر الأخطاء ولا يتحرون الصواب فيما يقصون»(٨٠) والذين وصفوا بأنهم» لم يعنوا بالقرآن او الحديث بل صار قصدهم اضحاك الناس وجلب رضاهم ليحصلوا على مالهم وذلك برواية القصص الغريبة والأسمار المضحكة والخزعبلات المختلفة وقد اختلقوا الاحاديث والروايات وأوردوها في أساليب غريبة متباينة ليستهووا بها الناس

ويمكن تحديد زمن ظهورهم بعد أيام الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان (رض) حين طردهم الامام علي (رض) من المساجد ما خلا الحسن البصري(٨٢)

ويزيد علماء الدين واقع القصة والحكاية العربية تعقيداً فلقد انحى الامام الغزالي (رض) باللوم على القصاص والوعاظ اذ لم يكن هناك فرق بين الحكايات والوعظ كما سنلاحظ ذلك فيما بعد اذ انه قال «في معرض كلامه عن المنكرات والمكروهات في المساجد هو كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه»(٨٣)

بل تعدى ذلك الى رواية احاديث نبوية تؤيد ما ذهبوا اليه وقد نقل

---

(٧٩) المصدر نفسه ص ٢٣٠/٢٢٩ نقلاً عن تأريخ الخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٠١ وكذلك خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٥٣

(٨٠) المصدر السابق ص ٢٣١

(٨١) القصص في العصر الاسلامي ص ٩٢/٩١

(٨٢) بدري محمد فهد العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٣٠

(٨٣) المصدر السابق ص ٣٥

صاحب المستطرف انه «روى عن حباب بن الارب انه قال قال رسول الله (ص) «ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا» وروى ان كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر (رض عنهما) «لم يقص احد على عهد النبي (ص) ولا عهد ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رض عنهم) وانما كان القصص حيث كانت الفتنة»[٨٤]

فالكلام الأخير المروي عن ابن عمر (رض عنهما) يناقض الوقائع التاريخية حيث عرفنا أن العرب كانت تسأل النبي (ص) ان يخبرها عن الماضين وما قصه يوسف في القرآن الكريم الا الرّد الصادق على ذلك وان كلا من الخليفتين عمر وعلي (رض عنهما) قد اجازا من يقص على المسلمين غير أن الأدباء الرسميين وعلماء الدين المواكبين للسياسة هم سبب اختلاق ذلك ارضاء لهم ودفعا لفتن العوام ضد حاكميهم كما في استعراض تاريخ الحكاية لأن القصة والحكاية وسيلة كشف واثارة خاصة ان كانت غير معروفة المؤلف او الواضع واغلب الأدب الشعبي مجهول المؤلف والوقت

ولا يجوز أن يغرب عن بالنا أنه منذ العصر الاسلامي الأول وخلال فترة الخلفاء الراشدين الى آخر العصور العباسية لا يمكن فصل القصة والحكاية عن الوعظ ولم يقتصر ذلك على منطقة الشرق الأسلامي بل تعدى ذلك الى أن عبر الى اسبانيا المسلمة فقد ظهرت مجموعة من المواعظ السياسية أيام فرناند الثالث والفونسو العاشر كما قرر ذلك «بالنثيا» في كتاب «تاريخ الفكر الأندلسي»[٨٥]

---

(٨٤) الأبشهي شهاب الدين محمد بن أحمد الابشهي المستطرف في كل فن مستطرف ج ١ ص ٩٩ مطبعة الاستقامة/القاهرة

(٨٥) ص ٥٧٧ آنخل جنثالث بالنثيا ترجمة حسين مؤنس ط اولى ١٩٥٥ القاهرة

ألف ليلة وليلة
بين التاريخ والأدب السياسي

١

تعيش في أذهان الشعوب والأمم صور بطولاتها وآمالها وآلامها كما تعيش فيها آثارها وأهواؤها ومفاخرها

وفي الشرق العربي ظهر كتاب ألف ليلة وليلة «هذا الكتاب الذي خلب عقول الاجيال في الشرق والغرب قروناً طوالاً . والذي نظر الشرق اليه على أنه متعة ولهو وتسلية . ونظر الغرب اليه على أنه كذلك متعة ولهو وتسلية ولكن على انه بعد ذلك خليق ان يكون موضوعاً صالحاً للبحث المنتج والدرس الخصب»[٨٦]

فهو اشهر القصص في لغة العرب بل في جميع اللغات[٨٧] «بل انه كما وصفه أحد الباحثين الاوربيين لم يفقه في شهرته غير التوراة لأنه اكثر الكتب قراءة وأوسعها خيالا واعظمها غرابة واحفلها بالاسطورة والخرافة»[٨٨] وهو من الآثار الخالدة لقصص الشعب العربي في ميدان الامتاع العام[٨٩] لدرجة اننا اذا حاولنا رسم مكانة هذا الكتاب بدقة بالنسبة للأدب العالمي لوجدنا انه «نفذ الى جميع القرائح المعبرة في أوربا (خاصة) فأثر في الشعراء والموسيقيين والروائيين والرسامين وغيرهم كما يعود اليه الفضل في ظهور بعض

---

(٨٦) د طه حسين من مقدمته لكتاب ألف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي مطبعة دار المعارف مصر سنة ١٩٥٩

(٨٧) المقتطف سنة ١٩٣٥ ص ٢٦٥ ج ٨٦ مقالة احمد ضيف

(٨٨) نفس المرجع ص ٢٦٥ ج ٨٦

(٨٩) د . مصطفى الشكعة الادب في موكب الحضارة الاسلامية ص ٦٢٣

الحركات الادبية الغربية»[٩٠] وخير ما وصفته به دائرة المعارف الاسلامية «اشهر مجموعة عربية للقصص»[٩١]

ورغم كل ما وصف به الكتاب من نعوت جميلة ، ومن شهرة عالمية حيث ترجم الى «الانجليزية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية والهولندية والدانماركية والالمانية واليونانية ، والسويدية والروسية والبولاندية والهنغارية والتركية والفارسية والاردية والهندستانية»[٩٢]

فقد ظل كتابنا الجميل مهملاً مهجورا فترة طويلة من الزمن لان توجيها ساخرا صدر عن ابن النديم في كتابه «الفهرست» حين وصفه بقوله «وهو في الحقيقة كتاب غث بارد الحديث»[٩٣] او كما وصفه التوحيدي في الامتاع والمؤانسة «ولفرط الحاجة الى الحديث ما وضع فيه الباطل ، وخلط بالمحال ووصل بما يعجب ويضحك ، ولا يؤول الى تحصيل وتحقيق مثل هزار افسانه وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات»[٩٤]

غير ان هذه المجموعة الخالدة «لم ينشئها اديب بعينه ، وانما انشأتها الأجيال المتتابعة حتى انتهت الى هذه الصورة الرائعة من الامتاع بحيث لم يقف الأمر بها عند امتاعنا نحن العرب وحدنا بل تعدى امتاعها حدود الزمان والمكان واللغة»[٩٥] فقد «مل الناس من الجدال في أدب اللاتين واليونان فجاء كتاب ألف ليلة وليلة بعنصر جديد للمؤلفين بالقصص ، فوقفت الخواطر على الخيال وعلى الصور التي يرتبط بها الأمر الواقع بالأمر الخارق»[٩٦].

---

(٩٠) د عبدالحميد يونس الحكاية الشعبية ، العدد ٢٠٠ من المكتبة الثقافية طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ص ١٤

(٩١) الجلد الثاني ج ١ ص ٥١٨

(٩٢) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ٣ ٧

(٩٣) ابن النديم الفهرست ص ٤٣٦

(٩٤) ابو حيان التوحيدي الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ٢٣

(٩٥) د مصطفى الشكعة الأدب في موكب الحضارة الاسلامية ص ٦٢٣

(٩٦) نكيتا أليسيف مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ج ١ الجلد ٤٧ كانون الثاني «يناير» ١٩٧٢ شفيق جبري

فهو ثورة قصصية جديدة من «نتاج قريحة شعبنا وفيض ملكات الموهوبين من الناطقتين بالعربية»[٩٧]، وهو موسوعة شعبية من حكايات هادفة لمضامين ذات أثر نفسي في توجيه ثقافي ملون رغم ما يبدو على أسلوبه من بساطة لأنه انما «كتب للعوام وغير المتعلمين»[٩٨]

غير أننا لا يمكن اغفال ما هوجم به هذا الكتاب الحائر بين الحقيقة والخيال ليس قديما وحسب وانما حتى في عصرنا الحاضر حيث ظل النحس يلازمه الى ان وجدت الآداب الشعبية من يناصرها في الحقل الجامعي والاعلامي ففي سنة ١٨٨٨ م وصفته جريدة المقتطف بعد أن صدرت طبعة جديدة له قام بها الجزويت بما نصه

«هذا الكتاب وهو على علاته لا يخلو من الفائدة ولذلك طبع في مطابع مصر والشام وراجت بضاعته ولكن لم يدر في خلدنا أن الجزويت يزاحمون أبناء البلاد على طبعه واكتساب ارباحه وهم يدعون أنهم انما أتوا البلاد لتنوير اهاليها وتحسين احوالهم الم يكن الاولى بهم ان يطبعوا هم كتابا في الطبيعيات او الكيمياء أو الصناعة او الفلاحة او نحو ذلك من العلوم والفنون»[٩٩]

بل ان أسلوبه اصبح موضع تندر وسخرية فعندما حاول الاب «شرل ابيلا اليسوعي» مهاجمة جريدة المنار وصاحبها الاستاذ رضا الذي ترجم «انجيل برنابا» انما اتخذ اسلوب الليالي وسيلة من وسائل السخرية والتشكيك حيث قال «قد أغفل جامع كتاب ألف ليلة وليلة عن فصل بديع فاكتشفه صاحب المنار واثبته في العدد الأول من سنته هذه فجاء رواية خيالية تدل على سعة المخيلة في كلا الكتابين»[١٠٠]

---

(٩٧) المصدر نفسه ص ٦٢٤

(٩٨) آنخل جنثالث بالينثا تاريخ الفكر الاندلسي ص ٥٧٧

(٩٩) المقتطف الجزء ١٢ ص ٦٤٨ سنة ١٨٨٨

(١٠٠) مجلة المشرق السنة السادسة عشرة ١٩١٣ ص ٩٣٧ .

واذا حاولنا تحديد تاريخ هذا السفر العجيب من فن الحكاية العربية لم نجد ذلك سهلاً بل فأن نص الفهرست عنه يبدو غامضا لو أردنا الدقة العلمية فهو يقول عنه «أول من صنف الخرافات ، وجعل لها كتبا واودعها الخزائن وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان الفرس الأول ، ثم اغرق في ذلك ملوك الاشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ثم زاد ذلك واتسع في ايام ملوك الساسانية ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه

فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار افسانه ومعناه ألف خرافة وكان السبب في ذلك ان ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من اولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد فلما حلت معه ابتدأت تخرفه واتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ، ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطأها الى أن رزقت منه ولدا اظهرته واوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها وكان للملك قهرمانة يقال لها دنيازاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب ألف لهماي ابنة بهمن

غير ان ابن النديم ٢٩٧ ٣٧٨هـ يعلق على ما رواه بقوله «والصحيح ان شاء الله أن اول من سمر بالليل الاسكندر وكان له قوم يضحكونه ويخرفونه لا يريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب هزار أفسانه ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر لأن السمر ربما حدث به عدة ليال وقد رأيته بتمامه دفعات وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث»[٢]

(×) هماي جهرزاد بنت بهمن ملكة من ملكات الفرس دام حكمها مدة ثلاثين سنة نقلاً عن كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء لحمزة بن الحسن الاصفهاني ص ١٧ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

١٠) الفهرست ص ٤٣٦

(١٠٢) نفس المصدر ص ٤٣٦ .

كما نص المسعودي على نفس ما ذكره ابن النديم «ومن الكتب المنقولة الينا والمترجمة من الفارسية والهندية والرومية كتاب هزار افسانة وتفسير ذلك من الفارسية الى العربية ألف خرافة والخرافة بالفارسية يقال لها «أفسانه» والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة»[١٠٣]

وتقرر الدكتورة سهير القلماوي في كتابها ألف ليلة وليلة ان الكتاب «كان معروفا وانه ترجم منذ أيام المأمون او المنصور فيما ترجم في أيامهما من آثار غير عربية»[١٠٤]

غير ان الكتاب لم يكن ثابتا على الشكل الذي نراه اليوم بعد أن قيدته المطبعة بل انه تعرض للزيادة والتحوير والتطوير حيث كانت قصصه او حكاياته متناقلة شفاها لأنه «مجموعة قصص لم تؤلف لتقرأ ولتحفظ في دور الكتب وانما ظل القاص قرونا يحمل نسخته الخاصة من هذا الكتاب ، يحور فيها ويحذف ويضيف كيف شاء حتى جاء العصر الذي نظر فيه الى هذه القصص بعين التقدير اما بالمطبعة واما بحفظ هذه النسخ في دور الكتب»[١٠٥]

واستمرت الاضافات التي حورت الكتاب منذ أن ترجم اصله في القرن الثالث الى العاشر الهجري وساعد على ذلك عدم حمل الكتاب اسم المترجم الأول ولا من تعاقبوا بالزيادة فيه بعد وعليه يعتبر مترجما الى العربية في اصله الأول كما يعتبر من وضع العرب انفسهم فيما زيد فيه»[١٠٦]

وقد استخلصت الدكتورة سهير القلماوي آراء المستشرقين الذين تعرضوا لدراسة اصل الكتاب ومتى وضع ومتى ختم انه «ما بين ايدينا من نسخ فأن كلها حديثة يرجع اقدمها الى سنة ٩٤٣ هـ

غير أن التاريخ الذي استقر فيه الكتاب على صورته الحالية هو ما

---

(١٠٣) المسعودي من ابناء منتصف القرن الرابع الهجري مروج الذهب ج ٤ ص ٨٩/٩٠ طبعة مينار

(١٠٤) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ١٤

(١٠٥) المصدر نفسه ص ١٢

(١٠٦) السباعي بيومي تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي/ص ٣٢ ط أولى ، مطبعة العلوم سنة ١٩٥٦ مصر

(١٠٧) د . سهير العلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٣٠ .

بين ٩٢٣ ٩٣٣هـ ١٥١٧–١٥٣٥م»[١٠٨]

٣

ويمكننا استخلاص أهم آراء المستشرقين والكتاب والدارسين حول اصل وتاريخ الليالي باعتبار ان ما وصل اليه كل منهم انما جاء حكمه اجتهادا على ما تحت يديه او من لمحة عابرة اعتقد فيها انه وصل الى الحقيقة ناسين جميعا ان الآداب الشعبية والفولكلورية انما هي روح امة انسابت اليها من أعماق التاريخ على أن نكون ايضا مؤمنين أن آراءهم غير قطعية اطلاقا

فنحن نعلم أن «أول ما لفت نظر الغربيين الى ألف ليلة وليلة هي الترجمة التي قام بها انطوان جالان (Antowan Galan) وهو استاذ فرنسي كان قد تخصص في العلوم الشرقية في فرنسا

فبدأ الترجمة سنة ١٧٠٣ م وانتهى منها سنة ١٧١٧»[١٠٩]

ثم ترجم الى الألمانية «واول من قام بنقل شيء من هذا الأثر الى المانيا هو المستشرق فون هامر[×]»[١١٠]

كما ظهرت ايضا ترجمة جرفيه (Griva) معتمدا على ترجمة برتن Bertin الانجليزية[١١١] وهي ترجمة المانية ايضا اما المستشرق لين (Len) فقام بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤١ بترجمة كبيرة كاملة

(١٠٨) احمد حسن الزيات كتاب ألف ليلة وليلة تاريخ حياته ص ٣٧ محمد عبدالمنعم خفاجي الحياة الادبية بعد سقوط بغداد الى العصر الحديث ص ٣٧

ملاحظة

ينقل الاستاذ احمد حسن الزيات ان الاستاذ وليم لين الانجليزي يحصر وقت ختم الكتاب ما بين سنتي ١٤٧٥/١٥٣٥م ص ٣٧

(١٠٩) سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٥

(×) فون هامر نمسوي الاصل نشر في عام ١٨٢٧ مقالا له في المجلة الاسيوية نفى فيه ان تكون قصص الف ليلة وليلة هندية او عربية وذهب الى انها فارسية الاصل نقلا عن كتاب اساطير العرب في قصة الف ليلة وليلة ج ١ منشورات دار النشر العربية قدري قلعجي بيروت ١٩٤٨ .

(١١٠) المصدر السابق ص ٧

(١١١) المصدر السابق ص ٨

(١١٢) المصدر السابق ص ١٠ .

وتتلخص دراسة لين بعد ترجمته وما وصل اليه من اراء فيما يلي

«ان مؤلف ألف ليلة وليلة هو رجل واحد اولاً لأنه يصف وضعاً اجتماعياً واحداً متشابها تماماً وثانياً لأنه برغم الاختلاف في النسخ الموجودة منه يتشابه في اصوله العامة وفي اكثر قصصه وأن الصورة الأخيرة لهذا الكتاب قد وضعت في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر وأن مصر هي الموطن الذي وضعت فيه صورة الكتاب الأخير (وهو) يناقض رأي دوساسي القائل بأن «الكتاب لكاتب سوري»[١١٣]

اما المستشرق ماكدونالد فيمكن تلخيص فكرته وآرائه بما يلي

«مقدمة الكتاب» قصة شهريار وشهرزاد مأخوذة عن الأصل الفارسي والقصص الاخرى التي فيه عربية ولكنها قصص تافهة لا قيمة لها وقد مر ألف ليلة وليلة في ثلاثة اطوار

١ طور الفولكلور وقد كانت فيه مجرد حكايات تدور على السنة العامة

٢ طور تسجيل هذه الحكايات بواسطة كتاب ادخلوا عليها بعض التزويق

٣ الطور الذي انتهت اليه النسخ التي نعرفها اليوم»[١١٤]

اما البارون دوساسي الذي أعلن أن الكتاب عربي الأصل لأسباب سيأتي ذكرها فيما بعد فهو يحدد «أن عصر تأليف الكتاب ليس بعيدا فهو عصر الانحطاط ولكنها ليست قريبة جدا لعدم ذكر القهوة والدخان ويرجح انه في القرن التاسع عشر»[١١٥]

٤

ولما كانت السياسة فن ادارة الأمم وقيادتها ومراعاة ما في الخارج

---

(١١٣) قدري قلعجي اساطير العرب في قصة الف ليلة وليلة ص ١٣

(١١٤) قدري قلعجي اساطير العرب في قصة الف ليلة وليلة ص ١٤ ١٦ ١٧ وكذلك كتاب الف ليلة وليلة د سهير القلماوي ص ٣٥ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثاني مجلة المباحث التونسية العددان ٣٠٨ ٣٠٩ سنة ١٩٤٨

(١١٥) المصدر السابق ص ١٣ : ارجع الى فصل عروبة الكتاب والشعوبية ص ٢٨٧ .

عن نفوس القائمين عليها من فرض الهيبة واقتياد القلوب(١١٦)، فلم يكن من المعقول ان يترك السلطان او السياسي الادب والادباء كما ان الاديب نفسه لا يمكنه ان يتخلى عن دائرتها لأنه واقع «ضمن اطارها وخاضع لها»(١١٧)

وعلى ذلك يجد الحاكم نفسه محتاجا للأدباء كما هم محتاجون له لنشر آرائه وتحقيق مآربه وآماله وطموحه اعلاميا يقوم «على اساس العرض الفكري للمعلومات مرتبطا بالجانب العاطفي المتمثل في الميول والاحساسات»(١١٨)

ولما كانت وسائل الاعلام غير واحدة في كل العصور اذن يمكن اعتبار الحكاية وسيلة اعلامية تعتمد السرد منهجا اثرت في تفكير الناس من حيث صقل مواهبهم اذ هي جزء من الأدب الاعلامي بعيد المدى المتمثل في «المؤلفات الأدبية والفنية»(١١٩) ولأنها ابسط انواع الفنون الادبية واقربها الى الناس عامة ولأنها مقبولة من الجميع ولكونها «اقدر فنون الأدب على الوصف المفصل الطويل»(١٢٠)

ولما كانت «الأحداث السياسية جافة شيئا ما وهنا يأتي الخيال ليصبغها بشيء من الروعة والجمال فاذا هذه السياسة ملونة بحوادث من حياة هؤلاء الابطال الشخصية»(١٢١)

وكذلك لما كان الأدب السياسي أو أدب السياسة هو الفن القولي شعرا وكتابة وخطابا وحوارا الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييدا او تفنيدا او يتناول علاقة الأمة بغيرها في سلم او حرب(١٢٢)

فهنا نجد ان الحكاية تبرز في أدب العصور الوسطى كوسيلة اعلامية للحاكم وبنفس الوقت ربما تكون موجهة ضده اذا ما كان الحاكم مستبدا او كان هناك شعور بالظلم فلا بد من متنفس للناس منه ولا بد من نقد

---

(١١٦) اسامة بن منقذ لباب الأدب ص ٣٥ / نهاية الارب في فنون الادب ج ٦ ص ٤٣
(١١٧) عباس العزاوي تاريخ الأدب العربي في العراق ج ١ ص ١٠
(١١٨) دور الاعلام في الدول النامية ص ٣
(١١٩) المصدر السابق ص ٥
(١٢٠) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ٢٤٨
(١٢١) المصدر السابق ص ٢٤٨
(١٢٢) د احمد محمد الحوفي أدب السياسة في العصر الاموي ص ٨ .

ظاهري ان توفرت الجرأة او رمز خفي اذ ما خشي من السلطان كما فعل ابن المقفع في كتاب «كليلة ودمنة» مثلاً اذ كان مشتملاً على «غرضين سياسي وادبي فاما السياسي فانه داع الى العدل وزاجر عن البغي وفيه بيان سلوك الملوك في آدابهم وتدبيرهم لامور ممالكهم وما يجب عليهم من العدول عن اللهو والغفول الى التيقظ والسهر وأن الفاضل من الملوك حقيق بأن يعتبر بأقوال الحكماء ولا يقرب اليه أهل النميمة والفساد واما الادبي ففي بيان المعايش في ظروفها والوانها وسائر احوالها والاقتصاد في تدبير المنزل والمعاملات بين الناس»[١٢٣] وكما فعل سهل بن هارون عندما الف في زمن المأمون كتابه ثعلة وعفرة[١٢٤]

وكلا الكتابين من كتب الحكمة والنقد على لسان الحيوان افلا يمكن اذن ان يكون ألف ليلة وليلة قد تضمن الهدفين السابقين السياسي والادبي ؟ او انه اراد السياسة نقداً وتوجيهاً واعلاماً غير انه اتخذ الحكاية بكافة ما تضمنته لغتها من كل شيء يدور في اذهان الناس

٥ -

فنحن عندما نبدأ قراءة مقدمة حكايات الكتاب نجدها تقص علينا حياة ملك تخونه زوجه مع أحط عبيده منزلة الا يعني هذا تعبيراً عن فساد الطبقة الحاكمة في ذلك الوقت كذلك نقرأ محاولة ترك الحكم والملك من قبل شقيق الملك شهريار واللجوء الى الترهب والزهد أليس هذا نوعا من الاحساس بالواقع من عدم استطاعته كملك حاكم من ادارة شؤون بيته والحفاظ على شرف عائلته فكيف يتحمل ادارة مملكته ؟ والملاحظة الثالثة اندفاع الملك شهريار الى اتخاذ طريق العنف والقتل والشك بكل القيم الا يعني هذا نقداً صادقاً وعلنياً على ان ادارة الحكم لا تعني القسوة دائما ، وانما

(١٢٣) جبيل نخلة المدور حضارة الاسلام في دار السلام ص ٢١٤
(١٢٤) المصري زهر الآداب/ج ٢ ص ١٨٦ وهامش المصدر اعلاه ص ٢١٤ .

حسب ظروف كل قضية يهم الأمه وتظهر مدى قدره الملك الحاكم على التصرف

ان أبسط أمر يمكن ملاحظته في حكايات الليالي هو أننا لو فرغنا هذه الحكايات ونزعنا عنها حشو وسرد الحوادث غير المرتبطة بحياة بطلها أو بطلتها لوجدناها مرتكزة على شخصيات الملوك والوزراء والأمراء والقادة والقضاة والولاة قبل أن تبدأ قصة الصياد والحمال والخباز والتاجر أو أي فرد اعتيادي

والليالي قصص ملونة فيها الغريب من الجن والحيوان والنقائض والجنس والعامة والرمزية والمصارحة والموعظة والدين والتجارة والدعارة وفيها كل شيء اذن ألا يمكن ان تكون اهدافه سياسية بحته غايتها نشر معلومات تتضمن سياسة غير مقصودة أول وهلة ولكنها تسير بخط واضح مرسوم اذا ما تم تفريغ الحكايات وتجريدها لأن القصة أو الحكاية الشعبية لا يمكن أن تروج في وسط لا يقر نتائجها ولا يرضى عن طبيعة الصورة فيها"[١٢٥] بل وكثيراً ما تكون الحكاية سطحية ربما اقترب من التفاهة بأساطيرها وخرافاتها وخيالها السقيم وباعتمادها على عنصر التوهم لانه أي التوهم «بداية الفنون جميعا بما فيها الادب والدراما واصل الارتياح والرضى يحاول كل كائن انساني ان يتخفف من سورة الأحداث الأليمة بأن يعيد تخيلها مع اضافة التعديلات اليها ونحن نصنع في اذهاننا الأشياء من جديد ونغير من بعض ملامحها»[١٢٦]

فالليالي اذن بمجموعها انما عبرت عن روح العصر الذي وضعت فيه اول مرة ثم اضيف اليه روح العصور التالية حتى بلغت الشكل والمضمون الأخير ورغم احاطة اغلب حكاياتها بوشاح الجنس والوعظ واللهو غير ان هذا الوشاح كما يبدو قشرة او ابخرة قنديل علاء الدين من قبل واضعها أو جامعها لاخفاء قصد اراده او ارادته الليالي ذلكم القصد هو النقد السياسي والعرض السياسي بصبغة تعليمية ولغاية تربوية فاختيار شهرزاد راوية

---

(١٢٥) د سهير القلماوي كتاب ألف ليلة وليلة ص ١٧٧
(١٢٦) المصدر نفسه ص ٩٩

ومحدثة انما هي صوت النقد الموجه للحاكم الظالم شهريار فأرادت اصلاحه نفسيا باعتباره مريضا بداء الشك الدافع الى العنف خلال فترة زمنية أمدها ألف ليلة وليلة حتى تمكنت بل ولأبعد من ذلك حيث راضت الحاكم رياضة فكرية فلما ولدت له ابناءها انما ولدت له من يرث الحكم مع صرخة الشعب بفرحه عند اعلان الملك ندمه وتوبته على ما بدر منه في آخر ليلة نجد الملك شهريار باكياً يضم اولاده الى شهرزاد وهو يقول لها ياشهرزاد والله إني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الاولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية حرة بارك الله فيك وفي ابيك وامك واصلك وفرعك وأشهد الله أني قد عفوت عنك وعن كل شيء يضرك فأرسل الى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره أبي شهرزاد خلعة سنية وقال ستـرك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سببا لتوبتي عن قتل بنات الناس ثم خلع على كامل الوزراء والأمراء وارباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوما ولم يكلف احدا من اهل المدينة شيئا من ماله بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك ...»[١٢٦]

وملاحظة اخرى يمكننا تثبيتها لكم هي أن الملوك ليسوا آلهة معصومين وليس صحيحا ألا يكون أبناء الشعب حكاما فاذا كانت بداية الليالي نقدا لحكم ملك مستهتر مع فساد البلاط والحاشية فان نهايتها هي أنه يمكن لمن لا قيمة او منزلة اجتماعية ومالية له ان يحكم ويعدل في حكمه وقد مثلت ذلك في شخصية (معروف الاسكافي) الفقير الخائف الجائع أول الأمر حتى اذا اصبح أمام المسؤولية وصفته الليالي «مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانا مكان ابيها و واقام معروف ملكا وصار يتعاطى الأحكام»[*]

ان اتخاذ الحكاية وسيلة اعلامية لعرض الافكار السياسية لا ينافس جلال الملك والسلطان ولا يقلل من أهميتها العامة ذلك لأن «أحوال الملك والسلطان تتقلب بين الوعد والوعيد والرجاء والخوف والراحة واليسر والعسر»[**]

---

(١٢٦) الف ليله وليلة ط بو اوفسيت ليلة ١٠٠١ ج ٢ ص ٦١٩ ط بغداد

(*) حكايه معروف الاسكافي ط· اوفسست ليلة ج ٢ ص ٦١٦

(**) محمد زرق سليم عصر سلاطين ليك مجلد ج ٢ ص ٢٢٣

ان رأينا الذي ذهبنا اليه في اختيار هذا الموضـــوع انما هو نابع من استقرائنا للتاريخ حيث نجد ان السـياسة ممتزجـة امتزاجـاً قوياً مع آداب ودين الشـعوب فقـديما كان الملك هو رب الشـعب كما ان الكاهن جمع بين السـلطتين السـياسية والدينية ولما جـاء الاسـلام وفقّ بين الحياتين الدينية والسياسية توفيقاً صالحاً وسخر كل سلطة لخدمة الأخـرى ولان الليالي عند عرضها للسياسة انما جمعت بين الدين والسياسة لكونها نتاج أمة عربية مسـلمة وهذا النتاج يمكن ان نسـميه «سـياسة خلقية»[128]، او انهـا محـاولة لربط الدين بالدنيا حيث استشهدت على ذلك ضمن حكاياتهـا بما نقلته عن قول اردشـيران (الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حـارس)[129] وخـلال نظرتها للسياسة جميعاً نجدها سياسة ملكية شأنها «شأن الحال التي سادت الشرق القديم» ولها نظرة اخرى في سياسها وهي نظرة السياسة الشعبية التي تشرك الرعيه مع الحاكم في متع الحياة كما تخلط الغني بالفقـير حـتى لتكاد سـياسها تنادي بالاشتراكية على ما نفهم منها الآن كما نرى ذلك في حكاية السـندباد والحمال حـين قال «سـبحانك يارب لا اعتراض على امرك ولا معقـب لأمرك أين حالي من حـال هذا التاجـر ؟ أنا مثله وهو مثلي ولكن حمله غير حملي» فهو في هذه العبارة يطلب العـدالة الاجتماعية وتكافؤ الفـرص بين الطبقات كما يطلبها اشتراكيو هذا الزمان

ان مثل هذا النتاج الذي يمزج بين الدين والسياسة ولا يتحرج من السـلطان ما نراه في كتاب ابن المقفـع «كليلة ودمنة والنويري في كتاب السلطان في نهـاية الارب والطرطـوسي في كتاب سراج الملوك وابن طباطبا المعروف بابن طقطقة في كتاب الفخري في الآداب السلطانية»[131]

---

(١٢٧) د فؤاد حسن علي قصصنا الشعبي ص ٤٤ القاهرة ١٩٤٧
(١٢٨) د فاضل زكي الفكر السياسي العربي ص ٢٥٤ مطبعة الاهلية
(١٢٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٠
(١٣٠) السباعي بيومي تاريخ القصة والنقد في الادب العربي ط أولى سنة ١٩٥٦ ، مطبعة العلوم بمصر القاهرة ١٩٤٧
(١٣١) د فاضل زكي الفكر السياسي العربي الاسلامي ص ٢٥٤ .

أفليس ممكنا وليس مستبعدا أن تكون الليالي القريبة للعامة لأن تذكر الملامح السياسية التي أرادتها خلال حكاياتها في مثل هذا الأتجاه ، ونحن نقرأ خلال حكاية الملك عمر النعمان وتحت باب امتحان الجارية الملكة نزهة الزمان عند ابتداء مناظرتها أنها تبدأ بباب السياسة واخلاق الولاة تنقل الينا نقلا يكاد يكون حرفيا من كتاب تذكرة ابن حمدون

فنص التذكرة «أشرف الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسية اذ كانت حافظة نظام الكل تستدعي هذه الصناعة من الكمال ما لا تستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم صاحبها سائر الصناع فلو تناولها بالعدل انقطعت الخصومات ولكنهم تناولوها بالجور ومتابعة الشهوات ومحبة الاستئثار فتولدت بينهم المنازعات فاحتاجوا الى سلطان يسوسهم ويضبط امورهم ولولا ردع السلطان لغلب قويهم ضعيفهم »

ويحصر ابن حمدون أعمال الدنيا في اربعة اعمال هي «الزراعة والمطعم والحياكة والملبس والسياسة وهي للتأليف والاجتماع ، والتعاون على بقية الأعمال وضبطها»(١٣٣)

أما نص ما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة «أعلم أيها الملك أن مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لأنه لا يتوصل أحد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الأخرة وأعمال الناس تنقسم الى اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لأن الامارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق الى الأخرة لأن الله تعالى جعل الدنيا كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغي لكل انسان أن يتناول بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع في ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسبب عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لأجل ان ينصف بينهم ويضبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم»(١٣٤)

---

(١٣٢) ابن حمدون التذكرة ص ٣٧
(١٣٣) المصدر نفسه ص ٣٧
(١٣٤) حكاية الملك عمر النعمان ، الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٠ ، ط . محمد علي صبيح

نعم لا نجد حكاية سياسية بعينها خلال عرض الليالي ولكننا نجد ما يقارب من ذلك في حكاية الملك عمر النعمان وحكاية ورد خان بن جليعاد وهي أقرب الى التكامل النقدي لشخص ملك يربّيه أبوه الملك ويعده اعداد الحاكم ولكنه ينحرف عن العدل ويفعل ما يأمره هواه وتتسلط عليه فكرة الجنس ويميل لحماية عرشه بالعنف ثم يعود الى رشده ولا يعني كلامنا هذا ان الكتاب خال من الملامح السياسية بل العكس هو الموجود فعلا فاذا ما غربلنا الحكايات غربلة نقدية ورتبنا النصوص السياسية المتناثرة لخرجنا باحكام سياسية ذات أثر في تثقيف عامة الناس ثقافة سياسية ولتخلق منهم من يستطيع أن يحدد معنى العدل ومعنى الظلم ومن هو الحاكم الصالح وغير الصالح وما السياسة وما طبيعة الملك والحكم ومن هو الوزير والقائد والوالي والقاضي بعد أن عرف السلطان في شخصية الملك أو الخليفة او ولي العهد والأمير وما أثر الحاشية والحجاب والأبعد من هذا نخرج بأنواع سياسية متفاوتة ومتكاملة ابتداء من الخط السياسي الديني الاسلامي والعربي وما الشعوبية وما هي مراسم سياسة الحرب والمراسم ذات الطبيعة الدبلوماسية والبروتوكولات ومن أين تبدأ سياسة العدل والاحكام وما النقد السياسي الصريح والرمزي على لسان الحيوان وفكرة ذم الزمان بل ان من الخفايا السياسية التي عالجتها الليالي يكاد يقترب «الى الهمس والاشارة والايماء والتلميح»[١٣٥]

كما نجد التداخل الشديد بين السلطة السياسية والدين اذ لا يمكن الفصل بينهما[١٣٦]، وهذا التداخل هو الذي أضطر القاص لمعرفته ورؤيته السلطان عن قرب مع وجود الذكريات عن سير الخلفاء الأولين أن يدخل الملوك والحكام والوزراء في كل قصة من قصص ألف ليلة وليلة رغم ان هؤلاء الملوك قد يكونون بشراً أو جناً وبذلك أنزلت الليالي الملوك والخلفاء والحكام

---

(١٣٥) د عبدالحميد يونس مقال «ألف ليلة وليلة يتحدث عن نفسه» ، مجلة المستمع العربي العدد ٢ السنة التاسعة ١٩٤٨

(١٣٦) نقلا عن الفرق الغالية ، . عبدالله سلوم Niclcelaon
Literay History Of the Arabs, P. 197

عامة من العروش الى وسط الناس نتيجة للرؤية المتكررة وهذا الاتصال الشديد باخبارهم[137]

وشاء القدر أن تصحب الليالي الحضارة العربية الاسلامية منذ أيام فجرها وحتى أيام محنتها فكان حديثها عن السحر والطلاسم والكنوز صرخة من صرخات الشعب المقيد يحلم بالقدرة المعجزة على طي الزمان ويستعيض عن حرمانه وشقاوته بنفيس الجوهر وكريم الاحجار وأطايب العيش

وعلى أساس ما تقدم يجب ان نكون حذرين في تقبل ما ذهبت اليه الدكتورة سهير القلماوي عن طبيعة المسحة السياسية في بعض حكاياتها من أن «سياسة الملك وآداب الوزراء وعلاقة الوزراء بالملك فكل هذا يمثل في الليالي ومسحته الهندية لاحقة به يمثل في قصة الملك رويان والحكيم يونان ويمثل في سلسلة من الخطب والأمثال في قصة ورد خان ابن الملك جليعاد كل هذه الصفات التي يوجبها العصر ويتطلبها لم يستمد القاص معلوماته عنها من التاريخ الاسلامي أو من حياته وانما استمدها مما وصل الى الأدب العربي عن الهند فنقلها وكان نقله واضحا ظاهرا»[139]

إن ما عرضته الدكتورة الفاضلة من الممكن حصوله غير أن الكتب الاسلامية في آدابها السلطانية انما تتبع واقع الحياة التي عاشها المجتمع الاسلامي فلم نجد التعقيدات في مراسم حكم الراشدين وأوائل الخلافة الاموية ألا بعد أن امتدت السلطة الاسلامية الى العالم الواسع أفادت من تقاليدهم وتأثرت بهم غير أنه ليس من المعقول أن تكون الكتب الخاصة بمثل هذه الأمور منقولة حرفيا عن أدب الهند لوحدها فأين فارس وأثرها في العراق وأين أثر الروم في الشام ومصر وأين اثر القوط والأسبان في الأندلس وشمال افريقية ؟ وأين أثر اليونان بعد التراجم الى العربية ؟ ثم ان الرمزية الموجودة في الليالي يمكن أن تكون متأثرة بالرمزية الحيوانية المنقولة عن

---

(١٣٧) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٨١

(١٣٨) د يونس عبدالحميد ، مقال «ألف ليلة وليلة يتحدث عن نفسه» مجلة المستمع العربي ، العدد ٢ السنة التاسعة ١٩٤٨

١٣٩) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٨٩

الهند   ولكن ألا يمكن ان نرد أغلب الكلمات التي وردت في الليالي كالعفريت والمارد والأسد والثعلب عن معانيها الحقيقية الى المعاني المستعاره الجديده رمزا أنها قصدت الحكام والامراء   خاصة اذا ما علمنا أن الحضارة ليست ملكاً لأمة او لعقلية أمة بعينها   وانما هي خلاصة عقول واراء ومشاعر واحاسيس العالم بمختلف الاجناس

- ٦

فمن الأمور السياسية في الليالي النقد السياسي الرمزي البسيط على لسان الحيوان   فان هذا النقد الموجود خلال حكاياتها قد أفادته من اسلوب كليلة ودمنة اذ ان حديث ابن المقفع في كليلة ودمنة عن دبشليم كان حديثا عن المنصور الخليفة وان ابن المقفع عمد الى الرمز حين خاف على نفسه[١٤١]

فقد كان القاص في بعض الاحيان يضطر الى «اتخاذ وسيلة الى قول ما لا يمكن أن يقال خشية بأس وخوف وسطوة»[١٤٢]

وهذا الأسلوب الذي اتبعته الليالي صار مذهبا للقاص المحدث عند حصول ادنى شك ونلاحظ هذا الرأي عند تعليق للدكتور جميل سعيد[١٤٣] على قصة أحد العراقيين[١٤٤]: «واستعار لها جو ألف ليلة وليلة   وقد أمعن الكاتب فيها عن نقائض الحياة الحاضرة   وحاول أن يرسم مثلا أعلى للحياة في السياسة وفي العمل   فكأنه بقصته يحدثك عن مدينة فاضلة يصورها في قرى الجن   وهذا اللون من التعبير يشيع في الناس   عادة   حين تتقيد حرياتهم وحين يمنعهم الخوف من الجهر بآرائهم»[١٤٥]

---

(١٤٠) يوسف قصير   الحكاية والانسان   ص ١٨٩

(١٤١) د   جميل سعيد   نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٦

(١٤٢) د   سهير القلماوي   كتاب الف ليلة وليلة   ص ٢٠١

(١٤٣) استاذ عراقي تخصص في الأدب والبلاغة والنقد

(١٤٤) القاص العراقي   جعفر الخليلي في قصة «في قرى الجن»

(١٤٥) د   جميل سعيد . نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٦ .

وأصبحت السياسة على لسان الحيوان نمطاً معروفاً بعد ابن المقفع في كتاب «الاشارة الى ادب الوزارة في السياسة» يقول مؤلفه «فاخترعت لك وضعاً غريباً وعرضاً قريباً ، ان لقيت به ما جمح من أخلاقك قواك وألانه ، وأنهج لك الصواب وابانه ، جانحا الى الاختصار ، عادلا عن الاكثار ، منسوبا الى بعض الحيوان على عادة الأول ممن حذق في السياسة من قبلي أو ذهب لما ذهبت في فعلي»(١٤٦). وقد رمزت الليالي الى الملك بالأسد ، ولولي العهد بالشبل ، وللوزير بالفهد ، ولابن آوى بالناقد(١٤٧).

فقد دعت على لسان الحيوان الى وجوب وجود الملك الحاكم العادل وقد نصت على ذلك «أن جماعة من الطير اجتمعوا في جبل عال من الجبال . فقال بعضهم لبعض : انا قد كثرنا ، وكثر الاختلاف بيننا ، ولا بد لنا من ملك ينظر في أمورنا ، فتجتمع كلمتنا ، ويزول الاختلاف عنا»(١٤٨).

وقد أرادت في بعض حكاياتها تصوير أثر الحسد بين وليّ العهد والوزير مع نقد لموضوع عدم التروي عند الحكام كما في حكاية النجار الذي اعترضه شبل الأسد الذي استجار به الحيوان من ظلم ابن آدم(١٤٩).

وكذلك وجود نوع جديد من النقد الرمزي السياسي ذلكم هو فكرة الشكوى من الزمان المبثوثة خلال الليالي ، والزمان في الحقيقة هو الملك أو الحاكم أو الناس والسلطان . فعندما سئل معاوية عن الزمان اجاب : «نحن الزمان ، من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع»(١٥٠).

---

(١٤٦) كتاب الأشارة الى أدب الوزارة من رسائل لسان الدين الخطيب : نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ج ١ ، المجلد ٤٧ ، بحث عبدالقادر زمامه ، فاس المغرب الاقصى .

(١٤٧) ألف ليلة وليلة ط . محمد علي صبيح ، ج ٢ ص ٢٥ «حكاية تتعلق بالطيور» ، وكذلك ج ٢ ص ٢٩٤ «حكاية الملك المتخفي» ، وكذلك ص ١٤٠ «حكاية تتعلق بمكر النساء» ،وكذلك : نفس المصدر ج ٤ ص ١٤٨ «حكاية الملك ورد خان بن جليعاد» ، وكذلك كتاب «ألف ليلة وليلة» للدكتورة سهير القلماوي ص ٢٠ .

(١٤٨) ألف ليلة وليلة ، ط . محمد علي صبيح ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥ . والنص منقول من كتاب كليلة ودمنة .

(١٥٠) نهاية الأرب ، مطبعة كوستا توماس . القاهرة ، ج ٦ ص ٧ .

وعلى لسان معن بن زائدة[151] عندما سأله الرشيد «كيف زمانك يا معن ؟ قال : يا امير المؤمنين ، أنت الزمان ، فان صلحت صلح الزمان ، وان فسدت فسد الزمان»[152] بل أن ثلاثة لا أمان لهم السلطان والبحر والزمان[153].

فخلال حكاية البنات مع الحمال نجد شكوى الصعلوك الأول وهو يقص حكايته التي تتضمن الشكوى من زمانه وهو يقصد ضياع ملكه كحاكم وهو يقص على الرشيد فكأنما يستنجد به : «ثم أني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدي وأخذه مكانه وتلف عيني .... فلم أجد شيئا انجو به الا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام ، لعل أحدا يوصلني الى أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين حتى أحكي له قصتي وما جرى لي»[154].

ورددت الليالي خلال موقفها من شكوى الزمن وجوب الصبر :

أصبر فطبع الزمان غدر   وآخر الصحبة الفراق[155]

بل حسب رأيها القاطع تخاطب الانسان :

لا تسأل الدهر انصافاً فتظلمه   ولا تلمه فلم يخلق لأنصاف

خذ ما تيسر وازو الهمَّ ناحية   لابد من كدر فيه وإنصاف[156]

---

(151) أحد مشاهير قواد الدولة العباسية وكرام الناس المعدودين .

(152) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ص ٢٢٢ . القاهرة ١٩١٣

(153) المصري ، زهر الآداب ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(154) ألف ليلة وليلة ، ط . بو . أوفست . مجلد ١ ، ليلة ٣٤ ، ص ٣٤ .

(155) المصدر نفسه ، ص ٣٦ ، ليلة ١٢ .

(156) ألف ليلة وليلة ، ط . بو . أوفست ، مجلد ١ ، ص ٦٩ ليلة ٢٣ .

وعرضت الحكايات للصراع الخفي الذي يدور في الأوساط الحاكمة طمعاً في الملك والتسلط ، ومحاولة كسب الرأي العام والخاص من أجل ابعاد أو قتل الوريث ، او المنتظر للحكم ، ففي نهاية حكاية الملك عمر النعمان وبعد أن عين الحاجب وصيا على عرش بغداد لرعاية الملك الصغير ، لأن الملك الأكبر كان قد تنازل لابنه بسبب مرضه وكبر سنه ، فاننا نجد هذا الوصي يستأثر بالانفراد فيطمع بالملك له ولابنائه من بعده فيعزل الملك الصغير ويخون العهد بعد أن يمهد للأمر يقنع أهالي المدينة «وتغير حال كان ما كان - اسم الملك الصغير - وعزله أهل بغداد ، وجعلوه هو وعياله في بيت»[١٥٧]. ونصب الحاجب حاكما ولقب نفسه «الملك ساسان»[١٥٨] فاذا ما احس هذا الحاكم المتسلط بأن الناس عامتهم وخاصتهم قد بدأوا يستشعرون خطأهم وأن الانقسام والانشقاق بدأ يلوح في الأفق ، وأن هناك من لا زال على عهده للملك الوارث ، بدأ وسيلة الكسب المادي» ثم أن الملك ساسان علم أن الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار ، فغرق في بحر الهموم والأكدار ، وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الأموال والنعم»[١٥٩].

وقد يتطور الصراع الخفي الذي يحدث خلف كواليس القصور الى نوع من التمرد البطيء بعد أن يصحو الرأي العام من خدر المال ويقارن الناس بين سلطة الحاكم الجديد ومن سبقه فتبدأ عبارة الثناء على الوريث الشرعي المطرود «صاحب عرض ومروءة ، ولا يفعل امراً يعاب عليه ... أبوه يشبع الجيعان ، ويأمر بالعدل والأمان»[١٦٠].

ويعمل الملك الشاب المبعد عن الملك «عمل «روبن هود»»[١٦١] اذ يغنم

---

(١٥٧) المصدر نفسه ، مجلد ١ ص ٢٧٤ ليلة ١٣٧ .
(١٥٨) المصدر نفسه ، مجلد ١ ص ليلة ١٣٩ .
(١٥٩) المصدر نفسه ، مجلد ١ ص ٢٨٣ ليلة ١٤١ .
(١٦٠) ألف ليلة وليلة ، ط . بو . أوفست ، مجلد ١ ليلة ١٣٩ - ليلة ١٤٢ .
(١٦١) بطل لاحدى قصص فروسية العصور الوسطى ، يأخذ أموال الاغنياء ليساعد الفقراء

الغنائم ويوزعها على فقراء المدينة ، ويقتل من قطاع الطرق» ولم يزل سائرا بالليل والنهار ، حتى أشرف على مدينة بغداد ، وعلمت به جميع الأجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والأموال ورأس كهرداش على رمح ... وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا : لقد أراح الله الخلق منه لأنه كان قاطع الطريق ... وساق ما معه الى أن أوصله تحت القصر ، وركز الرمح الذي عليه رأس كهرداش الى باب القصر ، وذهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال ، فأحبه أهل بغداد ، ومالت اليه قلوب العباد[١٦٢].

وتستمر الليالي في اعطائنا صورة العمل المواجه والمضاد للتمرد البطيء من اجل احقاق الحق واعطاء اكمل صورة للصراع من أجل السلطة حيث تظهر الحاجب المتسلط وهو يجتمع بالمستفيدين من حكمه من مختلف مراكز القوى التجارية والسياسية حيث «اختلى بخواصه وقال لهم : اعلموا اني أريد ان ابوح لكم بسري ، وأبدي لكم مكنون أمري ، اعلموا أن (كان ما كان) هو الذي يكون سببا لانقلاعنا من هذه الأوطان ، لأنه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الأكراد والأتراك ، وأمرنا معه آيل الى الهلاك ، وأكثر خوفنا من أقاربه ، وقد علمتم بما فعل الوزير دندان - وزير والد الملك الوريث - فانه جحد معروفي بعد الأحسان ، وخانني في الايمان وبلغني انه جمع عساكر البلدان ، وقصد أن يسلطن كان ما كان ، لأن السلطنة كانت لأبيه وجده ، ولاشك أنه قاتلي لا محالة»[١٦٣].

وهي بنفس الوقت تنتقد مظهرا عاما يسيطر على الناس عامة خلال تشتت السلطة وعدم الاستقرار السياسي على شخص الحاكم ذلكم هو مظهر الانتهازي الخائف من عدم معرفة النتائج التي سيسفر عنها الموقف ، وهذا الانتهازي يبدأ بمجاملة الحاكم المتسلط فعلا ، ولكنه بنفس الوقت غير عارف بما سيتم بعد ، فهو بعد خروجه من مقابلة الحاكم ربما يلعنه أو ربما يمدحه وربما يعامل الآخر نفس معاملة الحاكم المتسلط ، فالحاجب المتسلط بعد أن اجتمع بخواص مملكته وخاطبهم بأمر الملك الشرعي البعيد عن الحكم قالوا له : «أيها

---

(١٦٢) المصدر نفسه ص ٢٨٧ .

(١٦٣) ألف ليلة وليلة ، ط . بو . أوفست مجلد ١ ص ٢٨٧ ليلة ١٤٢ .

الملك أنه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا احـد واعلم اننا بين ايديك ان شئت قتله قتلناه وان شئت بعـده أبعدناه»[١٦٤]

في حين نجد هؤلاء الذين قالوا له ما قالوا يتخلون عنه بدليل أنه بعـد خروجهم من عنده نقرأ نصا يصور عدم اقتناعهم به ، وأن كلامهم مجـرد كلام مجاملة «ثم دخل بيته اي الحـاجب المتسـلط وقد تفـرق عنه الرؤسـاء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حـتى يبصروا ما يكون لأنهـم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان وزير الملك الشرعي»[١٦٥]

فالناس في شعارهم القلق مع السلطة الموجودة فعلاً قد تدفع الحاكم المتسلط لأن يفكر بالاغتيال والقتل بعـد أن يعجـز عن كسـب رأي العـامة والجيش ولكن لابد من أخـذ رأي الناس حـتى وان كانوا من المشكوك في تأييدهم لكي يكون عمله شرعياً أو له بعض السند الشرعي في اجماع العامة أو الخـاصة أو بعض العا، والخـاصة «فلما سمع كلامهـم قال ان قتله هو الصواب ولكن لابد مں اخذ الميثاق فتحالفوا أنهـم لابد أن يقتلوا كان ما كان»[١٦٦] وهنا يستعين بمن له صـله بالوريث الشرعي فيدسـه عليه لكي تضيع معالم الجـريمة حيث أكدت ذلك الليالي من أن الهـدم انما يأتي من الداخـل في الأوضاع السياسية[١٦٧]

تلكم هي احـدى صـور الصراع السـياسي في بعض حكايات الليالي وقد أرادته هادفة النقد السياسي تدريباً وتوجيهاً وتحـذيراً اذ أن شـعار الليالي السياسي هو تحقيق العدل بكل وسيلة دون الألتفـات الى نوعية الحكم ملكياً أو خلافة أو ولاية ولا الى شخص الحـاكم خليفـة أو ملكاً أو أميراً أو وزيراً أو والياً أو قائداً أو قاضياً فهي قد رتبت معادلة سياسية دقيقة وواضـحة للعـدالة وعلاقتهـا بالمبادىء الدينية المجـردة والرعية «ان الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل في العباد»[١٦٨]

---

(١٦٤) المصدر نفسه ص ٢٨٧ ليلة ١٤٢
(١٦٥) المصدر نفسه ص ٢٨٧ ليلة ١٤٢
(١٦٦) ألف ليلة وليلة ط بو أوفست المجلد ١ ص ٢٨٧ ليلة ١٤٢
(١٦٧) المصدر نفسه ص ٢٩١ ليلة ١٤٣
(١٦٨) المصدر نفسه ، ص ٦٣٩/٦٣٨ ليلة ٤٦٥ .

بل لقد قررت وبشكل قاطع لا يقبل النقاش والجدل «أن الرعية لا تثبت على الجور وان البلاد والاماكن تخرب اذا استولى عليها الظالمون وتتفرق أهلها ويهربون الى ولايات غيرها ويقع النقص في الملك ويقل في البلاد الدخل وتخلو الخزائن من الأموال ويتكدر عيش الرعايا لأنهم لا يحبون جائرا ولا يزال دعاؤهم عليه متوتراً فلا يتمتع الملك بمملكته وتسرع اليه دواعي مهلكته»[١٦٩]

فهي لذلك تنتقد وسائل الوصول للمآرب السياسية ان كانت وسائل واطئة أو بالاكراه ففي حكاية الملكة التي اتخذت الخدعة وسيلة للوصول الى معشوقها تضطر الى ادعاء «ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وان لم يأت لأقتلنكم جميعا وأنهب تجارتكم»[١٧٠] مما يضطر التجار الى ان يعودوا بسفينتهم بعد أن يدفعوا الأجرة كاملة الى صاحبها وهم يقولون لريس السفينة خلصنا من هذا الغاشم

وأوضح صور الانتقاد السياسي للحاكم هي الاستهزاء من الذين يحيطون به اذ هم لا يكتفون بما لديهم من نفوذ ومال وسلطة بل ينصرف همهم الى مشاركة ابناء الناس في انعام الحاكم وتقديره لهم ففي حكاية قلق الرشيد وضجره وطلبه الى مسرور سيّاف نقمته الى أن يتسبب في ازالة همه وضجره يذكر له انساناً عجيبا متفنناً بفن الاضحاك فاستدعاه غير أن السياف الطماع فاوض هذا المتفنن أن يشاركه بأعطيات الحاكم «اذا دخلت عليه وأنعم عليك بشيء يكون لك فيه الربع والبقية لي فقال له ابن القاربي[١٧٢]: بل لك النصف ولي النصف فقال له مسرور لا فقال له ابن القاربي لك الثلث ولي الثلثان فأجابه مسرور الى ذلك» ثم تستمر الحكاية الى النقطة الحرجة حيث يأمر الرشيد بضرب المهرج بدلا من اكرامه فيخبره بأن له شريكا في هذا الانعام فيضرب مسرور[١٧٣]، وهنا يضحك أمير المؤمنين ويضحك

---

(١٦٩) المصدر نفسه ص ٦٣٩ ليلة ٤٦٥

(١٧٠) ألف ليلة وليلة ط بو أوفست مجلد ١ ص ٢٨١ ليلة ٢١٥

(١٧١) المصدر نفسه ليلة ٢١٦ ط بو أوفست

(١٧٢) اسم الرجل المهرج

(١٧٣) ألف ليلة وليلة ، ط . بو أوفست ليلة ٤٠٠ ص ٥٨١/٥٨٠

العامي القارىء أو المستمع أو المطلع على هذا الحوار . وتلك النتيجة انتقام من الظالمين وجزاء لمن يشارك الناس أعطياتهم ، مستغلين مناصبهم وقربهم من الحاكمين

ولا تقف حدود الانتقاد السياسي عند الاستهزاء أو الاستخفاف والاضحاك بل تعود الليالي في نهجها السياسي الى أن تطلب من الحاكم توزيع المسؤولية وتحميلها لأبناء الشعب على شكل ولاة أو قضاة أو تعدد وزراء وكأنها أرادت التوزيع الاداري مع رفع شعار الاعتماد على الشباب الناهض. ففي حكاية الملك جليعاد نجدها تنص على ما هدفت اليه الليالي في فكرتها هذه وهي ترسم صورة الحاكم الناجح البار برعيته المهتم بامور عدالتهم «وكان تحت يده في مملكته اثنان وسبعون ملكا ، ولبلاده ثلاثمائة وخمسون قاضيا ، وكان له سبعون وزيرا وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيساً وكان أكبر وزرائه شخص يقال له شماس وكان عمره اثنتين وعشرين سنة»[١٧٤]

- ٨ -

كل ما عرض خلال هذا القسم انما هو عرض سريع ، ولا بد من تفصيله وهذا ما أرادته طبيعة البحث ومن ثم فان الفصول التالية ستكون توضيحاً وتفصيلاً لأن الليالي في حكاياتها نثرت أحكامها السياسية نثر اللؤلؤ في قاع بحر مترام

(١٧٤) الف ليلة وليلة مجلد ١ ط . بو أوفست ليلة ٨٩٩ ص ٤٦١ .

الباب الأول
قضايا الخلافة

الفصل الأول   مفهوم الخلافة

الفصل الثانب   الوزير والوالي والحاجب

الفصل الثالث   الحكم والحكام

الفصل الرابع   آداب ومراسم الحكم

الفصل الأول

مفهوم الخلافة

القسم الأول خلافة الراشدين

القسم الثاني الخلافة الأموية

القسم الثالث الخلافة العباسية

القسم الأول

خلافة الراشدين

(١)

اتخذت الحكاية قديماً وسيلة اعلامية تعتمد السرد وايراد الخبر ولأنها تؤثر تأثيراً قوياً في تفكير الناس عموماً لكونها جزءاً من «الأعلام بعيد المدى المتمثل في المولفات الأدبية والفنية»[1] وقد افادت منها السلطة في العصور الوسطى حيث سخر الأدباء المشهورين «أقلامهم في خدمة الخلفاء العباسيين»[2] كما أفادت أيضا منتقديها ومعارضيها كما أوضحنا في التمهيد

وعلى هذا فليس مستبعداً أن تكون الليالي أحدى المؤلفات التي هدفت لغاية ما صوتاً مقصوداً لغاية سياسية أو شبه سياسية وضعت باطار منفتح على روح العصر دونما خشية من نقد او تفكير بعيب

وكما لاحظنا موقفها من وجوب وجود ملك لكل جنس فانها ابرزت للمتبع لحكاياتها هيبة الخلافة الأسلامية متمثلة في ابرازها للرشد في خلافة الراشدين كما في شخصية عمر بن الخطاب (رض) وللعروبة في الخلافة الأموية ابتداء من معاوية ومن جاء بعده وللعزة في شخصيات بعض الخلفاء العباسيين من أمثال الرشيد وأبنائه وغيرهم حتى المنتصر رغم قتله لأبيه المتوكل

وسبب اهتمام الليالي بالخلافة الاسلامية حسبما أكدته هي نفسها في تعريفها للخلافة باعتبارها تخويلاً من الناس للخليفة بالسلطة على لسان بدوي يخاطب معاوية بن ابي سفيان في موقف يستدعي التأني في الحكم «والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني ما خولته من الخلافة ما أخذته دون سعاد يعني

---

(١) دور الأعلام في الدول النامية ص ٥

(٢) د مصطفى الشكعة الأدب في ظل الحضارة العربية ص ٣٥٣

(٣) أحمد حسن الزيات الف ليلة وليلة محاضرتان ص ٤٧/٤٨

(٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٠٩ ج ٤ ص ٢٣٧ ط محمد علي صبيح

زوجه ولكونها أي الخلافة منصباً مقدساً عند المسلمين ولأن الخليفة أمير المؤمنين هو الرمز الذي تجتمع فيه معاني الاسلام طاعته واجبه وعصيانه يثير سخط الناس على العاصي «ولأن الخليفة» مصدر كل قوة كما كان مرجعاً لكل الأوامر المتعلقة بأدارة الدولة(٧) «ولأنه يتمتع بنظرة تنبع في رأيه من الحق الالهي انما هو يحكم» «بتفويض من الله لا من الشعب كما عبر عن ذلك ابو جعفر المنصور انما انا سلطان الله في ارضه»(٨)

وهي فوق ذلك سلطة روحية تجعل الناس يتفانون من أجلها كما حصل للخليفة المسترشد مع السلطان السلجوقي محمود عندما عزم على الخروج من بغداد بعد ما رفض دخول السلطان السلجوقي اليها «فلما خرج من داره بكى الناس بكاء عظيماً لم يشاهد مثله»(٩)

وقد اختصرت الليالي ذلك بعبارة صغيرة ولكنها مهمة وبارزة «يد الخلافة لا تطاولها يد»(١٠)

وليس في بحثنا هذا مجال متسع لسرد الوقائع والصفات التاريخية للخلافة الاسلامية عبر العصور غير ان من الافضل اعطاء صورة سريعة ومختصرة جدا عن نظمها فتكون مدة حكم الخليفة طول حياته بعد انتخابه(١١) او اختياره وقد مرت بادوار متفاوتة ابتداء من عهد الراشدين حيث كان لها شكل جمهوري وأساسها الانتخاب(١٢) ولما انتقل السلطان الى الأمويين اصبحت وراثية ولكنها ذات طابع عربي صميم حيث ابعد الموالي عن المناصب القيادية مما «أدى الى ظهور ما يعرف بالصراع السياسي الحزبي بين طوائف الامويين والخوارج والعلويين(١٣)

---

(٥) الف ليلة وليلة ٦٩٣ مجلد ٢ ط أوفست بو ص ١٨١

(٦) د محمود غناوي الزهيري الادب في ظل بني بويه ص ١٤

(٧) سيد امير علي مختصر تاريخ العرب ص ٢٤٤ نقلا عن الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الاول رمزية محمد الاطرقجي ص ٦ «رسالة دكتوراه»

(٨) نفسه ص ٢٦

(٩) ابن الاثير ج ٨ ص ٣٢١ كذلك الحياة السياسية في العراق محمد صالح القزاز ص ٧٣

(١٠) الف ليلة وليلة بو اوفست ليلة ٧٩٧ مجلد ٢ ص ٣٢٠

(١١) د معروف ناجي المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ١٦

(١٢) نفسه ص ١٦

(١٣) د الشكعة الادب في موكب الحضارة العربية ص ٢٣١

فلما انتقلت الخلافة الى العباسيين «انتصر السواد دولة العباسيين وفقد البياض الدولة الأموية في الشام وانتصرت العجمة «الايرانية» على العروبة تحت شعار الاسلام لا باعتباره دينا للعرب بل دينا للأمم»[١٤]

والملاحظة الواجبة في بحثنا هذا هي ان الليالي لم تشرح طبيعة الخلافة خلال ادوارها حتى بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ وانما اعطت لها من خلال سرد حكاياتها الطيبة والقدسية باعتبارها حامية للدين وذلك عند تعرضها للشخصيات الحاكمة خليفة كان او حاكماً دنيوياً اميراً او قائداً او قاضياً مع اضفاء النعوت الجميلة بمقدار ما يلائم الذوق الفني للرجل الاعتيادي على طريقة عرض الخبر وترك الأثر يحدث بعد ذلك او ان توجّه اللوم او النقد غير المباشر

ويجب ان نفهم مسبقاً ان موقفها ليس واحداً تجاه فترة من الخلافة وكذلك تجاه موازنتها بين شخصيات دَوْرَين فوقفها من بعض الخلفاء الامويين مثلاً موقف التقدير والاجلال والتعظيم كذلك في موقفها ككل من الخلافة العباسية المتسم بالتمجيد والتقدير مع ملاحظة انها تجاوزت حد الافضلية فيمن هو افضل من الآخر عليّ أم العباس عندما روت الليالي في حكاية تودد الجارية الممتحنة امام الرشيد ساعة توجيه سؤال محرج لها «قال فاخبرني أعليّ أفضل أم العباس ؟ فعلمت ان هذه مكيدة لها فان قالت عليّ افضل من العباس فما لها عذر عند امير المؤمنين فاطرقت ساعة وهي تارة تحمر وتارة تصفر ثم قالت تسألني عن اسمين فاضلين لكل منهما فضل فارجع بنا الى ما كنا منه فلما سمعها الخليفة هارون الرشيد استوى قائماً على قدميه وقال احسنت ورب الكعبة ياتودد»[١٥]

---

(١٤) يوليوس فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٥٢٧ ٥٢٨ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٨ ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة

(١٥) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٦ ط . محمد علي صبيح حكاية تودد الجارية .

ولم يكن من المعقول ان تغفل الليالي خلال اخبارها وسردها خلافة الراشدين ولكنها ذكرت عرضاً في مواقف شتى في تعداد وذكر اقوال واخبار لبعضهم ملؤها العدل والتواضع وصور من أرفع صور الذكر الحسن تذكرة للحكام بأن هناك من سبقهم دانت لهم الدنيا ولكنهم لم يفكروا في غير مصلحة الأمة ومرضاة الله فقد روت الليالي عن عمر بن الخطاب (رض) وهو ثاني الخلفاء الراشدين ما نصه «فكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادماً شرط عليه اربعة شروط ان لا يركب البراذين[١٦] وأن لا يلبس الثياب النفيسة وأن لا يأكل من الفيء وأن لا يؤخر الصلاة عن وقتها»[١٧]

فالخادم الذي اختاره عمر (رض) نموذج للحاكم الزاهد بل أن في ذكر الخبر التالي قصد سياسي عادل في ذكر اموال بيت مال المسلمين ايام عمر فقد روت «أنه كان معقيب عاملاً على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوماً فأعطاه درهما من بيت المال قال معقيب وبعد أن اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتي فبينما انا جالس واذا برسول عمر جاءني فذهبت معه وتوجهت اليه فاذا الدرهم في يده وقال لي ويحك يامعقيب اني قد وجدت في نفسك شيئاً ؟ قلت وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال انك تخاصم أمة محمد (ﷺ) في هذا الدرهم يوم القيامة»[١٨]

فالحرص على حفظ اموال الناس وعدم التلاعب والتصرف فيها انما هو غاية الليالي من ذكر تلك الحادثة بل أن الليالي لتزيد على ذلك في توجيه عمر العادل لولاته وقد روت له ايضاً ما كتبه لأبي موسى الاشعري «اذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل ما بقي»[١٩]

ولم تكتف بذلك بل وازنت بين الخلفاء الراشدين انفسهم في موقفهم من مال المسلمين فقد روت انه بعد ان ولى عثمان بن عفان (رض) الخلافة كتب

---

(١٦) دابة دون الحصان وفوق الحمار

(١٧) الف ليلة ج ١ ص ٢٠١ حكاية الملك عمر النعمان

(١٨) الف ليلة ص ٢٠٣ حكاية الملك عمر النعمان .

(١٩) نفسه ج ١ ص ٢٠٣ .

الى موسى ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فأخذ منه درهماً فبكي زياد فقال عثمان ما يبكيك يا زياد ؟ قال اتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فأخذ ابنه درهماً فأمر بنزعه من يده وابنك أخذ فلم أر احداً ينزعه منه أو يقول له شيئاً فقال عثمان واين نلقي مثل عمر ؟

ان مراقبة النفس قبل الآخرين سياسة الخلافة الرشيدة التي أرادتها الليالي في اعطاء اصدق صورة لعمل الحاكم وتحقيق العدالة وذلك بما روت عن ابن الخطاب والاعمق من ذلك ما روت عنه خبر المرأة وصبيانها الجائعين وموقف عمر منها حيث ينبغي على الحاكم ان يتفقد احوال الرعية بنفسه كما فعل عمر فقد (روى زيد بن اسلم عن ابيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تتضرم فقال يا أسلم اني احسب هؤلاء ركباً اضربهم البرد فانطلق بنا فخرجنا حتى أتينا اليهم فاذا امرأة توقد ناراً تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم أصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار،ما بالكم ؟ قالت اضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يتضاغون ؟ قالت من الجوع قال فما هذه القدر ؟ قالت ماء أسكتهم به ، وان عمر بن الخطاب ليسأله الله يوم القيامة قال وما يدري عمر بحالهم ؟ قالت كيف يتولىٰ امور الناس ويغفل عنهم قال أسلم فأقبل عمر عليّ وقال أنطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلاً فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملني هذا فقلت أنا احمله عنك ياأمير المؤمنين فقال اتحمل عني وزري يوم القيامة ؟ فحمّلته اياه وخرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيئاً وجعل يقول للمرأة زودي الي وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ واخذ مقداراً من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم وانا ابرد لهم ولم يزالوا كذلك حتى اكلوا وشبعوا وترك الباقي عندها ثم اقبل عليّ وقال ياأسلم اني رأيت الجوع ابكاهم فاحببت أن لا انصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته»[٢٠]

---

(٢٠) الف ليلة ج ١ ص ٢٠٣ حكاية الملك عمر النعمان .

ان مثل هذا الخبر ليعني الكثير بالنسبة لسياسة العدالة عند الحاكم وبه يستشهد على ان اكبر خليفة عادل هو عمر يقوم بخدمة رعيته ولا يستنكف ان يحمل الدقيق على كتفه ويهرول ويطبخ ويطعم لأنه مسؤول

واصدق صورة لصور تقييم الانسان من قبل الحاكم ما روي عنه ايضا عند مروره «براعٍ مملوك فابتاعه شاة فقال انها ليست لي فقال انت القصد فاشتراه ثم اعتقه وقال اللهم كما رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الأكبر ارزقني العتق الأكبر»[٢١]

وتستهدف الليالي من وراء ذكرها اخبار هذا الخليفة العادل اضافة الى التذكرة والتزهيد بث روح الاقتداء به بضرب امثلة البساطة وبذل الراحة من أجل المجموع فقد ذكرت خبراً آخر عن بساطته وتقشفه من «ان عمر بن الخطاب يطعم الحليب للخدم ويأكل اللبن ويكسوهم الغليظ ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم واعطى رجلاً أربعة آلاف درهم وزاده ألفاً فقيل اما تزيد ابنك كما زدت هذا ؟ قال اتيت والده يوم أحد»[٢٢]

والشدة في العدل صفة عمر الخليفة العادل فقد روت الليالي عنه خبراً يمكن الوقوف عنده وذلك عندما ورد للمدينة مال كثير فأتته حفصة ابنته وقالت ياأمير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتي من مالي واما مال المسلمين فلا ياحفصة قد ارضيت قومك واغضبت أباك فقامت تجر ذيلها»[٢٣]

ورؤيته وهو تعب من أجل العدل والانصاف كانت امنية ابنه فقد دعا ابنه ربه سنة أن يريه أباه بعد موته فرآه يمسح العرق عن جبينه فقال ابنه «ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربك لهلك أبوك»[٢٤]

ان هذا الخبر يعني الكثير والكثير فاذا كان عمر مع عدالته واسلامه وجهاده وحرصه على اموال المسلمين وشهرته بذلك يراه ابنه تعباً في الآخرة فكيف بمن سواه

---

(٢١) الف ليلة ج ١ ص ٢٠٣/٢٠٤
(٢٢) نفسه ج ١ ص ٢٠٤
(٢٣) نفسه ج ١ ص ٢٠٤
(٢٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٤

لقد اكتفت الليالي بأن اعطت ما تهدف له من الملامح السياسية بالنسبة للخلافة الراشدة وما اوردته من أخبار عن عمر يمكن أن تكون اصدق صورة للحاكم المثالي العادل وخلاصة تلك الملامح السياسية

١ العدالة القصوىٰ في الحق والحقوق

٢ - عدم تفضيل الاهل والاقارب وان كانوا من أبنائه

٣ الاعتراف بجميل ما صنع له من أجل الحق

٤ المراقبة الفعلية من قبله لرعاية الرعايا

٥ - اعترافه بأنه مسؤول امام الله وامام الناس مسؤولية حقيقية

٦ الحرص الشديد على اموال الناس وكف ايدي الناس عنها

٧ اجتهاده واعماله الخيرة مما جعلت عمر بن عبد العزيز يصفه بقوله «ثم قام عمر بعد ابي بكر فعمل خير اعمال الابرار واجتهد اجتهاداً ما يقدر أحد على مثله

---

(٢٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٤ .

القسم الثاني
الخلافة الأموية

(١)

من يتمعن في ذكر الليالي للخلافة الأموية ، وموقفها منها يجد أول ما يجد ان اخبارها متفاوتة خلال حكايات متناثرة يمكن حصرها بما يلي

١ حكاية الملك عمر النعمان
٢ حكاية نعم ونعمة
٣ حكاية تتعلق ببعض مدائن الاندلس التي فتحها طارق بن زياد
٤ حكاية هشام بن عبدالملك مع غلام من الأعراب
٥ حكاية خالد بن عبدالله القسري
٦ حكاية في شأن الجن والشياطين المسجونين في القماقم من عهد سليمان بن داود (ع)
٧ حكاية هند بنت النعمان
٨ حكاية معاوية والبدوي

وقد ذكرت خلالها صوراً قد تكون لنا بعض الملامح السياسية من دراسة شخصيات الحكايات حيث دارت حول خلفاء او قادة او ولاة ، وهذا الاقتصار الضيق عليهم يمكن رده في حينه الى سبب جوهري هو قصد مقصود لأمر رأته الليالي فيهم دون غيرهم فعندما ذكرته معاوية بن ابي سفيان ذكرته لكونه اول الخلفاء الامويين حيث روت له اهتمامه بالرعية اهتماماً كبيراً وانه حتى في مجلسه الخاص كان لا يمنع عنه من يستعين به ، او يطلب الحاجة ، وقد روت عنه حكايته مع البدوي الذي قصده نجد حواره مع جلسائه قبل دخول البدوي الذي حضر في الهاجرة وقد اشفق عليه «هل خلق الله تعالىٰ ، اشق ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت وفي هذه الساعة مثل هذا ؟ قال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن قصدني لاعطينه ، وان كان مظلوما

لانصرنه ياغلام قف بالباب فاذا طلب الدخول عليّ هذا الاعرابي لا تمنعه من الدخول عليّ»[٢٦].

ويدخل عليه البدوي ويظهر موقف الخليفة من ولاته بعد أن عرف ان البدوي مظلوم من قبل واليه مروان بن الحكم حيث تسبب في طلاق زوجته منه وتزوجها مروان نفسه فقال حكماً سياسيا دينياً «تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترى على حريم المسلمين»[٢٧]

ثم نراه يكتب للوالي كتاباً فيه تبكيت وتوجيه ولوم «بلغني أنك تعديت على رعيتك في حدود الدين ، وينبغي لمن يكون واليا ان يكف بصره عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاتها»[٢٨] ثم يأمره بطلاق زوجة الاعرابي والا قتله وجعله طعماً للطير

.كما وصفت شخصيته بالجود والحلم والفضل والكرم والرشد والنبل[٣٠]

بل ان تهديد واليه بالزنى وانه خرج على طبيعة عمله كوال ليدل على عدم اكتراثه بالقربى احتراما لنواهي وأوامر الدين ، فقد ارسل للوالي ذاته بيتا من الشعر يدل على احتقاره له

وليت ويحك أمراً لست تدركه

فاستغفر الله من فعل امرىء زاني[٣١]

وليس من صفاته الغضب عند طلب النصيحة فهو عندما طلب الى الاحنف بن قيس رجل العراق الشهير ان ينصحه ختم هذا نصيحته عند سؤاله عن حاجته فقال الاحنف «حاجتي ان تتقي الله في الرعية والعدل بينهم بالسوية»[٣٢]

فالليالي لم تذكر عنه الا ما يتعلق بكونه اميرا للمؤمنين يحترم حقوق الرعية ويهدد الولاة الخارجين على الطاعة ويفتح بابه للمظلومين دونما حجاب بسيط متواضع حريص على اقامة الحدود الدينية

---

(٢٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست مجلد ٢ ليلة ٦٩١ ص ١٧٩
(٢٧) نفسه ليلة ٦٩١ ص ١٨٠
(٢٨) نفسه ليلة ٦٩١ ص ١٧٩
(٢٩) نفسه ليلة ٦٩٣ ص ١٨٠
(٣٠) الف ليلة وليلة ٦٩١ ص ١٧٩
(٣١) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٦٩٣ ص ١٨٠
(٣٢) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٣ ليلة ٧٩ ط محمد علي صبيح

ثم أن الليالي اغفلت من جاء بعده من الخلفاء لوجود درجات من الحساسية تجاههم او لضعفهم او لخمولهم ، ولكنها عند وصولها لعبدالملك سلطت عليه النور وذلك يبدو لأسباب جوهرية فهو أول من بدأ التعريب[٣٣] حيث عرّب دواوين العراق والشام ، وهو ثاني خلفاء الدولة الاسلامية بعد عمر بن الخطاب في تثبيت اركان عروبتها واسلاميتها ، فاذا كان عمر بن الخطاب اول من دون الدواوين فان عبد الملك اول من عرّبها[٣٤]

واكدت الليالي على أن عبدالملك كان كثير الاهتمام بالمباحثة ومعرفة تاريخ الأمم وتقصى الحقائق وارسال من يعتمد عليهم لتحقيق ما أراد دون الاعتماد على النقل الحرفي في الخبر ففي «الحكاية المتعلقة بشأن الجن والشياطين» وصف بكونه ملكاً وخليفة يقضي فراغه بالمباحثة والنقاش «ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان»[٣٥] ثم إذا ما أراد نفّذ كما حدث عندما سمع ما قيل له عن الجن المسجونة بقماقم الرصاص في بلاد الغرب قال له محدثه «ياأمير المؤمنين انك قادر على ذلك فارسل الى اخيك عبدالعزيز بن مروان ان يأتيك بها من بلاد الغرب»[٣٦]

وتظهره الليالي رجلاً سياسياً هاماً في التوجيه الاداري لولاته فهو عندما وجه اخاه عبدالعزيز واليا الى مصر قال «تفقد كتابك وحجابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرفك به حجابك ، والخارج من عندك يعرفك بجيشك»[٣٧]

وقد وصفته الليالي ايضا بالذكاء الدبلوماسي في رعايته لعوائل الرسل الذين يرسلهم فكان يستخلفهم في كل شيء مدة سفارة السفير أو الرسول [٣٨]

---

(٣٣) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٣٥
(٣٤) امر عمر بتنظيمها عام ٢٠هـ والديوان هو السجل/المصدر اعلاه ص ٣٢/٣١ .
(٣٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٢ ط محمد علي صبيح
(٣٦) نفسه « « ج ٣ ص ١٢٤ ط محمد علي صبيح
(٣٧) نفسه « « ج ١ ص ٢٠١ ط محمد علي صبيح
(٣٨) نفسه « « ج ٣ ، ص ١٢٤ ط محمد علي صبيح

وهو ممن يحرص على حرمة دار الخلافة الاموية ولا يمكن ان يدخلها احد الا بأمره وهناك الحاجب الموكل بذلك وقد جاء ذلك في حوار بين الحاجب واحدى قهرمانات القصر «ما يدخل احد الا باذن امير المؤمنين فارجعي بها لا اخليها تدخل لأني أمرت بهذا»[٣٩]

وهو شديد في الحق ولا ينفذ امراً إلاّ بعد السؤال لتحقيق العدالة وتبرئة ذمته فقد جاء في حوار مع اخته تسأله العفو عن مسيء فاجابها «ما احكم بشيء وارجع فيه»[٤٠]، ولكنه لا ينسى العفو عند المقدرة فهو يعفو عن قدرة ويعجب بمن يعين على الخير بل ويقربه ويجعله من خواصه[٤١]

ووصف عبد الملك بأنه «ملك الاسلام»[٤٢] ولذلك لم يوصف بولعه للجنس فانه في حكايته مع هند بنت النعمان بعد أن طلقها الحجاج قد وصف بالدينار الذهب على لسانها في مقارنتها بين زوجها السابق الحجاج بن يوسف الثقفي وبينه «الحمد لله الذي عوضنا بالدرهم الساقط ديناراً»[٤٣]

وتظهر الليالي طاعة الولاة له طاعة تامة لا يمكن ان تكون الا دليلاً على قوته كما في مواقف واليه موسى بن نصير الذي طلب اليه البحث عن الكنوز في بلاد الغرب[٤٤]، وكذلك في موقفه تجاه الحجاج الذي عرف أنه سارق للنساء فأمره ان يقود جمل مطلقته حافيا من الكوفة حتى دمشق وموقفه كذلك من اخيه عبدالعزيز الذي طلب اليه الصعود الى الصعيد الاعلىٰ من أجل البحث ايضاً[٤٦]

أما ما روته حكايات الليالي عن الملامح السياسية في حكم الوليد بن عبدالملك فتلك المنقبة الكبرى في فتحه العظيم لأسبانيا «الاندلس» فقد

---

(٣٩) نفسه « ج ٢ ص ١٤١ ط محمد علي صبيح
(٤٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٤٢
(٤١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٤٢
(٤٢) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٥٧٧ مجلد ٢ ص ٥٢
(٤٣) نفسه ج ٣ ص ٢٠٣
(٤٤) نفسه ط بو أوفست ليلة ٥٧٧ مجلد ٢ ص ٥٢ يجب ملاحظة ان موسى بن نصير هو احد ولاة الوليد وليس عبدالملك وهذا خطأ تاريخي وقعت فيه الليالي
(٤٥) نفسه ج ٣ ص ٢٠٤
(٤٦) نفسه ج ٣ ص ١٢٤ .

تجاوزت فتوحه في المشرق لكون العالم الشرقي معروف لدى العامة في الشرق الاسلامي

وقد مهدت لهذا الفتح بحكاية نقدية لحكام اسبانيا قبل الفتح الاسلامي لها حيث ذكرت ان حاكمها لم يكن من أهلها وليس من أهل بيت المملكة وقد ذكرت نقدا يمكن ان يفيد في التوجيه السياسي لادارة دفة المملكة فقد كان من عادة ملوك اسبانيا الحقيقيين انهم اذا ما تولىٰ احدهم السلطة يضع على باب قصر من القصور قفلاً دون أن يعرف ما في داخل القصر كتقليد فلما تملكهم هذا الملك الغريب فتح القصر وكسر الاقفال بعد أن بذلت له الاموال وخالف المعارضة التامة فوجد خلف الباب «صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبأيديهم الرماح الطوال ووجد كتابا فيه فأخذه وقرأه فوجد مكتوباً فيه اذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هذه الصورة فالحذر الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالاندلس ففتحها طارق بن زياد في تلك السنة في خلافة الوليد بن عبدالملك من بني أمية ، وقتل ذلك الملك اقبح قتلة ونهب بلاده وسبيء مس بها من النساء والغلمان وغنم اموالها

فللوليد صفة الفتح وله كذلك الفضل في انتشار العرب في مدن الاندلس لحكمها وقيام اسبانيا المسلمة

(٣)

اما ماذكر عن هشام بن عبد الملك فقد ذكرت له مأثرة العفو والاعجاب وان الغضب لا يليق بالملك او الخليفة وان الاحكام عند تنفيذها يؤخذ فيها رأي الخليفة ثلاث مرات وان هناك البساطة في تصريف شؤون الدولة بالنسبة للبدو والدولة الاموية قريبة العهد من البداوة وان خشونة الحاكم يمكن أن تتحول الى زهد وانقطاع عندما يشعر بخطئه

(٤٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٨٣
(٤٨) المصدر نفسه ج ٢/ص ١٨٧ .

وقد جاء ذكر هشام بن عبد الملك في لقائه الأول مع غلام بدوي في ساعة صيد كان هشام خلالها يتبع ظبياً فلما استعان الخليفة بالغلام الاعرابي لم يبال به بل رد على هشام رداً خشنا «يا جاهلاً بقدر الاخيار لقد نظرت اليّ بالاستصغار وكلمتني بالاحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ويلك أما تعرفني ؟ فقال قد عرفني بك سوء أدبك إذ بدأتني بكلامك دون سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابي لا قرب الله ديارك ولا حيا مزارك فما اكثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب وكل واحد يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام ثم امر هشام بقطع رأس الغلام ولما اذن للسياف بقطع رأسه قال الغلام يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لا يضر في قليل ولا كثير ولكن حضرتني ابيات فاسمعها فان قتلي لا يفوتك فقال هشام هات وأوجز فانشد هذه الابيات

نبئت أن الباز صادف مرة عصفور برساقه المقدور
فتكلم العصفور في اظفاره والباز منهمك عليه يطير
فثلي ما يغني لمثلك شبعة ولئن اكلت فانني لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه عجباً وافلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتي من رسول الله (ص) لو تلفظ بهذا اللفظ في أول كلامه وطلب ما دون الخلافة لا عطيتها اياه يا خادم ، احش فاه جوهرا واحسن جائزته»[49]

ومن الاخبار التي روتها عنه الليالي وقد صورته اول مرة خشنا وان كان يهتز طرباً للاعتذار الجميل غير انه كان يركن الى الدنيا ، وكاد الملك يشغله عن الله والرعية وعن كونه حاكما يدعي قرابته الى الرسول (ص) وهو مسؤول عن أمة محمد (ص) ، فقد روىٰ عن خالد بن صفوان انه دخل على هشام بصحبة يوسف بن عمر فلما قدمت عليه وقد خرج هشام يوما «بقرابته وخدمه فنزل في ارض وضرب له خيام ، فلما اخذت الناس مجالسهم

---

(٤٩) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٨٤/١٨٥ .

خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عيني في عينه قلت له تمّ الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك في هذه الأمور رشدا ولا خالط اذى يا أمير المؤمنين اني لا أجد لك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوىٰ جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل اعطى احد مثل ما اعطيته ؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال ايها الملك انك سألت عن أمر عظيم اتأذن لي في الجواب عنه ؟ قال نعم قال رأيت الذي انت فيه لم يزل زائلاً فقال هو شيء زائل قال فما لي أراك قد اعجبت بشيء تكون فيه قليلاً وتسأل عنه طويلاً ، وتكون عند حسابه مرتهنا قال فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال ان تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله تعالىٰ أو ان تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فإذا كان السحر فاني قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد رفع تاجه ، وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام ابن عبدالملك بكاء كثيرا حتى بلّ لحيته وامر بنزع ما عليه ، ولزم قصره فاتت المواكب والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته»[٥٠]

إذن فهشام تهزه الموعظة ويطلّق الدنيا فالحكاية افادة للحكام في اعطائها صورة الانقلاب النفسي عند المتجبر المحب للدنيا وما اعتراض المواكب والخدم على ابن صفوان الا محبة في لذاتهم بعيدين عن الشعور بعظم مسؤولية الحاكم

(٤)

أما عن عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي الزاهد فإن موقفها منه محشور في اخبار الزاهدين الصالحين وقد وصفته بما وصفت به عمر بن الخطاب (رض) في عدله وزهده فقد مزج هذا الخليفة السياسة بالزهد

---

(٥٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٦ ط محمد علي صبيح .

فكانت سياسته التي روتها الليالي عنه انها ارضت الصالحين واغضبت من مال الى الدنيا دون الدين فقد روت عنه انه عندما «ولي الخلافة جاء لأهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت اليه قائلة انه لابد من لقائك ، ثم اتته ليلاً فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لأن الحاجة لك فأخبريني عن مرادك ؟ قالت يا أمير المؤمنين انت أولى بالكلام ورأيك يستكشف ما يخفى من الافهام فقال عمر بن عبدالعزيز ان الله بعث محمداً (ص) رحمةً للعالمين وعذاباً لقوم آخرين ثم اختار له ما عنده ، فقبضه اليه وترك للناس نهراً يروي عطاشهم ثم قام ابو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضي الله ثم قام عمر بعد أبي بكر فعمل واجتهد اجتهاداً ما يقدر عليه أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهراً ثم ولي معاوية فاشتق منه يزيد وبنو مروان كعبدالملك والوليد وسليمان حتى آل الأمر اليّ فأحببت أن ارد النهر الى ماكان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئًا ورجعت الى بني أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب»(٥١)

فلم يكن قصد الليالي من وراء هذه الرواية إلاّ الدعوة الى سياسة العدل الذي سار عليه عمر بن الخطاب (رض) ولم تكتف الليالي بهذا الخبر وانما اتبعته بخبر آخر حين حضرته الوفاة فقد «جمع اولاده حوله فقال له مسلمة بن عبدالملك كيف تترك اولادك فقراء ، وأنت راعيهم فما يمنعك احد في حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه الى الوالي بعدك ؟ فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتي فكيف اشقى بهم في مماتي إن اولادي ما بين رجلين إما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه وأما عاص فما كنت لأعينه على معصيته يا مسلمة اني حضرت واياك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني فرأيته في المنام افضى الى امر من أمور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت الله أن لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حياتي

(٥١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٤/٢٠٥ .

وأرجو أن أفضي الى عفو ربي»[٥٢]

وهذه الصور الجميلة التي ترتاح لها نفوس السامعين ، حتى وأن كانوا لا يعترفون بالزهد انما هدفها اراحة الناس وبث روح الأمل والفرح في الشدة تخفيفا عن آلامهم اذا ما كان الحاكم ظالما طامعا بأموالهم ، وتريد الليالي شد الناس الى اخبار هذا الخليفة العادل الذي توشك ان تجعله اسطورة العدالة السياسية خلال الحكم الاموي المبني على العصبية العربية ما يتناقله الرواة من أن بعضهم قال «كنت احلب الغنم في خلافة عمر بن عبدالعزيز فمررت براعٍ فرأيت مع غنمه ذئباً او ذئاباً فظننت انها كلابها ، ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت وما تصنع بهذه الكلاب ؟ فقال انها ليست كلاباً بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها ؟ فقال إذا صلح الرأس صلح الجسد»[٥٣]

ويمكننا تبين الخط السياسي الذي اتبعه عمر بن عبدالعزيز والذي تبنت الليالي ايراده ، ما نلاحظه في خطبه ومكاتباته لأهل الموسم في الحج فقد «اتفق أن كتب إلى أهل الموسم

أما بعد فإني أشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر اني ابرأ من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمدته او يكون امر من أموره بلغني أو احاط به علمي وارجو ان يكون لذلك موضع من الغفران الا انه لا اذن مني بظلم احد ، فإني مسؤول عن كل مظلوم ، وأي عامل من عمالي زاغ عن الحق ، وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا له طاعة عليكم حتى يرجع إلى الحق»[٥٤]

فالحاكم العادل يخاطب كل الناس في مختلف بقاع الارض انه يبرأ من عمالة الظلمة ولا طاعة لهم عليهم وهو انما يكون مسؤولاً عما يصله أو يحيط به من علم وهو بذلك سنَّ سنة بأن جعل الناس رقباء على الولاة وعليهم اخبار السلطة العليا بما يصيبهم من جراء ظلمهم ان كانوا ظالمين وهذه سياسة اشراك الجماهير في الحكم

---

(٥٢) المصدر نفسه ص ٢٠٥ ج١

(٥٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٥

(٥٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٦ .

القسم الثالث
الخلافة العباسية

تمهيد

إذا كانت الخلافة الأموية قد ذكرت خلال حكايات متناثرة واخبار مروية كان يستشهد بها كتاب الليالي فان الخلافة العباسية توشك ان تكون محور الحكايات فقد ذكرت الرشيد لدرجة لا يمكن حصرها مما اضطرني للتوسع عند الكتابة عنه كما سيأتي

وقد لمعت أسماء آخرين من خلفاء بني العباس ووزرائهم كالأمين والمهدي والمأمون المتوكل والمنتصر والمعتضد،بل هناك حكايات قائمة بذاتها يكون فيها الخليفة العباسي بشخصه عقدة الحكاية ومدار سردها ، وعلاقته بشخوصها وعلاقته بالوزراء والشعراء والكرام والقضاة والنساء الشهيرات وغير ذلك كل ذلك من الملامح السياسية للخلافة العباسية من خلال تلك العلاقة او الارتباط

وأول مظهر من مظاهر السياسة هو اعطاء صورة الهيبة للخلافة العباسية في اذهان الناس عامة مما يجعلنا نقارن ذلك بما جاء في كتب التاريخ السياسي او الأدب السياسي او الآداب السلطانية

فالخليفة العباسي عموماً «خليفة الله في أرضه وقائم بسنة نبيه وفرضه»[٥٥] وهو رأي قرره ابن خلدون في موقفه من السياسة والملك حيث قال «السياسة والملك هي كفالة الخلق ، وخلافة الله في العباد لتنفيذ احكامه فيهم»[٥٦]

---

(٥٥) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٦ ط محمد علي صبيح حكاية مريم الزنارية

(٥٦) هـ جب/دراسات في حضارة الاسلام ص ١٩ ، مقدمة ابن خلدون من(الفصل العشرون)ص ١٤٣ ط المكتبة التجارية مصر مطبعة مصطفى محمد .

وحرمته واجبة على الجميع وما يخاطب او يسلم إلاّ با (السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حرمة الدين)[٥٧]

ولا يجوز بأي حال من الأحوال التشبه به او التزيي بزيه ومن يفعل ذلك فصيره «العجب المؤدي الى الهلاك» كما جاء في احدى العبارات «إن هذا أمر عجب لأن التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه احد وإلاّ فانك تهلك لا سيما وأنت في زي الخليفة ولباسه وبخوره»[٥٨]

فالتهيب والخوف والرفعة للخليفة العباسي ظاهرة لدرجة ان هذه الحرمة والهيبة لا تقتصر على شخصه وحسب بل على داره ، وقد نص على لسان المتوكل العباسي وهو يخاطب احد شخوص الحكايات المعروف بأبي الحسن الخراساني الذي دخل الى قصر الخلافة «ما حملك على التجاري على دار الخلافة»[٥٩] ؟ بل ان حدود مساره ومواكبه لا يمكن لاحد تخطيها او الاقتراب منها وقد جاء ذلك على لسان صاحب زورق عندما سأله الرشيد المتنكر ان ينزل به ويصاحبه في نهر دجلة فقال ردا عليه «من ذا الذي يقدر على الفرحة والخليفة الرشيد ينزل في كل ليلة بحر دجلة في زورق صغير ومعه مناد ينادي ويقول يامعشر الناس كافة كل من نزل في مركب وشق الدجلة ضربت عنقه او شنقته على صاري مركبه»[٦٠]

إن هذا التخوف ليذكرنا بما وقع لهولاكو عندما أراد قتل آخر الخلفاء العباسيين بعد سقوط بغداد فقد استشعر الخوف لما صمم على القتل ، فقد القى الى سمعه أنه متى قتل الخليفة اختل نظام العالم ، واحتجبت الشمس وامتنع القطر والنبات فاستشعر لذلك الخوف»[٦١]

والخلافة العباسية ممدوحة بشخوص خلفائها «انظر الى مروءة امير المؤمنين حيث اعطى هذا المال وقد تمنى عليّ فتمنت أن يردها الى سيدها فردها اليها واعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديما له

---

(٥٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٩٩
(٥٨) نفسه ج ٤ ص ٢٣٤
(٥٩) نفسه ج ٤ ص ٢٣٧
(٦٠) نفسه ج ٢ ص ١٩١ حكاية محمد علي الجوهري
(٦١) ابن الطقطقي/الفخري في الأداب السلطانية ص ١٠١ : المطبعة الرحمانية مصر .

فاين يوجد هذا الكرم بعد الخلفاء العباسيين رحمة الله عليهم أجمعين»[٦٢]

ولم تكتف الليالي بمدحهم لكرمهم وهيبتهم بل وصفتهم بالتدين العميق فعلى لسان الرشيد عند مخاطبته لجعفر البرمكي قال «الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر بليات الطريقة المزورة»[٦٣] وذلك لأن سلطتها روحية يزيد هيبتها نسب خلفائها وارتباطهم بالنسب النبوي الشريف في محادثة من المحادثات جاء قول مسرور السياف وهو يخاطب من أراد أن تتوجه معه لمقابلة زوج الرشيد ما يظهر صلة هذا النسب الطاهر «أن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي (ص)

وويل للذي يزور كتابا على لسان الخليفة فصيره الموت بعد التشهير «ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن ثم انهم نادوا على نورالدين هذا أقل جزاء لمن يزور مكتوباً على الخليفة الى السلطان ولا زالوا يطوفون به في البصرة الى أن اوقفوه تحت شباك القصر في منتقع الدم»[٦٥]

وهذا يؤكد الهيبة لأن السياف «ابرز شخص بين الموظفين في بلاط الخليفة بعد الوزير»[٦٦]

ولهذا تمتعت بالطاعة والرهبة والتعظيم فهي مترفة وترفها ضرورة سياسية متعمدة لزيادة الهيبة فالرشيد يثور عندما يجد نفسه عاجزا عن تحقيق طلب ارادته زوجته فلم يجده «كيف اكون خليفة وملك ملوك الارض واعجز عن جوهرة ويلكم فأسألوا التجار»[٦٧] ولهذا فهي تستحق بنظر الناس كل شيء لائق بها فاذا ما وجد تاجراً ما ان شيئاً ثميناً عنده لا يناسب مقامه فانه يقدمه الى الخلافة العباسية بشخصية الخليفة اعترافاً بفضلها ، وتقرباً منها في حكاية ابي محمد الكسلان نجده يقدم هديته الثمينة الى الرشيد وهو يقول «ياامير المؤمنين لا تظن أني حملت لك هذا فزعا من شيء ولا طمعاً

---

(٦٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٨

(٦٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٠٦ ط . محمد علي صبيح .

(٦٤) نفسه ج ٤ ص ١٠ الحقيقة التاريخية ان الرشيد هو الخامس من خلفاء بني العباس

(٦٥) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٤٣ حكاية الوزير

(٦٦) تاريخ الدولة العربية ص ٥٣٠

(٦٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٦ .

في شيء وأنما رأيت نفسي رجلاً عامياً ورأيت هذا لا يصلح الا لأمير المؤمنين»[٦٨]

وربما تحولت الهيبة الى رهبة وتخوف عندما يشعر المرء انه اباح لنفسه أن يمد بصره او يسمح قلبه ان يحب جارية من محاظي الخليفة او ممن يعملن في قصر الخلافة فعلى لسان أحد التجار الذين يتعاملون مع القصر يخاطب صاحبا له احب احدى جواري القصر يقول له «اعلم اني رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء واخشى ان ينكشف امرها العاشق والمعشوق فيكون سبباً في هلاكي وأخذ مالي وهتك عيالي وقد اقتضى رأيي أن أجمع مالي واجهز حالي واتوجه الى مدينة البصرة حتى انظر ما يكون من احوالها بحيث لا يشنعر بي احد»[٦٩] بل ربما وصلت الهدايا للخلافة العباسية من بلاد لا يعرف لها اسم ولا طريق كما جاء على لسان السندباد في حكايته السادسة عند تقديمه للرشيد هدية ارسلت له فسأله الخليفة «ومن اين هي ؟ فقلت ياأمير المؤمنين والله لا اعرف للمدينة التي هي منها اسما ولا طريقاً إنما هي من ملك سمع بعدل الخليفة العباسي في أحكامه»[٧٠]

ثم ان الخلافة العباسية ملجأ القاصدين ومحط الرجاء لأن الخليفة مسؤول عن رعيته ففي رد الرشيد على الرسل الذين استأذنوه في رد مريم الزنارية لأبيها الملك الافرنجي قال يخاطبها مطمئناً «وحيث كانت مسلمة موحدة فقد صار علينا حق واجب وهو انني لا أفرط فيك أبداً ولو بذل من أجلك ملء الارض جواهر وذهباً»[٧١]

والخلافة العباسية مطمح الارزاق ومدرك المدح وابواب الخليفة كعبة القصاد كما يظهر في مدح الرشيد

لا زال بابك كعبة مقصودة وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادي في البلاد بأسرها هذا المقام وأنت ابراهيم

(٦٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٧
(٦٩) الف ليلة وليلة ج ص ٥١
(٧٠) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٦
(٧١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٦
(٧٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٩

ويُقصد الخليفة طلبا للرزق كما جاء على لسان رجل هاشمي «وانا رجل قد وسع الله عليّ وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقي من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين»[٧٣]

إن السيطرة التامة التي فرضتها الخلافة العباسية على الناس تعلل بعض اسبابها حكايات الليالي أما سبب ربط الدين بالملك كما لاحظنا في اختفاء صور القدسية كحد المبالغة المفرطة «هذا المقام وانت ابراهيم» حيث رفعت الخليفة الى مستوى الانبياء واما سبب ما بث من عيون وارصاد من قبلها على الناس حتى عاد لا يخفى على أمرها شيء وقد ظهر ذلك بما وصف به المعتضد حيث كان «له ببغداد ستمائة وزير ما كان يخفى عليه من أمور الناس شيء»[٧٤] وهذا يذكرنا بما كتب عن المأمون أنه «كان يحب معرفة اخبار الناس ويتقصاها وجعل برسم الاخبار ببغداد الف عجوز وسبعمائة عجوز ما كان يخفى عليه من أمور الناس ظاهراً أو باطناً»[٧٥]

وتتعدى هيبتها حدود الاقطار لدرجة تجعل ملك الفرنجة يستعين بالرشيد للبحث عن ابنته على أن يدفع للخلافة العباسية خراج مدينة رومة والسماح ببناء المساجد الاسلامية فيها[٧٦]

والخلافة العباسية كما صورتها الليالي تؤمن بأن الناس متمايزون طبقياً تبعاً لقرب انسابهم منها فهي وان كانت ذات صبغة اسلامية بعيدة عن العصبية في الظاهر غير انها في حقيقتها غير ذلك فبنو هاشم او الاشراف الذين يتسلمون الرواتب انما كانت الخلافة تخشاهم خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين[٧٧]، ونجد صورة للتعصب لهذه الفكرة تجيء في حكاية أبي الحسن الخراساني مع شجرة الدر عندما دخل المعتضد العباسي بيته متنكرا فرأى حاجات خاصة بقصر الخليفة فأنكر ذلك على صاحب البيت مما اضطره

---

(٧٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٣٢

(٧٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٩٩

(٧٥) ابن دحية/النبراس في مناقب بني العباس ص ٤٨ مطبعة دار المعارف بغداد ١٣٦٥هـ ١٩٤٦ تحقيق عباس العزاوي

(٧٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٧

(٧٧) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٨٧ .

للكشف عن شخصيته فسأله «أشريف أنت ؟ قال لا إنما انا رجل من أولاد التجار»[78] وتطلق لفظة الشريف هنا على العباسيين والعلويين الذين «يعتبرون من أرفع الناس قدراً حيث كان يطلق عليهم الاشراف او ابناء الملوك وكانت لهم رواتب من بيت المال»[79]

ان السياسة التي رسمها المنصور منذ البداية هي السبب الاول في تعظيم شخصية الخلافة العباسية حيث قال رأيه «الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاث خلال افشاء السر والتعرض للوم والقدح في الملك»[80]، ولهذا لم تسمح الخلافة العباسية من خلال عرض ملامحها السياسية في الليالي بالحرية السياسية ابدا وهيبتها هي الجو الحي القوي «ولكن من الاسراف ان ننتظر وحدة منسقة في تصوير هذه البيئة التاريخية»[81] ولكي تظهر الصورة جلية وجدنا ايضا ضرورة ابراز شخصيات الخلفاء العباسيين الذين تعرضت لهم الليالي متوسعين بما كتب عن الرشيد لأنه ابرزهم حيث دارت حوله اغلب حكاياتها ومتدرجين بعده التدرج التاريخي في عرضنا

أولا: ا- شخصية الرشيد وسياسته بين التاريخ الرسمي والقصص الشعبي

١

في عام ١٧٣ هـ تولى الخلافة هارون الرشيد بعد وفاة أبيه المهدي فكان الخامس من خلفاء بني العباس حسب ترتيب حكمهم التاريخي «ولم

---

(٧٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٣٠
(٧٩) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٨٧
(٨٠) النويري/نهاية الارب المجلد السادس ص ٨ احمد امين ظهر الاسلام ج ٢ ص ٤٦ .
(٨١) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٢٢٤
(٨٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ١٨٦

يختلف عليه احد ولا كره خلافته مخلوق فأحسن السيرة واحكم أمر الرعية وكان اوحد اهل بيته وما يشبهه احد من الخلفاء من اهله رحمه الله»[٨٣]، وهو «اشد الملوك بحثاً عن اسرار رعيته واكثرهم بها عناية واحزمهم فيها امراً»[٨٤]، لدرجة انه في بعض غزواته فأصابهم الثلج فقال له بعض أصحابه «أما ترى ياأمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد ؟ والرعية وادعة ؟ فأجاب اسكت على الرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعي من حراسة رعيته»[٨٥]

والرشيد كثيراً ما يتلثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف[٨٦] وهو متدين فقد حج في خلافته تسع حجج وكان يصلي في اليوم مائة ركعة[٨٧] غير ان تدينه هذا لم يمنعه من الشراب الذي احله فقهاء العراق حيث «كان يشرب كل جمعة مرتين وربما قدم أيامه وأخرها على انه لم يره احد قط يشرب ظاهراً إلاّ أنه يقعد هذين اليومين لندمائه»[٨٨]

والرشيد «أوسع الخلفاء العباسيين شهرة واعظمهم رونقاً واشدهم في الخيال تأثيراً فأصبح رمز العصر الذهبي في الأسلام واكتسى بمجموعة من الصفات البعيدة الاختلاف والتي يندر ان تجتمع في شخص واحد فهو يصور حيناً بصورة الخليفة الباذخ المسرف في الترف ويصور آناً بصورة الخليفة المحارب القوي وهو يظهر بمظهر الخليفة الحذر الذي يبث شبكة من الجواسيس ليعرف امور الناس ولا يكتفي بذلك بل يطوف الاسواق ويزور المجالس متنكراً ليعرف بنفسه ما يدور»[٨٩]

هذا الخليفة لا ينسى حظه من الدنيا ليس في مسامحته لنفسه بالشراب الذي اباحه له فقهاء العراق فحسب بل في توزيعه وتقسيمه للأيام والليالي فـ «ليلة للوزراء يذاكرهم امور الناس ويشاورهم في المهم وليلة للكتاب يحمل

---

(٨٣) المصدر نفسه ص ١٨٧/١٨٦
(٨٤) الجاحظ التاج ص ١٧٠ رمزية الخيرو الحياة الاجتماعية في بغداد ص ٢٥
(٨٥) د عبدالعزيز الدوري العصر العباسي الأول ص ١٣٤ نقلا عن تاريخ الاربلي ص ٨٠
(٨٦) ابن قتيبة الامامة والسياسة ص ١٩٠
(٨٧) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٣٢
(٨٨) الجاحظ التاج ص ١٥٣
(٨٩) د . عبدالعزيز الدوري العصر العباسي الأول ص ١٣٢ .

عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ويرتب لهم ما ظهر من صلاح امور المسلمين ، وليلة للقواد وامراء الاجناد يذاكرهم امر الامصار ويسألهم عن الأخبار ويوقفهم على ما تبين له من صلاح الكور وسد الثغور وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ، ويدارسهم الفقه ، وكان من أعلمهم وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ، ويتعظ برؤيتهم ، ويستمع لمواعظهم ويرقق قلبه بكلامهم وليلة لنسائه واهله ولذاته ، يتلذذ بدنياه ويأنس بنسائه وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم احد قرب او بعد ما يصنع ولا يشك احد انه يخلو فيها بربه يسأله خلاص نفسه وفكاك رقه»[٩٠]

هذا الخليفة الذي «يتزوج ست زوجات ، ويتسرى بعشرين أمة»[٩١] يحب الغناء ويقرب المغنين ومجالس طربه مشهورة[٩٢] كريم في هباته لدرجة أننا لنجد في بعض الأخبار «أن الرشيد وصل اي اعطى في يوم واحد ألف ألف وثلثمائة ألف وخمسين الفا[٩٣]»

وهذا الخليفة الذي يدخل بيت ماله كل سنة «سبعة آلاف قنطار من الذهب وخمسمائة قنطار»[٩٤] والذي احدث سنة جديدة وهي توزيع عطايا اضافية للجند عند البيعة»[٩٥]، بل ان الشعراء يهرعون الى بابه عندما يسمعوا بتسلمه أموال الخراج لينالوا حصصهم منها وهو يوزعها بين جواريه ومحظياته[٩٦]

ورغم كل هذه الصور التي عاشها الخليفة الشاب في الترف والنعيم فلم يكن غافلاً عما يجري حوله فعندما أحس بالخطر من وزيره جعفر البرمكي نكبه وأهله نكبة رجّت العالم وايقظت الأمة على أن ناقوس الشعوبية المتمثل بهم قد اسقط وابطل «في سنة ١٨٧هـ ٨٠٧م أمر

---

(٩٠) الامامة والسياسة ص ١٩٠

(٩١) العصر العباسي الأول ص ١٣٢ اعتمادا على الطبري ج ١٠ ص ١٢١ والمعارف لأبن قتيبة ط القاهرة ص ١٦٧

(٩٢) المصدر نفسه ص ١٣٢ والتاج ص ٢٢

(٩٣) الابشيهي المستطرف من كل فن مستظرف ج ١ ص ١٦٥

(٩٤) ابن خلدون المقدمة ص ١٨١

(٩٥) العصر العباسي الأول ص ١٣٥

(٩٦) د وديعة طه النجم الجاحظ والحضارة العباسية ص ٩٣ نقلا عن الاغاني ج ٣ ص ١٥٩ .

(٩٧) الحياة الأجتماعية في بغداد/ص ٢٥ .

بالنداء بعد نكبهم في جميع البرامكة ألاّ أمان لمن اواهم إلاّ محمد بن خالد وحشمه واهله فانه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له وعرف براءته مما دخل في غيره من البرامكة لما تبين له ان الجريمة اعتبرت عامة وانها تتعلق بسلامة الدولة»[98] ورغم ما قيل عن الأسباب والنتائج فقد بدأ الرشيد مصمماً فقد رد على كتاب كتبه له يحيى بن خالد يستعطفه ووقع على الرفعة المرفوعة له «الحكم الذي رضيت له في الآخرة لك هو اعدى الخصوم عليك وهو من لا ينتقض حكمه ولا يرد مضاؤه»[99]، وأن قيل ان الرشيد ندم على قتله وزيره وكان يزور شلو جعفر بباب الطاقة لا يعرفه احد يخرج بزي العامة»[100]

الا أن الواقع غير ما ذكر لأن للرشيد «عيناً لا تنام عن اقصى زوايا ملكه»[101] ولكن هل ذكرت عنه نقاط ضعف او وجه له لوم ؟ والحقيقة ان التاريخ يحكم بما له وما عليه فقد وصف بأنه رغم تطوافه مع جعفر ليلاً الا ان السياف مسرور كان معه[102] وأن الرشيد اباح لنفسه كل شيء بعد تخلصه منه بأن استمال الفقهاء واهل الديانة لأن سياسة الخلافة العباسية اعتمدت على فكرة ان تكون تربية «علماء الشريعة في قصورهم وكانوا يحصلون على الافتاء بصحة اشد الاجراءات بعداً عن الحق»[103] حتى ليوصف بانه يحكم بتفويض من عند الله مما يخوله حق التصرف بارواح واموال الناس دون شرط او قيد غير قيود الشريعة الاسلامية»[104] لدرجة انه وصف بالزمان على لسان معن بن زائدة الشيباني الكريم المشهور والقائد العباسي عندما سأله الرشيد «كيف زمانك يا معن ؟ قال يا أمير المؤمنين انت الزمان فان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان»[105]

---

(٩٨) العصر العباسي الاول ص ١٧٥ نقلا عن الطبري ج ١ ص ٨٥

(٩٩) ابن عبد ربه العقد الفريد ج ٣ ص ٢٦٦

(١٠٠) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٤٢

(١٠١) جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٩١/د عبدالجبار الجومرد هارون الرشيد ج ٢ ص ٣١٨

(١٠٢) حضارة الاسلام في دار السلام ص ٢١٩ نقلا عن الاتليدي ص ١٢٦ ، الاغاني ج ٦ ص ١٣٧

(١٠٣) تاريخ الدولة العربية ص ٥٣٢

(١٠٤) هارون الرشيد ج ٢ ص ٣٤١ المكتبة العمومية بيروت «عبدالجبار الجومرد»

(١٠٥) العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٢ .

تلك هي أبسط واوضح صورة للرشيد يمنح الثقة بها لأنها مسندة تاريخيا تعطينا ملامح هذا الخليفة السياسية وغيرها غير اننا عندما نحاول معرفة الرشيد خلال القصص الشعبي فاننا نجدها تقدم لنا شخصيته على انها نموذج يحاك حولها الكثير من الروايات[١٠٦] لدرجة أن شخصيته في القصص غير شخصيته في كتب التاريخ وان اتفقنا في بعض الاحايين وذلك راجع الى نظرة القاص لموضوع قصته او حكايته التي ارادها ولكن يجب الا يفوتنا الحكم القاسي الذي حكمته عليه الدكتورة سهير القلماوي حيث قالت عنه «فشخصية الرشيد هي نفسها في كل هذه الأخبار وهي لا توافق الصورة العامة التي رسمتها له الليالي والذي يهمنا ان نلاحظه ان الرشيد المتهالك على الدنيا ليس هو الرشيد الذي نراه في قصص الليالي كثيرا ما يجوب الليل متنكراً متفقداً أحوال رعيته»[١٠٧]

فالرشيد ليس متهالكا على الدنيا كما بينا سابقا وشخصيته في الليالي وان بولغ في حَبْكِ صور جديدة عنه تكاد تكون هي شخصيته في الواقع التاريخي كما سنرى بل والأهم من هذا ان الحكايات التي ذكر فيها اسمه انما هي مجرد ركيزة وعقدة لسبب اظن ان القاص او من وضع بعض حكايات الليالي،كان يقصدمنها دعاية للرشيد ومدحا للخلافة العباسية وتعظيمه وتوجيه اللوم لاعدائه بل ان ما يتبادر الى الذهن هو اقتران الليالي باسم الرشيد ومدينة بغداد لدرجة غريبة فلا يذكر الرشيد الا ويترأى لنا كتاب الليالي وحكاياته العجيبة والعكس واقع تماما[١٠٨] ثم ما هذا التكرار العجيب لاسم الرشيد في مناسبة وغير مناسبة حتى ان الدكتورة سهير القلماوي ذكرت ان عدل الرشيد في حكاية السندباد سادسة لا معنى ولا مبرر لذكره فيها خلال سرد الحكاية[١٠٩] بل انها ذكرت ابعد واصدق من هذا ان الليالي وصفته بكل

---

(١٠٦) سيرة ذات الهمة ص ١٠

(١٠٧) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٢٥٧

(١٠٨) NEHRU, Jawaharlal: Climpses of world History, P.150

١٠٩ سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ، ص ١١٢ ١١٣

الصفاب «الممتدحة من قبل الشعب لأنه يعيش في سوقهم وكوخهم»[110] وبقولها «وتعظيم شخصية الرشيد حتى في تصوير المواقف المتعلقة بحكايات الجن والعفاريت»[111]

وفي الليالي تتشابك الأخبار عنه وتتضارب كما في واقعه التاريخي ولكن الليالي تغلب فيه ناحية الخير والنظرة الاسلامية والعربية ، وتجعله خصماً عنيداً للشعوبية وان لم تظهر لفظ الشعوبية بل احاطت باطارها ممثلة لذلك بموقفه تجاه البرامكة ورداً على ما اختلقوه في حكاية العباسة أخت الرشيد وكذلك موقفه تجاه السفارات الخارجية والدين الاسلامي والفتاوى وكل هذا وغيره سنعرضه تفصيلاً بحثاً عن الملامح السياسية التي تجعلنا نضع حقائقها على محك النقد والموازنة بين واقعه التاريخي واخباره خلال الحكايات الطويلة في ألف ليلة وليلة

(٢) الرشيد في الليالي

تطواف الرشيد ليلاً ومراقبته الرعية والعمال

ألحت الليالي على شخصية الرشيد الجوالة ليلاً المتنكرة بأزياء العامة كزي التجار او الدراويش او حتى زي صيادي السمك

وقد اختلفت الأسباب لهذا التنكر ولهذه الجولات ولكن من ابرزها التأكد بنفسه «لينظر ويسمع ما يتجدد من الأخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته ان يتنكر في صفة التجار»[112]

بل والابعد من هذا كان يقول لوزيره جعفر عند نزوله متنكراً «اريد أن ننزل في هذه الليلة الى المدينة ، ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين ، وكل من شكا منه احد عزلناه»[113]

---

(١١٠) المصدر نفسه ص ١٨٩
(١١١) المصدر نفسه ص ١٣٩ ٢٣١
(١١٢) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣٥ حكاية الحمال مع البنات
(١١٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٦١ حكاية الحمال مع البنات

فالرشيد ينزل لغرض سياسي هو التأكد بنفسه ومتابعة الحكام والمتولين للأمور وفكرة عزل من يشكو منه الناس فكرة ان دلت على شيء انما تدل على رعايته لأمور الرعية واهتمامه بمراقبة المسؤولين

وقد ينزل بتأثير القلق الذي ينتابه كثيرا ولكنه يستغل هذا القلق والضجر وضيق الصدر في الاهتمام بمصالح العباد «ان صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة ان اتفرج في شوارع بغداد ، وانظر في مصالح العباد بشرط ان نتزيا بزي التجار حتى لا يعرفنا احد من الناس»[١١٤]

ولا يقتصر تنكره وجولاته على الحركة داخل المدينة بل يحاول دخول قصور الخلافة ليعرف اسرارها من ورائه فعندما اصر على دخول قصره متنكراً وجد أن لا سبيل الى ذلك الا اذا تزيا بزي الصيادين غير المشكوك فيهم ليسهل امر دخوله ففي حكاية الوزيرين نجد ان الرشيد يخاطب صياداً يعرفه «اقلع ثيابك ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاماً»[١١٥]

اما تزييه بزي الدروايش فنجد ذكر ذلك في حكاية علاء الدين ابي الشامات «وكان هؤلاء الدراويش الأربعة الخليفة الرشيد والوزير جعفر البرمكي وأبو نوّاس الحسن بن هاني ومسرور سياف النقمة»[١١٦]

ان الملمح السياسي في تنكره وجولاته هو احساس الحاكم بأن المتابعة والتأكد بنفسه مما ينقل اليه يجعله على صلة بالعدل المطلق وباختبار جواسيسه ونقله الاسرار في نفس الوقت هو اختبار رفيقه او رفقاء جولاته الوزير البرمكي الذي يشك فيه شكاً رهيباً لدرجة الاعلان الصريح له. عندما أطل برأسه يوما من شرفة قصره فوجد قصراً آخر للخلافة العباسية يقع عبر نهر دجلة وهو منار بغير مناسبة «ياكلب الوزراء اتخدمني ولم تعلمني بما يحصل في مدينة بغداد ؟ فقال جعفر وما سبب هذا الكلام ؟ فقال لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجاً بضوء القناديل والشموع

---

(١١٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩١

(١١٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٤١

(١١٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٨

وافتتحت شبابيكه ويلك من الذي له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة اخذت مني»[117] ؟ ، وكذلك مرافقته لسياف النقمة حماية للحاكم وأداة للتنفيذ الفوري عند الضرورة

وهو فوق هذا كله الاحساس بعمق المسؤولية مما يجعل الحاكم تعباً واذن فلابد من اتخاذ القلق والسهر وسيلة للحكم ولمتابعة المحكوم والا شَغلَه الأرق عن تدبير الأمور

(٣) الرشيد خليفة الله ، وامين الله

من الملامح السياسية التي أكدت عليها وابرزتها الروايات المختلفة في الليالي هي نظرية الحق الألهي في تفويض الخلافة من الله تعالى فقد طبقت الليالي هذه النظرية على الرشيد بصورة خاصة ، وبقية الخلفاء العباسيين الذين ذكرتهم ومن كان خليفة الله في عباده فهو ملاذ الحائرين والمستنجدين به اقاصي الارض او دانيها ففي حكاية الحمال مع البنات نجد على لسان صعلوك من الصعاليك وكان قبل صعلكته ملكاً يشير في حكايته انه «قصد هذه المدينة لعل أحد يوصله الى أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين حتى يحكي له قصته وما جرى له»[118]

وبنفس الاسلوب يقص الصعلوك الثاني من أنه سافر الاقطار وورد الامصار وقصد دار السلام بغداد لعله يتوصل الى الرشيد ليخبره بما جرى له ايضاً[119]

وهيبة خليفة الله وامينه تتعدى الأنس الى الجن ففي نفس الحكاية نرى الرشيد يحرق شَعراً لاحضار جنية تؤمن وتعترف بسلطان الخليفة المسلم فما ان تحضر امامه حتى تقول «السلام عليك ياخليفة الله»[120]

وتجد ذلك في حكاية نور الدين ومريم الزنارية عندما اضطر ملك الفرنجة نفسه للاستعانة بالخليفة الرشيد يكتب له معترفاً بما اشار عليه وزراؤه حيث «اشاروا عليه كلهم ان يكتب كتاباً الى خليفة الله في ارضه امير المؤمنين

---

(١١٧) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٨ حكاية الوزيرين
(١١٨) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٤٢
(١١٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٥٠
(١٢٠) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠ .

هارون الرشـيد»[١٢١] او نص ما قالته مريم الزنارية وهي في موقف المستجيرة به مسلمة «ياخليفة الله في ارضـه وقائماً بسـنة نبيه وفرضـه»[١٢٢] او قول واليه على البصرة «اعلم ياخليفة الله انّا نحن ثلاثة اخوة»[١٢٣]

أما لقب الأمين فقـد ظهـر في حكاية الجـارية ليلة كان قلقـاً فلما مر خلال جولته في القصر وجد جارية نائمة فايقظها فقالت مخاطبة له «يأمين الله ما هذا الخبر» ؟[١٢٤]

وتظهـر صـورة الهيبة الطاغية في نفـوس ولاته له ، واعتبار انفسـهم مشمولين بنعم هذا الخليفة في مكاتبته لأحـدهم «من هارون الرشـيد بن المهـدي الى حضرة محمد بن سـليمان الزينبي المشـمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في مملكتي اعرفك ان الموصل اليك هذا الكتاب نور الدين بن خـاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسـك من الملك وتجلسـه مكانك فاني وليته على ما كنت وليته عليك سابقاً فلا تخالف امري والسلام»[١٢٥] ولا يكون رد السـلطان او الوالي او النائب بعد تسـلمه الرسـالة الا انه «قام واقفـاً ، وقبلهـا ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعـالى ولأمير المؤمنين ثم احضر القضـاة الأربعة والأمراء وأراد ان يخلع نفسه»[١٢٦]

ولما كانت النظرة الى خليفـة الله وأمينه مقـدسة فان هيبته وخـلافته المتمتعـة بالهيبة تمتد الى الجـواري والمحـاظي بالرغم من غلبة الجنس غير أن الليالي نتيجة للهدف الذي رسمته في اظهار عظمة الخلافة وحرمتها ، فقد حرمت هذه الناحية على الناس احتراماً لشخصيتها ممثلة بالرشيد فقد شاءت ظروف حكاية التاجـر أيوب وأبنه غانم وابنته فتنة أن يجتمع غانم مع احـدى محـظيات الرشيد في خلوة لا يمنعه عنها أي مانع وقد هم بها فلما أخذ «طرف الثوب في يده ونظره فوجـده مرقوماً عليه بالذهب أنا لك وأنت لي يابن عم

---

(١٢١) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٦
(١٢٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٨
(١٢٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٦٩
(١٢٤) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٣٨ مجلد ١ ص ٥١٨
(١٢٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠
(١٢٦) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣
(١٢٧) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٥٥

النبي » تأخر عنها وهو هائب خائف يقول «أعوذ بالله ان هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب موضع السبع ؟ والذي لمولاي يحرم عليّ ان أقربه وكل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد»[١٢٨]

وتتراءى لنا الهيبة المزوجة بالدين والدنيا والمبالغة في المدح عند مخاطبة التاجر المليونير الذي دخل على الرشيد فقال السلام عليك ياأمير المؤمنين وحامي حومة الدين ثم أنشد هذين البيتين

لا زال بابك كعبة مقصودة وترابها فوق الجباه رسوم

حتى ينادى في البلاد بأسرها هذا المقام وانت ابراهيم

فهو ملك ملوك الارض حسب وصفه لنفسه عندما وجد نفسه عاجزاً عن لؤلؤة فغضب وقال «كيف أكون خليفة وملك ملوك الارض واعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار»[١٣٠]

فالملامح السياسية فيا مر تنحصر في أن الحكم العباسي الممثل بالرشيد حكم مطلق بتفويض من الله وعلى العباد الانقياد له انقياداً تاماً لأنه قائم بسنة نبيه وفرضه وهو السيد المطلق وان الولاة نوابه باقون في مناصبهم ما شاء فان استبدلهم اجابوا طائعين والسلطة التي يتمتع بها لا يمكن مناقشتها لأنه خليفة الله في الارض وكل ماله حرام على غيره وقدسية الخلافة ومكانته في نفوس الشعب كمكانة ابراهيم الخليل (ع)

(٤) الرشيد والجن

«حكي ان سهل بن علي أبي غالب الخزرجي وضع كتاباً في الجن واخبارها وحمله الى هارون الرشيد فقال له فيا قال ان كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجباً وان لم تكن رأيته فقد وضعت أدباً»[١٣١]

هذا نص له اهميته في بداية الموضوع فالرشيد المسلم يعتقد في الجن لأن الفكرة موجودة في القرآن الكريم «قل أوحي الي انه استمع نفر من

---

(١٢٨) المصدر نفسه ج١ ص١٥٥
(١٢٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٩
(١٣٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٦
(١٣١) عباس خضر القصة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ٣٠ ص ١١٢ الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦ نقلا عن ابن خلكان وفيات الاعيان ترجمة معاذ بن مسلم الخزرجي.

الجـن فقـالوا انا سمعنا قرآناً عجبا[١٣٢]، والحكايات الشـعبية بعمد التفكير الشعبي لأنهـا في اصـلها كتبت له ولما كانت الخـلافة سـلطة دينية ودنيوية فلابد ان ينسحب حكم الخليفة المسـلم على قبائل الجـن كما انسـحب حكمـه وسيطرته على البشر باعتباره خليفة الله في أرضه

ولكن المهم في موضوعنا ليس علاقة الحكاية وارتباطها بحكايات الجن وانما هو الربط السياسي الديني في شخص الخليفة فاننا نجد عند مفـاتحة ابنة ملك الجن لأبيها الملك الأحمر بعد أن أصدر الرشيد مرسوماً موجها لهـا وارسـله بوسـاطة والي البصرة الذي سـحرت ابنة الملك اخـويه كلبين وكان الرشـيد كخليفة في عباده قد تدخل لانقاذهما من سحرها بقوله في المرسـوم «بسـم الله الرحمن الرحيم من ملك الأنس هارون الرشيد الى بنت الملك الأحمر سعيدة اما بعد فأن هذا الرجل قد سامح اخويه وأسقط حقه عنهما وقد حكمـت عليهما بالصلح واذا وقع الصلح ارتفـع العقـاب فان اعترضـتمونا في احكامنا اعترضناكم في أحكامكم وخرقنا قانونكم وان امتثلتم امرنا ونفـذتم احكامنا فاننا ننفـذ احكامكم وقد حكمـت عليك بعـدم التعـرض لهما فان كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي أمره وان عفوت عنهما فانا اجازيك بما يقدرني عليه ربي وعلامة الطاعة ان ترفعـي سـحرك عن هذين الرجلين حـتى يقابلاني في غد خالصين وان لم تخلصيهما فانا اخلصـهما قهـراً عنك بعـون الله»[١٣٣]

فتسرع ابنة الملك هذه تعـرض الأمر على أبيهـا الملك مسـتفسرة عن سلطة الرشيد وقوته فيقـول لهـا «يابنتي انه يقـدر علينا من وجـوه انه من البشر فهـو مفضـل علينا والثاني انه خليفـة الله والثالث انه مصر على ركعتي الفجر فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع ارضين لا يقـدرون ان يصنعوا به مكروها فان غضـب علينا يصلي ركعـتي الفجـر ويصـيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصـير كالغـنم بين يدي الجـزار وان شاء أمرنا الرحيل عن اوطاننا الى أرض موحشة لا نستطيع المكث فيهـا وان

---

(١٣٢) القرآن الكريم سورة الجن ٧٢ آية ١

(١٣٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٨٣ .

شاء هلاكنا امرنا بهلاك انفسنا فيهلك بعضنا بعضاً فنحن لا نقدر على مخالفة امره فان خالفنا أمره احرقنا جميعاً وليس لنا مفر من بين يديه»[١٣٤]

تلك الصورة الواضحة التي يتقبلها العامي تعني الكثير لأنها وصفت قدرة الرشيد الخارقة من تدينه المطلق في أنه سلطان الانس والجن فلا مفر من الخضوع له خضوعاً تاماً فأذن ان سلطانه ليس سياسياً وحسب وانما سلطته نابعة من ربط نظرية الحق الالهي بشخصه وتدينه وما حاكته الاساطير عنه حتى صار امره عجبا

وفي حكاية اخرى يظهر موقفه المتعاظم في النفوس مع شيء من النقد الموجه لابنه الامين عندما احرق بعضاً من الشَعر لاستقدام جنيّة كانت قد مسخت امرأتين اختين الى كلبتين فتحضر الجنية ويسألها خلاصهما من المسخ فتجيبه طائعة «ان اردت خلاصهما ياأمير المؤمنين اخلصهما كرامة لك ولها فإني من المسلمين»[١٣٥] ثم تخبره الجنية ان الذي ظلم الفتاة ولده الأمين ولهذا يأمر الرشيد أبنه ان يتزوج الفتاة المظلومة تطبيقاً لمبدأ رفع الظلم عن المظلوم او كما يسميه الرشيد «اخذ الثأر ممن ظلمها»[١٣٦]

وحكاية اخرى تمس الرشيد في اظهار قدرته وانسحاب سلطانه على الأرض بمن فيها ، وعلى الجن ، ولكنها رغم ذلك تثير سؤالاً على لسان جارية رأت امرأة جميلة هي زوج حسن البصري وهي جنية شديدة الجمال فراحت تروي للسيدة زبيدة زوج الرشيد بأنه لو رآها الرشيد او حتى لو عرفته بها او سمع لـ «خالف الشرع ، ويقتل زوجها ، ويتزوج بها»[١٣٧] فترد عليها السيدة زبيدة تدفعها الغيرة دفاعا عن عظمة وتدين زوجها الكريم «ويلك ياتحفة اسم الجارية هل بلغ هذه الجارية من الحسن والجمال ان أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لأجلها»[١٣٨] ؟.

ومما تقدم نستخلص الملامح السياسية من علاقة الرشيد بالجن في

---

(١٣٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٨٣
(١٣٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠
(١٣٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠
(١٣٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص
(١٣٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠ .

ان هذه العلاقة ليست علاقة سحرية او شعوذة يقوم بها او اساطير باهتة وانما اراد القاص اظهار اتساع سلطته وشمولها للأنس والجن اذ حكمه نافذ مطلق

وناحية أخرى اظهرت هذه الحكايات ان الرشيد ما اتصل بالجن لغرض خاص به وانما من أجل انقاذ بعض رعاياه رافعاً عنهم الظلم الواقع عليهم حتى ولو كان في الموضوع صعوبة كصعوبة الاتصال بالجن وانه يضع نفسه في موضع العدل عند المصالحة

وصورة اخرى عنه هذا التدين العميق ومواظبته على أداء الشعائر لأنه خليفة الله وحامي حمى الدين وانه لا يمكن ان تؤثر عليه امرأة مهما كانت جميلة حتى ولو كانت بنت ملك ملوك الجن او من البشر

(٥) الرشيد والفرنجة

تكاد الحروب المستمرة والغزوات الجهادية بين الدولة الاسلامية والدولة الرومانية أن تكون الرابطة الوحيدة بينهما رغم ما قيل عن وجود صلات سلمية بين الرشيد وشارلمان ملك فرنسا

فالتاريخ العربي الأسلامي يسكت تماماً عن تلك العلاقة ولا نجد لها ادنى اشارة على عكس المصادر الغربية التي تؤكد وجود هذه الصلة فقد قيل انه «لأتساع الدولة الأسلامية في شمال افريقية ، واستيلاء المسلمين على بلاد الأندلس اثر كبير في خلق علاقات سياسية مع القوى الأوربية في غرب القارة»[١٣٩] كما يذكر ان الرشيد بما نال من السطوة والسلطان والغنى والثراء ما جعله يفكر في اعادة الأندلس الى التبعية العباسية فاعدّ الخليفة هارون الرشيد سفارة عظيمة لهذا الغرض وقال لرئيس السفارة انّا اتانا رسول يقرئنا منه السلام ويلتمس جميل رعايتنا بمن يحج الى بيت المقدس من ملته فرأينا ان نوجهك اليه بلطائف نروم اليه ان يتقبلها في سبيل المودة لغاية نرغب فيها اليه من التعصب على بني أمية الذين يمزقون الاندلس

والواقع والتاريخ لا يؤيدان هذا بدليل حتى لو اعتمدوا على ألف

---

(١٣٩) د احمد العدوي السفارات الاسلامية الى اوربا في العصور الوسطى ص ٩١
(١٤٠) المصدر نفسه ص ٩٤. ٩٥

ليلة وليلة اذ لا نجد لمثل هذا اشارة من قريب او بعيد سوى ما سوف نثبته من صلات الرشيد بالفرنجة بشكلها الدقيق الذي اذا نم على شيء فانما ينم عن وجود علاقة بين حاكم له هيبته وجبروته وسطوته هو الرشيد ودويلات فرنجية ضعيفة عرضة للهجوم البحري ويقلقها الاسرى المسلمون فكيف بالمحاربين ؟

لقد جاء في حكاية علي نور الدين مع مريم الزنارية[١٤١] أن عظمة الرشيد تجاوزت الافاق وانه اصبح ملاذ الملوك وحكام العالم لدرجة تضطر احد ملوك الفرنجة دون ذكر اسمه يستعين بالرشيد من أجل معاونته في العثور على ابنته التي هربت مع أحد الأسرى المسلمين بعد ان استشار وزراءه فأشاروا عليه كلهم بمكاتبة الخليفة المسلم هارون الرشيد فكتب «الى حضرة خليفة الله في أرضه أمير المؤمنين هارون الرشيد بعد السلام على أمير المؤمنين ان لنا بنتا أسمها مريم الزنارية قد افسدها علينا اسير من أسرى المسلمين اسمه نور الدين على ابن التاجر تاج الدين المصري واخذها ليلاً وخرج الى ناحية بلاده وأنا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين واننا نجعل لكم نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر نصف مدينة رومة لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ونجعل لكم خراجها»[١٤٢]

ان اسلوب مكاتبته للرشيد لتدل على الضعف الانشائي واختلال العبارة ولكن المضمون هو الاعتراف بشخصية وهيبة وقدرة هذا الخليفة الكبير وعلى هذا المنوال من التفكير العامي غير المسند بدليل نجد الرشيد يحقق لملك روما ما طلبه ويستقدم ابنة الملك وزوجها الأسير ويخبرها بأمر كتاب أبيها مع وزيره الرسول الى الرشيد فترد عليه لتؤكد ملمحاً سياسيا ودينياً خاصا بشخص الخليفة انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فتقول «يا خليفة الله في أرضه اني قد دخلت دينكم فهل بوسعك يا أمير المؤمنين ان تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني الى بلاد الكافرين ؟ فان فعلت اتعلق

---

(١٤١) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٦

(١٤٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٦

باذيالك يوم العرض على الله وأشكوك الى ابن عمك رسول الله (ص) [١٤٣]فلقد اعطته كل صفات الملوك القادرين ولكنها حكمت عليه بأنه لن يستطيع التفريط بحقها مما يضطره للأعتراف بأن الحدود الدينية لا مجال لتخطيها ويقول «يا مريم معاذ الله أن افعل ذلك ابدا كيف أرد أمرأة مسلمة موحدة بالله مصدقة برسول الله الى ما نهى الله عنه ورسوله»[١٤٤]

وهنا يرفض الخليفة طلب ملك روما تنفيذا لأوامر الشريعة فهو يخاطب رسول الملك «هل سمعت كلامها ؟ كيف ارسلها الى ابيها الكافر وهي مسلمة موحدة بالله وربما اساءها واغلظ عليها وقد قتلت اولاده فاتحمل ذنبها يوم القيامة وقد قال الله تعالى «ولن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا» فارجع الى ملكك وقل له ارجع عن هذا الأمر ، ولا تطمع فيه[١٤٥] ولا يعود الوفد الذي كان برئاسة وزير ملك روما بالهدايا والتحف كما قص علينا التاريخ الأوربي بنص الكتب المحدثة ، من وجود سفارة كبرى بين الرشيد وملك الفرنجة شارلمان بل مجرد مكاتبات حول وضع الاسرى تنتهي بمقتل رئيس الوفد الذي رفض آراء الرشيد الخليفة المسلم مما دفعه لقتله[١٤٦]، في حين نجد صورة للسفارة الكبرى بين الرشيد وشارلمان في غير كتب التاريخ العربي الاسلامي أو حتى في كتب القصص الشعبي كما ذكرنا في أول هذا الموضوع وان الرشيد اناب عنه جعفر البرمكي في «اعداد كتاب هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان وكذلك انتقاء الهدايا التي تساعد في جلب المودة وكان من بين الهدايا فيل عظيم أبيض وكذلك أقمشة فاخرة من الوشى المنسوج بالذهب وبسط ديباج من طبرستان وعطور من اليمن والحجاز ومزولة[١٤٧] كبيرة تدل على الأوقات قام مهرة عمال بغداد بصناعتها والمهم الذي يعنينا فيما وجدنا من تلك الصلة المثبتة في الليالي والتي يمكن استنتاج

(١٤٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٨
(١٤٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٨
(١٤٥) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٨/١٢٩
(١٤٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٩
(١٤٧) ساعة شمسية
(١٤٨) د ابراهيم العدوي السفارات الاسلامية الى أوربا في العصور الوسطى ص ٩٧ سلسلة اقرأ ١٧٩ .

بعض الملامح السياسية منها

١ كان تدينه واهتمامه بأمر الرعية يمنعه من الأنسياق وراء المكاسب الدنيوية كالموافقة على تسلم خراج مدينة روما وبناء المساجد فيها لندرة وجود المسلثمين في ايطاليا

٢ الاعتراف الضمني بنفوذ الرشيد وحكمه على ملوك اوربا واستعانتهم بالخلافة العباسية ، وان بعدت بالنسبة لقربهم من الخلافة الاموية في الأندلس

٣ ان الحروب البحرية قائمة بين الدولة العربية الكبرى ودول اوربا ودليلنا وجود الاسرى

٤ لم يكن هو البادىء بالمكاتبة مما يدل على وجود الحاجة اليه

٥ ان من اللياقة الدبلوماسية عدم معاندة المرسل اليه ، والا فالموت للوفد كما حصل

(٦) الرشيد والسياسة الدينية

وصفت كتب الأدب والتاريخ المعتمدة الرشيد بأنه متدين غير ان هذا الخليفة الشاب وما حيك حوله من اساطير كان يقلقه الأرق مما كان يضطره لعلاج أرقه بالحركة والتجول ليلا متنكرا كما مر بنا سابقا ولكن لقبه الخطير «خليفة الله» في اكثر من حكاية من الليالي وفي اكثر من مناسبة جعله في هذا الموقف متدينا بالضرورة فلذا فهو حامي حومة الدين والقائم بسنة النبي الكريم (ﷺ) وفرضه(*) وتدينه هذا كما ظهر لنا كان يمنعه من الانسياق وراء المكاسب الدنيوية له او توسيع لرقعة الارض كما في موقفه من وفد ملك رومه

ولكي تكتمل الصورة عنه فالليالي تذكر انه حاج يمتنع عن الشراب المسكر ففي حكاية الحمال مع البنات وبعد دخوله منزل البنات متنكرا وقد قدم اليه الشراب قال «انا حاج وانعزل عنهم»(**) وكذلك ما نلاحظه في حكاية محمد علي الجوهري وبعد ان احضروا آلة المدام واصطفت القناني والكاسات ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع عن الشراب ، فقال الخليفة الثاني الجوهري لجعفر ما بال اصاحبك لا

ليلة وليلة ج ص ١٢٨

(**) الف ليله وليله ج ١ ص ٣٦ ، نه حج سبع مرات

يشرب ؟ فقال يا مولاي ان له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثاني عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شراب التفاح[١٤٩]

فاذا شرب فشرابه من شراب التفاح او النقوع او السكر المذاب مع الثلج[١٤٩أ]

ولكن يجب ان نذكر ما جاء في حكايته مع جعفر والفقيه ابي يوسف[١٥٠]، فقد وجدناه يغلبه السكر ولعل ذلك اشارة لشربه الشراب الذي احله فقهاء العراق[١٥١]

كما اننا نجده يشرب الخمرة المعتقة في حكايته مع الجارية وابي نؤاس

والرشيد حريص على الالتزام بحدود الدين فهو موصوف على لسان السيدة زبيدة التي ترد على جاريتها التي وصفت جمال امرأة لو رآها الرشيد لقتل زوجها وتزوج بها «ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لأجلها»[١٥٣]

ومما يدل على مراعاته لأمور الدين والتزامه بالحدود انه عندما يجد نفسه وقد وقع في الاشكال يستفتي حتى لا يأثم كما حصل له في موقفه من الجارية التي اراد امتلاكها وكانت لجعفر البرمكي فرفض جعفر وكانا يتنادمان ويشربان فألق الخليفة يمين الطلاق كما ألقاه جعفر فلما «أفاقا من نشوتهما وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال هارون الرشيد هذه وقعة ليس لها غير ابي يوسف»[١٥٤]

أما فكرة زهده وتصوفه فقد ظهرت في حكاية أحد أبنائه الزاهدين والتي تصوره قد ترك الدنيا واشتغل مع الفعلة وقد صورته وهو يقابل أباه

(١٤٩) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٩٣.

(١٤٩أ) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣٦ حكاية البنات مع الحمال

(١٥٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٢

(١٥١) احل ابو حنيفة النعمان شراب النقوع وقد ذكرت طريقة عن ذلك قول النواسي

احل العراقي النبيذ وشربه وقال الحرامان المدامة والخمر

وقال الحجازي الحرامان واحد فجاز لنا بين اختلافهما السكر

(١٥٢) الف ليلة ط بو اوفست ليلة ٣٣٨ مجلد ١

(١٥٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص حكاية حسن البصري

(١٥٤) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٢ .

الابن الزاهد والأب الخليفة فيقول له الأب وهو في موكب الخلافة وأبهتها «لقد فضحتني بما أنت عليه»[155] ولكن الرشيد وبعد أن سمع بوفاته وظهور كراماته يدخل على ام الولد الزاهد بعد ان ارجع له ياقوته كان قد بعثها اليه لتعينه على حياته مع قطعة شعرية قد تكون مختلفة ومنسوبة ولكنها تبث في النفس روح الزهد

بلغ أمانة من وافت منيته — الى الرشيد فان الأجر في ذاكا
وقل غريب له شوق لرؤيتكم — على تمادي الهوى والبعد لباكا
ما صده عنك لا بغض ولا ملل — لأن قربته من لثم عيناكا
وانما ابعدته عنك يا أبتي — نفس لها عفة عن نيل دنياكا

فجعل أي الرشيد يبكي ويقول انتفع الولد وخاب الوالد[156]

والرشيد مداوم على الصلاة في أوقاتها ولذلك فهو مستجاب الدعوة[157] ويرتبط تدين الرشيد بالنسبة للعامة بقرابته من بيت النبوة المطهر وهذا يجعله في المكان اللائق فاذا ما ذكر الرشيد على ألسنة الوزير أو السياف أو غيرهما «أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين»[158] أو «أمير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي (ص)»[159]

ونجد كذلك صفة قرابته من النبي حتى في الكتابة على الملابس الداخلية لجواريه حفظا للنسب الطاهر ففي حكاية أيوب وابنه غانم وبنته فتنة كتب بالذهب على طرف تكة جارية للخليفة الرشيد «أنا لك وأنت لي يا أبن

---

(١٥٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩١
(١٥٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٣
جاء في تعليق للدكتورة سهير القلماوي في كتابها الف ليلة وليلة ص ٢٥٧ ما نصه «لعل هذا الخبر صدى لما روى التاريخ عن علي بن الخليفة المأمون الذي فر من عز القصر في بغداد الى البصرة فهو ايضا قد عمل حمالا وعاش فقيرا صائما الى ان مات»
(١٥٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٨٣
(١٥٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٨
(١٥٩) المصدر نفسه ج ٤ ص
الحقيقة أن الرشيد هو الخليفة الخامس من بني العباس كما أشرنا سابقا .

عم النبي»[١٦٠]

وهو فوق ذلك متبع لظاهر الشريعة المطهرة والمبتعد عن الطرق المزورة[١٦١] فهو يكره الروافض لا لكونهم روافضا بل لكونهم قتلة فهو اذن يرفض مبدأ استغلال الدين كدافع للأغتيال السياسي في حوار له مع احدهم ممن أوشك أن يقتله غيلة «من أغراك ؟ وهل أنت عدو أم حبيب ؟ فقال له أنا عدو وكنت مضمرا قتلك فقال ما سبب ذلك اما انت مسلم ؟ فقال لا وانما أنا رافضي فأمر الخليفة بقتله»[١٦٢]

والعدل هو الدين وهو موصوف به فهو عند نزوله متنكرا انما يبغي من وراء تنكره تحقيق العدل ورفع الظلم والشكوى «وكل من شكا منه احد عزلناه»[١٦٣] وثورة العادل هي ثورة الحليم الغاضب فعندما يقع بصره على جثة فتاة قتيلة كانت ملقاة في النهر يبكي ويثور لدرجة انه يخاطب وزيره المقرب اليه جعفر «يا كلب الوزراء اتقتل القتلى في زمني ، ويرمون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي ؟ والله لابد ان اقتص لهذه الصبية ممن قتلها وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس أن لم تأتني بالذي قتل هذه لانصفنها منك لاصلبنك على باب قصري انت واربعين من بني عمك»[١٦٤]

فالبحث عن المجرمين وتتبع اثارهم وتحميل الوزراء مسؤولية ذلك هو العدل كذلك اهتمامه باستتباب الأمن وراحة الرعية هو العدل الواضح في حكاية احدى النساء المحتالات اللائي اتعبن السلطة حتى القي القبض عليها يقول لها «ما انت الا حيالة محتالة لأي شيء عملت هذه المناصف واتعبت قلوبنا»[١٦٥]

وهو يخشى ان يكون ظالما ، فاذا احس بأنه ظلم أحد أوشك ان يعتذر له ويأمر بازالة الخطأ خوفا من الله كما جاء في اعتذاره لاحدى جواريه

---

(١٦٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٥٤

(١٦١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٠ حكاية الوزيرين

(١٦٢) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٧٤

(١٦٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٦١

(١٦٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٦١

(١٦٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٦ حكاية احمد الدنف وعلي الزيبق .

المظلومات «يا قوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبيني الى الظلم وتزعميني انني اسأت الى من احسن اليّ (وبعد أن يعرف خطأه يقول) لا حول ولا قوة الا بالله»[١٦٦]

ان الليالي حين عرضت لتدين وزهد الرشيد انما عرضت ذلك بصورة بسيطة فاظهرته متدينا زاهدا غير منغلق وقد أرادت من وراء ذلك تحقيق سياسة مزج السلطتين الدينية والدنيوية ، وهنا يبدو جليا القصد السياسي الذي اراده واضع الحكاية حول هذه الشخصية ذلك هو ان الرشيد الحاكم الملك هو بنفس الوقت أمير المؤمنين فلا انفصام اذن بين الصفتين وتجمعها كلمة الخليفة

(٧) الرشيد والولاة

تظهر شخصية الرشيد - كحاكم - طاغية على كل والٍ أوكله او انابه على احدى ولايات الخلافة العباسية فهم يخافونه لا لظلمه وقسوته بل لمراقبته ومحاسبته ومتابعته لاخبارهم وتصرفاتهم وخاصة النواحي الاقتصادية أضف الى ذلك معرفتهم بأنه كثيرا ما يتنكر بازياء تجعل شبحه فوق رؤوسهم وان من بلغته عن شكاة او عرف أنه غير عادل عزل على الفور أو قتل لأن السياف دائما معه[١٦٨]، فالرقابة التي فرضها الرشيد حسب تصور الليالي شديدة على الحكام والمتولين والأمراء والولاة او من هم في حكم وظائفهم

فهو يعقد الديوان السلطاني عندما يتأخر خراج ولاية ما كما ذكرت ذلك حكاية عبدالله بن فاضل عامل البصرة. فهو اذن يقظ متفقد للولايات واحوالها فبمجرد ان يتأخر الخراج عن مدته نجده «نصب ديوانا لهذا السبب وقال عليّ بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال ان خراج جميع الاقطار جاء الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت منه شيء فقال يا أمير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له أمر الهاه عن ارسال الخراج فقال له ان مدة حضور الخراج عشرين يوما فما عذره في هذه المدة حتى لم يرسل

---

(١٦٦) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٥٩
(١٦٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٦١
(١٦٨) جيل بيهم حضارة الاسلام في دار السلام ص ٢١٩ ، الاتليدي ص ١٢٦ الاغاني ج ٦ ص ١٣٧ الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٥٨ .

الخراج او يرسل باقامة العذر»[١٦٩] فالوالي المشمول بنعمة ورعاية الخليفة يأتي في تسلسل السلطة بعد الوزير ، وما على الوزير الا متابعة ما أراد الخليفة تنفيذه فبمجرد انفضاض الديوان نجد الوزير قد كتب خطاً شرعيا ارسله مع رسول أمين يستفسر منه عن سبب هذا التأخر ثم يبلغ الرسول أنه ان لم يجد الخراج حاضرا فما عليه الا ان يحضر الوالي «ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه»[١٧٠]

وليس للوالي امام الخليفة من سلطة سوى ان ينفذ ما أراد الخليفة اذ ان طبيعة الحكم الاتوقراطي ذي الطابع العادل هو ابسط وصف لعلاقة الرشيد بولاته ففي احدى مكاتبات الرشيد لوالي البصرة «محمد بن سليمان الزيني» نجده يشرح فضل الخلافة عليه ويأمره بالتخلي عن الولاية بأسلوب تبدو فيه روح السلطة المطلقة «من هارون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في بعض مملكتي

فالوالي تابع للخليفة مشمول برعايته ما دام راضيا عنه فاذا حصل ما يستوجب التغيير فما على الوالي حسب رأي الليالي الا التنفيذ فبعد أن يصدر الرشيد أمره الذي يقول فيه عند تعيين والٍ جديد «فاني وليته على ما كنت وليته عليك سابقا فلا تخالف امري والسلام»[١٧٢]

وكيف يخالف أمره والوالي بمجرد رؤيته عنوان كتاب أمير المؤمنين يقوم واقفا ويقبل الكتاب ثلاث مرات وهو يقول «السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الاربعة والأمراء وأراد ان يخلع نفسه»[١٧٣]

إن مكاتبات الخليفة لولاته امر مهم فإذا حصل شك او تزوير في كتب الخلافة فالويل للمزور ومصيره منتقع الدم وتحت قصر الوالي بعد أن يشهر في المدينة[١٧٤]، وقد انتبهت لذلك الخلافة العباسية في أيام الرشيد فكان بعد اصداره

---

(١٦٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٦٦
(١٧٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٦٧
(١٧١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٤٣
(١٧٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣
(١٧٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣
(١٧٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣

المراسم الشرعية يختمها بختم الخلافة[١٧٥].

وتتعدى سلطة الرشيد بالنسبة لولاته الحدود الرسمية الى الأمور العائلية فاذا ما طلب الرشيد من احد ولاته مثلا تزويج ابنته لشخص قد يكون موقفه من عائلة الوالي او من الوالي نفسه على غير ما يرام فان الوالي لا يجد ما يقوله إلاّ : «سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين»[١٧٦].

وللولاة بالرشيد ثقتهم المطلقة من حيث هيمنته الدينية والسياسية فهم ان عزّ عليهم أمر او ضاقت بهم الحيل ، استنجدوا به كما فعل والي مصر عندما اعجزه البحث عن ابنه[١٧٧].

وربما تشفع الوالي لدى الخليفة في اطلاق سجين يعلن توبته فالامير خالد والي بغداد وهو يتشفع الخليفة في امر السجين المجرم التائب يقول : «ان له اما مسكينة ، منقطعة وقد وقعت على عبدك - يعني نفسه - ان يتشفع عندك يا أمير المؤمنين في انك تفكه من القيد ، وهو يتوب عما كان فيه»[١٧٨]. واذا ما وافق الخليفة على الشفعة فهو يوصي المجرم المعفو عنه «بالمشي الطيب والاستقامة» فهو كحاكم له نظرته الاصلاحية ، في اعطاء المجرم فرصة التوبة مع تحميله المسؤولية بأن يسند له وظيفة تتعلق بنوع جريمته التي دخل بها السجن[١٧٩].

والرشيد يختار من يثق بهم من الولاة ويعينهم ، وحسب رأي الليالي ان يكونوا عربا ومن الذين يشعر بمحبتهم فكأنه كان يريد اغاظة البرامكة كما فعل عندما ولى عبدالله بن مالك الخزاعي على ارمينية ، فانه فضله على غيره لدرجة قالت عنه البرامكة : «ان عبدالله يسحر أمير المؤمنين»[١٨٠].

(٨) الرشيد ونكبة البرامكة :

نكب الرشيد البرامكة عام ١٨٧هـ/٨٠٧ م حيث امر بالنداء : الا

---

(١٧٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٨٢ .
(١٧٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٢٩ .
(١٧٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٢٩
(١٧٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٧
(١٧٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٧
(١٨٠) المصدر نفسه ط . .بو . اوفست ليلة ٣٠٦ مجلد ١ ص ٤٨٢ .

أمان لمن أواهم إلاّ محمد بن خالد وولده وحشمه وأهله فانه استثنناهم لما ظهر من نصيحة محمد له وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة لما تبين له ان الجريمة اعتبرت عامة وانها تتعلق بسلامة الدولة[181]

غير ان الأسباب الخفية والحقيقية لم تكن واضحة او معروفة رغم كل العلل والأسباب التي استنتجها المؤرخون في كتب التاريخ المسندة

والبرامكة عائلة فارسية نسباً وحسباً حيث جدهم الأكبر «برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكي»[182]

وقد استأثرت هذه العائلة اول مجدها باحترام السلطان العباسي فاتخذوهم وزراء لدرجة انهم سيطروا سيطرة توشك أن تكون تامة لولا يقظة السلطان العربي المتمثل بشخص الرشيد وخاصة بعد ان لعبوا لعبتهم المشهورة في ولاية العهد بين الأمين والمأمون لدرجة ان استفحل الأمر بين الأخوين وانتهت اللعبة بقتل الأمين فيما بعد[183]

ويبدو أنهم حاولوا نقل السلطة الى الفرس فلما احس الرشيد الذي اقترن اسمه باسم جعفر البرمكي وزيره ضرب ضربته الشهيرة التي عرفت بنكبة البرامكة التي دوت اصداؤها عبر التاريخ

ان لهذه الوقعة الجسورة أثرا في خلق واختلاق الآراء والحكايات والأخبار والنوادر مما اغنى كتب الحكايات ومنها الليالي التي أفادت منها الافادة التامة اذ حشرت خلال حكاياتها صورا شتى عنهم الا أنها ظلت ورغم ما اعطت عنهم من صور الكرم البرمكي غير الاعتيادي حذرة في مدحهم بل أنها وجهت اليهم التهم والطعون بصورة غامضة اذ أن القاص الذي اختار قسما من اخبارهم ونتفا من أفكارهم لم ينس انهم فرس شعوبيون وان محاولات الشعوبية ظلت قوية في تشويه سمعة البيت العباسي وشخص الرشيد بالذات كسياسي وخليفة باختلاق قصة العباسة اخت الرشيد وعلاقتها بجعفر وزيره[184]

---

(١٨١) د عبدالعزيز الدوري العصر العباسي ص ١٧٥ نقلا عن الطبري ج ١ ص ٨٥ . وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٠٠

(١٨٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٩٤

(١٨٣) د عبد العزيز الدوري - دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ١٢

(١٨٤) كتب جوجي زيدان قصة العباسة وعلاقتها بجعفر، ولم يكن منصفا ومحققا سلسلة روايات تاريخية .

إن الليالي ذات الاتجاه العربي المعبرة عما في صدر الشعب قد اوردت حكاية مضادة وعلى طرفي نقيض من حكاية العباسة هي حكاية «دنيا بنت يحيى ابن خالد البرمكي مع عشيقها محمد بن علي الجوهري»[185] كما سنفصل ذلك فيما بعد

إن احتلال أخبار البرامكة لحيز كبير من حكايات الليالي ، يعني أنه كانت لهم مكانة كبيرة ، غير ان المهم لدينا هو ما يتعلق باظهار مواقف الرشيد السياسية تجاههم

فالليالي لم تذكر اسم الرشيد الا وهو مقترن بجعفر وزيره ، ولكن يبدو جعفر امام سلطان الرشيد شخصية مهزوزة ضعيفة مهددة بالموت لاتفه الأسباب وهو بين يديه كالدمية يحركه متى شاء ويطلبه وقتما شاء فاذا كان الرشيد ارقا ، ولم يتمكن جعفر من رفع أرق الخليفة فشبح الموت هائم فوقه فخلال احدى القصص نجد الرشيد أرقا فيستعين بجعفر الذي ينصحه بأشياء شتى منها النظر في المرآة او أن يدخل الحمام للاستحمام او يسمع شيئا من الغناء فيقول الرشيد «يا جعفر فعلت هذا كله ، فلم يغن عني شيئا ، وانا أقسم بآبائي الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لأضربن عنقك»[186]

وجعفر امام الرشيد لا يسعه الا تحقيق رغبات الخليفة لدرجة أنه لا يكاد يعرف انه وزير وله حقوق الوزير على الحاكم بل ان مكانته اقرب الى الخادم والساعي منه الى شخصية الوزير ، ففي حكاية الرشيد والشاب العماني نجد ما يعمله جعفر هو نفس عمل الساعي «قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال احضر لي ابا الحسن وهو اسم الشاب العماني »[187]

اما موضوع نكبتهم فنجد صداه واضحا من خلال حكاية الحمال والبنات حيث جاء في عرض الموضوع ان هنالك صبية قتيلة ، وقد اخرجها صياد فلما رآها الرشيد بكى وقال مخاطبا جعفر اقسى خطاب «يا كلب الوزراء اتقتل القتلى في زمني ويرمون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي والله لا بد أن اقتص لهذه الصبية ممن قتلها وقال لجعفر وحق

(١٨٥) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٩٧
(١٨٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٠٨
(١٨٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢١٨ .

اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس أن لم تأتني بالذي قتل هذه لانصفنها منك لأصلبنك على باب قصري انت واربعين من بني عمك»[188]

وتسرد الحكاية انه لما يئس جعفر من معرفة القاتل «اغتاظ الخليفة وامر بصلبه على باب قصره وأمر منادياً ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على صلب جعفر البرمكي وزير الخليفة وصلب اولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج»[189]

فالرشيد عنيف في الحق وفي محافظته على أمن العامة ، والليالي غاياتها ارضاء ذوق العامة ، فقد اتهم الوزير بعدم قدرته على تحمل المسؤولية في معرفة الجناة أولاً والثاني كما جاء على لسان الرشيد في نفس الحكاية عندما رأى الرشيد احد قصوره مضاء ، دون امره ودون معرفته السبب أحضر جعفر وقال له «يا كلب الوزراء اتخدمني ولم تعلمني بما يحصل في مدينة بغداد ؟ فقال جعفر وما سبب هذا الكلام ؟ فقال لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ، ما كان قصر الفرجة مبتهجاً بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يكون له قدرة على هذه الفعال ، إلا إذا كانت الخلافة اخذت مني»[190]

فالسبب اذن هو اغفال الرشيد من قبل وزيره بما يدور في البلد وهذا يعني التهاون كما يظهر انتباه الرشيد لأمره وحكمه وعدم تركه جعفر على هواه وقد حاولت الحكاية اظهار جعفر في موقف المعتذر من ان خولي البستان عنده فرح فأضاء القصر ابتهاجا بفرحه فيرد عليه الخليفة «يا جعفر ان كان لك عندي ذنب واحد صار لك عندي ذنبان أخطأت في وجهين الأول انك ما اعلمتني بذلك والوجه الثاني انك ما بلغت الشيخ ابراهيم - خولي البستان مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شيء من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه ولم تعلمني حتى أعطيه»[191]

---

(١٨٨) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦١

(١٨٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٢

(١٩٠) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٨

(١٩١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٣٩/١٣٨ حكاية الوزيرين .

فالخليفة يتهم جعفر باخفاء الحقائق ، وعدم تعريفه الأمور مخالفاً الشعور بمسؤوليته كوزير ، وعندما يحاول الوزير دفع التهمة لا يجد الرشيد سوى مواجهته بالحقائق وان ما أخبر به جعفر لم يكن سوى الكذب فحفل الفرح لخولي البستان لم يكن حقا وانما هناك حفل عربدة وسكر واستخفاف بهيبة الخلافة في قصورها وهنا تذكر الليالي صورة الخجل والخوف الملازمة لجعفر «فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدي الخليفة فقال الخليفة لجعفر الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة ، وكفانا شر بليات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر ان يتكلم من شدة الخجل»[١٩٢] فلقد اتهم الرشيد جعفر بانه ذو طريقة سرية مزورة ، وانه يخفي أمرا عن الخلافة كما اتهمه بالكذب علناً لكونه يحمل فكرة سرية باطنة خطرة

وتزيد الليالي من سخريتها بجعفر عندما تنزله منزلة قد لا تليق به وبمقامه كوزير ففي حكاية الرشيد وجعفر والاعرابي الجاف ، يحاول جعفر السخرية بالاعرابي فيكون رد الاعرابي خشنا فيه من التعريض بالوزير ما يجعله سخرية بالفاظ بذيئة ابسطها «ساقع الذقن ...» ، وهي حكاية كما يبدو غرضها الاستهزاء بالشعوبية المستهزئة بالعروبة والاعراب وهي فوق كل ذلك تظهر الرشيد ضاحكاً قادراً على التدخل في أي وقت[١٩٣]

وفي الليالي نجد موقفاً دقيقا تجاه سمعة البرامكة في شخصية بناتهم ونسائهم وهو موقف مضاد لحكاية العباسة اخت الرشيد والتي اسيء الى سمعتها لعلاقتها السرية بجعفر ، رغم وجود الزواج الشرعي بينهما خوفا من الرشيد الذي عرف بالأمر فيما بعد ، وبعد أن ولدت لجعفر طفلاً ارسلته الى مكة فلما ايقن الرشيد بذلك انتقم منه[١٩٤] والحكاية المضادة لحكاية العباسة تعتبر نقداً خلقيا وطعناً لعائلة البرامكة ، ورداً مفحما لما اذيع ضد سمعة النسب الهاشمي وسلطة الرشيد الكبيرة ، وخلاصتها أن السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي أخت الوزير جعفر قد عشقت رجلاً جوهرياً استدرجته الى

---

(١٩٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٠
(١٩٣) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٨٧
(١٩٤) جرجي زيدان : العباسة اخت الرشيد رواية من سلسلة روايات الهلال .

بيتها واطعمته في وصالها ، فلما طمع في وصالها غير الشرعي سمحت له بتقبيله وضمه دون زيادة ثم ردته قائلة «لست مجهولة في البلد انا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخي جعفر وزير الخليفة»[195]. وتستمر الحكاية في سردها للحوادث حيث تتزوجه سرا بشرط عدم مقابلته للسيدة زبيدة زوج هارون الرشيد خوفا من كشف سرها لها ، ولكن الليالي تضطر عشيق السيدة دنيا الى مقابلة ام الأمين السيدة زبيدة التي تخاطبه بما تحس فيه وخزا لعائلة البرامكة «هل انت معشوق السيدة دنيا»[196] فيعترف ثم تحس بذلك السيدة دنيا فتغضب وتهدده «يا خائن» خنت اليمين وحنثت فيه وذهبت الى السيدة زبيدة ، والله لولا خوفي من الفضيحة لهدمت قصرها - قصر الخلافة - على رأسها»[197].

وتوكيدا لاظهار مكانة الرشيد ودقته في معرفة الأسرار رغم التكتم فيها فهي تظهره وقد راح عشيق اخت الوزير جعفر يعترف امامه بما وقع أمام جعفر الوزير وهما متنكران مما يضطر الرشيد أن يطلب الى جعفر احضار اخته فيسألها امام أخيها ـ من اجل التقليل من هيبته «اتعرفين من هذا ؟ قالت يا أمير المؤمنين من أين للنساء معرفة الرجال ؟ فتبسم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد بن علي الجوهري ، وقد عرفنا الحال ، وسمعنا الحكاية من أولها الى آخرها ، وفهمنا ظاهرها وباطنها ، والامر لا يخفي وان كان مستورا»[198]

فالقاص اراد بشكل أو بآخر التشهير بجعفر او عائلة البرامكة التي أرادت سوءا بالحكم العربي بدون أن يتجمل بالآداب الخاصة بمثل هذه المواقف المحرجة التي تتعلق باللباقة واللياقة والمجاملة تجاه العائلات التي تظن نفسها كبيرة

وبعد نكبتهم نجد الرشيد في الليالي وقد امر بقطع دابر البرامكة ومن ينعاهم او يرثيهم «ان جعفر البرمكي لما صلبه هارون الرشيد أمر بصلب كل

---

(١٩٥) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٩٧

(١٩٦) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٩٨

(١٩٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٨

(١٩٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٠ .

من نعاه او رثاه فكف الناس عن ذلك»[١٩٩] والليالي مهدت لنكبتهم بحكايات فلم تكن مفاجأة فهي تروي «ان هارون الرشيد استدعى رجلاً من اعوانه يقال له صالح قبل الوقت الذي تغير فيه على البرامكة»[٢٠٠] ثم انه بدأ يقرب الذين لا يلتقون بالبرامكة في حظهم السياسي كما فعل بتعيين عبدالله بن مالك الخزاعي واليا على أرمينية الذي كان يحبه بحيث «ان يحيى بن خالد وأولاده كانوا يقولون ان عبدالله يسحر أمير المؤمنين»[٢٠١] وعبدالله هذا عربي صميم من خزاعة وقد حاولوا التقرب من عبدالله هذا عسى ان يكسبوا وده ويرجع لهم ود الخليفة ففي حكاية اخرى نجد أن احدهم زور كتابا على لسان والي ارمينية عبدالله موجها الى البرامكة الذين عرفوا تزوير الكتاب ولكنهم افادوا الرجل الذي زور لانه ربما كان وسيلة لتصفية الجو السياسي فان يحيى البرمكي يقول للبرامكة «كلكم تعرفون قرب منزلة عبدالله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة وقد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعله واسطة في الصلح بيننا وبينه ووفقه لذلك ، وقيضه ليخمد نار الحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدة عشرين سنة ، وتتصلح بواسطته شؤوننا»[٢٠٢]

ويبدو ان الليالي رغم ذكرها لكرمهم الشهير الذي صار مضرب الامثال وخاصة في التعبيرات العراقية الشائعة حتى اليوم حيث يقال الكريم «برمكي» ورغم استنزال الرحمات عليهم كما في حكاية البدوي الذي يفد على جعفر سنوياً فيكرمه[٢٠٣]، او ذكرها للمعسرين الذين لا يمكنهم فك رقابهم الا عن طريق البرامكة[٢٠٤] الا أن الليالي ردت ان كرمهم هذا كان لغاية سياسة وليس طبعا في أنفسهم فهي تتبع كل مكرمة ما يشبه اللوم والنقد والتجريح ، فبعد روايتها للمعسر الذي انقذته عائلة البرامكة الغنية تقول على لسانه «ومن

---

(١٩٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٢٩٩ ص ٤٧٢ مجلد ١

(٢٠٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٠٥ مجلد ١ ص ٤٨١

(٢٠١) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٠٦ مجلد ١ ص ٤٨٢/٤٨١

(٢٠٢) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٠٧ ص ٤٨٢ مجلد ١

(٢٠٣) الف ليلة وليلة ليلة ٢٩٩ ص ٤٧٣ مجلد ١ ط . بو أوفست

(٢٠٤) المصدر نفسه ليلة ٣٩٢ ص ٥٧٤ مجلد ١

يقدر على احتمال تكبرهم ، ويصبر على تجبرهم»[٢٠٥] أو أن تخبر ان الذين يسعون اليهم لا يحبون صنائعهم فيه كما روت ذلك عن شخص اسمه منصور كان للخلافة عليه الف الف درهم ، فلما طلبها الرشيد منه مشترطا عليه تسديدها خلال يوم واحد مما اضطره الى ان يلجأ للبرامكة فأنقذوه من موت محقق ولكنه قال بعد جميل صنعهم له

وما حبا سعت قدمي اليهم ولكن خفت من ضرب النبال[٢٠٦]

والخلاصة :ان الرشيد كما تظهره هذه الاخبار شخص واعٍ ، عرف سر اطماع البرامكة فضرب ضربته الكبرى في انقاذ العرش العباسي والعربي من الضياع وان الليالي مهما حاولت اخفاء حقدها على البرامكة كطامعين سياسيين لم تستطع الا ان تقف بجانب الرشيد كرجل دولة وسياسي محنك ، لقن اعداءه درساً لا ينسى ، وبمقدار ما طعن الشرف العباسي ، وجه الطعن ضد عائلة البرامكة في شرفهم

(٩) الرشيد والنسب العربي وهيبة الخلافة

خلال بحثنا عن الرشيد وموقفه من البرامكة المتمثل بشخصية جعفر وجدنا فيه الحرص على الخلافة وتحقيق العدل بين رعيته وقوة رأيه السياسي الشجاع تجاه خصومه ، وضربته في الوقت المناسب ، ومحاربته للظلم ، ومتابعته لولاته ومحاسبتهم الشديدة وهذا كله كما اتضح لنا نابع من صميم اعتزازه بنسبه العربي المرتبط بالقرابة من النبي الكريم (ﷺ) لدرجة أن الخائفين منه والمقربين منه كانوا يحلفون عليه بقرابته من النبي (ﷺ) فقد اظهرت احدى الروايات ان مسروراً سيافه ضحك بحضرة الرشيد فغضب فلما لاحظ السياف القاسي القلب غضبه قال رداً على الرشيد «لا والله ياأمير المؤمنين ، وحق قرابتك من سيد المرسلين ما فعلت هذا باختياري»[٢٠٧].

والاهتمام بعروبة النسب انما هو رد فعل معاكس للشعوبية التي حاولت التقليل من شأنه من أجل ضرب العرب ، وهو في نفس الوقت ملمح سياسي

---

(٢٠٥) المصدر نفسه ليلة ٣٩٢ ص ٥٧٤ مجلد ١
(٢٠٦) المصدر نفسه ليلة ٣٠٥ ص ٤٨١ مجلد ١
(٢٠٧) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست : ليلة ٤٠٠ مجلد ١ ص ٥٨٠ .

خـفي غير أنه مقصـود ، والا فما الدافع للتوكيد عليه وتكراره مرات عديدة وبأشكال متباينة

فربط موضوع النسب والقسم به لدليل على الرد الطبيعي ضـد المستهينين به في موقف الرشيد مع جعفر عندما طلب اليه تخليصه من أرقه فان لم يتمكن فالويل له لأنه أقسم بما يغيظ جعفر «وانا اقسـم بآبائي الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لأضربن عنقك»[208]

أو بقسمه «وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس ...»[209].

ومما يدل على اهتمام الرشيد بالنسب العربي الرفيع موقفه من البنت العربية التي غيرت الفاظ الشعر مع الاحتفاظ بالمعنى في الابيات المغناة المعروفة

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت المنام
كي استريح وتنطفي نار تأجج في العظام

الى قولها

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الهجوع
كي استريح وتنطفي نار تأجج في الضلوع

فعند سؤالها عن مكانته في الحي «من أي هذا الحي أنت ؟ قالت من اوسطه بيتاً واعلاه عموداً ثم قالت وانت من اي رعاة الخيل ؟ فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايدك الله يا أمير المؤمنين»[210]

فقد اعتز الرشيد بنسبه وهو يقصد بأعلاها شجرة واينعها ثمرة بيت النبوة الطاهر

واكمالاً للاهتمام بالنسب العربي الدال على هيبة الخلافة العباسية ما نلاحظه في اهتمام زوج الرشيد السيدة زبيدة بانساب من أراد الزواج باحدى جواريها فهي تستفسر عن نسبه ، وهي تقول للعرايس «ان هذه الجارية عندنا

---

(٢٠٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٨

(٢٠٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦١

(٢١٠) المصدر نفسه ص ٢٠٤ حكاية الرشيد والبنت العربية .

بمنزلة ولد الصلب وهي وديعة الله عندك»[٢١١]

بل ان الرشيد نفسه بدأ يقرب الولاة من العرب الاقحاح عندما عزم على ضرب البرامكة كما في حكايته في تولية عبدالله الخزاعي على أرمينية ، وهو عربي صميم يكرهه البرامكة حتى أشاعوا عنه «ان عبدالله يسحر أمير المؤمنين»[٢١٢]

والخلاصة :ان الاخبار والروايات المنشورة خلال حكايات الليالي عن هذه الشخصية تقترب من الحوادث التاريخية المعتمدة ، وان القاص لغاية مقصودة هي ابراز ملامحه السياسية جعله محور الرحى الذي دارت حوله اغلب حكايات الليالي وان لم يكن له الأثر الفني من حيث بطولتها

ولو فرضنا ان ما قيل عن الرشيد كان بعيدا عن الحقائق فيكفي ان اسمه استغل لشهرته لدرجة لا يمكن ان يفوتنا ان نشير الى أن هناك دعاية خاصة تتصل بالرشيد تقال في الفاظ صريحة في قصص يضاف الى الرشيد ويلصق الصاقاً بقصة أخرى»[٢١٣]

ويكفي ان نختتم هذا الفصل بقصيدة ذكرتها الليالي على لسان احد ابطال حكاياتها ، هي حكاية غانم بن ايوب المسلوب صاحب قوت القلوب وقد دخل على الرشيد منشداً

أفديك من ملك عظيم الشأن متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات نياض الندى حدث عن الطوفان والميزان
لا يلهجون بغيره من قيصر في ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى أعتابه عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له ابصارهم خروا لهيبته على الاذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضى رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافي والفلا فاضرب خيامك في ذرى كيوان
والرى الكواكب بالمواكب محسناً لشريف ذاك العالم الروحاني

---

(٢١١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٩٨
(٢١٢) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٠٦ مجلد ١ ص ٤٨١
(٢١٣) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٢٦٥ .

وملكت شامخة الصياصي عنوة | من حسن تدبير وثبت جنان
ونشرت عدلك في البسيطة كلها | حتى استوى القاصي بها والداني[٢١٤]

ثانياً الأمين

كلما ذكر الأمين في الليالي وجدنا اسمه مقرونا بلهوه وتعلقه بالنساء ففي حكاية الحمال مع البنات نجد الحكاية تقول عنه كلما يسمع بجمال جارية يحاول الحصول عليها مستعيناً بعجوز مسؤولة عن تربيته ، ولكنه لا يقربها سفاحاً وهو يشهد عليه الشهود ويشترط عليها الشروط بالحفاظ على عفتها ، فاذا ما احس بشيء من الشك صمم على قتلها دونما شفقة أو رحمة فاذا ما عفا عن القتل اكتفى بطردها وهجرها وطلاقها بعد ضربها بعنف وبالسياط[٢١٥]

بل انه يجعل عمه ابراهيم بن المهدي والياً على الري لكونه هاداه بجارية كان معجبا بها ، فعرف عمه هذا السر[٢١٦]. بل والأغرب من ذلك انه يلح على ابن عمه في شرب الخمر والشراب ليأخذ منه احدى جواريه بعد أن أعجب بها ، ولكنه لا يبخل على ابن عمه جعفر بن موسى الهادي بالمال ، بل يرسل اليه زورقاً مليئاً بالدراهم والدنانير واصناف الجواهر واليواقيت والثياب الفاخرة لدرجة يخشى الملاحون من غرق الزورق بعد أن ملىء اسكاتا لصاحب الجارية[٢١٧]

وتسميه الليالي «محمد الامين ابن زبيدة»[٢١٨] تعظيماً لنقاوة نسبه لأنه الوحيد من خلفاء بني العباس من أبوين عربيين وهو موصوف بالكرم والهمة الكبيرة وتترحم عليه الليالي[٢١٩]، ولكنها تسكت عن الفتنة التي وقعت بينه وبين اخيه المأمون والتي ادت الى قتله

ان ابرز ملمح سياسي في شخصية الأمين هو في انتقادها له بميله وركونه الى النساء بما تسبب في اظهار ضعف شخصيته كحاكم وخليفة مسلم

---

(٢١٤) الف ليلة وليلة ليلة ٤٣ مجلد ١ ص ١٣٩ ط بو اوفست
(٢١٥) المصدر نفسه ليلة ١٧ مجلد ١ ص ٥٠ ط بو اوفست
(٢١٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٤١٨ ص ٥٩٨ مجلد ١
(٢١٧) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ليلة ٣٩٢ ص ٥٧٤ مجلد ١
(٢١٨) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٩٢ ص ٥٧٤ مجلد ١
(٢١٩) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٣٩٢ ص ٥٧٤ مجلد ١

ثالثاً المأمون

اذا كان الأمين قد ذكرت اخباره قلقة تافهة فان المأمون قد تنوعت اخباره لدرجة ان قصة صراعه مع عمه المهدي التي جاءت بعد مقتل الامين تظهر صارخة لتحمله على محك النقد السياسي

فهناك حكاية اسحق الموصلي وتزوج المأمون بخديجة بنت الحسن بن سهل ، وهي في ظاهرها البسيط مجرد مغامرة او نزوة غرامية يقوم بها الخليفة ونديمه والحقيقة كما تبدو للمدقق ابعد من ذلك ، فالحكاية التي أوضحت أن الموصلي الذي خرج ليلة في شوارع بغداد فرأى زنبيلاً مدلي فقعد فيه ورفع فاذا هو عند عائلة تستضيفه وتسكره ، ويطارح فتاة مثقفة الشعر والاخبار حتى إذا قرب الفجر عاد من حيث أتى ، ويقص الحكاية على المأمون ، فلما وافقه على هواه تنكرا وخرجا ، حتى إذا سكر ، وشرب ثلاثة ارطال من الخمر الذي كانت تقدمه له خديجة بنت الحسن وداخله الفرح[٢٢٠] واظهر شخصيته وسأل عن أهل هذا البيت فيخبر بأنه للحسن بن سهل فيسعد به ويخطب ابنته فيوافق[٢٢١].

فالذي استهدفته الليالي من الملامح السياسية هو توجيه التعنيف واللوم للعائلة الفارسية لأن المأمون في الواقع التاريخي «لم يقطع صلته ببني سهل العائلة الفارسية المجوسية ، بل اتبع سياسة تدريجية حكيمة فاستوزر الحسن بن سهل لمدة قصيرة ، وتزوج بأبنته بوران[٢٢٢] وكانت صغيرة ترضية له»[٢٢٣].

فزواجه زواج سياسي لأن استيزار ابيها جاء بعد ان دس لعمها الفضل بن سهل السم وهو في الطريق بعد ان شعر المأمون بخطره وبظهور

---

(٢٢٠) الف ليلة وليلة ص ١٨٨ ج ٢

(٢٢١) المصدر نفسه ص ١٨٨ ج ٢

(٢٢٢) تعرف خديجة بنت الحسن بن سهل ببوران وهو اسم فارسي ، ويروى عن النبي (ص) انه لما مات كسرى قيل ذلك للنبي (ص) فقال : من استخلفوا ؟ فقالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة «عيون الاخبار المجلد ١ ص ١»

(٢٢٣) د عبدالعزيز الدوري العصر العباسي الأول ص ٢١٤

النزعة الفارسية عليه"[224] ولأنها - أي الحكاية أباحت للقصاص أن يخبر بحرية تامة ان هذه العائلة لا تبالي باستقبال الرجال الغرباء ليلاً

ونلاحظ ملمحاً سياسياً آخر في الحكاية ذاتها ، وهو ان المأمون شعر بخطورة ما عمل مما اضطره لأن يطلب من اسحق الموصلي ان لا يقص هذا الحديث على احد فستره الموصلي الى أن مات المأمون"[225]

كما نلاحظ ايضا ان المأمون لشدة اهتمامه بأمور دولته كان يتنكر ليلاً لأن المعروف عنه أنه «كان يحضر مع الناس الطعام ، ويخرج في الليل يطوف عسكره خوفا على خلافته ، لينظر من يحبها او يبغضها وكان يحب معرفة أخبار الناس ، ويتقصاها ، وعسى أن يفرج كربة من يتشكاها وجعل برسم الاخبار ببغداد الف عجوز وسبعمائة عجوز فما كان يخفي عليه شيء من امور الناس ظاهراً او باطناً وكان لا ينام حتى يقف على جميعها»[226]

أمّا علاقته باسحق الموصلي ، وهل هو نديمه المغني أو غيره فان في كتاب التاج للجاحظ رأياً بها وهو ان هذا الاسم يتردد بثلاثة اشكال فهو اسحق بن ابراهيم تارة ، وتارة اخرى اسحق الموصلي ، وتارة ثالثة اسحق فقط مجرداً من النسبة ، غير ان الجاحظ يذكره باسم اسحق بن ابراهيم ويهدف الى اسحق بن ابراهيم المصيعبي امير بغداد الذي يقول عنه الجاحظ «ما علمت ان احدا ممن كان دون السلطان الاعظم في دهرنا هذا كان اشد على الاسرار بحثاً ، واكثر لها فحصاً وجعله اكثر شغله في ليله ونهاره الا اسحاق ابن ابراهيم»[227].

وتظهر الحكاية شدة ملاحظة المأمون لجلسائه ، فإذا تغيب احد دون معرفة السبب ارسل اليه ، فاذا ما خولف المأمون غضب وارسل رسله وحمل اليه المغضوب عليه ، كما حصل لأسحق مما يجعله في موقف المهدد بالخروج على الطاعة «أخروجاً عن الطاعة ؟»[228]

---

(٢٢٤) المصدر نفسه العصر العباسي الاول ص ٢١٤
(٢٢٥) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٨٨
(٢٢٦) النبراس في مناقب خلفاء بني العباس ، ص ٤٨
(٢٢٧) الجاحظ/كتاب التاج ص ١٧٠
(٢٢٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٨٧ .

اما الحكاية الثانية التي ذكر فيهـا المأمون انما هي حكاية الجـواري المختلفـات الالوان ، حيث يبدو المأمون لاهياً ، غير أنه غير عابث فهـو ما ان سمع بثقافة الجـواري من محـدثة حـتى اعجبه حـديثهن ، فيحضرن امامه ثم يبتاعهن ثم يعيدهن لصاحبهن كرماً من المأمون[٢٢٩].

فاذا كان زواجه من بوران لسبب سياسي ، فان شراءهن واهداءهن انما هو تعبير عن عبوره لازمة نفسية حادة هي أزمة الفتنة التي ذهب فيها اخـوة الخليفة الأمين قتيلاً على يد قائد فارسي .

غير ان اصرح حكاية سياسية عاشـها المأمون هي حكاية عمه ابراهيم ابن المهدي اخـى هارون الرشـيد ، الذي لم يبايع المأمون بالخـلافة عندما آلت اليه بل ذهب الى (الرّي) ، وادعى الخـلافة لنفسـه ، واقام على ذلك سـنة واحـدة واحـد عشر شـهراً واثنى عشر يوماً ، وابن اخيه المأمون يتوقع منه العودة الى الطاعة ، وانتظامه في سلك الجماعة ، حـتى يئس من عوده ، فركب بخيله ورجله ، وذهب الى الري ، فلما بلغ ابراهيم الخبر لم يسـعه الا أنه يذهب الى بغـداد ، واختفى خـوفاً على دمه ، فجعـل المأمون لمن يدل عليه مائة ألف دينار»[٢٣٠].

فخلال الحكاية تصوير الصراع الحاد على كرسي الخلافة التي اوشكت على التمزق بعد الفتنة بين الأمين والمأمون ، وبنفس الوقت تظهر حـيرة وخـوف المنقلب على هيبة الخلافة ثم ان سياسة القوة والتصميم التي اتبعهـا المأمون هي التي مكنته من القاء القبض على عمه ، حتى اذا دخل عمه عليه وحياه بسـلام الخلافة رده المأمون «لا سـلمك الله ولا حياك» فيرد ابراهيم متحـدياً ومسـتعطفا ومقرراً مبدأ سـياسياً : «على رسـلك ياأمير المؤمنين ، انك ولي الأمر ، فتحكم في القصاص او العفو ، ولكن العفو اقرب للتقوى ، وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو ، كما جعل ذنبي فوق كل ذنب ياأمير المؤمنين ، فأن تأخذ فبحقـك ، وان تعف فبفضلك»[٢٣١].

---

(٢٢٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٢٣٠) المصدر نفسه ط . بو اوفست ٢٧٢ مجلد ١ ص ٤٤٨ .

(٢٣١) الف ليلة وليلة ط . بو . اوفست ليلة ٢٧٤ مجلد ١ ص ٤٥٠ .

ويعفو المأمون وعفوه ناتج عن تفكيره العميق فقد ذهب اخوه لخليفة في الفتنة اذن لا يجوز ان تتكرر المأساة ولتنتصر ارادة السياسة العربية الاسلامية «لا بأس ياعم واقول اقتداء بسيد. يوسف لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين» ولكي يؤكد سياسة العفو والمسامحة امر المأمون بأن تضرب المرأة التي دلت على عمه مائة سوط وان يحقر الرجل الجندي الذي اعان على القاء القبض بأن يعمل في دكان حجام[٢٣٣]

اما في حكايته مع ابي حسان الزيادي أحد اتباع ابي يوسف القاضي فهي تنم عن اتباع المأمون لسياسة دينية زاهدة نوعا ما فلقد رأى في الحلم أن النبي (ص) يأمره بتعيين هذا الشخص قاضياً في المدينة المنورة وقد فعل

ولا يقف الأمر عند قوة وبأس وتدين المأمون بل تظهر سياسته المالية في الموازنة في المصروفات والمدخولات فهو عندما أراد هدم اهرام مصر بحثاً عما فيها فشل الا في فتح طاقة وجد فيها من الأموال ما يزيد على الأنفاق عند البدء في الهدم فهو بحاثة عما وراء المدفون لأن المأمون كما وصفته الليالي «لم يكن في خلفاء بني العباس خليفة اعلم منه في جميع العلوم وكان له في كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء»[٢٣٦]

بل أن روحه العلمي لا يفرق بين عالم وآخر ما دام العالم عالماً حتى ولو كان رث الهيئة وليقرب اليه لأن للعلم حرمة فوق المظهر كما فعل مع رجل اصاب في حكمه عند المناظرة

رابعاً المتوكل

وصف المتوكل بأنه «ظل الله الممدود بينه وبين خلقه»[٢٣٨] وله مكانة حتى في حادث موته حيث «كان قتل المتوكل اول حادث اعتداء على الخلفاء

---

(٢٣٢) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٢٧٥ مجلد ١ ص ٤٥١/٤٥٠

(٢٣٣) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٢٧٥ مجلد ١ ص ٤٥١

(٢٣٤) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٣٤٩ ٣٥٠/ص ٥٢٨ مجلد ١

(٢٣٥) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٩٨ ص ٥٧٨ مجلد ١

(٢٣٦) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٠٧ ص ٤٨٣ مجلد ١

(٢٣٧) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٣٠٨ ص ٤٨٤/٤٨٣ .

العباسيين ، فكل من كان قبله مات حتف انفه الا الأمين فقد قتل بعد هزيمته في الحرب ، ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده ، ولأن قتله كان حياة للأتراك وسلطاناً لهم ، وإنذاراً للبيت المالك(٢٣٩).

والمتوكل شخصية متميزة في تصورها السياسي حيث كان متعصبا للدين الاسلامي وللعروبة ، فقد نقل عنه أنه «أمر أهل الذمة من اليهود والنصارى بلبس العسلى والزنانير ، وركوب السروج بركب من الخشب وبتغيير القلانس دون عمائم ، وتغيير زيّ النساء في ازرهن العسلية ليعرفن وان دخلن الحمام كان معهن جلاجل .... ونهى ان يستعان بهم في الدواوين ، واعمال السلطان التي تجري احكامهم فيها على المسلمين .... وكتب الى الآفاق بذلك»(٢٤٠).

تلك صور تاريخية عنه ، وأحكام صدرت حوله بعد حادث قتله . إذن : فالليالي التي ساقت خبر قتله في حكاية ابي الحسن الخرساني مع شجرة الدر انما أرادت ان تعلن رأيا سياسياً هو أن تحولاً قد طرأ على وضع الخلافة العباسية ، وهو بداية انتقال السلطة من العرب والفرس الى الاتراك بيد عربية هي يد ابنه المنتصر(٢٤١) لأن المتوكل العربي الصميم لابد أن تطيح به الشعوبية الحاقدة ، فقد كان شديدا في حماية دار المملكة ومن دخول الغرباء فيها(٢٤٢).

فالليالي في عرضها لمقتله انما تهاجم فكرة الاغتيال السياسي وقد جاء فيها نص الخبر التاريخي عن قتله باطار قصصي حيث جعلته مرويا على لسان جارية من جواري المتوكل ، زوجها لأبي الحسن الخراساني وقد كانت مغنية في القصر وقد عادت ممزقة الثياب باكية العين فسألها زوجها عن ذلك فقالت : «ان المتوكل قد انقضى حكمه ، وانمحى رسمه .... انه كان جالساً وراء الستارة يشرب ، وعنده الفتح بن خافان ، وصدقة بن صدقة فهجم عليه ولده المنتصر

---

(٢٣٨) د . ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ص ٢٤٥ .
(٢٣٩) احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١١ .
(٢٤٠) النبراس ، ص ٨٠ .
(٢٤١) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٣٧ .
(٢٤٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٣٧ .

هو وجماعته من الاتراك فقتله»[٢٤٣] وقد وصف المتوكل بانه اصل الكرم والنعم ومعدن الكرم[٢٤٤]

وقد أفادت الليالي من خبر قتله حيث ضمت اليها قصة عجيب وغريب وسهيم الليل حيث أنها في أحداثها البدوية مبنية على قتل الأبن لأبيه الملك فأصبح ملكاً بالقوة . فعند نهاية موضوع القتل يخاطب القاتل الناس «ياقوم لقد رأيتم ما حصل للمكم فمن أطاعني أكرمته ، ومن خالفني فعلت به مثله فقالوا أنت ملكنا وابن ملكنا»[٢٤٥]. فسياسة الأمر الواقع ومبدأ القوة مقرر في الليالي ، وفيه تحذير وتنبيه وهذا ما حصل بعد أن قتل المتوكل وأصبح ابنه الذي قتله خليفة هو المنتصر

خامساً المنتصر

جاء خبر المنتصر خلال حكاية مقتل أبيه من قبله والأتراك معه فهي وان لم تصرح بكونه خائنا للقيم العربية والاسلامية ولكنها جعلت من يسمع أو يقرأ الخبر يحكم بذلك عليه[٢٤٦]، وعلى الرغم من سوء ما وقع فيه المنتصر الا انها تصفه في حكاية «مزين بغداد» «يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين»[٢٤٧].

وكذلك وصفته بمراقبته للظالمين وبمتابعته تنفيذ الأحكام بأنه كان يأمر متولي بغداد ان يأتيه بهم ثم يأمر بضرب رقابهم»[٢٤٨]

غير ان واقع الأحداث لم يرحمه ابدا فقد دس له الاتراك السم بعد أكثر من ستة أشهر من حكمه «وبذلك سقط حكم اللعب والخاضع للأجنبي»[٢٤٩]

ان الملامح السياسية التي نستشفها بما ذكر عنه انه بعد شعوره بالذنب والتقصير والعقوق حاول التقرب الى الناس والعلماء كسباً لودهم ، وكذلك في

---

(٢٤٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٣٧

× قتل المتوكل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ زهر الآداب ج ١ ص ١٩٤

(٢٤٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٣٧

(٢٤٥) المصدر نفسه ط بو أوفست ليلة ٦٢٤/٦٢٣ مجلد ٢ ص ١٠٦

(٢٤٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٣٧ ط محمد علي صبيح

(٢٤٧) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٠٩

(٢٤٨) المصدر نفسه ج ١ ص ١٠٩

(٢٤٩) د فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عهد الفوضى ص ٣٩ . نقلا عن المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ١٣٤ .

متابعته ومراقبته للظالمين تبريراً لذنبه الكبير الذي لا يغفر أبدا .

سادساً : المعتضد :

هو احمد بن الموفق بن طلحة بن المتوكل بويع سنة ٢٧٩ هـ [٢٥٠]، وقد وصف في الكتب السياسية والتاريخية انه كان «شهماً عاقلاً فاضلاً حمدت سيرته ، ولي والدنيا خراب ، والثغور مهملة ، فقام قياما مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الأموال ، وضبطت الثغور ، وكان قوي السياسة شديدا على أهل الفساد ، حاسماً لأطماع عساكره عن أذى الرعية ، محسناً الى بني عمه من آل ابي طالب»[٢٥١] .

وهو كما يبدو «شديد حازم ، هابه القادة قبل الناس ، ذلك لأنه كان اذا غضب على واحد منهم ، أمر بالقائه في حفرة وردم عليه ، وكان يسمى السفاح الثاني»[٢٥٢] .

ولهذا السبب ولغيره كما يظهر ذكرته الليالي اذ هو آخر خليفة عباسي موصوف بالهيبة والقوة والافتخار فروت الليالي عنه «ان المعتضد بالله كان عالي الهمة ، شريف النفس ، وكان له ببغداد ستمائة وزير ما كان يخفى عليه من أمور الناس شيء»[٢٥٣] .

ان علو همته التي ذكرتها الليالي صفة محببة له ، رددتها كتب التاريخ فقد وصفه بذلك كتاب نفح الطيب .

حيث جاء فيه «والمعتضد العباسي مشهور في همته حتى ان عباد بن محمد بن عباد تلقب بالمعتضد ، وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتضد فسخر بهما ابن رشيق القيرواني .

مما يزهدني في ارض اندلس ... تلقيب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد»[٢٥٤]

---

(٢٥٠) ابن الطقطقي : الفخري في الأداب السلطانية ص ١٨٩ .

(٢٥١) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ص ١٨٩ .

(٢٥٢) د . فاروق عمر : الخلافة في عهد الفوضى العسكرية ص ٥٢ نقلا عن المسعودي في مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٣ .

(٢٥٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٢٩ .

(٢٥٤) ابن الخطيب/نفح الطيب ج ١٠ ص ١٩٩ .

بل ان الشعراء البارزين أمثال ابن الرومي وابن المعتز قالا في مدحه

ابن الرومي

هنيئاً بني العباس ان امامكم ... امام الهدى والناس والجود أحمد
كما بأبي العباس أنشيء ملككم ... كذا بأبي العباس ايضاً يجدد

وقال ابن المعتز

اما ترى ملك بني هاشم ... عاد عزيزاً بعدما ذللا
ياطالباً للملك كن مثله ... تستوجب الملك والا فلا

ففي عهده انتعشت الخلافة حتى اصبحت مهيبة تخشاها الدول[٢٥٥].

ومن الملامح السياسية التي يمكن استنتاجها من اخبار الليالي في عرضها تنكره واطلاعه سرا على رعاياه كما كان يفعل قبله الرشيد والمأمون ولم يكن يخرج لوحده بل مع زميل له ليتحسس عن قرب احوال الرعية فالليالي تصفه وصاحبه في سبب تنكرهما انهما يفعلان ذلك «يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من اخبار الناس فيحمى عليهما الحر والهجير»[٢٥٦].

ولم يكن تنكره مقصورا على الليل ، بل والنهار كذلك ، حتى ولو كانت الدنيا هجيراً ، وعندما شاءت ظروف القصة ان يدخل احد البيوت ويجد رب هذا البيت كريماً معه لدرجة مفرطة دون معرفته لشخصية المعتضد ولكنه ينكر عليه تزيبه بزي جده المتوكل واغلب ادوات واثاث البيت خاص بقصر الخلافة ، وهنا تظهر دبلوماسية وعدالة وغضب وحلم المعتضد الباحث عن السر فيقول له بعد أن كشف عن شخصيته «اما ما صنعته معنا من الاكرام فلا مزيد عليه ، واما ما انكرته عليك هنا فان صدقتني حديثه واستقر ذلك بعقلي نجوت مني ، وان لم تعرفني حقيقته اخذتك بحجة واضحة ، وعذبتك عذاباً لم أعذب احداً مثله فانا من حين دخلت الدار ، وانا انظر الى

---

(٢٥٥) د حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسي ص ٢٤٧ ، وكتاب النظم الاسلامية د حسن ابراهيم وعلي ابراهيم ص ٧١/٧٠

(٢٥٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٢٩

حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك ولماذا عليها اسم جدي المتوكل[٢٥٧]

فيرد عليه الرجل بعد أن ارتعد خوفاً ، واقسم عليه بآبائه الطاهرين ان يعفو عنه ثم يقول «ياأمير المؤمنين أيدك الله الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لأحد أن يتكلم بغير الصدق في حضرتك»[٢٥٨].

ثم شرح له القصة حيث تزوج احدى جواري المتوكل التي اكرمها جده بكل ما شك فيه المعتضد ، ولما صدقه امر له برفع الخراج عن املاكه عشرين سنة واتخذه نديماً[٢٥٩]

---

(٢٥٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٣٠
(٢٥٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٣٠
(٢٥٩) ايرجع الى حكاية ابي الحسن الخراساني ج ٤ ص ٢٢٩ الى ٢٣٧ في الف ليلة وليلة ، وكذلك ما كتب عن المتوكل في نفس هذا الفصل ص ١٢٤

الفصل الثاني

الوزير والوالي والحاجب

١ - الوزير

٢ - الوالي

٣ - الحاجب

الوزير

- ١ -

تأتي منزلة الوزير في الليالي بعد منزلة الحاكم باعتباره صاحب الكرسي الثاني بعد الملك[١] أو كما عرفته كتب الآداب السلطانية في أبواب السياسة «مدير الأمور عن الملك»[٢]

والوزير هو من يحمل عن الحاكم «من الأمور مثل الأوزار وهي الأحمال قال تعالى «ولكنا حملنّا أوزاراً من زينة القوم»[٣] أي أحمالاً من حليهم»[٤]

وقد وردت لفظة الوزير في القرآن الكريم بمعنى من شد الأزر «وأجعل لي وزيراً من أهلي هٰرون اخي اشدد به ازري»[٥]

والوزارة مؤسسة سياسية وادارية تسهم في توجيه النظام في الدول عموماً[٦]، كما أن هذه المؤسسة بالنسبة للدولة الاسلامية نشأت بسيطة وتدرجت في النمو الى أن وضعت نظريتها في عصر متأخر

وقد تتغير قاعدتها من بلد اسلامي لآخر ففي المشرق العربي يقول المسعودي موضحاً نظريتها وقاعدتها «فلم تكن الخلفاء والملوك تستوزر الا الكامل من كتابها والأمين العفيف من خاصتها والناصح الصدوق من رجالها ومن تأمنه على اسرارها ، وأموالها ، وتثق بحزمه ، وفضل رأيه وصحة تدبيره في امورها»[٨] وهو «قوام المملكة»[٩]

---

(١) ألف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٥
(٢) عيون الاخبار ج ١ ص ٥٠
(٣) القرآن الكريم سورة طه ٢٠ آية ٨٧
(٤) عيون الاخبار ج ١ ص ٥٠
(٥) القرآن الكريم سورة طه ٢٠ آية ٣٩
(٦) حمدان عبدالمجيد الكبيسي عصر الخليفة المقتدر بالله ص ١٥٠
(٧) المصدر نفسه ص ١٥٠
(٨) التنبيه والاشراف ص ٣٤٠
(٩) الخيربتي محمود الشيخ اسماعيل بن ابراهيم بن ميكائيل «الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والامراء الباب الخامس مخطوط .

أما في المغرب والأندلس فقاعدتها انها «كانت مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للأعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم ، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك بل عالماً بأمور الملك خاصة»[10]

وهذا المنصب الخطير جعل كتب الآداب السلطانية تربط سعادة الملك وسعادة الوزير برابطة واحدة وان كانت المكانة الفارقة واضحة بينهما ، فابن قتيبة يقول «ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك اذا سعدت الملوك ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك اذا هلكت الملوك»[11]

والوزارة على ضربين تفويض حيث يدبر الأمور على اجتهاده ورأيه دون الرجوع الى الحاكم بعد أن فوضه ذلك[12] أو وزارة تنفيذ وتعني أن يكون الوزير وسيطاً بين الحاكم والرعية والولاة ، يؤدي عن الأمام رأيه دون زيادة او تحريف[13]

وشخص الوزير خير نافع للحاكم ، ولا ينفع الا بالموادة والنصيحة مع وجوب وجود الرأي والعفاف[14] والتدين والشفقة بالرعية مع العلم والعدل[15].

وتظهر أهمية الوزير في السلطة عندما يحتجب الحاكم لسبب أو لآخر فعليه في مثل هذه الحالة أن ينزل نفسه أي الوزير منزلة تكون وسائل الناس انفسهم ، واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمات حتى يختص الفاضل دون المفضول ويرتب الناس على اقدارهم واوزانهم ، ومعرفتهم[16] فاذا لم يفعل ذلك «امتزج التدبير واختلفت الأمور ولم يميز بين الصدور

(10) نفح الطيب ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢
(11) عيون الاخبار ج ١ ص ٤٧
(12) الاحكام السلطانية ص ١٨
(13) الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ٢١
(14) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ١ ص ١٨
(15) الشهري ، محمود الشيخ اسماعيل بن ميكائيل الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والامراء سنة ٩٠٣هـ مخطوطة مسجلة في الآثار العراقية تحت رقم ٢٦٧٤ من مجموعة ناجي محفوظ : الباب الخامس
(16) الحصري ، زهر الآداب ج ٢ ص ١٩٤

والاعجاز والنواصي والأذناب ، وكان الناس فوضى ، ووهت أسباب الملك وانتفضت وشاعت سرائره»[١٧]

ولهذا فان الليالي أعطته مجالاً واسعاً خلال حكاياتها وأبرزت مكانه وحقوقه وواجباته تجاه الراعي والرعية ووجهت له من النقد السيء الكثير كما وجهت له الطعون والتجريح لأسباب ارادتها وسنعرفها تباعا

وأول ما نبدأ به استخلاص الصفات المثالية التي ارادتها الليالي في هذه الشخصية السياسية المهمة إذ هو «صاحب الكرسي الثاني بعد الملك»[١٨] بل هو الصاحب له[١٩] وأهمها ما يلي

(١) ان يتزين عند الملك بـ «أداء الأمانة التي فوض اليه أمرها من النصيحة ، وسداد الرأي ، وتنفيذه لأوامره»[٢٠] وهذه الصفات هي نفس الصفات التي أوردها صاحب نهاية الارب في نفس المعنى «خير الوزراء أصلحهم للرعية واصدقهم نية في النصيحة وأشدهم ذبا عن المملكة واسدهم بصيرة في الطاعة»[٢١]

(٢) «ان يبين للملك ان كان ظالما طريق العدل والانصاف ويحذره من الجور والاعتساف ، ويعرفه حسن السيرة في الرعية ويرغبه فيما في ذلك من الثواب ويحذره عما يلزمه من العقاب»[٢٢]

(٣) أن يكون حق الملك عليه في «النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم الأمر وأن لا يخفي عنه شيئا مما هو حقيق بالاطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه ، وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه»[٢٣]

وفي هذا نقل الابشهي «واعلم انه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وأن استقلها»[٢٤]

---

(١٧) زهرة الآداب ج ٢ ص ١٩٤
(١٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٥
(١٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٢٣ مجلد ١ ص ٦٨
(٢٠) المصدر نفسه ٤ ص ١٥٤ حكاية الملك ورد خان بن جليعاد
(٢١) نهاية الأرب ج ٦ ص ٩٢
(٢٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٤
(٢٣) المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٣
(٢٤) المستطرف من كل فن مستظرف ج ١ ص ٩٢ .

(٤) ان يكون الوزير تجاه حاكمه وسلطانه «سمعه وكلامه فوق ما يؤمله الملك»[٢٥] وهذا النص يفكرنا بنص الأبشهي ايضا عند تصويره لمكانة وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس ، وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها ، وجودة صقلها ، ونقائها من الصدأ كذلك السلطان لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه ...»[٢٦]

(٥) أن يكون طلبه «للحاجة منه أي من الحاكم على قدر منزلته وليتجنب اعتقاده بحلم الملك ، وألا يتجاسر على الملك لفضل رأيه»[٢٧]

وفي ذات المعنى حذر الصابي شخص الوزير «واياك أن يدعوك انسك بالسلطان وانبساطك معه الى التقصير أو الأدلال عليه ، وخذه في المعاملة باستشعار الهيبة واستعمال المراقبة ، وزده من الأعظام والكرامة مع تأكد الحرمة وتمادي المصاحبة»[٢٨]

ولم تنس الليالي حقوق الوزير على الحاكم الذي اختاره او فوضه[٢٩] وهذا الحق لا يشابهه حق آخر إذ «ليس على الملك حق لأحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الأولى للذي يصيبه معه عند خطأ الرأي ، والانتفاع للملك والرعية عند سداد الرأي والثانية لعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليه الرعية بعين الأجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة أن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه»[٣٠]

وقد فضلت الليالي في اختيار الوزير أن يكون «من جملة العلماء والحكماء»[٣١] وان يكون شيخاً كبيراً مجرباً[٣٢]، غير أن هذا لا يمنع أن يكون الوزير شابا شريطة أن يتمتع بصفات كالتي انطبقت على شخصية ابن شماس

---

(٢٥) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٥٣
(٢٦) المستطرف من كل فن مستظرف ج ١ ص ٩٢
(٢٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٥٣
(٢٨) ابو الحسن هلال الصابي رسوم دارالخلافة ص ٦٥
(٢٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٥٣
(٣٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٥٤
(٣١) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٨١
(٣٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٥ .

الوزير في حكاية الملك ورد خان حيث كان عمره اثنتين وعشرين سنة اذ كان «حسن الخلق لطيفا في كلامه لينا في جوابه حاذقا في جميع اموره ، حكيما مدبرا رئيسا مع صغر سنه عارفا بكل حكمة وأدب ، يحبه الملك محبة عظيمة ويميل اليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما اعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح»[٣٣] غير أن هذا الوزير الشاب المنتخب لتلك الصفات فضل اختيار بقية وزرائه ممن يكون «أكبرهم سناً واكملهم عقلاً وأكثرهم دراية ، وأشرعهم حفظاً»[٣٤] وأكدت حكاية اخرى على ذلك حيث نصت في وصفها لوزير حاكم مصر «له وزير عاقل خبير له علم بالأمور والتدبير وكان شيخاً كبيراً»[٣٥]

ان توكيد الليالي على تلك الصفات انما جاء لكونه في «منصب مختلف الأطراف يدبر غيره من الرعية ، ويتدبر بغيره من الملوك فهو سائس ومسوس يقوم بسياسة رعيته ، وينقاد لطاعة سلطانه فيجمع بين سطوة مطاع وانقياد مطيع»[٣٦]

وبعبارة اخرى انها بذكر أهمية هذا المنصب كما وصفته سابقا «صاحب الكرسي الثاني بعد الملك»[٣٧] انما عبرت عن واقع سياسي خطير لهذا المنصب لأن الوزارة مرآة الملك والملك أو كما وصفه الماوردي «أن يكون الوزير ناهضاً باعباء وزارته وفي مصالح المملكة راكضا وأن يكون على الكد والتعب قادرا

وأخطر من هذا الرأي ما جاء في نفح الطيب عن هذا المنصب الرئيسي حيث يصير الوزير «الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين واكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور الملك خاصة»[٣٩]

---

(٣٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٣٤
(٣٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨١
(٣٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٤
(٣٦) نهاية الارب ج ٦ ص ٦٣ نقلا عن الماوردي
(٣٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٥
(٣٨) النويري «نهاية الارب ص ١٢٩/١٣٠ ج ٦ نقلا عن الماوردي»
(٣٩) النعماني المغربي نفح الطيب ج ١ ص ٢٠١ ٢٠٢ .

ولم تقصر الليالي هذا المنصب على الرجال فحسب بل جعلت النساء وزيرات كما في «حكاية عبدالله البحري وعبد الله البري» حيث نجد ان الملكة ترسل الى زوج عبدالله البري الذي اصبح وزيرا فتتخذها وزيرة لها[٤٠]

فالمنصب هنا تبعاً لمكانة الزوج غير أننا نجد في حكاية «مملكة النساء» أن الوزيرات عجائز شمط الشعور وهن محتشمات وعليهن هيبة ووقار

٢

واذا كنا قد ذكرنا سابقا أن الوزارة نوعان تفويض وتنفيذ[٤٢] فالوزارة في الليالي تجمع بين النوعين في اختيار شخص الوزير فعندما نقرأ نص صفة الملك ورد خان بن جليعاد لاختيار شخصية رئيس الوزراء تقريبا وبعد أن أختار رئيس الوزراء بقية وزرائه «أنتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس لا تخرجوا عنه أبدا ولو كان أصغركم سنا لأنه أكبركم عقلاً ثم طلب اليهم أن ينتخبوا من أكابر الدولة من يصلح لخدمة المملكة ليجعل منهم رؤساء الفرق ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات فالأمر يعني الجمع بين صفتي الوزارتين

أما الأبهة والرواتب والخلع فقد اغدقت الليالي في ذكرها فبعد تكليف الوزراء تجري عليهم الأرزاق على عادة الكبراء[٤٤]، ويؤمر لهم بالخلع ويزاد لهم في الجرايات لدرجة توشك أن يكون الوزير فيها مستغلاً لوظيفته في التجارة والزراعة وتسير له المراكب في المتاجرة ويعمر الأملاك

---

(٤٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٩٨

(٤١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٤

(٤٢) «وزارة التنفيذ» وهي تقليد الوزير في حقوق الملك خاصة دون الرعية ولا يحتاج الوزير فيها الى عقد ، وهو بذلك غير مؤاخذ بدرك ما أمضاه ويتميز وزير التنفيذ بالأبهة والمنة والعفة والمرءة وجزالة الرأي «نهاية الأرب ج ٦ ص ١٢٨/١٢٩» اما وزارة التفويض فهي الاستيلاء على التدبير بالعقد والحل والتقليد والعزل نهاية الارب ج ٦ ص ٩٨

(٤٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٨١

(٤٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨١

(٤٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨١ .

غير أن مظهر الحكم في الليالي المتمثل بالملكي الاوتقراطي المطلق يجعل الوزير تابعا لهوى الملك بل تكاد تكون قيمته لا تذكر جنب قيمة الملك وسيادته المطلقة حتى لتعود تلك الصفات المثالية التي اشترطتها الليالي في شخص الوزير أشبه بالصور الباهتة في المواقف العملية فنحس بالتناقض بين ما هو مطلوب ومكتوب وبين ما هو واقع فعلاً فالطاعة وان كانت واجبة للملك باعتباره المسؤول الأول فانها طاعة تذيب شخص الوزير بل تجعله وكأنه لا وجود له فالملك (جليعاد) وهو على فراش الموت يوصي وزراءه بطاعة ابنه ولي العهد «اياكم ومخالفة أمر ملككم وترك الاستماع لكثيركم فأن في ذلك هلاكا لأرضكم وتفريقا لجمعكم وضررا لأبدانكم وتلف لأموالكم»[46]

فكأنما أرادت الليالي أخبار الناس أن هؤلاء الوزراء سيستغلون مناصبهم كما رأينا ، وأنهم لا يستحقون لفظة الوزير فكيف بمكانة الوزير وكأنها حاولت توجيه اللوم للملوك

وقد بدأت بجعفر البرمكي وزير الرشيد الذي أشبعته نقداً وتمزيقاً وطعناً[47]، كما انها أخذت تصب لعناتها على وزراء السوء الذين لا يصفون النية ، ولا يحسنون الطوية مع ملوكهم فهم متغطرسون لكونهم يجمعون في منصبهم هذا تناقضا مطاعين طائعين مما جعل الليالي تحذر الملوك من جعل هذا المنصب وراثيا فهي وان لم تعلن ذلك صراحة غير انه في دعوتها لاتخاذ الوزراء من الطبقات الفقيرة ما يؤكد هذا الاتجاه كما في حكاية اختيار الصياد والخباز وزيري ميمنة وميسرة لملك حكاية عبدالله البري والبحري فالوراثة ان صحت حسب رأي الليالي في الملوك فهي لا تصح في الوزراء لأن الوزير حسب رأي الأحكام السلطانية للماوردي ينعزل بموت الخليفة أو السلطان[50]

---

(٤٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦١
(٤٧) ارجع الى موقف الرشيد من البرامكة في الفصل الأول ص ٥٦
(٤٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٤٤ حكاية تتضمن مكر النساء .
(٤٩) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٠٣
(٥٠) الاحكام السلطانية ص ٢١ .

وابرز النقاط التي أخذتها الليالي على الوزراء هي

١ الوزير والانقلاب العسكري

فنظر لقرب مكانة الوزير من السلطة العليا يخشى منه أن يدبر انقلاباً عسكريا ضد الحاكم ففي حكاية «الحمال والبنات» وعلى لسان الصعلوك الأول وهو ابن ملك أنقلب وزيره على ابيه يحدث الرشيد قائلاً «فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمح الأبطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل له ان وزير اخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة» فالتحذير واضح حيث اصبح ابن الملك المنقلب عليه من قبل وزيره صعلوكا وأن الوزير ربما تقرب الى سلطة العسكرية فكأن الليالي تقول للملك أبعد وزيرك عن قوتك العسكريه وخذ حذرك منه

٢ الوزير والطمع في الملك دون الانقلاب العسكري

ربما لا يتمكن الوزير من السيطرة على الجند ولكنه لا يعدم وسيلة أخرى للأنقضاض على الحكم وذلك بأن يقتله بالسم أو بأي وسيلة اخرى كما في حكاية حاسب كريم الدين «حيث نرى أن الوزير عالم كاهن ساحر يقوم بمعالجة الملك المريض ظاهريا ولكنه ينوي قتله سرا»[٥٢]

أو بالاستيلاء على قوة سحرية خارقة كما في (حكاية معروف الاسكافي) حيث تمكن الوزير من الاستيلاء على خاتم مسحور كان خاصا بمعروف الاسكافي فلما طالبه الملك به نجد أن الوزير غير المؤتمن وقد «التف بالغضب وبصق في وجه الملك وقال له يا قليل العقل كيف اعطيه لك وأبقى خادمك بعد أن صرب سيدك

---

(٥١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٤٢

(٥٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٧٧ ٧٨

(٥٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١١ .

وربما حاول الوزير التدخل في ولاية العهد بمحاولة ابعاده ولي العهد او جعله غير صالح لها شرعا كأن يستبدل جنسه من ذكر لأنثى كما في حكاية ارشاد ولي عهد لمملكة الى عين ماء فلما شرب منه تحول الى امرأة ولا يجوز استخلاف الأنثى شرعا[٥٤]

(٣) الوزير والوشاية والحسد

ولقد سلطت الليالي نار التجريح على وزراء السوء الذين يشاركون فيها غيرهم فيعملون جاهدين على تحطيمهم من أجل الانفراد بالسلطة فنحن نجد صراعا خفيا بين وزيرين أحدهما بسيط سمح الخلق وأخر خسيس رديء فالوزير البسيط في موقف ما نجده يلطم وجهه وينتف لحيته فلما سألته زوجته رد عليها «خوفي من أن تروح روحي فقالت له ما سبب ذلك ؟ قال لها أتعلمين أن وراءنا العدو الذي يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع هذا الأمر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذي تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى جارية ما رأى احد مثلها فلما اعجبته قال لأبنه خذها انت أحق بها من السلطان»[٥٥]

وعلى هذا الاساس من التحذير والتشكيك في الوزراء بنت أحكامها على اخلاقياتهم ومكانتهم على أنهم غشاشون للملك فالجارية في حكاية وردخان ابن جليعاد تخاطب الملك «اني أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشا فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك

والوزير منفذ لسياسة الحاكم ولا يستطيع تخطي واجبه بل عليه الطاعة المطلقة حتى على حساب كرامته الشخصية في احايين كثيرة كما في أول حكاية من حكايات الليالي في قصة شهريار الملك المنتقم من كل امرأة وزواجه من شهرزاد حيث ان أباها الوزير يقدمها له على اساس اشباع رغبة الملك الجنسية على ان تقتل صباح اليوم التالي

---

(٥٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٣٨
(٥٥) المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٨
(٥٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٣
(٥٧) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢ .

أو في «حكاية الورد في الاكمام» حيث يقدم الوزير ابنته لمنادمة الملك تساقيه ويساقيها بعلم ابيها[٥٨]

وطعن أخلاقيات الوزراء يشتد ظهورا في عرض الحكايات فليس بعيدا عن الاذهان هرب ابنة الوزير مع عشيقها حتى اذا القي عليها القبض اعترفت امام حاكم المدينة بقصتها ، ووجدها وعشقها[٥٩]، وكذلك «حكاية دنيا بنت يحيى البرمكي «وعشقها وعلاقتها بالجوهري[٦٠] «وحكاية بوران بنت الحسن ابن سهل» ودخول اسحق الموصلي والمأمون بيتها سرا ، ومنادمتها كل ليلة دون علم ابيها[٦١]

وكلا البيتين مشهوران بأنها بيتا وزارة بل أن من الصفات القبيحة اتهام اخوته وان كانوا ذكورا لا يبالون أن عشقهم الرجال وهاموا في غرامهم كما فعل أخو صاحب اليمن الوزير بدر الدين حين عشقه استاذه فلما رآهم الوزير سكت ولم ينم عليه بل اعتبر ذلك لطافة بل أنه ليقول لهما «لا اثم عليكما»[٦٢]

وقد يكون الوزير سفير الملك[٦٣] واذا ما سافر في مهمة كان من الضروري أن يعمل على انجاحها والا عزله الملك وذلك دون مراعاة لظروف سفارته وموقف البلد الموفد اليه وكأن وزر الفشل يجب أن يقع عليه هو وحده

ويكاد يكون موقف الوزراء عموماً ضعيفاً ويظهر ذلك من خلال وصفهم بنعوت وصفات وأوضاع تضحك عليهم غير الواعي في حكاية «الملك قمر الزمان» عندما دخل عليه وزيره ليخبره بمرض ابنه فاننا نجد الملك يرد عليه غاضبا «ابشر ايها الوزير أن اعطيك نظير بشارتك اياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا نحس الوزراء وأخبث

---

(٥٨) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٧١ مجلد ١ ص ٥٤٦
(٥٩) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٧٨ مجلد ١ ص ٥٥٦
(٦٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ج ٢ ص ١٩٦ ط محمد علي صبيح
(٦١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٥
(٦٢) المصدر نفسه ٣٨٤ مجلد ١ ص ٥٦٦
(٦٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣٠٥
(٦٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧٩ .

الامراء ... والله ان كان يأتي على ولدي شيء من الضرر أو الجنون ، لأسمرنك على القبة ، وأذيقّنك النكبة ... يا كلب الوزراء»[٦٥].

في النص ما يدل على وقوع المصيبة على الوزير لذنب لا يد له فيه وهذا موافق . لما طالب به الصابي الوزير في رسوم دار الخلافة «ان يتجنب ما يعلم ان السلطان يكرهه ....»[٦٦].

كما أن الليالي جعلت من الوزراء سخرية في نفس الحكاية حيث نجد ولي العهد عند دخول وزير أبيه عليه يحاوره ويفهمه خطل رأيه ، ويتقدم من الوزير «ويقبض لحيته في يده ، وكانت لحيته طويلة فأخذها ، ولفها في يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير ، وألقاه على الأرض ، فأحس الوزير أن روحه طلعت من شدة نتف لحيته ، ولا زال قمر الزمان يرفص الوزير برجليه ويصفعه»[٦٧]، بل أن من الحكايات ما تجعل الوزير في موقف مشين لدرجة تجعله قوادا للملك حيث يأمر ابن مالك وزير أبيه تسهيل مواصلة زوج تاجر غيور بأن يصنع له صندوقا يخفيه فيه ، ثم يودع الصندوق بيت التاجر ليتمكن من مغازلة ومعاشرة الزوج الخائنة[٦٨].

ومن الصور الساخرة من الوزراء الذين انشغلوا بالجري وراء شهواتهم ما دبرته المرأة التي تشفعت به لأجل انقاذ عشيقها ، فوافق بشرط ان تضاجعه فوافقت ولكن الحكاية تنهي موقفها بأن تجعله أقرب الى المهرج منه الى الوزير ، وهو داخل بيت المرأة اللعوب حيث خلع ملابسه وعمامته وألبسته غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر ، حتى اذا حاول وصالها ، دُقّ عليها الباب ، مما تضطر معه لأن تدخله دولاباً ذا طوابق وتغلقه عليه[٦٩].

وأفظع من هذه الصورة تلك التي جاءت في حكاية «مزين بغداد» والتي تصور التدني الخلق لبنات الوزراء اللواتي يدخلن الرجال في بيوتهن ، ثم يأمرنهم بخلع ملابسهم ليصبحوا عرايا ، ثم يسكرنهم ، ويحلقن لهم شواربهم ولحاهم ثم يتعرين أمام الرجال ، لأجل ان يطمعوا في وصالهن ، على أن

---

(٦٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١ .
(٦٦) رسوم دار الخلافة ص ٣٢ .
(٦٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٨٢ .
(٦٨) الف ليلة وليلة ط . بو . اوفست ليلة ٥٩١ مجلد ٢ ص ٦٩ .
(٦٩) المصدر نفسه ، ليلة ٥٩٤ مجلد ٢ ص ٧٢ .

يخرجوا عرايا الى الأزقة ، حتى اذا الق عليهم القبض من قبل الولاة ، عرفوا أن هذا وقع في بيت الوزير[٧٠].

ان هذه المواقف من الضعف الخلقي لدى الوزراء تخيفهم من السلطان وهذا الخوف يحملهم على السكوت عن كافة العيوب ، لأنهم قد استفادوا من مناصبهم التي تسهل لهم الاثراء السريع ، وان كان الاثراء السريع ينتهي في أغلب الاحيان بالمصادرة ، وختم دورهم ، وهناك صورة تتكرر دائما في أكثر القصص : اذا مات أو عزل وزير ، وحل محله الوزير الجديد ، اتهم سلفه بكل وسيلة بما يأمر به السلطان على أماكن الوزير السابق ، وعلى عماراته وعلى أملاكه[٧١].

ويبدو لنا أن أسلوب المصادرة والختم قد ظهر منذ عهد المقتدر بالله العباسي[٧٢]. حيث كان «يحصل الوزير الجديد على المال عادة من الوزير المعزول ، ومن اتباعه وأهله وموظفيه بمصادرة أموالهم وأملاكهم»[٧٣].

وهذا الخوف من المصادرة ناتج من استغلال الوزير لمنصبه ، ولأنه «يهتم بالدرجة الأولى بالمالية ويعني قبل كل شيء بقضية جباية الضرائب وانفاقها»[٧٤] فلو قرأنا نص حكاية الوزيرين «حتى طلب وزير البصرة من سلطانها أن ينعم على ابن أخيه بمنصب الوزارة ،» فأنعم عليه ، وأمر له بخلعة ، وزاد له الجوامك والجرايات ، الى أن اتسع عليه المال ، وسار له مراكب تسافر تحت يده بالمتاجرة وغيرها ، وعمّر أملاكا كثيرة ، ودواليب وبساتين[٧٥] فهذا يعني أن نورا سلط عليه ، فالحاكم يراقبه والوزير الجديد ينتظر الانتقام .

والخوف والحسد عاملان خطران ، حتى أن الليالي في حديثها الرمزي ، تظهر مدى خوف الفهد الرامز للوزير من شبل الأسد ولي العهد»[٧٦].

---

(٧٠) المصدر نفسه ، ليلة ٣١ مجلد ١ ص

(٧١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦٨ .

(٧٢) هو أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله ٢٩٥/٣٢٠هـ ، ٩٠٧/٩٣٢م .

(٧٣) عصر الخليفة المقتدر بالله ص ٢٤٣ .

(٧٤) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٩١ .

(٧٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦٦ .

(٧٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٥ .

ومثل هذه الطريقة الرمزية معروفة في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع أو فيما جاء ذكره في كتاب الأشارة الى أدب الوزارة في السياسة حيث ينص «فاخترعت لك وصفاً غريباً ... منسوبا الى بعض الحيوان»[٧٧].

أما الفاظ السباب المقذعة التي يواجه بها الوزراء من ملوكهم وحكامهم فحدث ولا حرج ، اذ اخفها ، «كلب الوزراء ، ونحس الوزراء»[٧٨] أو «وما مقدارك ياقطاعة الوزراء حتى تتزوج بنات الملوك»[٧٩]. الا أن الليالي ، رغم هذا العنف المتسم بالتشهير ، لم تنكر أهمية هذا المنصب ، ولم تنس ان تؤكد لهم حكماً سياسياً دقيقاً ، اذ على الوزير أن يكون بعيدا عن جو الخوف ، عندما يجد نفسه أمام باطل يجب ان لا ينفذ . كما جاء على لسان جارية تحاور ملكها : «ايها الملك . كيف أهملت حقي ، وقد سمع الملوك عنك انك امرت بأمر ثم نقضه وزيرك ؟»[٨٠] فالوزير هنا قد قام بواجبه كوزير أمة لا كوزير معين أو منتخب من قبل سلطان .

ثم أن الليالي كما جعلت منه وساطة نقل رأي الحاكم الى الرعية والولاة ، جعلته ناقل رأي الشعب للحاكم ، كما في عرضها لموقف الوزير الأكبر شماس من الحاكم العابث (ورد خان بن جليعاد) ، حيث حذره التحذير الكامل من مغبة استهتاره بالرعية ، وهدده بأنهم سيقتلونه ، ويجعلون غيره مكانه ، ممن يستحق مكانة الحاكم[٨١]. ومما يزيد في اعترافها ، بأن الملك وان كان قويا غير أن قوته لا يمكنها تحدي الوزير القوي ، وان كان باستطاعته عزله او اغتياله سياسيا ، وهذا ما حصل لوزراء الملك وردخان[٨٢].

---

(٧٧) لسان الدين الخطيب : رسالة من كتاب الاشارة الى أدب الوزارة في السياسة : نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ١ مجلد ٤٧ عبدالقادر زمامه : فاس المغرب .

(٧٨) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٨١ .

(٧٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٧٩ .

(٨٠) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٤١ حكاية تتضمن مكر النساء

(٨١) ارجع الى الفصل الخاص بسياسة العرب ص ٣٩٣ .

(٨٢) ارجع الى الفصل الخاص بالجند والسياسة والحرب ص ٣٩٣ .

ان الواقع النظري التشريعـــي للوزارة اعتبارها كما قيل : ارفع مرتبة واعلى مقاما بعد الخلافة[٨٣] مما يجعل الحاكم يفكر فيمن يستوزره بشروط عرفنا بعضها ، منها كبر السن والتجربة والعلم واللياقة السياسية[٨٤].

ولكننا اذا غربلنا حكايات الليالي بحثاً عن اســباب (اختيار الوزراء وماهية اعمالهـم ، لوجـدنا تناقضـاً بين ما اشـترطته نظرياً ، وبين الواقع الذي رسمته ظروف الحكاية او القصة للذين ظهـروا في شـخصية الوزير ، فالاختيار دائما متعلق برغبة الحــاكم ، فهــو مختار لكونه غنياً ، كما في اختيار عبدالله البري ، بل أن غنى الشـخص المختار لمنصب الوزارة قد يدفع الحـاكم ألى أن يزوجه من ابنته[٨٥]، وقد يكون السبب مجاملة للوزير الأسبق ، حيث نجد الحاكم يخـاطبه ان يختار صـاحب الوزير وزيراً للميسرة ، لأنه صـاحب فضــل على الوزير ، كما في اختيار الخباز وزيراً للميسرة في نفس الحكاية[٨٦]، كذلك اختير معــروف الاسكافي وزيراً للملك لنفس الســبب ، بل ولأن ابنه الملك زوج معروف الذي اغناه الله ، توصى اباها بذلك حيث تقول : «واستوصى بنسـيبك الذي جعلته وزير ميمنة»[٨٧].

وربما يكون ســبب الاختيار معـرفة صـدق نية انســان ، رد للملك او للحاكم شيئاً هاماً ، كما في «حكاية ابي صـير وابي قير» ، حـين أعاد له خــاتم الملك بعـد أن فقـده حيث حــاول الملك «اغراءه بأن يكون وزيره فما رضى»[٨٨]. هذا ما نلاحظه في الحكايات ذات الطابع الاغرائي المتبع لاجلام العامة . ولكن في الامر الهام يختار الوزير الخبير العالم المجرب كما في ختام حكاية وردخان عند اختياره لابن شماس الوزير[٨٩].

---

(٨٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٨ .
(٨٤) عصر المقتدر بالله ص ١٥٠ ، نقلا عن المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٤٠ .
(٨٥) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٠٣
(٨٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٣
(٨٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١٢
(٨٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٩٧
(٨٩) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨٠

وربما كان سبب الاختيار مكافأة من الملك لمن قدم له خدمة طبية كما في اختيار «حاسب كريم الدين» الذي عالج الملك من مرضه «يا معشر الوزراء والامراء وارباب الدولة هذا حاسب كريم الدين الذي داواني من مرضي اعلموا انني جعلته وزيراً اعظم فمن أحبه فقد أحبني ومن أكرمه فقد أكرمني ومن اطاعه فقد أطاعني

ويقوم الوزير حسب ما ذكرته الليالي بالأعمال التي يسندها اليه الملك ومن هذه الأعمال السفارة[91] كما يشرف ويتابع الأمور المالية وخاصة امور الخراج[92]، وقد يكون مستشاراً في القيادة العسكرية وربما صاحب الحملات الحربية[93]

وقد يتدخل في تهدئة أنفعالات الملك خاصة اذا ما عرضت تلك الانفعالات الدولة للخطر كما حصل عندما وجد الملك نفسه عاجزا عن رد عدو له ففشل معه أمر القوة مما دفع الوزير الملك الى تغيير سياسته من القوة والانفعال الى الدبلوماسية الهادئة حيث طالبه بسياسة الحلم فيقتنع الملك برأيه فينتصر بفضل رأي الوزير وربما يكون تنفيذ رأي الملك دون تأنٍ سبباً في نكبة ان لم يتدخل الوزير فخلال حكاية «مكر النسا» نجد ملكاً يأمر باعدام ابنه لوشاية أقنعته فأحضر وزراءه وتشاوروا فقالوا لبعضهم أن الملك صمم على قتل ولده وان قتله يندم عليه بعد قتله ثم بعد ذلك يرجع عليكم باللوم فيقول لكم «لم تدبروا لي بمعنى عن قتله»[95]

وفي صرف الملك وعطاياه يظهر الوزير إما مبخلاً واما غشاشاً وصاحب نهاية الأرب ينقل عن ابن المقفع رأياً سياسياً واقتصادياً وخلقياً «واعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويعده منهم شفقه ويحمدهم عليه وان كان جواداً فان كنت مبخلاً غششت صاحبك بفساد مروءته»[96]

---

(٩٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ٥٣٦ مجلد ١ ص ٧٠٩
(٩١) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٥
(٩٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٦٧
(٩٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٥
(٩٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٩٦
(٩٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٣٩
(٩٦) نهاية الارب ص ١١ .

وقد ظهــر مثل هذا الموقف في الليالي عند وصــفها لوزير الملك في حكاية «معروف الاسكافي» اذ وجدناه يلوم الملك لكونه يعطي المال لمعروف دون علمه ويطالبه بالتبخيل[٩٧]

٤

أما مراسم الاستيزار فهـي كما ذكرت في فصـل المراسـم[٩٨] غير ان الليالي تذكر هيئة الوزير اذ لها أثر سياسي على الرعية فهو مميز ببدلة خـاصة بهـم وعمامة لا يلبسـها غيرهم بدليل قول وزير لأبنته « هذه عمامة وزراء الا أنها موصلية»[٩٩]، فلكل بلد وقطر ميزة خاصة بها وعندما ينحـى الوزير فعليه أن يخلع عمامته ويلبسها الوزير الجديد وبنفس الوقت فهناك دواة حـبر يبدو أن كل وزير يحملهـا معـه لتنفيذ كتابة ما يمليه على السـلطان فإذا ما خلع الوزير عمامته وألبسها الجديد نزع دواته من وسطه ووضعها أمامه أيضا[١٠٠] اما مركوبه فبغلة مثمنة[١]

٥

إن ابرز الملامح السـياسية التي أرادت الليالي اظهــارها في مثل هذا المنصب رغم ما أعطت له من أهمية في الواقع النظري هو سـلخها عنه ثياب العفة وألباسه ثوب الطعون وهذا يعني ان الوزارة خلال عهـود كتابة حكاياته كانت في الدرجة الدنيئة فكأنها بعد ان رجـت في شـخصه كل الخـير ، رأت الوزراء انفسهم على حقيقتهم مما اضطر القاص الى أن يشبع غضـب الرعية المغبونة وكبهم فهو يختار من بين الصيادين والخبازين وغيرهم وزراء ولكنه

---

(٩٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٣٠١
(٩٨) ارجع الى الفصل الخاص بآداب ومراسم الحكم ص ٢٤٦
(٩٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٢٢ ص ٦٤ مجلد ١
(١٠٠) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٧٨
المصدر نفسه ج ١ ص ٦٦ .

يضفي عليهم طابع الغنى فكأنه يطعن في الملك وبنفس الوقت يظهـر أن هذا المنصب يمكن للشخص العادي أن يناله بجدارة وانه ليس مقصورا على العوائل العـريقة كالبرامكة وبني سـهل وغيرهم من البيوتات المشـهورة تاريخيا بتعـدد اختيار الوزراء منهم

الوالي

١

جـاء في القـاموس «ولي الشيء وعليه ولاية وهي الأمارة والسلطان»[١٠٢]، غير أننا لانقصد الحاكم الأعظم كالخليفة او الملك بل الذين يعينون من قبل المسؤول عن التعيينات وكانت في الغالب وخاصة في العصور العباسية المتأخرة من قبل الوزير إذ هي من صلاحياته فـ «لكل ولاية امير وعامل على الخراج وقاض وقائد وصاحب شرطة وصاحب بريد وقد تكون تلك الوظائف بيد شخص واحد واحيانا بيد اشخاص متعددين»[١٠٣]

وهؤلاء الولاة طاعتهم واجبة وذلك لأنهم نواب الخليفة في ادارة المملكة كما نصت على ذلك الليالي في نص عزل لأحد الولاة اذ يقول الرشيد «من هارون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في بعض مملكتي»[١٠٤]

ولكن يجب ان ننبه الى أن الليالي في تصويرها للشخصيات لم تقصد تصوير الأفراد بل أرادت اعطاء النماذج[١٠٥]

ولما كانت الليالي قد واكبت عصوراً عديدة فليس مستغربا ان نجد عقد الولاية يظهر مباشرة بيد الخليفة لا الوزير حتى نكاد نجد أن أغلبها صادر بأمر الخلفاء الأمويين أو العباسيين وهذا ما يجعلنا حذرين في الاعتماد التاريخي على الليالي في هذه الأمور

---

(١٠٢) نقلا عن مجلة العربي العدد ١٩١ اكتوبر تشرين اول ١٩٧٤ مقال للدكتور محمد سلام مدكور «ولاة الأمر وسلطانهم على الأحكام الشرعية» ص ٧٠

(١٠٣) د عبدالعزيز الدوري دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ١٩١ كذلك د حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسي ص ٢٦٩ نقلا عن ابن الاثير ج ٨ ص ٧٧ .

(١٠٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٤٣

(١٠٥) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٢٩٨

وليس المهم ملامح الولاة التاريخية المسندة بل ما تركوه خلال سرد أخبارهم من آثار سياسية وانتقادات لهم فذلك انعكاس لحياة ارادت الليالي تثبيتها في أذهان قارئها وسامعها ودارسيها وإلاّ لما تعرضت لهم ولا لأخبارهم

وقد ادركت الليالي كيف تختار النماذج من الولاة فهي لم تتحدث اعتباطا عمن سندرسهم من الولاة وهذا سنوزعهم تاريخيا مبتدئين بالولاة خلال العهد الأموي

٢

ذكرت الليالي من ولاة الامويين مروان بن الحكم أيام معاوية وعبدالعزيز بن مروان أيام عبدالملك بن مروان وموسى بن نصير واليه على المغرب قبل دخوله الأندلس والحجاج بن يوسف الثقفي واليه على الكوفة قبل بناء واسط وخالد بن عبدالله القسري الوالي على البصرة وخزيمة بن بشر أيام سليمان بن عبدالملك

غير أن الملامح السياسية من خلال عرض أخبار هؤلاء الولاة متباينة تبايناً ينم عن وجود تفريق بينهم تبعاً لما ذكر عن اخلاقياتهم ومكانتهم واوزانهم التاريخية وصدى مواقفهم عبر الأيام

(١) فوقف الليالي من مروان بن الحكم قبل أن يكون خليفة ويوم كان والياً معروف لدينا(١٠٧) حيث اتهمته ضمن الخبر المروي عنه بالتعدي والخروج على حدود الدين وظلمه واجترائه على حريم المسلمين(١٠٨) فهو اذن لم يكن أميناً ولم يكن ملتزما بما عقد له من أمانة الدين والدنيا فهو فاشل سياسيا لأنه أوشك أن يكون متهما وكان على الخليفة تهديده أولاً وقد فعل ومعاقبته

---

(١٠٦) موسى بن نصير والي المغرب والاندلس زمن الوليد بن عبدالملك

(١٠٧) ارجع الى موقف معاوية منه في فصل الخلافة ص ٦٠ ، وكذلك الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٦٩٣ مجلد ٢ ص ١٨٠

(١٠٨)(١٠٩) الف ليلة وليلة ط . بو أوفست ليلة ٦٩٣ مجلد ٢ ص ١٨٠ .

(٢) اما بالنسبة للوالي عبدالعزيز بن مروان والي الخليفة عبدالملك على مصر فتعني ولايته هذه من خلال استنتاجاتنا السياسية اهتمام الخلافة بمصر لخطورتها في الميزان السياسي لدرجة جعلته يختار أخاه لاطمئنانه اليه وخير دليل ما أوصى به أخاه في احدى رسائله «تفقد كتابك وحجابك»[١١٠]

وعبد العزيز كوال عندما يقدم رسول الخليفة يكرمه غاية الأكرام تعظيما لشخصية الرسول الممثل لشخصية الخليفة وتنفيذا لعادة الكرم في بلد حضاري كمصر

(٣) أما ولاية موسى بن نصير فالليالي تطلق عليه لفظ نائب الخليفة في بلاد المغرب واذا ما أمر بالسفر من قبل الخليفة لا يترك ولايته بدون من يدبر شؤونها فهو يستخلف ابنه أقرب الناس إليه لكونه في بلد بعيد عن مقر الخلافة وهو قريب من العدو فهو والٍ وقائد ورجل مجاهد ربما تخرج النصارى في غيبته"[١١٢]

فالليالي اظهرت ملامح سياسية في شخصيتي الواليين عبدالعزيز بن مروان وموسى بن نصير في الأهتمام بالمنطقة الافريقية فلخطورة موقع مصر وثقلها نصّبت الخلافة أخا الخليفة عليها ولبعد المغرب جعلت واليها قائداً عسكريا خطيراً

ولم تظهر الليالي في شخصية والي الجزيرة خزيمة بن بشر من الملامح السياسية شيئا خلال قصته مع جابر عثرات الكرام سوى المواقف المثالية من الكرم العربي ، وان على الحاكم مراعاة مال الدولة عند الأنفاق كذلك افادتنا ملمحاً سياسياً ورسماً دبلوماسياً بهما هو ان الولاة بعد تعيينهم أو عند سفرهم الى مقر الخلافة لابد لهم من الأستئذان بالسفر من قبل الخليفة نفسه والا لما حصل هذا الاستغراب من قبل الخليفة سليمان بن عبدالملك عندما توجه خزيمة اليه

---

١١٠) ارجع الى وصية عبدالملك لأخيه في الفصل الأول ص ٦٢ وكذلك الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠١ .

(١١١) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٤

المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٥

بالشام دون أخذ الموافقة حيث قال «هل والي الجزيرة يقدم بغير امرنا الا لحادث عظيم ؟»

تلك صورة سريعة عن ثلاثة ولاة من ولاة الأمويين غير أن الليالي سلطت الضوء على واليين كبيرين متناقضيين في سياستهما وصداهما خلال التاريخ وهما الحجاج بن يوسف الثقفي في الكوفة وخالد ابن عبدالله القسري في البصرة وكأنها في تثبيت الأخبار المتعلقة بهما خلال حكاياتها إنما أرادت اظهار ميزان الوالي العادل من غيره مع ملاحظة عدم اغفال أراء وتصورات الناس عن كليهما

(٤) فالحجاج مذكور في أكثر من حكاية ولكنه ما ذكر الا كان الطعن والتجريح صفتين متلازمتين له فهو متهم بالسرقة والكذب كما أنه مستهزأ به

في حكاية «نعم ونعمة» متهم بسرقة النساء وتهريبهن الى مقر الخلافة لكي يرضي الخليفة فتنقل عنه الليالي وهو في دار نيابته «لابد أن أحتال على أخذ هذه الجارية التي اسمها نعم وارسلها الي امير المؤمنين عبدالملك بن مروان لأنه لا يوجد في قصره مثلها ولا أطيب من غنائها»[١١٤]

بل أن الليالي لتصوره وهو يرسلها بموكب خاص ليحمي هذه الجارية المسروقة ثم يكتب للخلافة انها مشتراة بعشرة آلاف دينار كذباً[١١٥] فهو كاذب بعلم الخليفة حيث جاء على لسان أخت الخليفة «ياأمير المؤمنين ان هذه الواقفة هي نعم المسروقة سرقها الحجاج بن يوسف الثقفي وأوصلها لك وكذب فيما ادعاه من كتابته من أنه اشتراها بعشرة آلاف دينار»[١١٦]، فإضافة لكذبه اتهامه بالسرقة ، وتزوير المكاتبات بل وتزيد الليالي من قسوتها عليها بأن يجعل صاحب شرطته يعرف بأنه محتال يعتمد على الحيالين بل أن نهاية الحكاية تظهره منافقاً سياسياً يتظاهر بالاستجابة لمن يستنجد به غير ان نجدته كوال تمثيل لتمرير السرقة والتزوير والكذب اذ

(١١٣) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٦٨٤ مجلد ٢ ص ١٧٠
(١١٤) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٣٣
(١١٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٥
(١١٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٥ حكاية نعم ونعمة
(١١٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٢ حكاية نعم ونعمة

هو يقول لصاحب شرطته وكلاهما عارف بموضوع سرقة الجارية «أريد ان تفتش على جارية نعمة بن الربيع ولابد ان تركب الخيل وتبصر الجارية في الطرقات وتنظر في البلدان»[١١٨] وتظهر الحكاية الخاصة به مع هند بنت النعمان والتي تزوج منها حقارته فهو بمجرد خطوبتها تنشد هاجية

«وما هند إلاّ مهرة عربية سلالة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت فحلاً فالله درها وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

فلما سمعها وانصرف عنها وارسل وكيلاً عنه ينوب في طلاقها فقال لها الوكيل وهو يقدم لها بقية صداقها كان تأخر لك عليه من الصداق مائتا الف درهم وهي هذه حضرت معي ووكلني في الطلاق فقالت وهذه المائتا الف درهم لك بشارة بخلاصي من كلب ثقيف»[١١٩]

وتؤكد الليالي تسميته بالكلب في ردها على عبدالملك بن مروان الذي خطبها لنفسه بعد طلاقها منه «أما بعد فاعلم ياأمير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء»[١٢٠] تعني زواجها من الحجاج وزيادة في النكاية بشخصية الحجاج فان مجرى الحكاية يتجه الى أن موافقة «هند» هذه للزواج من عبدالملك بن مروان مشروط بأن يقود الحجاج نفسه محملها الى دمشق حافيا بملبسه كوال على أخطر بلدة هي الكوفة[١٢١] بل ان هنداً هذه رمت من يدها متعمدة ديناراً وقالت له «ياجمّال انه قد سقط منا درهم فانظره وناولنا اياه فنظر الحجاج الى الأرض فلم ير الا ديناراً فقال لها هذا دينار فقالت بل هو درهم فقال بل هو دينار فقالت الحمد لله الذي عوضنا بالدرهم الساقط تعني الحجاج ديناراً فناولها اياه فخجل الحجاج من ذلك»[١٢٢]

ان هذه الصور التحقيرية لشخصية الحجاج انما هي نابعة من اخباره التي وصفته بالظلم والقسوة وان كان من حيث ادارته الرجل الناجح غير ان ظلمه هو الذي جعل القاص ينتقي ما يشبع رغبات العامة

---

(١١٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٦ ١٣٧

(١١٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ص ١٦٧ ليلة ٦٨١ مجلد ٢

١٢٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٠٣

(١٢١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٣

(١٢٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٣ .

في التشفي منه في أحد اخباره انه لما «مرض الحجاج فرح أهل العراق وقالوا مات الحجاج مات الحجاج مات الحجاج فلما أفاق صعد المنبر وخطب بالناس فقال ياأهل العراق ياأهل الشقاق والنفاق مرضت فقلتم مات الحجاج»[١٢٣] علما بأنه هو نفسه موصوف بالنفاق في حوار لعمر بن عبدالعزيز أنه قال «لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم»[١٢٤]

وكراهية الناس له نتيجة لقسوته تتعدى حدود التصور لدرجة ان العلماء والمجتهدين عندما اخبروا بموته خروا ساجدين لله[١٢٥]، لأنه متهم بتهديم الدين عروة عروة[١٢٦]

وتتفق الاخبار المسندة مع الليالي في ذكر شدة الكراهية له فعلى لسان خالد القسري أمير مكة أيام سليمان بن عبدالملك وكان قد طلب اليه الخليفة شتم الحجاج بعد أن كان مدحه فقال «ان ابليساً كان مَلَكاً من الملائكة وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له فضلاً وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة فلما اراد الله فضحه ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة امير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلاً وكان الله عز وجل اطلع امير المؤمنين من غله وخبثه ما خفي عنه فلما اراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين فالعنوه لعنة الله»[١٢٧]

ويبدو ان قساوته هذه لا حدود لها فقد أوردت عنه الليالي خبرا حين ظفر بأحد الأكابر الذين كانوا يعادون الخلافة الأموية فلم يكتف بسجنه وتقييده بقيد ضيق بل قال «ابنوا عليه بيتاً لا يخرج منه ولا يدخل اليه فيه أحد»[١٢٨]

ويبدو أن الحجاج كان عارفا بقساوته غير ان الناس لم يسكتوا على

---

(١٢٣) ابن عبد ربه العقد الفريد ج ٣ ص ٢٥٢
(١٢٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٢
(١٢٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٤
(١٢٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٤
(١٢٧) زهر الاداب وثمر الالباب ج ٢ ص ٤٩
(١٢٨) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست : ٤٧٠ مجلد ١ ص ٦٤٤ .

ظلمه فقد «رفعت اليه في بعض الأيام رقعة مكتوب فيها اتق الله ولا تجر على عباد الله كل الجور فلما قرأ الرقعة رقى المنبر وكان فصيحاً فقال أيها الناس ان الله سلطني عليكم بأعمالكم فان انا مت فأنتم لا تخلصون من الجور مع هذه الأعمال السيئة لأن الله خلق أمثالي خلقا كثيراً واذا لم أكن انا كان من هو أشر مني وأعظم سطوة كما قال الشاعر

وما من يد الا يد الله فوقها　　وما ظالم الا سيبلى بظالم

والجور يخاف منه والعدل أصلح كل شيء نسأل الله أن يصلح أحوالنا»[١٢٩]

ويمتد الشعور بقساوة الحجاج الى حراس سجونه فالليالي تروي خبر السجان الموكل باحد السجناء الذين ضيق عليهم وكثر حراسه ولكنه يختفي فيذهب السجان الى الحجاج وقد اخذ كفنه وحنوطه معه وأخبره بالقصة استعداد للموت ولكن الحجاج لا يغفل عناية الله بالرجل المظلوم فيقول له «أو ما علمت ان الذي ذكره وأنت حاضر سرحه وأنت عنه غائب»[١٣٠]

فالوالي الذي يكرهه الناس لا يمكن أن يكونِ محبوبا ولو أدى الخدمات الجليلة

ولكن ابرز الملامح السياسية التي يمكن استخلاصها مما ذكر عن الحجاج

١ أنه كان قاسياً في تحقيق العدالة
٢ وأنه كان مطيعا للخلافة الأموية التي وقفت منه موقفين بين مؤيد زمن عبدالملك بن مروان وبين معارض زمن سليمان بن عبدالملك
٣ أن أهل العراق كرهوا سياسة الحجاج ولكن الخلافة الأموية أبقته لتأديبهم لأنهم أهل النفاق وانه لم يصبح قاسيا الا لأنهم جائرون غير راضين عن الخلافة الأموية

---

(١٢٩) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٤٣٥ ٤٣٦ ص ٦١٣ ، ٦١٤ مجلد ١
(١٣٠) المصدر نفسه ليلة ٤٧٠ ص ٦٤٤ ، ٦٤٥ مجلد ١ .

٤ ان العراق كان منقسماً على الأمويين في مواقفه السياسية فالكوفة مضطربة والبصره كما سنرى أهدأ منها والجزيرة أحسن من الاثنتين خلال العهد الأموي

(٥) أما موقف الليالي من الوالي خالد بن عبدالله القسري فمغاير تماما لموقفها من الحجاج ففيه الاجلال والاحترام والهمة في البحث عن العدالة وتنقله من ولاية لأخرى وهذا انعكاس للوقائع التاريخية والعصبية القبلية التي ارتبطت بشخصية هذا الوالي المحنك الذي أدى قتله غدراً الى قتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد فخالد هذا شيخ أهل الشام وسنيدهم فهو والٍ على مكة المكرمة أيام سليمان بن عبدالملك(١٣٣) وعلى البصرة أيام هشام بن عبدالملك عام ١٠٦هـ (١٣٤)، وقد ظهر اختلافه مع الخلافة الأموية مما أدى الى قتله غدرا

وقد وقف في وجه الشعوبية فقست عليه(١٣٥)، وتظهر حنكته السياسية في مثل قوله «لا يحملنك فضل المقدرة على شدة السطوة ولا تطلب من رعيتك الا ما تبذله لها فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون(١٣٦)

وأهم ما روته الليالي عنه حكايته مع الشاب السارق فهو لم يتسرع بقطع يد السارق لمجرد اعترافه اذ ظن أنه ربما يكون وراء الاعتراف دافع ولأنه كوالٍ له سلطة الحكم نيابة عن الخليفة فقد درس هيأة ومنطق المتهم ثم سلط عليه من يكشف عن حقيقته فهو لم يقض بما سمع بل حاول التأكد وخاصة في موضوع يحيط بصاحبه غموض فاكتشف أن قصة الشاب هي قصة إنسانة

---

(١٣١) الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٧
(١٣٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٧
(١٣٣) زهر الاداب ج ٢ ص ٤٩
(١٣٤) الحياة الادبية في البصرة ص ٣١٢
(١٣٥) المصدر نفسه ص ٣١٢
(١٣٦) نهاية الارب السفر السادس ص ٤٢
(١٣٧) ارجع الى فصل العدالة والسياسة ونماذج من المحاكمات ص ٣٨٣

أحبب فلما أوشك حبها أن ينكشف وفضيحتها أن تعم ادعى حبيبها السرقة فوجد هذا الوالي في حكاية الشاب ما يمثل طيبة أهالي البصرة الذين هم «من اكرم الناس ومن ذوي الطبائع السليمة والاخلاق السهلة الأنيسة امارة النجابة العربية عليهم ظاهرة ودلائل الشيم العربية عليهم باهرة»[١٣٨]

٣

ولاة العراق خلال العصر العباسي

ويحيط بولاة العراق خلال العصور العباسية ظروف تميزهم عن غيرهم فهم تحت رقابة سلطان الخليفة ووزيره مباشرة خاصة اذا ما عرفنا أن الخليفة الرشيد والمأمون والمعتضد كانوا يخرجون متنكرين يطوفون مع وزرائهم بحثا واطلاعا على أحوال الرعية ومراقبة الولاة والموكلين وكل من شكا منه أحد عزل[١٣٩]

كانت الرقابة المالية أدق رقابة وخاصة على أموال الخراج فاذا ما تأخر عن موعده المحدد أمر الخليفة وزيره بالبحث عن أسباب التأخير والاعتذار وإلاّ فعليه أن يحضر أمامه[١٤٠]

والوالي في العراق كغيره في بقية البلدان هو نائب الخليفة أو وكيله المشمول بنعمته[١٤١] وليس باستطاعة الوالي مناقشة الخليفة ابدا بل عليه الطاعة في تعيينه وعزله ، اذ بمجرد وصول كتاب العزل عليه أن يقول السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين وأن يحضر القضاة والأمراء ويعلن عزله وتنصيب الوالي الجديد[١٤٢]

والصفة الغالبة على ولاة العراق انهم عرب استنتاجا من

---

(١٣٨) العلامة فصيح بن ضبعة الله الحيدري أحوال البصرة ص ٧/٦ مطبعة دار البصري بغداد ١٣٨١هـ /١٩٦١م

(١٣٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦١ حكاية الحمال مع البنات

(١٤٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٦٦

(١٤١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣ حكاية الوزيرين .

(١٤٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣

أسمائهم فهم حسب ذكر الليالي لهم عبدالله بن فاضل عامل الرشيد على البصرة ومحمد بن سليمان الزيني واليه على البصرة ايضا والأمير خالد والي بغداد وقياسا على اختيار الرشيد للأمير عبدالله بن مالك الخزاعي واليا على أرمينية الذي عارضت في اختياره لعروبته عائلة البرامكة الفارسية[١٤٣]

وكان ولاة بغداد ، وهي مقر الخلافة شديدي الاهتمام بأدارتها وحفظ أمنها في حكاية الصعلوك الرابع ضمن «حكاية الحمال والبنات» نجد أن الوالي في محاربته للسرقة ومطاردته للسّراق شديد في الحق فبمجرد اتهام الصعلوك بالسرقة نجده يضرب المجرم مائة سوط ثم يشهر به على جمل في ازقة المدينة وينادي عليه هذا جزاء من يهجم على بيوت الناس

وربما سكت والي بغداد عن متابعة الحقوق وتقصى الأخبار وصولاً الى العدالة كما في موقف واليها مع الصعلوك الخامس الذي قتل عجوزا تستحق القتل ولكنه انتقم منها بارادته لا بارادة الوالي أو السلطان وحصل على أموالها فلما حصل على ما حصل ادرك الوالي فعلته فبعث اليه بعشرين جنديا فلما حضر اخبره بالقصة فتقاسما المال على شرط ان يترك المدينة لكي لا يعلم السلطان بالأمر والا فالشنق مصيره[١٤٥]

ويطوف ولاة بغداد المدينة ليلاً بالمشاعل المنيرة والتي يتمكن الناس بها من الافادة في انهاء اعمالهم على ضوئها في دورات تفتيشية لحماية الأمن

ويسير موكب الوالي في هيبة نهارا وخاصة في رواحه أو مجيئه من قصر الخلافة وبمعيته مقدم درك البر ومقدم درك البحر وكذلك في تنصيب المقدمين لشد اهتمام الناس وتوكيد الهيبة للخلافة من أجل احقاق الحقوق وصون السياسة[١٤٧]

وعندما تتأزم حالة في العاصمة يستدعى الوالي من قبل الخليفة

---

(١٤٣) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٣٠٦ مجلد ١ ص ١٨٢
(١٤٤) الف ليلة وليلة ط بو ليلة ٣١ ص ٩٨ مجلد ١
(١٤٥) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٣٢ ص ١٠٢ مجلد ١
(١٤٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٨٢ ص ١٩٤ مجلد ١
(١٤٧) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٦٩٨ ص ١٨٧ مجلد ٢ .

ويكلفه بالمجاز ما يسند اليه فان لم يستطع يقر الوالي بذلك ليكلف بها غيره ممن لهم القدرة[١٤٨]

فاذا ما ألقي القبض على مجرم خلال تجوال الوالي بحرسه وجنده ووجد متلبسا بالجريمة فربما أوقع عليه العقوبة ، دون حاجة الى محكمة او مقاضاة فأن للوالي حق اعدام المجرم ، على ان يستأذنه السياف قبل تنفيذ الحكم ردعا للجناة ومن أجل فورية تحقيق العدالة[١٤٩]

غير أن الأعتراض عليه واجب فعندما حاول الوالي مثلاً قتل من اتهم بقتل صبية كان اعتراض الحاجب عليه قاسيا «ويلك انك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاما ، وما قتل عصفورا فكيف يقتل قتيلاً هلا أمهلته وسألته عن حاله ؟»[١٥٠]، ولهذا يعتذر الوالي ويصفر لونه لأنه تجاوز حق العدالة في تسرعه بطلب التنفيذ مما يضطره لتقبيل ذيل الحاجب والأعتذار له عما أوشك أن يقع فيه من الخطأ الشنيع[١٥١]

فالملامح السياسية في أخبار ولاة بغداد أنهم رغم هيبتهم التي هي جزء من هيبة الحاكم الأعلى ، الا انه لا تبدو شخصياتهم السياسية الا من خلال تشددهم في المراقبة والمتابعة ليل نهار لكونهم في مقر الخلافة وبين أيديهم مقاليد الأمور

- ٤

ولاة البصرة خلال العصور العباسية

يبدو في الليالي اهتمام بالبصرة اهتماما بالغ الأهمية حتى أن ولاتها يبدون وهم بمصاف الملوك ، فهو يوصفون ويلقبون بالملوك والسلاطين ، ومكانتهم لا تقل عن مكانة الرشيد في الليالي[١٥٢] وتظهر هذه المكانة في استغراب نور الدين عند مقابلته للرشيد وهو متنكر بزي صياد سمك حين قال له «أنا اكتب لك

---

(١٤٨) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٧٠٦ ص ١٩٧ ص ١٩٧ مجلد ٢
(١٤٩) الف ليلة وليلة ط بو ليلة ٩٥٩ ص ٥٤٢ ٥٤٣ مجلد ٢
(١٥٠) الف ليلة وليلة ط بو ليلة ٩٥٩ ص ٥٤٣ مجلد ٢
(١٥١) الف ليلة وليلة ط بو ليلة ٩٥٩ ص ٥٤٣ مجلد ٢
(١٥٢) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٢٣١ .

ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال له نور الدين وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ؟»[١٥٤]

وولاة البصرة عندما تصلهم رسائل الخلافة تراهم يلتزمون بها التزاما شديدا فبمجرد وصول الكتاب تجد الوالي وقد هبّ «واقفا على قدميه وقبلها أي الرسالة ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين»[١٥٥] وهم يتخذون الوزراء[١٥٦]، ورغم مكانتهم السياسية فالكرم غايتهم ومن أشهر ولاة البصرة الكرام ضمرة بن المغيرة المكنى بأبي السخاء

غير أن بعض ولاتها لا تخلو نفسه من الغطرسة المتمثلة ببناتهم كما نلاحظ ذلك في شخصية ابراهيم ابي الليث او ابراهيم العميد حيث وصفت الليالي ابنته بقولها «فإنه ما على الارض اجبر منها ولا يقدر أحد أن يذكر اسم رجل لانها زاهدة في الرجال»[١٥٨]، بل ان الناس لتتعوذ من التفكير بذكر اسمها :«الله الله يأخي أن تترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك»[١٥٩] مما يدل على انتشار نقلة الأخبار والجواسيس لوالي البصرة

وتعطي الليالي عنه انطباع القسوة على لسان ابنته المتظاهرة بزهدها في الرجال وهي في الحقيقة تنتظر عاشقها ابن صاحب مصر فعندما جاءت متنكرة بزي الرجال دون أن يعرفها حبيبها نجدها تقول بلسان حال غطرسة الحاكم «وأيّ علق أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان ابراهيم» قال ابراهيم اسم حبيبها فوقعت مغشياً عليّ وأما الملاحون فإنهم ماتوا في جلودهم من الخوف»[١٦٠] غير أن هذا الجبار في حكم ولايته عندما يجد نفسه مغلوبا على أمره يستنجد بالخليفة للاقتصاص لحقه من ابن والي مصر الذي أخذ ابنته «واذا بأبي الليث عامل البصرة والد السيدة

---

(١٥٣) جاء في حكاية الاصمعي الف ليلة وليلة ٦٩٣ ط بو اوفست «أن أسمه محمد بن سليمان الربيعي»
(١٥٤) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٣٦ مجلد ١ ص ١٢٢
(١٥٥) المصدر نفسه ط بو ليلة ٣٦ مجلد ١ ص ١٢٣
(١٥٦) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٦ مجلد ١ ص ١٢٣
(١٥٧) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٦٩٥ مجلد ٢ ص ١٨٣
(١٥٨) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٩٥٥ مجلد ٢ ص ٥٣٧
(١٥٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٩٥٥ مجلد ٢ ص ٥٣٧
(١٦٠) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ٩٥٨ مجلد ٢ ص ٥٤١ .

جميلة قد اقبل عليهم يستغيث بالخليفة من ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو اليه اخذ ابنته»[١٦١]

ومن ولاة البصرة عبدالله بن فاضل الذي تلقبه الليالي بنائب مدينة البصرة[١٦٢]،والذي تظهر حكايته مدة انتظار ارسال الخراج الى مقر الخليفة بعشرين يوما فاذا ما تأخر الموعد عن ذلك وجب على الوزير سؤاله وأرسال احد رسله اليه فان لم يكن قد احضره واعده ، فما على الرسول الا اصطحابه معه ليجابه الخلافة مباشرة في اعتذاره[١٦٣]

ويبدو من خلال مفاتحة الوالي لرسول السلطة العليا ، أن يجامل الرسول وأن يقدم له هديته اضافة الى واجبات الضيافة للرسول وللجند الحامي له فهو يقول له «فانا اسلمه اليك -.أي الخراج بعد ضيافتك ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع احضر الخراج بين يديك ولكن حيث اتيت وجب علينا الآن اننا نقدم اليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين»[١٦٤]

ووالي البصرة كبقية الولاة ينفذ أوامر السلطة حتى ولو على حساب راحته لأنه مأمور خاصة ان صدرت أوامرها اليه ، وهو يعرف انه سينفذ ذلك رغما عنه كما في طلب الرشيد بعدم ضربه لاخويه الممسوخين كلبين بعد أن وعده بعدم التفريط بما أمره ، تجربة قاسية سيمر بها ولكنه مسؤول عن التنفيذ فهو يقول في نفسه «ياترى ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن اذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة .، ولكن أنا أصبر على ضربي علقة واريح أخوي في هذه الليلة ثم قال له عقله لولا أن الخليفة مستند الى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما»[١٦٥]

وخلال قصته يظهر لنا رأي جديد في سياسة حكم الولاية وهو أن سلطان البصرة «أي واليها» قد يستعين بأخوته أو أقاربه بأن يجعلهم معينين له بل يحكمون الولاية في غيابه وحضوره وحكمهم نافذ بشرط التقوى

---

(١٦١) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٩٥٩ مجلد ٢ ص ٥٤٣

(١٦٢) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٩٧٨ مجلد ٢ ص ٥٧٦

(١٦٣) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٩٧٨ مجلد ٢ ص ٥٧٦

(١٦٤) الف ليلة وليلة ط بو اوفست مجلد ٢ ليلة ٩٧٨ ص ٥٧٦

(١٦٥) الف ليلة وليلة ط بو اوفست مجلد ٢ ص ٥٩٠/٥٨٩ ليلة ٩٨٥ .

والأبتعاد عن الظلم وتوكيد العدل وكل ذلك يجب الا يصل اسماع الخليفة لأنهم متى ظلموا وسمع بذلك الخليفة حصلت «فضيحة في حق وحقكما فلا تتعرضا لظلم أحد ، والذي يطمعان فيه من أموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجانه»(١٦٦)

واقسى ما حكمت به الليالي على ولاة البصرة هو حكمهم المطلق حتى كأنهم مستقلون عن الخلافة وأنهم اذا ما حقق لهم أحد مأرباً أو غاية حققوا له أمنياته حتى ولو على حساب راحة وسعادة الناس كما في حكاية قمرالزمان ومعشوقته(١٦٧) اذ نجد الوالي أو ما تسميه الليالي بالملك الذي يهاديه ملك الهند جوهرة ثمينة يشترط فيها على تجار الجواهر أن من يكسرها ترمى رقبته ومن يفعل ذلك دون أن يكسرها يحقق له الملك أية أمنية ، وعندما يعرف الجميع هذا الشرط يخافون النتيجة عدا شيخهم الذي ينجح في ثقب تلك الجوهرة فيحقق له أمنية ترغب فيها زوجه الجميلة التي يحبها ، وهي أمنية تتحقق على حساب راحة أهالي البصرة بل تجعلهم تحت رحمة غطرسة انسانة صغيرة وليدة حيث «ينادي في شوارع البصرة أن أهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبق في البلد كبير ولا صغير الا ويكون في المسجد او في البيت وتقفل عليهم ابواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وتركب زوج التاجر مع جواريها وتشق في المدينة ، ولا ينظر لها احد من نافذة أو طاقة ، وكل من عثر عليه خارجا يحق لها قتله ، على أن تحبس القطط والكلاب حفظا على البضائع»(١٦٨)

ان تحقيق مثل هذه الرغبة يعني اهمال الشعب تمام الأهمال وتمنيهم لزواله لما في ذلك من القسوة والظلم في نهاية الحكاية نجد ضيق أهل البصرة ودخولهم على الملك «فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعا وتوجهوا الى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له ياملك الزمان ان الجوهري أخذ حريمه وسافر الى حجِ بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس

---

(١٦٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست مجلد ٢ ص ٥٩٣ ليلة ٩٨٨

(١٦٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٣٧ وهي غير حكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان

(١٦٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٤٦ حكاية قمر الزمان مع معشوقته .

لأجله فباي سبب الان فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني ؟ روحوا الى دكاكينكم وبيعوا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة»[١٦٩] بل ان أهل البصرة وقبل اجتماعهم ودخولهم على الملك وبمجرد سماعهم ومعرفتهم بسفر الجوهري نصت الليالي قائلة وهي تعبر عن مقدار الفرح نتيجة للسخط النفسي ضد الضغط السياسي «وفرحت الناس ، وقد انقذهم الله من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة لأن هذه الخصلة أورثت أهل البصرة حسرة عظيمة»[١٧٠]

وهذا السكوت الطويل وعدم الاعتراض على أمر الحاكم ناتج عن وداعة أهل البصرة فقد وصفوا فيما بعد «بأن اهلها في غاية السكانة والبلاهة ،.... توارد كثير من المتصرفين الى البصرة وظلموا أهلها ، واخذوا منهم اموالاً كثيرة لا تحصى ولم يشتك أحد منهم حاله الى والي بغداد ، مع كثرة المظالم عليهم بحيث بلغ الجور عنان السماء»[١٧١]

فالبصرة «أمدت قصص الليالي بلون من الوان الحياة الاجتماعية نرى له بعض الصدى في قصص اخرى غير التي وطنها القاص في البصرة هذا اللون هو بطش الحكام بالرعية واستأثرت البصرة بالولاة المتجبرين الذين لا يبالون بالعدل بالرعية»[١٧٢]

فالملامح السياسية في أحوال ولاة البصرة ان ولاتها اتبعوا سياسة غاضبة قاسية رغم سلطة الخلافة ، وان تعدد ولاتها لدليل على الافادة لهم فهم اصحاب اموال وبساتين ويهاديهم ملوك الدول الاخرى كالهند ، ولكن ظل العدالة واضح وان الولاية كبيرة لدرجة أن الوالي يتخذ اكثر من وزير وأن خراجها له الأثر الكبير في حياة الدولة عامة لدرجة اهتمام الرشيد بها كما عرفنا[١٧٣]

---

(١٦٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٦١ حكاية قمر الزمان مع معشوقته

(١٧٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٦١

(١٧١) احوال البصرة ص ٥ عام ١٢٨٦هـ

(١٧٢) د سهير القلماوي كتابها الف ليلة وليلة ص ٢٣٣/٢٣٢ .

(١٧٣) ارجع الى القسم الخاص بالرشيد وموقفه من الولاة من الفصل الأول ص ١٠٧ .

ولاة مصر

كانت ولاية مصر مهمة لدرجة تجعل الحكومات المركزية تهتم باختيار شخصيات ولاتها عبر التاريخ الاسلامي العربي ولذلك نجد أن الخلافة الاموية كما ذكرت الليالي اختارت لها عبدالعزيز بن مروان وهو اخو الخليفة الشهير عبدالملك بن مروان لثقلها السياسي وخوفا من تحرك المصريين ضد الخلافة كما حدث في خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو من الأسرة الأموية وقد كان للمصريين اليد الطولى في مقتله بقيادة محمد بن ابي بكر (رض)[١٧٤]، رغم ما يقال «من ان ملك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلة الخوارج والعصائب

وأول من ذكر من ولاة مصر خلال العصر العباسي الخصيب حيث اطلقت عليه «الخصيب صاحب مصر»[١٧٦]، ويبدو من سياق الحكاية انه مفرط الغنى لأن ابنه عند سفره الى البصرة «أخذ جراباً وملأه من الجوهر والذهب وقيمة الجوهر ثمانون الف دينار»[١٧٧]، كما أن الوالي كان يخضع خضوعاً قوياً لسلطان الخلافة العباسية فبعد أن أختفى ابن الخصيب استنجد الوالي بالرشيد حيث «ارسل حاجبه الى الخليفة هارون الرشيد ، ومعه هدايا وتحف ومعه كتاب يذكر له فيه أن ولده قد فقد منذ سنة وقد سمع انه ببغداد والمقصود من انعام خليفة الله ان يفحص عن خبره»[١٧٨]

والحكاية في مسارها السياسي تدل على وحدة البلدين واقتران القطرين نسبا ومعرفة وعلماً وحكماً حيث يتزوج ابن الخصيب في مصر ببنت عامل البصرة في العراق بأمر الخليفة العباسي ثم أن احوال بغداد العلمية كانت معروفة للمصريين حيث كتب وصور ادباء وفناني بغداد معروضة في مصر فقد ظهر ذلك على لسان الكتبي الذي سأله ابراهيم بن الخصيب

---

(١٧٤) الامم والملوك ج ٥ ص ١٣٢ حوادث عام ٣٥هـ . تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والأمويين ص ١٠٣

(١٧٥) المقدمة ص ١٦٥

(١٧٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢١٩ حكاية ابراهيم بن الخصيب مع جميلة بنت ابي الليث عامل البصرة

(١٧٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢١٩

(١٧٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٢٨ .

«ياعم من صنع هذه الصورة ؟ قال ياسيدي صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصندلاني في حارة تسمى الكرخ»[179]

فاذا ما تركنا العصر العباسي ، ودخلنا عصر الخلافة الفاطمية وما جاء بعدها من عصور المماليك ، نجد أن الولاة لم يعد لهم وزن سياسي واضح واصبح همهم السيطرة على الخطرين والسراق مما يدل على اضطراب الحياة الأجتماعية وانهيار الحالة الاقتصادية فالوالي الذي يلقي القبض على الرجل البغدادي النائم في المسجد بتهمة السرقة في حين أنه لم يكن سارقا ، يدل على اضطراب قوى الأمن ، وان الناس تستغيث به لفشل الشرطة والعسس في السيطرة على السراق[180]

وتذكر الليالي خمسة من ولاة مصر ثلاثة منهم أيام الملك الناصر وهم ولاة الاسكندرية وبولاق والقاهرة ومصر القديمة وقوصي وقد جعلتهم الليالي لعبة بأيدي شطارها وفتيانها ، يغلبونهم وهم في غفلة لأنهم ارتضوا مشاركة السارق في ما يسرق[181]

والملاحظة السياسية هو تقسيم ولاية مصر الى ولايات صغيرة ، حيث جعلت لكل حي تقريباً والياً كما في ذكرها عن منطقة القاهرة ، فمصر القديمة ولاية وبولاق ولاية ثانية والقاهرة مركزاً ولاية أخرى

كما يمكن القول ان هذه الحكايات «إنما هي تعريض حقيقي بعصر المؤلف ونقد روائي للفساد الذي استشرى في اجهزة الحكم حتى ضاع معنى الأمن خلال أحلك فترة من فترات التاريخ في مصر»[182]

- ٦ -

بقية الولاة

ولم تنس الليالي ان تذكر ولاة لغير المنطقة العربية الاسلامية ، ضمن الحدود الجغرافية للخلافتين الأموية والعباسية والأندلس ، والمغرب فقد

(١٧٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢١٩
(١٨٠) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٣٥٢ ص ٥٣٠
(١٨١) ارجع الى الفصل الخاص بمغزى قصص الشطار والفتيان ص ٤٢٩
(١٨٢) فاروق خورشيد اضواء على السير الشعبية ص ١٣٣ .

ذكرت ولاة في أقطار بعيدة كالصين غير أن الملاحظة الهامة ان هذا الوالي ليس مغايراً في طبيعة عمله للوالي في العراق أو الشام أو مصر أو الأندلس الا ان الطريف في الحكاية هو عدالته في حكمه على المجرم ، مهما كان دينه حيث تدور حوادث الحكاية حول مقتل رجل مسلم اتهم بقتله مباشر الحاكم ورجلان يهودي ، ونصراني حتى اذا تداخلت حوادث القضية وبدا كل منهم يعترف بأنه هو القاتل ، من أجل تخليص البريء الذي أدانته قواعد الأعتراف مما يضطر الوالي لايقاف عملية الأعدام ورفع الموضوع أصلاً الى الملك ليبت فيها بعد أن افهمتنا القصة ان نية الخير موجودة في النفس الانسانية وأن الدين السماوي يعتبر دافعاً للاعتراف بالحق[١٨٣]

أما والي مدينة المجوس فهو في الواقع كأي والٍ مسلم ، همه احقاق الحق وتنفيذ روح العدالة فهو ينادي ويشهر بالمجرم حتى ولو كان هذا المجرم المتهم اميراً أو له سلطة ، ما دام قد وقع منه القتل وهذا ما رددته حكاية «أمير ياخور الملك» عندما اتهم فثبتت عليه الجريمة فقد قام الوالي بما عهد اليه من حفظ للحقوق

(١٨٣) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٢٥ ص ٧٤ مجلد ١

(١٨٤) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٢٣٣ ص ٤٠٠ مجلد ١ .

الحاجب

من مناصب الدولة في عاصمة الملك او الخلافة بعد الوزارة الحجابة[185]، وأول من أتخذها من الخلفاء معاوية بعد ما حدث من محاولة قتله من قبل الخوارج خوفا مما حدث للأمام علي (رض) ومنعاً لازدحام الناس على ابوابه حتى لا يشغلوه عن مهام الدولة[186]، وقد اشترط في الحاجب صفات يمكن تلخيصها اعتمادا على رأي الجاحظ «الا يكون جهولاً ولا غبياً ولا عيباً ولا ذهولاً ولا متشاغلاً ولا خاملاً ولا محتقراً ولا جهماً ولا عبوساً وان يكون رؤوفا مألوفا منه البر والرحمة متواضعا طلقاً شريف البيت لين الكلام بهي المنظر مشتاقاً الى محادثة العلماء ومجالسة الصلحاء معانداً للسعاة مجانباً للكذابين شديد الحنو على المملكة وعليه فان الليالي عند ذكرها لمثل هذا المنصب لم نجد مثل هذه الصفات في شخصية الحاجب بل تتفاوت مكانته بين كونه مسؤولاً عن تدبير أمور المملكة والطمع فيها أو أن يكون مجرد رسول الملك أو الخليفة الى ولاته أو أن يكون رسوله لحماية الخراج حتى يصل الى العاصمة

في «حكاية الملك عمر النعمان» وعند موقف كون الملك صغير يجعل الحاجب وصياً على عرش المملكة لرعاية ولي العهد ولكنه يستغل هذه المكانة فينفرد بالسلطة ويعزل الملك الشرعي وهذا ما جاء على لسان الملك الشرعي «أنا يقال لي كان ما كان ابن الملك ضوء المكان ابن ملك عمر النعمان قد مات والدي وربيت يتيماً وتولى رجل لئيم وصار ملكاً الحقير والعظيم»[188]

---

(١٨٥) طه الراوي بغداد مدينة السلام ص ٣١ المعارف سلسنه قرأ ٢٧

(١٨٦) د حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٢٦٧

(١٨٧) الجاحظ رسائل الجاحظ «كتاب الحجاب» ص ٣٧ ٣٨ ٣٩ عن قو منصور وسهل هارون وكسرى انو شروان المطبعة المحمدية القاهرة ١٩٦٥ ج

(١٨٨) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣١٩ .

غير أن الليالي رغم محاولات الحاجب لكسب «وتأييد الناس والجيش له تجعله ضعيفا يشعر بالخطأ فيتنازل للملك الشرعي وتظهر فساد الحاشيه من المنتفعين تزلفاً للملك الجديد بوساطته «ثم أرسل الحاجب الى الوزير وقال الرأي عندي أن اتقدم واسبقكم لأجل أن أهيء للسلطان مكانا يناسبه وأعلمه بقدومكم ثم نهض الوزير تعظيماً له وقدم له التقاديم وكذلك الأمراء الكبار وأرباب المناصب قدموا له التقاديم وقالوا لعلك تحدث السلطان في أمرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا

فالليالي تظهر أهميته السياسية عندما يستجد الحكم في شخصية الحاكم الجديد فاذا ما تمت بيعة الحاكم وقف الحاجب الى جانبه ويكون عادة حسب رأي الليالي مسؤولاً عن الخراج «فضوء المكان» الملك الجديد يخاطب حاجبه «اعرض عليّ الذي معك من خراج دمشق»[190]

ويرسل الحاكم حاجبه الى ولاته مباشرة في الأمور المهمة كما حدث ان ارسله الرشيد الى واليه في البصرة[191]

ومن ميزاته في الليالي حق اعتراضه على الولاة في أحكامهم كما اعترض حاجب الرشيد على والي البصرة في محاولة لانقاذ إنسان من تهمة القتل «ويلك انك لا تصلح للولاية

وتوصي الليالي الحكام بتفقد الحجاب كما في وصية عبدالملك لأخيه والي مصر «تفقد كتابك وحجابك» ذلكم لأن الحاجب حسب رأي كسرى انو شروان «صاحب إذن الخاصة»[194]، ولأنه برهان سياسته ولأنه مسؤول عما يعرض على الحاكم او الوزير عن أحوال ارباب الحوائج واحوال المظلومين

---

(١٨٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٧
(١٩٠) المصدر نفسه ج ص ٢٢٧ ٢٢٨
(١٩١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٢٨
(١٩٢) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٢٨
(١٩٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠١
(١٩٤) الجاحظ رسائل الجاحظ كتاب الحجاب ج ٢ ص ٣٩
(١٩٥) الخربيتي محمود الشيخ اسماعيل بن ابراهيم بن ميكائيل الدرة الغراء في نصيحة القضاة والامراء مخطوطة . الباب الخامس

وهي رغم اعترافها بأن الوزير هو صاحب الكرسي الثاني إلا أنها قد تظهر الحاجب أعلى مكانة من الوزير عندما يجد نفسه وصيا على العرش كما حصل في موقف ابعاد الملك الشرعي «كان ما كان»[197]

(١٩٦) المصدر نفسه : الباب الخامس .

الفصل الثالث
الحكم والحكام

القسم الأول صفات الحاكم وحقوقه
القسم الثاني مخاوف الملوك وأحزانهم
القسم الثالث اعداد الملوك للحكم
القسم الرابع أنواع الملوك

❋ ❋ ❋

القسم الأول

صفات الحاكم وحقوقه

١

من الأمور المسلم بها قطعا وجود حاكم أو رئيس أو ملك أو شيخ أو ساحر أو كاهن على رأس الهيئة الاجتماعية ترتضيه بحكم ظروف المجتمع

ولهذا الحاكم أو الملك أو السلطان أو ما شابه ذلك صورة مثالية في أذهان العامة وتكاد مكانته تقترب من القدسية أو الربوبية كما في أيام الفراعنة ....«قال أنا ربكم الأعلى»[1]

غير أن الحاكم مهما كان نوع حكمه تشترط فيه صفات اللياقة الجسمانية والفكرية والخلقية لأن وجوده ضرورة اقتضاها التاريخ حيث كان يمثل الآلهة وكان ملجأ للفرد يحتمي به بل لقد مرت فترة على الأنسان وعلى الجماعة كان يقرر فيها مصيرهم فرد واحد وهو في العادة أشجعهم

غير أن موضوعنا المتمثل في البحث وراء الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة يضطرنا للقول بأن الأداة السياسية التي حددتها حكاياتها لم تكن تافهة ولا اعتباطية فقد كانت سياستها ملكية تقيم في كل مدينة عرشا وينصب في كل مجمع من الأحياء ملكاً حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة»[3]، وأكثر من هذا كله رفعت شعار عدم الاستخفاف بالملوك والا فأن «الاستخفاف بالملوك يذهب الروح»[4] وقد تنوعت القاب الحاكم ولكنها ذات معنى واحد فهي تارة تلقبه بالملك وأخرى بالسلطان وثالثة بالخليفة ورابعة بالحاكم

وقد دققت في إعطاء أوسع صورة وأصدقها للملك أو الحاكم أو

---

(١) سورة النازعات آية ٢٤

مجلة التراث الشعبي/العدد العاشر السنة الثالثة ١٩٧٢/السلطان وبطل الحكاية كاظم أسعد

(٣) احمد حسن الزيات محاضرتان فى تاريخ الف ليلة وليلة ص ٤٨/٤٧

(٤) الف ليلة وليلة ط بو/اوفست ليلة ٤٤٤ ص ٦٢٠ مجلد .

السلطان من حيث صفاتهم وقوتهم وخوفهم والقابهم وتربيتهم وفسادهم وصلاحهم ومظاهرهم وتدينهم وزهدهم وسياسة النظم لديهم ومهاداتهم ومشاوراتهم ومنادامتهم ونفسياتهم وحقوقهم على الرعية وحقوق الرعية عليهم واحزانهم وافراحهم وتحذيراتهم وحذرهم وعدالتهم وظلمهم ومكانة النساء لديهم وانفعالاتهم وأعطياتهم وأنواع الملوك وحقوقهم تجاه وزرائهم وحقوق وزرائهم ومرؤوسيهم عليهم حتى بدت الليالي في سردها للصفات كأنها كتاب مراسم او رسوم سلطانية

غير أننا يجب أن نتذكر اولاً انها لم تنص على صفات الملوك نص التاريخ أو مباحث التاريخ فهي بوصفها حكاية ليس من واجبها الشرح والتفصيل ولكنها تارة تقف عند الصفات طويلاً وأخرى توجز وتارة تدس الصفة المرادة والمعيبة لمحا[5] يقرب من أذهان العامة بأبسط لفظ واوضح معنى دون غموض

فنحن نجد الحكاية في بدايتها تعني بوصف الملك الذي تتحدث عنه بالقوة والصدق دون ذكر اللفظتين في أولى حكايات الليالي وعلى الصفحة الأولى نجدها تقول عن الملك شهريار «ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم حكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته»[6]

ثم ان الليالي تكرر الصفات الحسنة وتؤكد عليها خلال حكاياتها حتى ليحس القاريء أو السامع إنما ارادت من وراء ذلك تثبيت هذه الصفات في مسامع الناس المحكومين وفي ذهن الحاكم عند قراءته وسماعه لتلك الصفات فهي أداة تنبيه وتذكير للحاكم والمحكوم

ولكي ندرك رأي الليالي في الحاكم فلا بد من تحديد تعريفها للملك أو الحاكم وقد ذكرته تفصيلاً «ان الملك لا يسمى ملكا الا اذا أعطى وعدل حكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته بإقامة الشرائع والسنن المألوفة بين

---

(٥) جاء في أساس البلاغة للزمخشري ط ١ مطبعة اولاد ادرفاند ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م لمح البرق لمع من بعيد والمحت المرأة من وجهها امكنت من أن تلمح ، ومن المجاز ابيض لماح يقق ، لمحا باصرا اي ولأرنيك أمرا واضحا

(٦) الف ليلة وليلة : حكاية الملك شهريار ص ١ ج ١ ط محمد علي صبيح

الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الأذى عنهم ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم وإسعاف اعلاهم وأدناهم وإعطائهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعا داعين له ممتثلين لأمره لأنه لا شك أن الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرعية مكتسب من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضا خالقها»[٧]

هذا النص تعريف شامل تغلب عليه الصفة الانشائية التي تحلّى بها النصوص الأدبية غير أن أبرز الصفات التي عرضها التعريف هي العدل وحسن السيرة واقامة السنن وهو بعد ذلك يلتقي ببعض شروط الامامة عند «الماوردي كما في صفات العدل وسياسة الرعية وتدبير المصالح وحماية البيضة»[٨]، وكذلك يلتقي هذا التعريف بما جاء في تذكرة ابن حمدون خلال تعليقه على السياسة من وجوب وجود الملك الحاكم ومهمة قيامه بالعدل «فلو تناولوها بالعدل انقطعت الخصومات ولكنهم تناولوها بالجور ومتابعة الشهوات أو محبة الاستئثار فتولدت بينهم المنازعات فاحتاجوا الى سلطان يسوسهم ويضبط أمورهم ولولا ردع السلطان لغلب قويهم ضعيفهم»[٩]

وأضاف الليالي الى الصفات السابقة التي حددها تعريفها لشخص الحاكم صفات مهمة أخرى فـ «الملك اذا كان مهيبا عالما بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية وإكرام من يجب إكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند المقدرة إلا فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم وإن الملك إذا كان بخلاف ذلك فأنه لم يزل في مصائب وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب»[١٠]

هذه الصفات التي تذكرنا برأي ابن خلدون في شخص الحاكم «أن الملك إذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا فيه بالكذب والمكر والخديعة واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيآتهم استناموا اليه ولاذوا به وأشربوا

(٧) الف ليلة وليلة حكايه الملك شهريار ج ٤ ص ١٤١/١٤٠ ط محمد علي صبيح
(٨) الدين والشريعة
(٩) ابن حمدون التذكرة ص ٣٧
(١٠) الف ليلة وليله ج ٤ ص ١٤٢ ط محمد علي صبيح الماوردي الاحكام السلطانية ص ٤

محبته واستماتوا دونه في محاربة اعدائه فاستقام الأمر من كل جانب»

فأحكام الليالي وابن خلدون هنا تكاد تكون واحده رغم نفاوت مكانة الاثنين في نفوس الناس ولابد أن احدهما أفاد من الآخر

ومن الصفات التي حببتها الليالي للناس في شخص الحاكم العفو عند المقدرة والتأني في الأحكام ورعاية من هو في حماه وقد جاء ذلك على لسان عبدالملك بن مروان في حكاية «نعم ونعمة» حيث قال ردا على قصة اخته لحكاية «نعم ونعمة» وهما في بيب عبدالملك «ينبغي لذلك الملك العفو عند المقدرة وأن الملك ينبغي له التأني في الحكم بين الناس»

أما الذمام وحماية من هم في حماهم حتى وإن كانوا أعداء ماداموا في ظله فقد جاء ذلك على لسان الملكة المسيحية «ابريزة» التي استضافت ابن عدوها الملك شركان وقد أحست أن بطارقة الدير يريدون قتله غيلة وغدرا «أنت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لو أراد أهل الأرض يؤذوك لما وصلوا إليك»[١٣]

وكذلك افترض الليالي في شخص الحاكم الشهامة والغضب للكرامة كما في موقف ابن الملك شهرمان أمام أبيه حين طلب الوالد من أبنه الزواج ولم يوافقه بل اندفع الابن غاضبا أمام عسكر أبيه لكونه رد رداً غير لائق بولي العهد قال الليالي «ثم أن الملك شهرمان لحقته شجاعه الملك فصرخ على ولده فأرعبه»[١٤]

وقدس الليالي على طريقة قصص البطولة صفة الشجاعة والأقدام في شخص الحاكم وهي صفة تعتمد أحيانا على إبراز الصفات الجسمانيه المحببة عند الناس فخلال وصف شجاعة ملك الصين رددت صفة القوة والفروسية «ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الأخطار في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت»[١٥]

---

(١١) المقدمة ص ١٨٨/١٨٩

(١٢) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٤٤/١٤٥

(١٣) الف ليلة وليلة ٤٨ مجلد ١ ص ١٤٧ ط بو اوفست .

(١٤) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٨

(١٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٢ .

وهذه الصفات من صفات العصور الوسطى حيث تقديس الفروسية ويمكن ردها إلى صدى السير الشعبية لبطولات عنترة وحمزة البهلوان والملك سيف بن ذي يزن والأميرة ذات الهمة

أما الصفات الجسمانية فمن أبرزها طول القامة وحسن الصورة وإن لم تكن الليالي تفصل بينها وبين الصفات المعنوية اذ بعضها يكمل بعضا اجتذابا للناس المشغوفين بجمع المحاسن الجسمانية والمعنوية «طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطباع محسنا للفقراء محبا للرعية ولجميع أهل دولته عادلاً في مملكته حافظا لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالأحسان ولما يليق بهم من الرعايا والعطايا والأمان والطمأنينة مخففا للخراج عن كاهل الرعية»[١٦]

وأخطر الصفات التي أرادتها في شخص السلطان وأوجبتها هي صفات الاصلاح والأعمار كما جاء ذلك في تعليقها على حكاية الملك العادل أنو شروان الذي أظهر يوما من الأيام أنه مريض فأنفذ ثقاته وأمناءه وأمرهم أن يطوفوا أقطار مملكته وأكناف ولايته وأن يتطلبوا له لبنة عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها فطاف الباحثون أقطار المملكة ولكنهم عادوا فاشلين قائلين له ما وجدنا في المملكة مكانا خربا ولا لبنة عتيقة ففرح أنو شروان بهذا وشكر الله وقال انما أردت أن أجرب ولايتي وأختبر مملكتي لأعلم هل بقي فيها موضع خرب لأعمره وحيث انه لم يبق فيها مكان إلا وهو عامر فقد تمت أمور المملكة وانتظمت الأحوال ووصلت العمارة إلى درجة الكمال»[١٧]

ولم يكتف القاص بذكر الحكاية بل علق عليها ناقدا «فاعلم أيها الملك أن أولئك الملوك القدماء ما كانت هممهم واجتهادهم في عمارة ولايتهم إلا لعلمهم أنه إن كانت الولاية أعمر كانت الرغبة أوفر لأنهم كانوا يعلمون أن الذي قالته العلماء ونطقت به الحكماء صحيح لا ريب فيه حيث قالوا إن الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل في العباد فما كانوا يوافقون أحدا على الجور والظلم ولا يرضون

---

(١٦) الف ليلة وليلة ص ١٣٤ ج ٤ ط محمد علي صبيح

(١٧) المصدر السابق ط بو اوفست ٤٦٤ مجلد ١ ص ٦٣٨ .

لحشمهم بالتعدي علما منهم أن الرعية لا تثبت على الجور وأن البلاد والأماكن تخرب إذا استولى عليها الظالمون»[١٨]

٢

اما الصفات المستقبحة عند الملوك في رأي الليالي والتي تمثل رأي الناس او التي أوردها القاص ليحاربها حسب طريقته في التذكير وإشهار سيف النقد ليبتعد الحكام عنها جاهدين وليقف تجاهها شعب الحاكم إن كانت فيه فهي

أولاً الكذب

إذ هو صفة لا تليق بالملوك أبدا لجلال الملك وقد نصب على ذلك عبارة صريحة في حكاية «الملك عمر النعمان» «ان الكذب عند الملوك منقصة وعار ولا سيما عند اكابر الملوك»[١٩]، كما أنها لم تسمح بالكذب على الملوك أنفسهم وسبب هذا التكريه لتلك الصفة أن الرعية عندما تستشعر الكذب عند حاكمها فقد تضطر إلى التهديد بنزع الملك من يده فقد جاء ما نصه على لسان الناس المفاوضين لوزير الملك الأكبر للملك جليعاد وبعد أن بدأ الملك يكذب ويكذب «أيها الفيلسوف الحكيم الماهر أما ترى هذا الولد الجاهل يقصدون الملك الكذاب لا يزداد إلا كذبا علينا وإن خراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا»[٢١]

فالكذب في الأمور السياسية يعني عدم استقرار الأمور وتلاعب المسؤولين وبذلك تضيع قيمة المسؤولية إذ أن صفة الكذب لا تخص شخص الملك ذاته وإنما تخص ذات العدالة في شخصه كحاكم

(١٨) الف ليلة وليلة/ط بو اوفست ٤٦٥ ص ٦٣٩/٦٣٨
(١٩) المصدر نفسه ص ١٧٠ ج ٤ ط محمد علي صبيح
(٢٠) المصدر نفسه ص ٧٢ ج ٢ ط محمد علي صبيح
(٢١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٣٤ حكاية ورد خان ط . محمد علي صبيح

ثانياً الجور والظلم والقهر

فقد رفضت الليالي في شخص حاكمها تلك الصفات ، واعتبرتها خطيئة بحق الأمة مستندة الى حديث نبوي شريف ذكرته خلال عرضها وسردها فقد جاء على لسان جارية يمتحنها العلماء أمام الملك انها قالت «عن سفيان الثوري (رض) أنه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة»[٢٢] ولذلك فقد كرهت مثل تلك الصفات «جائر ظلوم وقاهر غشوم»

وقد أبدت الليالي فكرة عدم جواز وجود الملك الظالم بل لابد من استئصال شأفته ففي حوار الرجل الحاج مع المرأة البدوية المنقطعة عن العمران والتي تعتاش على أكل الحيات وشرب الماء المر ، ولكنها تعيش بحرية بعيدة عن الظلم والمظالم فقد سألته عن بلاده فقال «ان في بلادنا الدور الواسعة الرحبة والفواكه اليانعة اللذيذة ، والمياه الغزيرة فقالت العجوز قد سمعت هذا كله فقل لي هل يكون لكم سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه ، وأنتم تحت يده ، وأن أذنب أحد منكم أخذ أمواله ، وأتلفه وإذا أراد أخرجكم من بيوتكم ، واستأصل شأفتكم ؟ فقال لها الرجل قد يكون ذلك فقالت العجوز والله يكون الطعام اللطيف ، والعيش الظريف والنعم اللذيذة مع الجور والظلم سماً ناقعاً ، وتعود اطعمتنا مع الأمن ترياقاً نافعا أما سمعت أن أحلى النعم بعد الأسلام الصحة والأمن ، وانما يكون هذا من عدل السلطان خليفة الله في أرضه وحسن سياسته»[٢٣]

ثالثاً الحمق والغطرسة

احتقرت الليالي صفة الحمق في الحاكم كما كرهت غطرسته ففي حكاية جودر ابن التاجر عمر وأخويه نجد أن الليالي تصف أمير مصر بأنه «أحمق متكبر في نفسه»[٢٤].

أما صفة الغطرسة فتظهر في «حكاية ورد خان بن جليعاد» حيث

(٢٢) الف ليلة وليلة ط محمد علي صبيح ج ٤ ص ٢٢١
(٢٣) المصدر نفسه ط بو أوفسيت ٤٣٥ ص ٦١٣ مجلد ١
(٢٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٩٧ ط . محمد علي صبيح .

أشارت عليه الجارية التي أحبها فقتل من أجلها عظماء الوزراء ورجال مملكته أن يطبق رأيها في الحكم فهي تقول «انما الرعية للملك والآن رأيت أنك أيها الملك عبد لرغبتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم أنما أرادوا أن يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفا تهاونوا بك وان وجدوك شجاعا هابوك كذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لأن حيلهم كثيرة ، وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم فان وافقتهم على ما يريدون اخرجوك من أمرك الى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر الى أمر حتى يوقعوك في الهليكة»[٢٥]

فالليالي حذرت الملك الحاكم من استمراره في الغطرسة ، وإن رددت أقوال الجارية العابثة بسياسة الملك فانما ارادت العبرة بالنتيجة فقد كانت آراء المرأة التي طلبت إلى الملك أن ينظر إلى رعيته ووزرائه نظرته الى عبيده «ما أكثر تعجبي من اذعانك وطاعتك لعبيدك أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيد إك ؟ فلأي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى أوهمتهم أنهم هم الذين اعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وأنهم اعطوك العطايا ، مع أنهم لا يقدرون أن يفعلوا معك أدنى مكروه فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك ، وتنفيذ أمورك فكيف تكون مرعوبا منهم هذا الرعب العظيم ؟ وقد قيل اذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكا وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك ، مع أنه ينبغي أن يكونوا مقبورين على طاعتك مجبورين[٢٦] على الانقياد إليك فإن أنت سارعت لقبول كلامهم ، وأهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة»[٢٧]

رابعاً الافساد المقصود والافراط في الجباية للأموال

رفضت الليالي في الملوك فكرة الأفساد المقصود للنساء واغتصابهن لأنهم مسؤولون امام الله والرعية ، وقد ترددت فكرة الذم هذه مرات فعندما

---

(٢٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٥/١٦٦ حكاية ورد خان .

(٢٦) الاصح مجبرين

(٢٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦٨ .

أطمأنت الملكة «إبريزة» إلى شركان ابن الملك عمر النعمان ووافقته على الهرب معه اعتدى عليها ابوه فقتلتهذات الدواهي بالسم وتركت عند رأسه ورقة تقول فيها تبريرا لأغتيال الملك «من أساء لا يستوحش منه ، وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذي نعلم به كل من وقف على هذه الورقة أن شركان - ابن الملك عمر النعمان لما جاء الى بلادنا بلاد الروم - أفسد علينا الملكة «ابريزة» وما كفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها إليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها ووجدناها مقتولة في الخلاء ، مطروحة على الأرض فهذا ما هو فعل الملوك ، وما جزاء من يفعل هذا الفعل إلا ما حلّ به ، وأنتم لا تتهموا أحد بقتله فما قتله إلاّ ذات الدواهي»(٢٨)

كذلك نجد أن الليالي لا تحترم مثل هذا الملك الذي يفسق في الناس كما نصت عليه عبارة واضحة جاءت على لسان أحد ملوك الجن لملك جني آخر كان ابنه ظالماً وفاسدا وفاسقا فقتل «لظلمه وعدوانه ، وأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم الى البئر المعطلة والقصر المشيد ويفرق بينهم وبين اهليهم ويفسق فيهم»(٢٩)

أما تحذيرها من الافراط في جباية الأموال فقد ذكرت ذلك في خبرها عن الملك العادل كسرى أنو شروان(٣٠) الذي مر على قرية وهو متنكر فطلب ماء فقدمت له شابة عصير عود قصب سكر ، فسألها من كم عود هذا الأناء ؟ فأخبرته أنه من عود واحد ففكر أن يزيد خراج الأرض لخصوبتها ، فلما عاد في المساء وطلب الماء من نفس البيت أبطأت الشابة وتأخرت فسألها عن سبب إبطائها فأخبرته انها اضطرت لعصر ثلاثة أعواد ، ولم يخرج منها ما خرج من العود المفرد فلما سألها عن السبب أخبرته قائلة «إن نية السلطان قد تغيرت وقالت سمعنا من العقلاء أنه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم وقلّت خيراتهم»(٣١)

---

(٢٨) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٨٦ مجلد ١
(٢٩) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٠٠
(٣٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٥
(٣١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٥

حقوق الملك على رعيته ووزرائه وحقوقهم عليه أو واجبه نحوهم

لم تترك الليالي أمر الملك أو الحاكم عبثا ، بل أنها أوضحت ما للرعية على حاكمها وما للحاكم على رعيته باعتبار ما سبق قوله من أن السلطان ضرورة حتمية تقتضيه ظروف العمران وأنه «زمام الأمور ، ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدنيا وهو حمى الله في بلاده»[٣٢]

ولما كان الأمر كذلك فقد أبرزت الليالي أن لهذا السلطان أو الملك أو الخليفة أو الحاكم حقوقا على رعيته في أن «الذي يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسوله وأن للملك على رعيته السمع والطاعة وبذل الأنفس دونه وأعطاءه حقه ، وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله وإحسانه»[٣٣]

وللسلطان على رعيته عدم اغترارهم بحلمه فيتجاسروا عليه «وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك»[٣٤]

فالطاعة له واجبة ، وعدم اغترار الرعية أمر مرغوب فيه غير أن هذه الطاعة يجب أن تكون مشروطة بالعدل والاحسان من قبله

وقد أوضحت الحكايات أن الطاعة واجبة للملك حتى وإن كانت هناك حدود للصداقة او للعذر فخلال حكاية «عبدالله البري وعبدالله البحري» ورغم صداقتهما القوية فانه بمجرد أن ملك البحر طلب من عبدالله البحري احضار صاحبه البري ، وأن عبدالله البري اعترض على صاحبه بأن له عذره في عدم استجابته لدعوة الملك باعتبار أنه من سكان البر لا البحر وبالرغم من وجود حساسية كراهية عبدالله البحري تجاه حاكم البحر لكونه انتزع الملك من يد عائلته فقد قال له «العذر واضح ولكننا لا يمكن مخالفة الملك»[٣٥]

---

(٣٢) العقد الفريد ج ١ ص ٥
(٣٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٥٤ ط محمد علي صبيح
(٣٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٨
(٣٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٧ حكاية عبدالله البري والبحري

ومن حقوق الملك على رعيته احترامها لعهود ملوكها فقد أوردت الليالي نص ما عاهدت الناس به ملكها السابق بعد أن أفسد الابن عدالة أبيه فيهم فهم وإن استشعروا الظلم وانصرافه عنهم فقد خاطبوا الوزير ليدخل على الملك ناقلاً تهديدهم له بانتزاع الملك منه غير أنه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه إلا إحسان والده الينا وما اخذه علينا من العهود والمواثيق»[٣٦]

أما حقوق الملك أو السلطان على وزرائه فقد رسمت له الليالي برنامجاً مبسّطاً ابرزت فيه شخصية الحاكم بروزاً كبيراً جداً لدرجة تكاد معه أن تضيع شخصية الوزير بل لتجعله أقرب إلى التابع منه إلى أي شيء آخر فقد جاء على لسان أحد الوزراء في مخاطبته للملك «ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك»[٣٧]

غير أن أبرز حقوق الملك على وزيره «النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم سره وأن لا يخفى عنه شيئا مما هو حقيق بالاطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه والذي يفعله الوزير مع الملك لكي يسلم منه فليكن الوزير تجاه الملك سمعه وكلامه له فوق ما يؤمله الملك وليحذر أي الوزير أن ينزل نفسه منزلة لم يرها لها أهلاً لكي لا يتصف بالجرأة»[٣٨]

٤

أما حقوق الرعية على ملوكها فقد تعددت وتوسعت فيها الليالي لدرجة أنها رددتها كثيرا ، وأفاضت فيها طويلاً بل إنها فضلت حقوق الرعية على حقوق الملوك

وقد جاءت نصوص حقوق الرعية على ملوكها واضحة بسيطة يعيها كل من سمعها أو قرأها «وحق الرعية على الملك حفظ أموالهم وصون حريمهم

---

(٣٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦٦
(٣٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٤٠
(٣٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٥٣ ط . محمد علي صبيح

وحق الرعية على الملك أوجب إلى حق الملك على الرعية وهو إن ضياع حقهم عليه أضر من ضياع حقه عليهم لأنه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمه الا من ضياع حق الرعية ، فمن تولى ملكاً يجب أن يلازم ثلاثة أشياء وهي اصلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة فبملازمة هذه الثلاثة يدوم ملكه»[39]

فحقوق الرعية وهذا ما يمكن وضعه في الاعتبار أمر خطير وحساس يتوقف على صلاح المالك ودوامها

ولم تكتف الليالي بذكر الحقوق مجردة بل وضّحت الأسباب والدوافع وطرق إصلاح الرعية فكأنها تريد اعلام الحاكم صورة السياسة العليا والمثلى وذلك «بأداء حقهم وإقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وإنصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم»[40]

وهناك صفات تحبب الرعية في راعيها ، منها وجوب الكرم ، واظهار العفة وابطال المكوس ، واطلاق المسجونين في المناسبات ، والتقرب من الجند بالبذل عليهم وقد نصت على ذلك الحكايات كما في حكاية «علي شار وجاريته زمرد» عندما اختيرت الجارية ملكة فاتبعت سياسة التقرب من الجماهير «فلما جلست على الكرسي أي كرسي الحكم أمرت بفتح الخزائن وانفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك وأطاعها العباد وسائر اهل البلاد وقد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من أجل الكرم والعفة وأبطلت المكوس وأطلقت من في الحبوس ، ورفعت المظالم فأحبها جميع الناس

إن اكثر الحقوق هذه منتزعة من رسائل إخوان الصفا ومستخلصة منها فلو قرأنا نص ما جاء في احدى تلك الرسائل وقارناه بما أرادته الليالي لوجدنا أن المضمون واحد وتكاد الالفاظ تتقارب «ونصرة المظلوم واجبة على الملوك المقسطين لأنهم خلفاء الله في ارضه ، ملكهم عباده وبلاده ليحكموا

---

(٣٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٥٤
(٤٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٤
(٤١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٧ .

بالعدل والانصاف ويعينوا الضعفاء ويرحموا أهل البلاد ، ويقمعوا اهل الظلم ويجبروا الخلق على أحكام الشريعة ويحكموا بينهم بالحق»[٤٢]

وكذلك نصوص تذكرة ابن حمدون «واعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية ، وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله لكل على كل فجعلها نظاماً لالفتهم وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه ، وأدى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل»[٤٣]

أو مما ذكره صاحب العقد الفريد في حق الرعية على ملوكها باعتبار أن الملك او الحاكم «حمى الله في بلاده وظله الممدود على عباده به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ، ويأمن خائفهم ومن حق الرعية على إمامها حسن القبول لظاهر طاعتها وإضرابه صفحا عن مكاشفها»[٤٥]

أو مما نقله عن أرسطا طاليس عند مكاتبته للأسكندر «املك الرعية بالاحسان إليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك بإحسانك أدوم منه باعتسافك فاجمع القلوب بالمعروف واعلم ان الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل»[٤٦]

ومما تقدم يتضح لنا أن تلك الصفات التي عرضتها آثار أولئك العلماء والكتاب والتي كانت وقفا على الخاصة والمتأدبين فلم تحجم الليالي بحكاياتها عن إفهام السواد الأعظم من الشعب وهي كما تعرف وسيلة توعية لهم بأن أفادت منها وضمتها الى نصوصها لغاية مقصودة لأنها أوسع انتشاراً وأبعد اثراً من كتب الخاصة والمتأدبين أصحاب الأدب الرفيع كما يقال عنهم[٤٧]

---

(٤٢) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ج ٢ ص ١٩٩

(٤٣) ابن حمدون/التذكرة ص ٣٩

(٤٤) ابن عبد ربه/العقد الفريد ج ١ ص ٥ نهاية الارب للنويري ج ٦ ص ٥

(٤٥) المصدر نفسه ص ٦ ج ١

(٤٦) المصدر نفسه ص ١٣ ج ١

(٤٧) ارجع الى الفصل الخاص بمغزى القصة والعامة والفتوة والشطار ص ٤١٠ .

حقوق الوزير تجاه الملك

لما كانت الليالي ذات صبغة ملكية في الحكم متسمة بصبغة الحق الالهي المطلق حيث «يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لأنه ينتخب من يشاء ليجعله خليفة ووكيلاً على خلقه»[٤٨] فهي إذن لا تلزم الملك بشيء امام وزيره الا من جهة تحقق فائدة للملك ذاته عند تعظيمه الملك واجلاله فهي في تقريرها حق الوزير على الملك أقرت بأنه «ليس على الملك حق لأحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الأولى للذي يصيبه معه عند خطأ الرأي والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي والثانية لعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر إليه الرعية بعين الأجلال والتوقير وخفض الجناس والثالثة ان الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه»[٤٩]

كذلك من حق الوزير على الملك مشاورته إن أراد الملك في حكاية الملك عمر النعمان نجد ذلك واضحاً حين يقبل الملك «على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير كان شيخاً كبيراً»[٥٠]

(٤٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٤٧
(٤٩) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٥٤
(٥٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٥ ط . محمد علي صبيح

القسم الثاني

مخاوف الملوك وأحزانهم والطعون الموجهة ضدهم

١

اعترفت الليالي من خلال سردها الحكايات والأخبار المتعلقة بالحكام بأن الحاكم رغم مظهرية جبروته وطغيانه وقوته وجنده وحرسه يخاف والخوف رد فعل ايجابي تفرضه عوامل نفسية معقدة

والملوك والسلاطين يحزنون بل ربما كان حزنهم أعمق غير أننا لا تهمنا طبيعة الخوف والحزن إلا من خلال ظهور الملامح السياسية في حالات الخوف والحزن ،وبمقدار تعلق الحزن والخوف بالأمور السياسية لأن الليالي أرادت بكل يقين الأفادة من كل موقف لتعالج الأمور السياسية بعيدا عن التصريح الفاضح وكذلك أرادت استغلال نقطة الضعف في الشخصية الحاكمة عند حصول ما يخيف أو ما يحزن لمحاربتها إن كانت ظالمة أو عندما تستوجب الأمور المحاربة فهي لم تنس أن الأنسان إنما هو قدرة الأرادة في خط الزمن وللأنسان انفعالاته ومخاوفه وآلامه وأحزانه فاذن يمكن للحكاية بما لها من السعة على تصوير ذات النفس الأنسانية إلا أنها تقر مبدأ البحث عن دقائق المعرفة وأسبابها ومن هنا فقط تنطلق فكرة تجسيد الملامح السياسية في أوضاع الخوف والحزن

ولو تتبعنا بدقة مخاوف الحكام وأحزانهم مهما كان نوع حكمهم لوجدنا أن المخاوف محصورة في ثلاث نقاط

١ الخوف من الانقلابات العسكرية

في أكثر من حكاية تبرز لنا صور خوف الحكام من التغيرات العنيفة التي يقوم بها الجيش أو الطامعون بالملك مما يعني أن الحكم فاسد لعدم تمكنه من تحقيق العدالة أو لأنشغال الحاكم عن أمور بلاده نتيجة لهو أو عبث او أبتعاد .

ففي حكاية الصياد مع العفريت المارد نجد الملك الذي ابتعد عن مدينته طويلاً نجده قلقا مضطربا وقلبه «ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة»[٥١]

فخوف الملك هذا نابع عن عدم ثقته بمن أنابه عنه وفي نفس الحكاية تظهر لنا بوادر هذا الخوف في وقوع الانقلاب فعلاً على حاكم ما حيث ينقلب وزيره عليه فقد جاء على لسان الصعلوك الأول أنه «لم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الأبطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان وزير أخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا إليه»[٥٢]

فشبح الانقلابات العسكرية يبدو أكثر الأسباب في مخاوف وأحزان الملوك ومهما حاول الملك أو الحاكم إخفاء ذلك لم يجد إليه سبيلاً

وخلال حكاية «العاشق والمعشوق»، نتحسس تخوف الملك عند سماعه بقدوم جيش اجنبي نحو مملكته ظنا منه أنه يريد غزوه فعندما دخل رسول الملك بعد استكشافه لحقيقة الأمر قال الرسول «رأيت عسكراً كالبحر العجاج المتلاطم الأمواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهم الأرض وما أدرى خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له أما خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر ؟»[٥٣]

وتبدو الفاظ الخوف مرسومة على نفسية مِلكَةٍ تحكم باسم ابنها في خطابها مع والدتها الملكة أيضا بعد أن ابتعدت عن مقر حكمها «ياأمي اني خائفة على الملك الذي لنا لأني أتيت وما أعلمت أحدا

---

(٥١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣١ ط محمد علي صبيح

(٥٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢ محمد علي صبيح

(٥٣) الف ليلة ج ٢ ص ٣٠٥ ط . محمد علي صبيح

من المملكة وأخشى أن أبطأت عليهم أن يفسد الملك علينا ، وتخرج المملكة من أيدينا والرأي السديد أني أرجع وأسوس المملكة إلى أن يدبر الله أمراً»[٥٤]

فالظلال السياسية هنا في التحذير من الابتعاد عن الممالك ومقر الحكم وكذلك بعدم الغفلة والاستعداد المستمر عند حصول انقلاب ما في مملكة مجاورة خشية امتداد هذا الانقلاب أو استغلال الظروف في الداخل وعند التغيب لابد من إقامة من يتحمل المسؤولية ، وكذلك عدم إطالة السفر لأن الناس قد لا تحس بوجوده وهو بعيد عنها أو ربما طمع من ينوب بالملك فيعلن نفسه حاكماً

٢ الخوف من عدم وجود الوريث

ربما كانت مخاوف الملوك في حقيقتها ناتجة عن عدم وجود الوريث باعتبار أن الملك يأمل أن يظل الحكم في عائلته وفي أبنائه من صلبه وهنا يجتمع الخوف والحزن فيقلقان الحاكم ويشغلانه عن تدبير مملكته أو يضعف همته ، وهذا يعني أن السياسة ستظل قلقة ، ويخشى من فقدان الأمن لأن الراعي مشغول بنفسه عن أمور رعيته إذ ربما أحس الحاكم أنه بعد أن أقام مملكته وقوّاها وشد ازرها ربما وجد نفسه وقد غلبه الزمن ولم يرزق بولد يرث عنه العرش في حكاية «الملك قمر الزمان» نستشف حزن الملك العجوز ، وهو مستغرق في أحزانه وشكواه لوزيره «إني أخاف إذا مت أن يضيع الملك لأنه ليس لي ولد يتولاه بعدي»[٥٥]

وبألفاظ قريبة من ألفاظ الملك العجوز ، نجد نفس الصورة في حكاية «سيف الملوك وبديعة الجمال» بل وأكثر من ذلك صورة الحسد والغيرة تتسلط على نفسية الملك العجوز الذي لا وريث له عندما يرى أبناء الأمراء والوزراء فهو رغم عز الملك وجلال هيبته «في هم وغمٍّ ليلاً ونهاراً وكل من دخل

---

(٥٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦١ ط محمد علي صبيح

(٥٥) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٦٥ .

عليه من الأمراء ومعه ولد أو ولدان يحسده الملك ويقول في نفسه كل واحد مسرور فرحان بأولاده وأنا مالي ولد وفي غد أموت وأترك ملكي وتختي وضياعي وخزائني وأموالي وتأخذها الغرباء وما يذكرني أحد قط ولا يبق لي ذكر في الدنيا وما زال يبكي ويصوت بصوت عالٍ وينوح نوحاً زائداً

فالحكاية لم ترتفع الى مستوى التفكير الملكي الذي يعرف أن خلود الملوك بأعمالهم ومآثرهم لا بأبنائهم ففي هذا عظة وتوجيه مقصود وكذلك نجد من خلال اظهار صورة التفكير العالي لشخصية الملك وهو يحسد ويبكي الاقلال من الحرص الشديد على جمع المال واقتناء الضياع لأن الحرص يتنافى والملك العادل وإن كان الحرص المادي نافعا في غير الأمور السياسية لأن الحكام العادلين لا يثرون أنفسهم بل يثرون ممالكهم ولها عز السلطة وجلال الهيبة

٣ الخوف من اخطاء الغفلة

إن أغرب حزن وخوف يستغرق الملوك هو الحزن والخوف من أخطاء الماضي وأعمال العنف أو المظالم التي ارتكبها الحكام تجاه شعوبهم وهذا يعني أن الحكام يخشون غضب الشعوب فيعيشون حياتهم قلقين فالحوار الذي دار بين الملك ورد خان واحدى جواريه كما سنقرأ يجعلنا نحكم بأن قوة الخوف قد تسلطت على الحاكم تسلطاً فظيعاً بما جعله لا يعرف كيف يتصرف نتيجة شعوره بالذنب وعمقه «قالت له مالي اراك أيها الملك قلق النفس ؟ هل تشتكي شيئاً ؟ فقال لها لا وإنما استغرقتني اللذات عن شؤوني فمالي ولهذه الغفلة عن أحول رعيتي ؟ وان استمررت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي من يدي»[٥٧]

فالتفكير في الخطأ والغفلة عن شؤون الرعية مما يؤرق الملك أو الحاكم ثم التصور المظلم للنهاية يزيد من ذلك وربما كان الخوف من هذا النوع من معالم اليقظة والصحو ودافعا الى التنازل عن كل ما

(٥٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧٣ ط محمد علي صبيح

(٥٧) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦٣ ط . محمد علي صبيح

سبق وارتكبه من الخطأ وكأن الليالي قد أشارت صريحة إلى أن الرجوع إلى الحق أول واجبات الحاكم ، فالملك ورد خان بطل هذه الحكاية بعد قلقه على ملكه الذي أوشك ان يضيعه بغفلته نراه يتنكر بملابس الناس العاديين ليفتش عن أهل الخبرة والرأي الرشيد[٥٨] ويظل يحاور نفسه نادما «أنا أستحق الهلاك لا ألومكن أيتها النساء بل ألوم نفسي بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبيري وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا نصحاء في كل الأمور ، وكانوا عزتي وقوتي على كل أمر أهمني فأنا الآن لم اجد عوضا عنهم ، ولا أرى أحدا يقوم مقامهم ، وقد وقعت في الهلاك العظيم وإن لم يفتح الله عليّ ، بمن له رأي سديد يرشدني إلى ما فيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة»[٥٩].

- ٢ -

أما الطعون التي وجهتها الليالي للملوك خلال سرد حكاياتها باعتبارها ظاهرة تكييف ثقافي ، وموسوعة شعبية جمعت وشملت الحياة لأنها أرادت تصوراً خاصا للحياة ومنها إرادتها السياسية الخفية التي وزعت كما أسلفنا بين سطورها ووراء كلماتها ، وهي في الوقت نفسه أعطت رأيها في الحكام والملوك مستندة في تقسيمها لسياسة الملوك إلى رأي من سبقها من الحكماء[٦٠]، حيث قسمت الملوك ثلاثة اقسام فهي تقول «الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فأما ملك الدين فإنه يلزم رعيته اتباع دينهم وينبغي أن يكون أدينهم لأنه هو الذي يقتدى به في أمور الدين ، ويلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقا للأحكام الشرعية ولكنه ينزل السخط منزلة الراضين بسبب التسليم الى الأقدار واما ملك المحافظة على الحرمات فإنه يقوم بأمور الدين والدنيا يلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ، ويكون جامعا بين العلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم

(٥٨) المصدر نفسه ط بو اوفست ٩٢٥ مجلد ٢ ص ٤٩٥
(٥٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٩٢٤ مجلد ٢ ص ٤٩٥
(٦٠) ارادت بالحكماء عبدالله بن المقفع كما سنرى .

زلت به القدم فيقوّم اعوجاجه بحد الحسام ، وينشر العدل في جميع الأنام وأما ملك الهوى فلا دين له إلا اتباع هواه ، ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فمال ملكه الى الدمار ونهاية عنوه الى بوار»[٦١]

فالنص يكاد يكون نقلاً شبه حرفي عن ابن المقفع في آداب السلطان حيث يقول «اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فأما ملك الدين فانه إذا أقام للرعية دينهم - وكان ادينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم ، ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ، وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الأقرار والتسليم وأما ملك الحزم فانه يقوم به الدين ولا يسلم من الطعن والتسخط ، ولن يفرط من الضعف مع حزم القوي وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر»[٦٢]

فالليالي التي اقتبست رأي ابن المقفع لم تغفل مستواها الثقافي المتواضع فابن المقفع يقسم الملوك الى ملك مثالي لا يطعن فيه من دين أو دنيا لأنه يقوم على الشريعة ثم ملك في منزلة وسط يقوم ملكه على القوة وهنا يكون محمودا إن عدل ، «يقوم به الدين» ، وان لم يسلم من الطعن عليه وهذا النوع هو الشائع في الملوك ثم ملك الهوى المسخوط عليه في كل حال ولكننا لو لاحظنا الليالي وكيف فهم واضع هذا الجزء من الليالي النوع الأول من المملوك لوجدناه قد اعترض عليه إلا انه ارتضى النوع الثاني لشيوعه مع محاولة إلزامه العدل

والليالي في اختيارها هذا النص عن انواع الملوك انما أرادت للناس معرفة ملوكهم من خلال آراء الكتاب من أمثال ابن المقفع فإن كان ملك دين فهم راضون لأنها مزجت الدين بالسياسة بعد أن استشهدت بقول كسرى أزدشيران[٦٣]، فأن كان من النوع الثاني فهم به راضون رضاً دنيويا أما الثالث فهو ما أرادت مهاجمته ومعارضته وتحريض الناس عليه لأن البلاء سيعمهم بسببه

---

(٦١)الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠١ حكاية الملك ورد خان ط محمد علي صبيح

(٦٢) ابن المقفع كتاب الادب الكبير القسم الأول ص ١٢ ، وقد نقل عن ابن المقفع ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ١ ص ٢

(٦٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠٠

أن الليالي اوضحت أن الملك محتاج إلى رعيته بينما هم محتاجون لواحد ومكانة الكثرة اهم من مكانة الفرد ولهذا ارادت له إضافة إلى ما سبق ذكره من صفات العدل والانصاف والسهر والابتعاد عن الكذب «أن يكون عارفاً باختلافهم ليرد اختلافهم إلى اوقاتهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله».

٣

ولما كانت كلمة نقد تعني إظهار المحاسن والمساويء فإننا سنسلط الضوء على الصفات ونقاط الضعف التي أرادت ابرازها في حين اننا عرضنا سابقا للصفات الحسنة والجميلة التي طلبتها في الملوك والحكام أو في بلاط الملك أو في شخصيات عائلته لأن ذلك ينعكس على تصرفه كملك أو كأنسان له آراؤه ومبادئه على اساس ان الناس على دين ملوكها

فلو تتبعنا ألف ليلة وليلة في ترتيب حكاياتها وموقفها من الطعون والنقد فسنجد أول ما نجد انها اظهرت فساد نساء البلاط في أول حكاية حيث عرضت حكاية زوج الملكين شهريار وأخيه الملك شاه زمان وعرضت لفساد زوجيهما اللتين خانتاهما رغم كون الملكين «فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد واحبه اهل بلاده ومملكته وكان أخوه الصغير أسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم وكل واحد في مملكته حاكم في رعيته مدة عشرين سنة وهم في غاية البسط والأنشراح»(٦٦) رغم كل هذه الاوصاف بالقوة والعدل فإن الليالي سلطت الضوء الأحمر فاتهمت نساء الملكين بالفساد الحقيقي والزنا فخانتا زوجيهما مع أحط عبيدهما فحاول أحدهما لبس ثياب الزهد في حين تنمر الآخر وجرد سيف نقمته وهنا أرادت الليالي نقد الملكين والنساء ايضا لأن

---

(٦٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠١

(٦٥) الصحيح اكثر فروسية

(٦٦) المصدر نفسه ج ١ ص ١ الحكاية الأولى .

الحكمة الهندية التي رفعتها الليالي شعارا أن لا عفيفة في النساء وأن الانشغال بكثرة الجواري يدفع إلى الزنا فكأنها حذرت وبنفس الوقت طعنت فلو اهتم الملك بتدبير أمور بيته، واختار النسب الرفيع، لما حصل مثل هذا لأن العرق دساس ولا بد من تخير المرأة(٦٧)

وأقبح من هذا المطعن الذي حطم في شخصية الملكين الشخصية السوية حيث ترهب أحدهما وتنمر الآخر، ما نلاحظه في حكاية «الحمال والبنات» وخلال حوار أحد الصعاليك، وهو قبل صعلكته ملك ابن ملك حين يقص قصته عند ذهابه إلى عمه فاراً من الانقلاب الذي حصل ضد والده الملك من قبل أحد وزرائه فأنه يروي أبشع صورة للطعن في أخلاق أحد أبناء عمه الملك حيث نجده يعشق أخته عشقاً جنسياً محرماً»(٦٨)

ثم أن خيانة زوج الملك، أو فساد تربية ابناء الملوك وعشق بعضهم بعضا تعدى ذلك الى أن بنات الملوك أيضا فهن فاسدات يعاشرن العبيد السود كما في حكاية غلبة داء الشهوة في النساء، حيث نلمح قدحاً مشينا في تربية الملوك لبناتهم حيث تقص الحكاية «يحكى أنه كان لبعض السلاطين ابنة وقد تعلق قلبها بحب عبد أسود افتض بكارتها، وأولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة فكشفت امرها إلى بعض القهرمانات فأخبرتها أنه لا شيء ينكح أكثر من القرد

فليس منطقيا مجامعة القرد للمرأة ولكنها السخرية والاستهزاء بالسلاطين الفاسدين

فالليالي عند تسليطها هذه الطعون إنما أرادت للعوام أن يظلوا مراقبين للحكام لكي لا ينشغلوا بالجنس بل لينصرفوا الى تدبير أمور رعاياهم بل اعلنت رأيها صراحة بالسخرية من أبناء الملوك الذين أولدوا من الجواري وهاجمت فكرة اتخاذ الملوك من أولاد الجواري حفظا لنقاوة الأصل والنسب فقد اختلقت حكاية تورد نصا على لسان ملك عاقل مؤمن بالأصل وان العرق دساس حيث جعلته يحاور وزيره «اعلم أيها الوزير أن الملك

(٦٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٦١ حكاية العاشق والمعشوق
(٦٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١ ط محمد علي صبيح
(٦٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٥٣ .

إذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري خساسة أصلها حتى يتجنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها أفضى اليها ربما حملت منه فيجيء المولود منافقاً ظالماً سفاكا للدماء ، ويكون مثلها مثل الأرض السبخة إذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يتجنب ما عنه نهاه فانا لا أسبب في هذا بشراء جارية ابدا وانما مرادي ان تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا

فنحن نلمح نقدا لولاة العهود من ابناء الجواري(٧١)، وبنفس الوقت تحذيرا من تدخل النساء في السياسة

ثم أن صورة لفساد نساء الأكابر والبلاط تكبر في الليالي فعندما تقرأ بداية الليالي نجد ان الوزير يقدم ابنته للملك كما في حكاية «الملك شهريار وابنة الوزير شهرزاد» لينادمها ثم لتقتل صباح اليوم التالي أليس هذا هو الطعن الفاضح في أخلاق ولاة الأمور ؟(٧٢) فالفساد عام متدرج لأن البلاط الفاسد لا يجمع حوله الا الفاسدين فكيف يحكمون ؟ أو عشق ابنة الملك السيدة (دنيا زاد لتاج الملوك) والتي تستعين بامرة عجوز لتدخله قصر أبيها الملك لتظل معه شهراً أشبه بجارية لا قيمة لها وبصورة سرية محرمة بل إنها تعانق عشيقها أمام ابيها علانية فلا يجد الأب مخرجا إلاّ الرضوخ للأمر وتزويجها ممن تعشق(٧٣)

والأدهى والأمر في أخلاق الساسة استشراء الفساد العام في البلاط حتى ليعود مبغىً واسعا كما في حكاية ابنة الوزير (الورد في الأكمام) حيث يقدم ابنته كما قدم وزير الملك شهريار ابنته شهرزاد لتناول الملك وقد رباها أبوها لهذه الفكرة تقريبا فهي «بديعة الحسن والجمال فائقة في البهجة

(٧٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٦١ حكاية العاشق والمعشوق

(٧١) في الموضوع ملاحظة خطيرة وهي نقد للخلفاء العباسيين اذ كلهم من ابناء الجواري عدا الامين بن زبيدة وربما قصدت المأمون الذي جر الأمة للسيطرة الفارسية

(٧٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢

(٧٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣٠٣ ٣٠٦ ، العاشق والمعشوق .

والكمال ذات عقل وافر وأدب باهر إلاّ أنها تهوى المنادمه والراح والوجوه الملاح ورقائق الأشعار ونوادر الأخبار تدعو العقول الى الهوى رقة معانيها وكان الملك محبا لمنادمها لكمال ادبها والوزير يبرر ذلك بأن سلطة الملوك تتعدى كل ما هو متعارف عليه اجتماعياً ولا عيب في المنادمة فالذي يحقق له ذلك هو صاحب المنة على الأب والوزير هو العيب والمطعن الذي قصدت اليه الليالي بل أن الملك يأمر بتزويجها من أحد فرسانه بعد أن عشقته رغم منادمها للملك فيطلب الملك من والدها تحقيق رغبها لأنه أراد سترها وأخفاء أمرها بعد أن نادمته طويلاً وإن لم يفعل ذلك فانه مخلوع من وزارته»[٧٥]

وأبعد من هذا ألطعن الموجه للملوك اللاهين إبعاد الوزير بحجة الأعمال السلطانية لكي يتمكن صاحب الجلالة من مقابلة زوج الوزير الجميلة كما جاء في حكاية «مكر النساء» وحين يعلم الوزير فيما بعد بهذه العلاقة فإنه يمتنع عن طلاقها دون أن يثور لكرامته وكأنه أراد مداراة الملك بالابقاء على مودتها ولكنه لا يقربها والزوج لا تقبل الاستمرار على هذه الحالة وحين يعرف الملك بحكايتها وامتناع الزوج عنها يخاطب الوزير بشأنها فيرد عليها رامزاً «أيها الملك صدق هذا ويعني والد زوجه في مقالته أني كنت أحفظها أي زوجة وآكل منها حيث شبهها بالحديقة فذهبت يوما فرأيت أثر الأسد أي الملك هناك فنزلت نفسي عنها «فيفهم الملك رأيه وما رمز اليه ولكي يطمئن الوزير الزوج يقول له «ارجع ايها الوزير لروضتك وأنت آمن مطمئن فان الاسد لم يقربها وقد بلغني أنه وصل اليها ولكن لم يتعرض لها بسوء وحرمة آبائي وأجدادي»[٧٦]

فنحن هنا نجد ما يمكن ملاحظته من الطعن السياسي في أخلاقيات الحكام حيث يتعدي الواحد على حرمات الآخر فكأنها قالت ألا أمان وهم علية القوم ورعاة الحقوق فكيف بالجماهير المغلوبة على أمرها ؟.وكيف سيظل هذا ؟ إلا أن يتحد الجميع ضد الفساد

---

(٧٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٦٧
(٧٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٦٧ وما بعدها
(٧٦) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٣ ١٤

وقد تعرضت الليالي للخلافة العباسية طعنا لا في صفات الخلافة وقدسية هذا المنصب وإنما استهانت بشخصية الوزير (الحسن بن سهل) الذي تزوج الخليفة المأمون من ابنته بوران فقد عابت بطريقة مباشرة علنية وهو والد (خديجة) الملقبة ببوران حيث وصفت بيته أو عائلته بأنهم يستقبلون الرجال الغرباء بطريقة توحي بعدم المحافظة على كرامتهم حيث تعلق الزنابيل وتدلى فيصعد فيها الرجال لينادموا أهل البيت من النساء كما حصل للمغني (اسحق الموصلي) الذي أخبر المأمون بما حصل فعمد المأمون لمثل هذه المغامرة مع اسحق الموصلي والتق هناك ببوران ، ومن ثم سأل عن صاحب هذه الدار فقيل له عند ذلك انها للحسن بن سهل فخطبها من أبيها وتزوجها[٧٧]

ولكي نكون علي بينة ادق نجد أن هذا المرض يستشرى في الطبقات الحاكمة والكبراء بعد أن تمتد رائحته عبر القصور ففي حكاية الحشاش مع حريم بعض الأكابر نجد ما خلاصته أن زوجاً شاباً له مكانته في الحكم حيث تحرسه الأعوان والجنود والحشم والخدم يخون زوجه فتعرف أمره فتحلف يمينا أن تخونه مع أوسخ انسان وفعلاً تنفذ ذلك[٧٨]

إن التدهور الخلقي بسبب ترف الحكام والملوك ولهوهم يظهر لنا أن تفاوتاً طبقياً حاداً كان يعم المجتمع مما دفع القصاصين إلى اشباع رغبات العامة الذين كانت تشوقهم الحكايات عن الملوك والوزراء وغيرهم من الحكام في عدلهم وفسادهم فالملك الذي ينسى كونه ملكا ويركض برجليه الى العبث واللهو تسخر منه الليالي سخرية مرة لكونه تدحل في ابطال الحقوق والاحجام عن حماية الناس ممن يسيء اليهم فالمرأة التي رفعت شكواها للملك من اجل اطلاق سراح عشيقها ، وافقها على ذلك على أن تدفع ثمن عطف الملك عليها بملاعبتها فلما وافقته على هواه قالت له عبارة تعتبر أجرأ نقد وأبلغ إثارة انسانية «أيها الملك هذا أمر يسهل عليك إما باختياري وإما قهرا عني فان كان الملك أراد ذلك فانه من سعد حظي ولكن إذا جاء إلى

---

(٧٧) المصدر السابق ص ١٨٥ ، وقد تردد ذلك في كتاب التاريخ والأدب وقد ظهرت طبيعة السخرية من هذا الزواج ارجع إلى الفصل الخاص بالخلافة وشخصية المأمون .

(٧٨) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٨٨/١٨٩ .

منزلي يشرفني بنقل خطواته الكرام»[٧٩]

وقد زادت الليالي من سخريتها بالملك العابث عند دخوله بيت المرأة اللعوب حيث أعطته وصفاً يحط من قدره ومن قدر من هو على شاكلته بلسان الجمهور «فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وأخذت بيده وأدخلته في صدر المكان وأجلسته على الفراش وقالت شرفنا أيها الملك ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك الينا فلما جلس على الفراش قالت له أعطني اذناً حتى أكلمك كلمة واحدة فقال لها تكلمي مهما شئت فقالت له استرح ياسيدي ثم اخلع ثيابك وعمامتك وكانت ثيابه في ذلك الوقت تساوي ألف دينار فلما خلعها ألبسته ثوباً خلقاً قيمته عشرة دراهم بلا زيادة فبينما هما يتحدثان واذا بطارق يطرق الباب فقال لها من هذا ؟ فقالت له زوجي فقال لها أصرفيه عنا كرماً منه والا اطلع عليه اصرفه قهراً فقالت له لا يكون يامولانا بل اصبر حتى أصرفه بحسن معرفتي فقال لها وكيف أفعل أنا ؟ فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة الرابعة «من الدولاب» وقفلت عليه»[٨٠]

وتزيد الليالي من سخريتها وطعنها في سلوك الحكام الفاسقين بطريقة شعبية لاذعة فالمرأة التي راودها الملك والوزير والوالي والقاضي وهم أركان الحكم جمعتهم امرأة لعوب وضحكت عليهم وما ضحكها عليهم إلا ضحك الانسان العامي في تشفيه من الذين أباحوا لأنفسهم ما ليس لهم فيه حق واستتروا وراء الدين باعتبارهم حماته إن سجنهم هذا السجن الانفرادي الضيق القاسي عليهم إنما هو اشعار لهم بأنهم يحكمون أحياناً ظلما وقد رتبتهم بحيث جعلت الرجل الخامس وهو النجار فوقهم فكأنما أرادت رفع العامة فوق الخاصة مع إضحاك العامة والجمهور عليهم «وأما القوم فإنهم أقاموا في طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل فانحصروا لأنهم ثلاثة أيام لم يبولوا فبال النجار على رأس السلطان وبال السلطان على رأس الوزير وبال الوزير على رأس الوالي وبال الوالي على رأس القاضي»[٨١]

(٧٩) المصدر نفسه ط بو أوفست ليلة ٥٩٣ مجلد ٢ ص ٧٢
(٨٠) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٥٩٤/٥٩٥ مجلد ٢ ص ٧٣
(٨١) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٥٩٥ مجلد ٢ ص ٧٤ .

وتتكامل صورة السخرية والطعن في الحكام اللاهين في جعلهم أضحوكة العوام الذي سمعوا أنينهم داخل سجنهم القذر مما دفع الجماهير الى وصفهم بأنهم شياطين يجب تحريقهم مما اضطرهم للكشف عن شخصياتهم فضحك الناس عليهم وضحكوا هم على أنفسهم «فلما طلعوا نظر بعضهم وصار كل منهم يضحك على الآخر»[٨٢]

ولكي تتم الصورة الكاملة للسخرية يقول الوزير بعد خروجه من الخزانة هو وجماعة الحكم «لعن الله هذه المرأة بما فعلت معنا أحضرت جميع أرباب الدولة عندها عدا الملك فلما سمعهم الملك قال لهم أسكتوا فأنا أول من وقع في شبكة هذه العاهرة الفاجرة»[٨٣]

إلاّ أننا نجد أقسى طعن في الملك والحكام عندما تستولي عليه شهوة الجنس فتدفعه لقتل عظماء رجال المملكة مما يتسبب في خراب المملكة ويكون دافعه الشخصي هذا اعصاراً مدمرا وبلاءً نازلاً يوجب على الأمة مقاومته ونجد صدى لهذا في «حكاية الملك ورد خان» ففي حوار كان الملك يسمعه بين غلامين مدركين سأل أحدهما الآخر عن سبب يبس الارض فقال «أتعرف ما سبب هذا البلاء ؟ قال لا فإن كنت تعرفه أنت فأذكره لي فأجابه قائلاً نعم أعرفه وأخبرك به إعلم أن بعض أصحاب والدي قال لي إن ملكنا قتل وزراءه وعظماء دولته ، من غير ذنب جنوه بل من أجل حبه للنساء ، وميله اليهن وأن الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته فأمر بقتلهم طاعة لنسائه»[٨٤]

وهذا النهي أو هذا التجريح ووصف الملوك بالميل إلى النساء نجد صداه في الآداب السلطانية للفخري حيث يقول «ومما يكره للملوك المبالغة في الميل الى النساء والانهاك في محبتهن ، وقطع الزمان بالخلوة معهن فأما مشاورتهن فجلبة للعجز ومدعاة الى الفساد ومنبهة على ضعف الرأي»[٨٥]

إن (حكاية ورد خان ابن الملك جليعاد) الذي تسبب في قتل عظماء

---

(٨٢) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٥٩٦ مجلد ٢ ص ٧٤

(٨٣) المصدر نفسه ط بو أوفست ليلة ٥٩٥ مجلد ٢ ص ٧٤ .

(٨٤) المصدر نفسه ط محمد علي ج ٤ ص ١٧٣

(٨٥) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٨ .

دولته حبا في النساء إنما نجد لها صدى آخر في كتب الآداب السلطانية وكتب التاريخ نفسه «فقد حدث أن عضد الدولة (قنا خسروين) شغفته امرأة من جواريه حبا وغلبت عليه فأنشغل بها عن تدبير المملكة حتى ظهر الخلل في مملكته فخلا به وزيره وقال له أيها الملك إن هذه الجارية قد شغلتك عن مصالح دولتك حتى لقد تطرق النقص عليها من عدة جهات وما سبب ذلك إلا انشغالك عن اصلاح دولتك بهذه الأمة والصواب أن تتركها وتلتفت إلى اصلاح ما قد فسد من مملكتك قال فبعد أيام جلس عضد الدولة على مشترف له على دجلة ثم استدعى الجارية فشاغلها ساعة حتى غفلت عن نفسه ثم دفعها الى دجلة فغرقت وتفرغ خاطره من حبها واشتغل باصلاح أمور دولته فاستعظم الناس هذا الفعل من عضد الدولة ونسبوه إلى قوة النفس حيث قويت نفسه على قتل محبوبه»[٨٦]

إن المشابهة لكبيرة في نهاية (حكاية الملك ورد خان) عندما تنبه لخطئه الشنيع في قتله عظماء المملكة بسبب استماعه لرأي نسائه ونهاية الحكاية التي سبق ذكرها اولاهما حكاية عاشت في ذهن القاص وثانيتهما واقعة تاريخية مسندة لدليل أن التوجيه السياسي أمر مقصود حشرت اولاهما في كتاب حكايات والاخرى في كتاب يكفي ان يكون اسمه الفخري في الآداب السلطانية مع أن الأمر واحد

٤

ولم يتوقف نشاط الليالي الطاعن الناقد للحكام في أخلاقهم وهواهم وابتعادهم عن رعاية رعاياهم بسعيهم وراء لذاتهم وحسب بل لقد سخرت من القاب الملوك الذين لا يستحقونها فاللقب المطلق على صاحبه ربما كان علامة استهزاء إن لم يحترم هذا اللقب أو استحقه بجدارة

---

(٨٦) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٨ ٢٩ .
(٨٧) الف ليلة وليلة ج ص ٣٠٩ .

في مشـهد من مشـاهد «حكاية الملك عمر النعمان» وعصرها حسـب التقاء نصوصها السياسية ما بعـد عصر المستنجد بالله العباسي خـلال القـرن الخامس الهجـري فإننا نجـد الوقاد الذي خـدم ابن وبنت الملك عمر النعمان وعالجهما مما هما فيه يسـأله الملك رداً لجميله بأن يتمنى عليه فقـال له الوقاد «تمنيت أن تكتب لي مرسـوماً بعـرافة جميع الوقادين في مدينة القـدس فضـحك السـلطان وقال تمنَ غير هذا ثم قال أتمنى أن تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القـدس أو في مدينة دمشـق ثم أقبل عليه السلطان وقال له تمن شيئاً عظيماً لائقاً بمقامي فقـال أتمنى سـلطنة دمشـق موضـع أخيك فكتب له التوقيع ثم سماه السـلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد»[٨٧]فان السخرية واضحة فان القـاص إنما قاس هذا اللفـظ «الزبلكان» على أسماء ملوك الحكاية مثل (شركان ، ضـوء المكان كان ما كان) فانتزع اللفـظ من مهنة الزبالة «زبلكان» ، وهذا يذكرنا بقـول ابن رشـيق القـيرواني سـاخراً من ألقـاب بني عباد في الأندلس حيث تلقـب عباد بن محمد بن عباد بالمعتضد قياسـاً على المعتمد العباسي كما لقـب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد فقال القيرواني ساخراً

مما يزهدني في أرض اندلس تلقيب معتضد فيها ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولةالأسد[٨٨]

(٨٨) ابن الخطيب/نفح الطيب ج ١ ص ١٩٩ ، مقدمة ابن خلدون ص ١٥٦ .

القسم الثالث

إعداد الملوك للحكم

شددت الليالي في اعداد الشخص للحكم وتولي إدارة دفة الممالك حيث رجحت أن يكون ولي العهد أو ملك المستقبل ممن تنطبق عليه صفات الرجل الكامل ليحق له تولي أمور الناس

والأعداد أو التربية الملكية حسب رأي الليالي في مختلف حكاياتها تبدأ منذ ولادة ولي العهد حتى ساعة تولي السلطة فعلاً

فبعد أن يولد الطفل يسلم للقوابل والمرضعات والسراري حتى ينشأ ويبلغ من العمر سبع سنين[٨٩]، ثم بعد ذلك يسلم لمن يعلمه أمور دينه وملته «فرتب له أبوه كاهناً من اهل ملته ودينه فعلمه شريعتهم في مدة ثلاث سنين كوامل»[٩٠] فإذا ما بلغ واستوى يبدأ إعداده علمياً الى ان يمهر تقوى عزيمته ويصير عارفاً فصيحاً فيلسوفاً موصوفاً يناظر العلماء ويجالس الحكماء»[٩١] ثم يبدأ بعد ذلك إعداده عسكرياً «ثم علمه ركوب الخيل والطعن بالرمح والضرب بالسيف إلى أن صار فارساً شجاعاً»[٩٢]

غير أننا يجب أن نلاحظ أن الأعداد والتربية الملكية مظهر زمني متأثر بواقع الظرف والزمن الذي ينشأ فيه فخلال حكاية «جلنار البحرية» تبدو لنا عبارة ابتداء تربية ولي العهد الجديد ونهايتها حتى سن الخامسة عشرة يكون خلالها «قد تعلم الخط والقراءة والأخبار والنحو واللغة والرمي بالنشاب وتعلم اللعب بالرمح وتعلم الفروسية وسائر ما تحتاج اليه أولاد الملوك»[٩٣]

---

(٨٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفسيت ٦٢٤ مجلد ٢ ص ٠٥.
(٩٠) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ص ١٠٥-١٠٦ مجلد ٢
(٩١) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ص ١٠٦ مجلد ٢
(٩٢) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ص ١٠٦ مجلد ٢
(٩٣) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ليلة ٧٤٣ مجلد ٢ ص٢٤٨ .

ولكي يكون اعداد ولي العهد أكبر دعه في التربية ادن يجب أن يكون المربون تحت أشراف الملك وعليه ينبغي لهم أن لا يغفلوا عنه ولا يفتروا عن تعليمه ليلاً ولا نهاراً ولا يضنون بعلومهم نحوه وأن يرفعوا التقارير للملك بمقدار ما تعلم كل اسبوع[٩٤]

وربما تفاوتت أعوام اعداد ولي العهد بين الخامسة عشر وبين سن الثامنة عشرة[٩٦] كما تتفاوت طريقة الاعداد بالنسبة لحياة المدينة والصحراء فأغلب صور الأعداد كانت صفات مدنية وحضرية غير أن الاعداد بالنسبة للصحراء نجده اعداداً للمشيخة فالشيخ مرداس الذي ولد له ولي عهد فانه أعده خشنا فبعد أن انتهى من دور الرضاعة وبدا ينمو وينشأ سلم الى فقيه يعلمه أمر الدين ثم سلم إلى اشجع الشجعان ليتعلم فن الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمى بالنشاب والفروسية[٩٧]

فإذا ما أستكمل هذه المظاهر امتحن أمام الوزراء والأمراء وجودل ونوقش لغرض إدراك أن كان لازال بحاجة إلى مزيد من العلم والتربية ولكي يعرف فضل المربي فيما علمه غير ان هذا الامتحان ليس عاماً في كافة الأحوال

فاذا ما أحس الملك الكبير بأن ابنه قد استعد للملك طلب اليه أن يتجول في «البلدان والأقاليم وينادي بالأمان والاطمئنان ويفعل ما تفعله الملوك»[٩٩] ثم درب على ان «يقعد للحكومة بين الناس وينصف بين الأمير والفقير» كل هذا إعداداً أو استعداداً لساعة تتويجه او تنصيبه على كرسي الحكم

وتتطلب التربية الملكية في ولي العهد إضافة الى صفات السلامة العقلية والجسدية صفات حساسة فهى ترفض فيهم صفة الفسق أو الفساد

---

(٩٤) الف ليلة وليلة ٩٠٨ ص ٤٧٢ مجلد ٢
(٩٥) المصدر نفسه ٧٤٣ مجلد ٢ ص ٢٤٨ ط أوفسيت
(٩٦) المصدر نفسه ليلة ٩٠٨ مجلد ٢ ص ٤٧٢
(٩٧) المصدر نفسه ليلة ٦٢٥ مجلد ٢ ص ١٠٧
(٩٨) المصدر نفسه ليلة ٩٠٩ مجلد ٢ ص ٤٧٣
(٩٩) المصدر نفسه ليلة ٧٤٣ مجلد ٢ ص ٢٤٨
١٠٠) المصدر نفسه ليلة ٧٤٣ مجلد ٢ ص ٢٤٨ .

الآخرين بل إنها تتسامح في قتل ولي العهد الفاسق[101] كما تعترض الحكايات على المتسامح في الآداب الملكية. في حوار بين زوج حسن البصري وهي جنية وبين إحدى اخواته السبعة وهن بنات ملوك تعترض إبنة الملك التي تزوجها على تلك الأخت «يابنت الملك أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك ؟ كيف يصح لكم يابنات الملوك أن تأوين رجال الأنس عندكن وتطلعنهم على أحوالنا واحوالكن ؟[102]»

وعزة النفس أبرز الصفات التي تحاول الليالي تثبيتها في نفسية ولي العهد لكي لا يكون طامعاً شرهاً في أموال وأعراض الناس فعندما سافر حسن البصري أوصى أمه بزوجه بنت الملك قائلاً «واعلمي انها سيدة قومها وأعز ما عند أبيها فهي عزيزة النفس جداً ، فاخدميها أنت بنفسك»[103] وهذه العزة المتناهية تدفع الحاكم أو من سيكون حاكماً لأن يخفي عن محكوميه أسراره ولا يطلعهم عليها فاذا ما تجرأ احد واطلع على سره فإن مصيره القتل ولانظر في مسامحته أو العفو عنه

والتربية الملكية تستمر في ظهورها بمظاهر الحرص على السمعة الطيبة وعدم التنازل او الانكشاف فمن صور أخفاء الأخطاء او الوقوع في الأمور التي تعيب شخص الملك أو عائلته ما نجده في الحوار الذي وقع بين «معروف الاسكافي» الذي تزوج من ابنة الملك على انه تاجر غني ، «فلما اعترف لها بحقيقته قالت له «ان اخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده أنك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك واذهبت اموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي»[105]

وربما كان ولي العهد ممارساً للسلطة الفعلية في حياة والده الكبير الذي يتنازل له على أن يبقى تحت استشارته وتوجيهه كما حصل في حكاية

---

(١٠١) الف ليلة وليلة ليلة ٧٧٧ مجلد ٢ ص٢٩٢ ط بو أوفسيت
(١٠٢) الف ليلة وليلة ليلة ٧٩٠ مجلد ٢ ص٣٠٩ ط بو أوفسيت
(١٠٣) الف ليلة وليلة ليلة ٧٩٤ مجلد ٢ ص٣١٤ ط بو أوفسيت
(١٠٤) الف ليلة وليلة ليلة ٨١٤ مجلد ٢ ص٣٤١ ط بو أوفسيت
(١٠٥) الف ليلة وليلة ليلة ٩٩٤ مجلد ٢ ص٦٠٥ ط بو أوفسيت .

«الملك عاصم ملك مصر وابنه سيف الملوك» فأن الأب المجرب أراد أمرين أن يمارس ابنه السلطة بعد إعدادها الأعداد الكافي وقد ظهر أراؤه في حوار الملك الكبير لوزيره وهو يعرض ما أراد من التنازل «ياوزير أنا صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً لأني طعنت في السن وأريد ان اقعد في زاوية لأعبد الله تعالى وأعطي ملكي وسلطنتي لولدي سيف الملوك فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته فإذا فعلت أنت هذا فأنا الآخر أفعل مثلك ويكون ولدي ساعد وزيراً له ويصير الاثنان مع بعضهما ونحن ندبر شأنهما ولا نتهاون في أمرهما بل ندلهما على الطريق المستقيم»[106]

غير أن الليالي في إعداد ولي العهد تروي حكماً سياسياً وعرفياً وهو أنه لا يحق أن يتولى ولي العهد السلطنة إن كان صغير السن واذا ما حصل مثل هذا في الواقع فلابد اذن من وصاية من يطمأن اليه في توجيه وتدبير أمور المملكة ونلاحظ ذلك في حوار بين ملك ووزيره حول قضية التوليه «اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأي السديد ما خطر ببالك مليح غير انه لا يناسب في هذا الوقت لخصلتين الاولى إن ولدك صغير السن والثانية ما جرت به العادة من أن من سلطن ولده في حياته لا يعيش إلا قليلاً فقال اعلم أيها الوزير أننا نوصي عليه الحاجب الكبير فإنه صار منا وعلينا

وتعتبر وصايا الملك الكبير لابنه ولي العهد خاتمة الأعداد للسلطنة والحكم وقد أوردت الليالي صوراً منها أبرزها الابتعاد عن تدخل النساء في السياسة أو الركون اليهن «ياولدي إذا استقمت في الملك من بعدي فلا تكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك...

كما أن الوصايا العشر التي رددها الملك (جليعاد) لابنه (وردخان) وهو على فراش الموت تعتبر دستوراً مستمراً ومنهجاً خطيراً للحكام

«والزم عشر خصال أخرى ينفعك الله بها في أهل مملكتك وهي إذا قسمت فاعدل واذا عاقبت بحق فلا تجر وإذا عاهدت فأوف بعهدك

---

(١٠٦) المصدر نفسه ط محمد علي صبيح ج ٣ ص ٢٧٧ حكاية سيف الملوك

(١٠٧) الف ليلة وليلة ط محمد علي صبيح ج ١ ص ٣١٠ حكاية الملك عمر النعمان

(١٠٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٩٧ وردخان بن جليعاد .

وأقبل النصح واترك اللجاجة والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن عادلاً بين الناس يحبك كبيرهم وصغيرهم ، ويخافك فاتكهم ومفسدهم»[١٠٩].

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

القسم الرابع
أنــواع الملـــوك

- ١ -

لم يكن اعتماد الليالي لفكرة ابن المقفع القـائلة بأن الملوك ثلاثة: ملك دين ، وملك حزم سمته الليالي ملك محـافظة على الحـرمات(١١٠)، وملك هوى(١١١)، فكرة اعتباطية أو عبثية وانما أرادت وضـع خـطوط هادية لمن يطلع عليهـا ليعرفوا بها سياسة حاكمهم ومن أي قسم هو

ولم تكتف الليالي بهذا التقسيم الرياضي البسيط للحاكم بل نوعتهم إلى أقسام شـتى فهناك الملك النبي ممثلاً بسـليمان (ع) ، وملك الجـن والبحـر والوحـــوش والحيات والهمبج والطيور ، وهناك مملكة النسـاء وغير ذلك(١١٢) غير أن مظاهر الملك وأبهته ونوع سياسته في رعيته عند مختلف الملوك حـتى وان كانوا غير بشر إنما هي مظاهر بشرية عادية ، اختلقتهـا ذاكرة القصـــاص واراد بهـا نشر الفضـائل وتوعية الناس لأن نسـبتها إلى الملوك مما يشـــوق العامة «ثم لأن سـير الملوك الطغـاة قد تثير فطنة التعـريض بالحـــاكم إذا حكيت له ولاقت هذه الحكايات بين الناس رواجـاً كبيراً ، إذ لم يكن شيء يشوقهم وقتذاك مثل أخبار ملوك اشتهروا بعدلهم ، واهتمامهـم بشـؤون رعيتهـم فهي تجسد آمال عامة الناس من أسباب شقائهم والتمتع بحياة أفضل»(١١٣)

وقد افردت للخلافة فصـلاً قائماً بذاته كما سـبق ولم أتعـرض للخلفـاء وسياستهم ضمن هذا القسم لأن مفهوم الخليفـة الأسـلامي كما رأينا يختلف تماماً عن مفهـوم الحكم الملكي والسـياسة الملكية التي اعتمدتهـا الليالي في خـــطها السياسي(١١٤)

---

(١١٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٠١ حكاية وردخان

(١١١) ابن المقفع/ الادب الكبير/ ص ١٢ المصدر اعلاه ٢٠١ ج ١ ط محمد علي صبيح

(١١٢) محاضرتان في تاريخ الف ليلة وليلة تاريخ حياته

(١١٣) محمد مفيد الشوباسي/ رحلات الأدب العربي الى اوربا ص ٢٣٤/ ٢٣٥

(١١٤) ارجع الى مقدمة الفصل الاول .

الملك النبي :

اعطت الليالي للنبي سليمان (ع) صورة حية في أذهان الناس عامة ، إلا أنها متأثرة تماما بالاسرائيليات والتفاسير التي عمت اغلب الكتب التي اعتمدت على النقل والحشو وحشر الخرافة .

وسوف لا نتعرض لسيرة الملك النبي إلا بمقدار ما ذكرت عنه الليالي من الملامح السياسية التي اتبعها ، أو التي ظهرت عرضاً .

١ - عرضت الليالي أخبار هذا النبي الملك مرتبطة بالجن والمردة والشياطين مع وجود خاتمه العجيب ، والبساط الذي يتسع للآلاف والآلاف ، والقدرة الخارقة التي لا يحدها حد ولا يمنعها مانع ، سوى قدرة الله تعالى مع الخوف الشديد منه لدرجة أن المردة والشياطين وهي تخرج من سجونها في قماقم النحاس المسبوكة بالرصاص المختوم عليه بخاتمه الرهيب تنادي : «التوبة يانبي الله»(١١٥).

بل أن ملوك الجن نفسها تفي بأيمانها وعهودها له حتى بعد موته ، بألا تحمل على ظهورها إنسياً ، رغم إذعانها لمن يمتلك قضيباً سحرياً ، له حكم وقوة وسطوة خاتم سليمان ، ففي رد ملوك الجن السبعة الخاضعين لطلاسم القضيب السحري الذي يمتلكه حسن البصري : «أيها السيد الحاكم علينا ، إننا من عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، وكان حلفنا أننا لا نحمل أحدا من بني آدم على ظهورنا»(١١٦).

كذلك وصفته الليالي بخضوع ملك مصر له وامتداد سلطته الروحية اليه ، حيث تعرضت لمثل هذا الامتداد عن طريق التوحيد ، ونبذ عبادة الشمس(١١٧).

فسلطته السياسية نابعة من سلطته الدينية وهيمنته الروحية ،

---

(١١٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٢٢ حكاية متعلقة بشأن الجن والشياطين د.سهير القلماوى . كتاب الف ليلة وليلة ص ١٣٢/ ١٣٣ .

(١١٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٤٧ حكاية حسن البصري .

(١١٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٧٤ .

وعلى هذا ، فقد اطلقت عليه الحكايات لفظ خليفة مستشهدة بقول النابغة الذبياني حيث يقول

في سليمان إذ قال الآله له   قم بالخلافة واحكم حكم مجتهد[118]
ن أطاعك فاكرمه بطاعته   ومن أبى عنك فاحبسه إلى الأبد[119]

ومن سياسته كملك التقرب الى الملوك بزواجه من بناتهم لأمر الهداية والدعوة للوحدانية ، فإذا امتنع الملك عن الرضوخ لأرادته أو الدخول بدينه ، اعلن الحرب عليه ، وقد ذكرت حادثة من هذا النوع فنحن نقرأ أنه علم بملك من ملوك البحار ، يعبد الأصنام فأنذره قائلاً «زوجني بنتك،واكسر صنمك العقيق ، واشهد أن لا إله إلاّ الله ، وان سليمان نبي الله فإن فعلت ذلك كان لك مالنا ، وعليك ما علينا ، وإن أنت أبيت ، أتيتك بجنود لا طاقة لك بها ، فاستعد للسؤال جواباً ، والبس للموت جلباباً ، فسوف أسير لك بجنود تملأ الفضاء وتدرك الأمس الذي مضى»[120]

فسياسته الدينية تضطره إلى نشر دعوته ، ولهذا فإن رسله من الجن والبشر ، يجوبون الأرض لمعرفة من آمن ، ومن لم يؤمن ليبعث له بانذاره وبشارته،كما في موضوع ملك البحر بحيث وصف له أمر ابنته وكفره[121].

وقد وصف بأنه ملك عليم حكيم[122]، وأنه «ليس لأحد أن يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض»[123].

ورغم امتداد سلطته ، فقد ذكرت الليالي ، انه اعتمد لادارة

---

(١١٨) لو رجعنا الى شعر النابغة لوجدنا الاختلاف الكبير أو الاختلاق الذي عمد اليه مؤلف الليالي فالابيات الصحيحة قوله

ولا ارى فاعلا في الناس يشبهه   ولا احاش من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الاله له   قم في البرية فاحدوها عن الفند

(١١٩) المصدر نفسه حكاية تتعلق بشأن الجن ص ١٢٤ ج ٣ ط . مطبعة محمد علي صبيح واولاده بميدان الازهر

(١٢٠) الف ليلة وليلة ص ١٢٤ ج ٣

(١٢١) المصدر نفسه ص ١٢٤ ج ٣

(١٢٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٩

(١٢٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٩ .

مملكته الجبارة المترامية وزيرين هما بنفس الوقت ، قائدا جيوشه أحدهما من الأنس هو «آصف بن برخيا» والثاني من الجن وهو الدمرياط[١٢٤]

وسبب امتداد سلطته الواسعة حتى بعد موته فكرة الخوف من قدرته الضخمة التي وهبها الله له «فلما قضينا عليه الموت ، ما دلهم على موته إلاّ دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خَرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين»[١٢٥]

فبعد موته ظلت هالة الاساطير مسيطرة على أفكار العامة فجثمانه مدفون خلف البحار تحرسه الحيات والوحوش ولا يمكن الاقتراب منه أبدا[١٢٦].

وفي سياسته الحربية تظهر الليالي صورة الحاكم عند الاعداد للحرب وكيفية توزيع القيادة ، وطرق الانذار والمفاوضة والانفعال الذي ينتاب الرجل المصلح عندما يحس أنه غير مستمع له وهو على حق فعندما رفض ملك البحر إنذار سليمان (ع) بوجوب دخوله في دين التوحيد «قامت قيامته وثارت عزيمته ، وجهز عساكره من الجن والأنس والوحوش والطير والهوام وأمر وزيره الدمرياط ملك الجن ان يجمع مردة الجن من كل مكان فجمع له من الشياطين ستمائة ألف ألف وأمر آصف بن برخيا أن يجمع عساكره من الأنس ، فكانت ألف ألف أو يزيدون ، واعد العدة والسلاح ، وركب هو وجنوده من الجن والانس على البساط ، والطير فوق رأسه طائرة ، والوحوش من تحت البساط سائرة ثم ارسل يقول ها أنا قد أتيت فاردد عن نفسك ما نزل ، وإلاّ فادخل تحت طاعتي ، وأقر برسالتي ، واكسر صنمك ، واعبد الواحد المعبود ، وزوجني بنتك بالحلال ، وقل أنت ومن معك أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سليمان نبي الله فان قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة ، وان أبيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة فإن الله تبارك وتعالى أمر الريح بطاعتي ، فأمرها أن تحملني

(١٢٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٨

(١٢٥) القرآن الكريم سورة سبأ آية ١٤

(١٢٦) الف ليلة وليلة قصة بلقويا ج ٣ - كذلك د. سهير القلماوي الف ليلة وليلة ص ١٣٤.

إليك بالبساط وأجعلك عبرة ونكالاً»[١٢٧]

فنحن نجد أن الصورة الحربية وطريقة توجيه الدعوه إلى الأيمان انما تجيء في نمط إسلامي بحت ، وأن سليمان الملك لم يكن معتدياً بل أنه نبي ذو رسالة سماوية ذات شقين ديني ودنيوي ، ولكن أبرز صفات سليمان السياسية عدم مكوثه في مقر مملكته بل يزور الممالك كل سنة ليطلع على أحوالها فمن عادة النبي سليمان زيارة مملكة القرود ، وهو يتخذ القلاع مكانا له[١٢٨] وقد اوكل نائباً عنه في كل جنس كما حصل لمملكة الطير[١٢٩].

وأغرب ما في الموضوع عدم تعرضه لفكرة الدين الا من حيث التوكيد على الوحدانية ، ولم تذكر علاقته باليهودية كدينٍ او كملةٍ او كقومٍ

مملكة النساء

اتخذت الليالي شعاراً قاسياً ضد المرأة وهو أنه «لا عفيفة في النساء وأن من العبث الاعتماد عليهن في أي شيء لان هواهن ومحبتهن مفسدة للرأي[١٣٠] وأنه إذا ما كانت المرأة مقربة الى الملوك أو اصبحت في موطن المسؤولية والتصرف فمعنى ذلك أن الفساد قد دبّ في المملكة لأن «محبة النساء أصل كل شر وليس لاحداهن رأي»[١٣١]

ورغم الهجوم العنيف على المرأة إلاّ انه يجب ان نفرق بين نوعين من النساء اللاتي ذكرتهن الليالي « نوع استمده القاص من حياته القريبة ونوع استمده القاص من الخيال ، ولكن هذا الخيال كان يعوزه الكثير من الصور الدقيقة لذلك لم ينج هذا الخيال من أثر الواقع الذي عاش فيه

---

(١٢٧) الف ليلة وليلة ط محمد علي صبيح ج ٣ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ١٢٩ حكاية تتعلق بشأن الجن بالشياطين

(١٢٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٤ حكاية حاسب كريم الدين/ جانشاه

(١٢٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٩

(١٣٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٩ ط محمد علي صبيح بميدان الأزهر .

(١٣١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٩ .

الكاتب او القاص»[١٣٢]

والتفريق بين هذين النوعين غايته تحديد صورة الملكة التي حكمت أو وجدت نفسها في موطن المسؤولية لأن في الكتاب «صوراً كثيرة عن ملكات ومن هن في حكمهن كالسيدة زبيدة زوج الرشيد»[١٣٣] بل ان نفس شخصية شهرزاد بطلة الليالي يمكن اعتبارها ملكة بحكم زواجها من الملك ، وكيف فعلت ما فعلت تجاه هذا الحاكم الذي فقد ثقته بالنساء بعد ثبوت خيانة زوجه مما دفعه إلى أن يتزوج كل ليلة بفتاة بكر ، لا يصبح الصباح حتى تكون قد وارتها الارض ليتزوج في مساء اليوم الذي يليه بكراً أخرى[١٣٤] فهي ملكة خائفة ولكنها عازمة على تغيير نفسية حاكم تنقصه الثقة بل «يمكننا ان نعرف الخطر الذي كان يحدق بالقصاص ، حينما نفكر في مهمة شهرزاد وقد نجت من سوء مصيرها لأنها عرفت كيف تحسن استخدام سلاح التشويق تلك الأدارة الوحيدة التي لها سلطات على الطغاة المتوحشين وفي هذه اللحظة أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح هذه الجملة القصيرة الجافة هي العمود الفقري في ألف ليلة وليلة ، هي الدودة الشريطية التي تربط اجزاءها وهي التي أنقذت أكثر الأميرات دهاء»[١٣٥]

فشهرزاد الأميرة او الملكة ، لم تكن سوى انسانة مدركة لنفسية الملوك المتحكمين في الأمم ، وقد خلقت من زوجها الطاغية إنساناً اتعظ بالحوادث المروية ، وافاد من أحكام الحكايات التي روتها على مسامعه طيلة ألف ليلة وليلة فقد علمته ، أن الواقع الذي يعيش فيه الحاكم ، إن كان غير مستقر فسينعكس ذلك على الرعية ، ولقد ظهر ذلك على لسانه حين خاطبها والدموع تملأ عينيه «لقد زهدتني ياشهرزاد في ملكي وندمتني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات»[١٣٦]

غير أننا من خلال استقرائنا لكتاب الليالي نجد صورة كاملة لمملكة

---

(١٣٢) د.سهير القلماوي/ الف ليلة وليلة ص ٢٩٧

(١٣٣) المصدر نفسه د.سهير القلماوي/ الف ليلة وليلة ص ٢٩٧

(١٣٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١ الطبعة الأولى

(١٣٥) أ. ... ام ... ص ٢٥

(١٣٦) الف ليلة وليلة ج ١ د.سهير القلماوي الف ليلة وليلة ص ٢١٨

النساء الملكه فيها إمرأة وكذلك الوزراء والامراء والقادة وكل أرباب الدولة أما الرجال فهم «يحرثون ويزرعون ويحصدون ويشتغلون بعمارة الأرض وعمارة البلاد ومصالح الناس من سائر الصناعات»[137]

وتبدو سياسة المرأة لادارة المملكة رغم نعومة مظهرها في أنها رغم سلطانها وجبروتها لا يمكنها أن تتخلى عن شعورها كأنثى ، ولا عن عاطفتها في الغيرة فهي التي تختار العريس وهي التي حطمت في الرجل فكرة السيطرة بعكس ما عمله شهريار الملك ببنات مملكته «أما ترى جميع ما نظرته من الخدم والعساكر والمال والخزائن والذخائر ؟ فقال لها نعم فقالت له جميع ذلك بين يديك تتصرف فيه بحيث تعطي وتهب ما بدا لك ثم أشارت الى باب مغلق وقالت له جميع ذلك تتصرف فيه الا هذا الباب واذا فتحته ندمت حيث لا ينفعك الندم»[138]، ثم انها تدعو الوزيرات لاحضار القاضي والشهود وهم جميعاً من النساء ثم تزوجه من نفسها

والملاحظة السياسية المهمة هي قساوة المرأة فبمجرد فتحه الباب يختطفه طير يلقي به في المكان الذي جاء منه أول مرة مما يجعله نادماً غير ضاحك حتى الموت فهي تريد اذلال الرجل بعدم اشراكه في السلطة وكذلك بطرد «الملك العريس»[139]

أما الوزيرات والقاضيات فهن من النساء الخبيرات كبيرات السن فكبيرة الوزراء «هي عجوز شمطاء وهي محتشمة ذات هيبة ووقار»[140]، وكذلك القاضيات «وكلهن عجائز ناشرات الشعر على أكتافهن وعليهن هيبة ووقار»[141].

وفي مملكة أخرى من ممالك النساء في (حكاية حسن البصري) نجد الحكم حكماً عسكرياً عنيفاً لا رحمة فيه ، فكرة الجنس مسيطرة على تفكير القاص فالحاكمة أو أخواتها من البنات يجب ألا يخرجن عن آداب القصر الا فصيرهن العذاب المرير ، فلو تتبعنا المملكة من لحظة دخول الرجل المتنكر

---

١٣٧) المصدر نفسه حكاية تتضمن مكر النساء ج ٣ ص ١٥٤

١٣٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٥٥

١٣٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٥٤

١٤٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٥٤

١٤١) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٥٥ .

بزي النساء بعد رحلة مرهقة ، بحثا عن زوجه في جزائر (واق واق)[١٤٢]، لوجدنا أن الجند النسائي خلق كثير ، «مثل الجراد المنتشر وهن ماشيات على اقدامهن وسيوفهن مشهورة في أيديهن ولكنهن غائصات في الزرد»[١٤٣].

فالسلطة استبدادية لسعة المملكة وترامي أبعادها «حيث لايقدر احد من الرجال أن يقيم عندنا ، ولا يصل الينا ، ولا يطأ ارضنا وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر ، وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها أيضا قبائل الجن المردة والشياطين وتحت يدها من السحرة مالا يعلم عددهم الا الذي خلقهم»[١٤٤]

فاذا ما أخطأت قائدة من قائداتها فالويل لها ، ولنتصور مقدار الرعب الذي اصاب احدى النساء القائدات التي سهلت دخول رجل الى مملكة النساء وهي تعترف أمام الملكة بما وقع منها فهي «ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبا شديدا ، واطرقت برأسها وقالت يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك أنك تحملين الذكور ، وتأتين بهم معك الى جزائر واق واق ، وتدخلين بهم علّي ، ولا تخافين من سطوتي وحق رأس الملك لولا ما لك علي من حق التربية لقتلتك واياه في هذه الساعة اقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة»[١٤٥]

ورغم انفعال الملكة وغضبها فقد اقتنعت برأي القائدة عندما طلبت منها كتمان أمر الرجل لكي لا تكون سابقة تخسر من ورائها البلاد سمعتها

---

(١٤٢) جاء في مقدمة ابن خلدون ص ٥٧ في الجزء السابع من الأقليم الأول ان جزائر الوقواص شرقي بلاد سفالة حيث نص قائلا «ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قباله أرض سفالة ، وتذهب منحرفة بكثير الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين ، ويحتف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الوقواق»

كما ذكرت عنها مجلة المقتطف ج ١/٢٦ سنة ١٩٠١ مانصه

«ان الشريف الادريسي رسمها قباله بلاد الصين في حين يحدد موقعها الدكتور الفريد بولص في المجلة المستقلة نقلا عن المقتطف عام ١٩٠٢ ص ٥٥٨ ج ١/٢٩ أن جزائر الواق واق المذكورة في قصة الف ليلة وليلة هي جزائر آرو الى الشمال الغربي من غينيا الجديدة حيث بوجد طائر الفردوس ، وان بلاد الخيول الطيارة هي بلاد التبت ، وان كل الغرائب الطبيعية التي ذكرت في القصة بين ملقا وجزائر آرو لها اصل حقيق بنيت عليه»

(١٤٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٤ حكايه حسن البصري ط . محمد علي صبيح بميدان الأزهر .

(١٤٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٧

(١٤٥) الف ليله وليله ج ٤ ص ٣١

«يا ملكة بحق التربية لا تتعجلي عليه وقد سمع بعدلك فدخل بلادك وحماك فأن قتلته تنشر الأخبار عنك مع المسافرين بأنك تبغضين الأغراب وتقتلينهم وهذا قد دخل بلادنا وأكل من زادنا فوجب اكرامه علينا»[١٤٦] فالملكة ذات رأي والثانية هي الاخرى ذات الرأي ، وقد أخذت برأي القائدة رغم قساوتها بعد أن أصدرت أمرها «خذوه واسحبوه على وجهه فوق الارض واضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه احد بعده ، ويطلع على حالنا ويجوز علينا في بلادنا وجزائرنا»[١٤٧]

ان الصفات المظهرية من الهيبة والأبهة وقساوة تنفيذ الأحكام هي مظهر سياسة المرأة الحاكمة في الحكايات المتأثرة بالصور الهندية،واهتمامها بمظاهر المراسم من الاستقبال يبدو واضحا وخاصة في تزاور البنات الأخوات الحاكمات على الاقاليم

والويل كل الويل لمن تخطيء من بنات الملوك حفاظا على سمعة البيت المالك باعتباره القدوة ففي حوار مع الملكة الكبرى واختها التي تزوجت من حسن البصري وقد اخفت أمر زواجها عن الملكة أول الأمر «يا عاهرة من أين لك هذه الأولاد ؟ هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت ؟ فان كنت زنيت وجب تنكيلك وان كنت تزوجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا ؟»[١٤٨]

وهناك صورة أخرى لملكة جارية متنكرة بزي الرجال جعلتها المصادفات العجيبة في موضع المسؤولية ، فالجارية زمرد تهرب من مخدومها بحثا عن عاشقها وشاءت الظروف أن تمر ببلدة مات ملكها ومن عادة هذه البلدة أن تنصب ملكا عليها أول من يدخل المدينة ، فكانت زمرد جارية علي شار ومنذ أن وضعت قدمها على تخت المسؤولية عرفت سراً سياسياً هاماً الا وهو الخوف من العسكر ، ولهذا فهي تأمر «بفتح الخزائن ففتحت وأنفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك وأطاعها العباد[١٤٩]، كما عرفت أن دوام الملك

---

(١٤٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٣
(١٤٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٣
(١٤٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٤٠
(١٤٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٧ .

رهن بمحبة الرعية كما لاحظنا في صفات الملك الناجح فلابد من التقرب الى الرعية بوسائلها «وقد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من أجل الكرم والعفة وأبطلت المكوس واطلقت من في المحبوس ورفعت المظالم»[١٥٠]

غير أنها ورغم تطلعاتها كحاكمة تبدأ بعمارة الأرض والاصلاح لا يدفعها دافع الشعور بمسؤولية الحكم وحب الخلود في الاعمال الجليلة ، وانما الدافع ذاتي هو البحث عن حبيبها

ثم ان الحكاية أرادت أن تقول إن الجارية وتقلبها في احضان الرجال يشدها إلى ما اعتادت عليه ، وإن داعي الجنس والعبودية يجعل أعمالها غطاء لقلقها ، «فلما اشتد قلقها ، دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم أن يحضروا المهندسين والبنائين ، وان يبنوا لها تحت القصر ميدانا ثم أمرت ان يمدوا سماطا من سائر الاطعمة الفاخرة ونادى المنادي يا معشر الناس كافة كل من يفتح دكانه او حاصله ، أو منزله شنق في الحال على باب دكانه بل يجب عليكم أن تحضروا جميعا لتأكلوا من سماط الملك»[١٥١].

فهي إذن استعملت وسائل اعلامية إسلامية في تقديم الطعام للناس ولكنها تجلس لتراقب الغرباء عسى ان يسمع بكرم هذا الملك حبيبها ، ثم أنها استخدمت سياسة تخويفية من الكذب فقد دعت ثلاثة من الغرباء آذوها يوم كانت جارية غير أنهم أنكروا شخصياتهم فلما صارحتهم بحقيقتهم صدقوها فقتلوا. لما تسامع الناس هذا الامر ظنوا في الملك قدرة عجيبة على كشف الأسرار مما زاد احترامهم وتقديرهم له ، مما تسببت في نشر سياسة لا تكذب على الحاكم[١٥٢].

فسياسة هذه الملكة رهبة وتقرب ، وإصلاح ، وكسب للجيش وضرب بشدة للمستحقين للقتل ليكونوا عبرة لمن اعتبروا[١٥٣]

وتظهر السياسة البعيدة النظر عند الملكة التي تجد نفسها وحيدة فوق عرش المملكة لغياب الحاكم لسبب أو لآخر كما ظهر ذلك عند (جلنار

---

(١٥٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٢٧
(١٥١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٢٨
(١٥٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٩
(١٥٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٩ .

البحرية) فهي رغم العوامل النفسية الخانقة كأم يختفي ابنها الملك ، فإنها تقوم بتدبير أمور المملكة رغم تصريحها لأمها «يا أمي إني خائفة على الملك الذي لنا لاني أتيتكم وما أعلمت أحدا من أهل المملكة ، واخشى أن ابطأت عليهم أن يفسد الملك علينا ، وتخرج المملكة من أيدينا ، والرأي السديد أن أرجع وأسوس المملكة الى ان يدبر الله أمرا»[١٥٤]. فهي لم تعلن عن غياب الملك ولكنها استعانت بالاستشارة ثم عادت لتدبر الحكم وكأنها وصية على العرش

وابشع صورة للملكات الحاقدات المنشغلات بأمر الجنس والسحر واعتبار المملكة اقطاعية ما نجده في نفس حكاية الملك (بدر باسم) حول الملكة (لاب) «تقويم الشمس» فقد وصفت بأنها «ملكة ساحرة كأنها شيطانة ، وهي كاهنة سحارة مكارة غدارة»[١٥٥]، ويمكن استنتاج أن الحاكم ان فكر بنفسه وتناسى شعبه اثهقلب عليه المجتمع وهذا ما حصل لهذه الملكة ذات سياسة السحر الأسود تمسخ عشاقها الى بغال وحمير وخيل أو طيور بعد أن تشبع رغبتها الجنسية منهم[١٥٦]

وقد تصاب الملكة أو الحاكمة المغرورة بغطرسة الحكم ، وتظل صورة مشوهة في ذهن الناس ليحاربوها ففي حكاية قمر الزمان نجد زوج التاجر الذي ثقب لؤلؤة لوالى مدينة البصرة يطلق له الحرية في اختيار أمنية يحققها له فاختارت زوجه الجميلة أمنية غريبة تظهر غطرسته وغروره المرأة غير الواعية وهي أن يأمر الوالي أهالي مدينة البصرة أن يحتجبوا في بيوتهم لمدة ساعتين كل جمعة وقبل الصلاة مع القطط والكلاب وكل من رآها تسير وجواريها وهن مكشوفات الوجوه فصيره القتل[١٥٧]

وهناك نموذج فريد في سياسة الملكات ، هي صورة الملكة (شواهي) ذات الدواهي ، خلال حكاية الملك عمر النعمان ، فبالرغم من اطلاق الليالي عليها كافة الصفات الخسيسة ، إلاّ اننا لو تتبعنا خطها الفكري في سياستها كأم

---

(١٥٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٧ حكاية زواج الملك بدرباسم
(١٥٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٤
(١٥٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٤
(١٥٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٣٧

لملك الفرنجة المعادين للمسلمين لوجدنا هذه العجوز «تحتل المكانة الأولى في الليالي والتي دارت بسببها أو بسبب حيلها خاصة حوادث احتلت نحو خمس الليالي فهي شواهي هذه العجوز استعملت دهاءها ومكرها لافي الكيد الغرامي أو كيد الشطارة وانما في الكيد السياسي»[١٥٨]

وقد وصفت بما وصفت من صفات مستقبحة الا انها وصفت بقوة الجسم وبعد التفكير في معرفة نفسيات ملوك الشرق من المسلمين ، فهي فكرت في الانتقام لدينها والملكة ابريزة التي اعتدى عليها الملك عمر النعمان اظهرت الزهد والتنكر بزي الزهاد المسلمين ، واخذت معها جواريها بعد أن علمتهن الدين الأسلامي والتاريخ والمعارف ثم تقدمت الى المشرق وتمكنت من كسب مودة الملك بتدينها وبأطماعه بالوصول الى الجواري الحسان تدريجياً حتى قتلته لانها تؤمن بفكرة الغاية تبرر الواسطة وبأن الحرب خدعة فهي تقول لابنها بعد فقد ابنته «لا تحزن من أخذ ثأرها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمرو النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولأعملن معه عملاً تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث عنه المتحدثون»[١٥٩] وقد فعلت ، فهي ملكة متعصبة لقومها ولدينها وقد أظهرت نفسيتها وايمانها من صفات الحاكم المنتقم أن يعلن عن حقيقته بعد ان كان قد قام بعمله ونجدها بعد أن قتلت الملك عمر النعمان وعرفت أن الخط السياسي سيتجه الى البحث عن القاتل تركت رسالة تعترف فيها بما قامت به «وانتم لا تتهموا احداً بقتله ما قتله إلاّ... الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي»[١٦٠]

ولا تكتفي الليالي بذكر دهاء شواهي في مواقف الخديعة والذكاء والأنتقام من الملوك ، بل إنها تذكر قدرتها في التوجيه العسكري فهي تقول موجهة الملك بعد دراسة جغرافية المنطقة العسكرية بأن يرسل «خمسين ألفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى أن يصلوا الى جبل الدخان فيقيمون ، ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الأسلام

---

(١٥٨) د.سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ٣٠٩/٣١٠ وكذلك حكاية الملك عمرو النعمان ج ١/ ص ١٦٢ وكذلك حكاية حسن البصري ج ٤ ص

(١٥٩) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٦

(١٦٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٢٧ .

فدونكم وأياهم ثم تخرج العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم فلا ينجوا منهم أحد»[١٦١]، فهي تخطط لأسر جيوش المسلمين على طريقة الكماشة ومباغتة الجيوش وحصرهم بين شقي الرحى

إن شواهي الملكة صورة من صور النساء المحاربات في وسط تيار المسؤولية وهذا يمكن استخلاص خطها السايسي ، والفكري القوة وحسن التصرف الحذر وقد ابعدتها الليالي عن مجال الجنس إلاّ في موقف واحد بعينه

أما السيدة زبيدة زوج الرشيد فقد أضفت عليها الليالي من الصفات الحميدة الشيء الكثير مع الاحترام الشديد لأكثر من سبب فهي زوج الرشيد وهي ذات نسب طاهر شريف هو نسب النبوة في حكاية حسن البصري وعلى لسان (مسرور السياف) حين أرسلته لتدعو أم حسن وزوجته الجميلة التي أوشكت ان تخرج الرشيد من تدينه نجده ينص صراحة على نقاوة نسبها بقوله «إن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي (ص) تدعوك اليها أنت وزوجة ابنك وأولادها»[١٦٢] فهو يذكر نسبها العريق بالاضافة الى أنها زوج أشهر خلفاء بني العباس

وادق من هذا ماذكرته الليالي في صيغة تحيتها والسلام عليها فعندما يتقدم منها احد للسلام يقول «السلام على الستر الرفيع والجناب المنيع والسلالة العباسة والبضعة النبوية بلغك الله الاقبال والسلام في الأيام والأعوام»[١٦٣]

وللملكلة زبيدة صفات تظهر آثارها في الخط السياسي المؤثر في سياسة ونفسية زوجها الرشيد فهي غيورة عليه خائفة من أن يندفع وينشغل قلبه بالجواري وهي رغم كل صفات الكرامة والنسب الرفيع لا تبالي أن تدس البنج لاحدى محظيات الرشيد بل وتدفنها حية وتتظاهر بالحزن عليها بل سعت تستعين بالعجائز لتدبير غطاء للفضيحة

---

(١٦١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣١
(١٦٢) المصدر نفسه ج ٤ ص -ظ محمد علي صبيح
(١٦٣) الف ليلة وليلة ط . بو أوفسيت ٨٣٩ مجلد ٢ ص ٣٦٨ .

وتصف الليالي حرصها على اختيار النسب الرفيع لجواريها اللاتي يتزوجن وهذا انعكاس اهتمام البيت العباسي بسبهم الشريف وبالمظهر اللائق به فقد جاء على لسان شخص أعجب بأحدى جواري القصر وأراد زواجها فدخل القصر لمقابلة السيدة زبيدة «ولم أشعر إلاّ وأنا في دار الخليفة وجاءوا اليّ بشيء كثير من الامتعة ثم رأيت عشرين جارية اخرى وهن نهد أبكار ، وبينهن السيدة زبيدة وهي لم تقدر على المشي مما عليها من الحلي والحلل فلما أقبلت الجواري من حواليها فأتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فأشارت إلي بالجلوس ، فجلست بين يديها ثم شرعت تسألني عن حالي وعن نسبي فأجبتها عن كل ماسألتني عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا في هذه الجارية ثم قالت لي اعلم أن هذه الجارية عندنا بمنزلة الولد الصلب وهي وديعة الله عندك ثم استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين في زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار»[١٦٤]

ولم تتعرض الليالي لذكر أي أثر سياسي واضح لها ، حيث لم تمارس الحكم مباشرة سوى ما جاء من رعايتها لزوجها الذي يحبها وتحبه وهو أشهر رجل سياسي دارت حوله الحكايات

* * *

والخلاصة في حكم النساء الملكات الحاكمات ، ان الليالي رغم كل ما سجلته ضد المراة إلا أنها اعترفت بهن ، ولكنها لم تتخلص من أحكام ماورد في كتب الآداب السلطانية ذات الطابع النقدي العلني والرمزي ، من أنهن لا يصلحن للحكم لأن الميل اليهن ، والأنهاك في محبتهن مما يكره للملوك[١٦٥]، فكيف إذا كن الحاكمات أو جاءت ظروفهن ليكن في موطن مسؤولية الحكم

فنحن نجد الملكتين (بدور) ابنة الملك (أرمانوس) ، والملكة (حياة النفوس) وهما زوجتا الملك الجميل (قمر الزمان) الذي لقى العذاب بسببهما يخونانه مع ولديه فكل منهما تعشق ابن ضرتها مما اضطر الأب الى اصدار

---

(١٦٤) الف ليلة وليلة حكاية الخياط الاحدب ج ١ ص ٩٩ ط محمد علي صبيح

(١٦٥) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٨ .

حكمه بالموت على ولديه (الأمجد والأسعد) بعد أن عكستا صورة الواقع واتهمتا الشابين بمراودتهما[١٦٦]

أو كما فعلت الملكة الجارية زوج الملك (ورد خان) في دفعه لقتله كافة وزرائه أو مافعلته الملكة مريم الزنارية عندما ذبحت أباها وقتلت اخاها وتخلت عن دينها وهربت مع عشيقها أو ما فعلته الملكة «إبريزة» القوية الجبارة فانها هرب مع (شركان) ابن الملك عمر النعمان لحبها له

إن المرآة وان مارست السياسة أو اقتربت منها إلا انها قلدت الرجل ولكنها رغم كل شيء فكرت بنفسها كأمراة لم تتخل عن انوثتها

ملوك الجن

بالغت الليالي لدرجة العجب والادهاش في حكم وقوة الامكانية العسكرية والمالية والقدرة الخارقة لملوك الجن وذلك لأنهم يتمتعون بالقدرات الخارقة وقوة السحر إلا أنهم رغم كل مافي الخيال من تصور ضعاف خاضعون لقوة خفية هي قوة الأسماء المنقوشة على خاتم النبي سليمان العجيب الذي لا يمكن الحصول عليه أو الوصول اليه ورغم قدراتهم على الطيران والحركة والانتقال السريع في طي المسافات فهم حسب رأي القاص محاولة من محاولات الأنسان في التخلص من صور الحرمان الشعبي الذي يحلم بالفرج[١٦٧]

والملاحظة التي يجب أن تستقر في الذهن أنه مهما اضفت الليالي من صور الخوارق على ملوك الجن فقد جعلتهم تبعا لأنبياء وخلفاء البشر وهذا ما هدف اليه القاص فهو وان وصف ملوكهم في سياستهم وتفكيرهم إقناعا لفكرة العوام من الناس إلا أنه كان يرمز بنسبتهم في الحكاية كنسبة القصص الحيواني الرامز الا أن لقصص الجن والعفاريت والمردة غاية رمزية واضحة متأثرة بالأحساس الديني وقد اتبعها واتخذها القصاصون وسيلة للتوجيه نصحاً ونقداً بل هناك من يعتقد «إن المردة والعفاريت إنما هي رموز لنقد الحكام ممن تسلطوا على الرعية بقواهم الجسدية»[١٦٨]

---

(١٦٦) المصدر السابق ص ١١٢ ١١٣ ١١٤ ج ٢ ط محمد علي صبيح
(١٦٧) د.سهير القلماوي الف ليلة وليلة ص ٣٠ .
(١٦٨) الحكاية والانسان ص ٢٣ .

ثم إن أصدق وأجرأ دليل على ذلك إحدى رسائل إخوان الصفا في المحاكمة التي يعقدها ملوك الجن فتحتكم إليهم الحيوانات نقدا وتخلصا من ظلم وطغيان الانسان[١٦٩]

فالخوارق التي يقوم بها الجن مثلاً هي في الحقيقة الخيال الممتزج مع الأسطورة لأن الحكاية تعتمد على الحياة الحقيقية[١٧٠]، وما الخيال إلا الظل الساتر للحقيقة يحتمي به من مخاوف الضغط والرهبة الفكرية في كل عصور الاستبداد

وملوك الجن أو حكامهم الذين سلطت عليهم الضوء ، والتي أرادت الليالي أن يكونوا نموذجا يلفت النظر ، ويقاس عليه مما يمكننا أن نقول إنها أرادتهم نماذج للملوك الحقيقيين في سياستهم ومعاملاتهم تجاه ربهم وتجاه رعاياهم ومن اشهرهم «الدمرياط»[١٧١]، وكان يحكم على آلاف الآلاف من المردة والشياطين والجن وكان قويا لدرجة تخافه اعتى العتاة من المردة والعفاريت وهو قائد عسكري[١٧٢]، إذ «برز فكأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع تهتز لصوته الجبال»[١٧٣]

ولهذا الملك هيبته الرهيبة ، وهو مؤمن موحد تمتد هيبته وأيمانه إلى أبنائه وبناته فقد جاء على لسان عفريت خاف على نفسه من ابنة الدمرياط (ميمونة) «وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها ، وقال أقسم عليك بالاسم الأعظم والطلسم الأكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني»[١٧٤]

وهو قاسٍ في تنفيذ العقوبة بحيث أنه لا تأخذه به رأفة ولا رحمة ليكون المجرم عبرة ونكالاً فعندما كذب عليه احد المتمردين الكافرين ولم يرضخ للحق يأمر بنتف ريشه ، وتمزيق جلده وكسر عظمه أو أمر سجنه بدفنه إلى ابطيه بعد إدخاله في عمود من الحجر الاسود في الارض[١٧٥]، أو أن يوضع في

(١٦٩) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا الرسالة الحادية والخمسون
(١٧٠) د.رسول عزالدين مصطفى/ مقالة الحكاية الكردية/ مجلة التراث الشعبي عدد ٣/٢ سنة ٩٧٠/ بغداد
(١٧١) ملك الجن ووزير الميسرة للنبي سليمان (ع) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٨
(١٧٢) المصدر نفسه ص ١٢٩ ج ٣
(١٧٣) المصدر نفسه ص ١٢٩ ج ٣
(١٧٤) المصدر نفسه ص ٧١ ج ٢
(١٧٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٧

قمقم من نحاس يرصص غليه ثم يرمى في البحر

غير أن ابرز الملامح السياسية التي أظهرتها الليالي عند ملوك الجن أنهم يديرون ممالكهم بتعيين وكلاء لهم في ادارة المقاطعات وهؤلاء يخضعون خضوعا شديداً للملك يراقبون الداخل للمقاطعة مراقبة شديدة دقيقة جدا ففي حكاية بلوفيا «السائح اليهودي الباحث عن شخصية النبي محمد (ص) وعند مقابلته للملك «شراهيا» وكيل ملك الجن الكبير «صخر» وقد أراد أن يأكل ثمرة من ثمار الجزيرة التي وصل اليها منع ولما سأل عن ذلك قيل له «أنا أسمي شراهيا وهذه الأشجار والجزيرة للملك صخر وأنا من أعوانه وقد وكلني على هذه الجزيرة»(١٧٧)

فالوكيل أو النائب من سمات التوزيع الاداري لادارة ممالك الجن فقد جاء على لسان احدى البنات اللائي عاش بينهن حسن البصري نفس النص «وأبونا نائب من جملة نوابه»(١٧٨)

وهم يتخذون الأمراء والمشيرين ممن خبروا الحياة وجربوها ففي حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال «نجد أن احدى ملوك الجن الكبار واسمه الملك الأزرق «كان عنده أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة أحوال الدهور وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته وكان الملك يسمع كلامه ويعمل به ولا يخالفه في شيء»(١٧٩)

ويحكم الجن في شخصية ملوكها وأبنائهم قانون التحكيم فليس هناك عند حصول المنازعات سوى إحضار من يحكم بينهم ففي المحاورة التي دارت بين ابنه الملك وأحد العفاريت وقد تجادلا كثيراً فطلبت حضور حكم ليفصل بينهما فنجد أنها تطلب من الحكم بعد حضوره «أني أريد أن تحكم بيني وبين هذا الملعون»(١٨٠)

ولا يفرط ملوك الجن في العدل حتى وان كانوا طالبين للثأر بل نجدهم

---

(١٧٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧١

(١٧٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣١

(١٧٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢

(١٧٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٠

(١٨٠) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٧٦ .

يتدارسون الموضوع دراسة عميقة فعندما حصل أن أنسيا قتل ابن ملك الجن الأزرق وقد التى القبض على القاتل فلم يتهور أو ينفعل بل انه (دعا الوزير وقال له هذا قاتل ولدي ولا محالة من غير شك فماذا تشير في أمره فهل اقتله أقبح قتله أو أعذبه أصعب عذاب ؟ أو كيف أعمل ؟ فقال الوزير الاكبر اقطع منه عضواً وقال آخر اضربه كل يوم ضرباً شديداً وقال آخر اقطعوا وسطه وقال آخر اقطعوا أصابعه جميعا واحرقوها بالنار وقال آخر اصلبوه وصار كل واحد منهم يتكلم بحسب رأيه وكان عند الملك الأزرق أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة بأحوال الدهور وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته ، وكان الملك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه في شيء فقام على قدميه وقبل الارض بين يديه وقال له ياملك الزمان إذا أشرت عليك برأي في شأن هذا هل تتبعه وتعطيني الأمان فقال له الملك بيّن رأيك وعليك الأمان فقال ياملك إن أنت قتلت هذا ولم تقبل نصحي ولم تعقل كلامي فإن قتله في هذا الوقت غير صواب لأنه تحت أمرك وفي حماك وأسيرك ومتى طلبته وجدته وتفعل به ما تريد(١٨١)

وللملوك الجن مراسم وآداب سلطانية رفيعة تدل على بساطتهم وعزة نفوسهم فعند طلب الملك أو أحد أبنائه إحضار أحد يضرب برجليه الأرض فيظهر من طلب فإذا حضر المطلوب قبل الأرض بين يديه وتكتف ثم يقول ما حاجتك أيها الملك أو ياسيدي او ياسيدتي(١٨٢)

ومن آدابهم في مقابلتهم للغرباء هو انهم يقربونهم ويجالسونهم على كراسي تليق بهم كملوك كما جاء في قصة «بلوفيا» حيث يأمر الملك أن «ينصبوا له كرسياً بجانبه(١٨٣)، فاذا حان وقت المؤاكلة قدموا الأطعمة وأكل الملك مع ضيوفه حتي وإن كانوا غرباء»(١٨٤)

---

(١٨١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١
(١٨٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٧٦
(١٨٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٢
(١٨٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٢ .

ومن آدابهم السلطانية أنهم صرحاء في لومهم الملوك الذين لا يحترمون تلك الآداب كما فعلوا مع ابن الملك الأزرق الذي قتله إنسي فهو مقتول «لظلمه وعدوانه وأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم الى البئر المعطلة والقصر المشيد ويفرق بينهم وبين أهليهم ويفسق فيهم»(١٨٥)

وملوك الجن لا يرضون لبناتهم أن يتركن أزواجهن من البشر إذا كان محباً لهن فالملك شهلان والد الملكة شمسة التي احبها جانشاه يلومها ويقول لها «ما يحل لك من الله أن تفعلي معه هذا الأمر»(١٨٦) بل إنه كملك لا كوالد يأمر أعوانه بالبحث عن زوج ابنته ليعيدها اليه وتعتذر أم العروسة لعريس ابنتها عما أخطأت فيه ابنتها «ثم أن أم السيدة شمسة قالت له مرحباً ياولدي ولكن بنتي شمسة أخطأت في حقك ولا تؤاخذها بما فعلت معك لاجلنا»(١٨٧)

وملوك الجن يحترمون غيرة الرجال على نسائهم ويقدرون الغيور ساتر الأعراض كما يقدرون الوفاء ففي حكاية فاضل عامل البصرة عند قتله للثعبان الأسود كناية عن الوزير الحقير الذي حاول الاعتداء على عرض ابنة الملك نجد البنت تخاطب الرجل أمام أبويها «ووجب لك الأكرام من أمي وأبي ثم قالت يأمي اكرميه في نظير ماستر عرضي»(١٨٨)

فإذا ما أستنجد أحد بملوك الجن ولاذ بهم فنجدهم يبذلون أنفسهم دونه اذا ما احسوا بأنه أعتدى عليه ففي حوار بين أم الملك شهيال وبين ابنها عندما أعتدى على ضيفهم الذي خطفه أتباع الملك الأزرق نجد صورة الغضب والنخوة التي نستطيع أن نقول عنها أنها صورة للنخوة العربية الصادقة فالأم الكبيرة التي احتمى بها بها هذا الضيف تقول لابنها «كيف تكون ملكا وتجيء جماعة الملك الأزرق الى بستاننا ويأخذون ضيفنا ويروحون به سالمين وانت في الحياة ؟ لا ينبغي أن يعتدي علينا أحد في حياتك اذهب اليه واطلب منه ضيفنا فإن كان بالحياة وسلمه إليك فخذه وتعال وان كان قتله فأمسك الملك الازرق بالحياة هو واولاده وحريمه ، ومن

(١٨٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٠
(١٨٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٨
(١٨٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٧٠
(١٨٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٧٩ .

يلوذ به من أتباعه ، وأتني بهم بالحياة حتى اذبحهم بيدي ، واخرب دياره ، وأن لم تفعل ما أمرتك به لأجعلنك في حل من لبني والتربية التي ربيتها لك تكون حراماً»[189].

ولم تنس الليالي سياسة تذكير ملوك الجان بالعبادة والزهد لغرض دينيوي أرادته لكي لا ينشغل الحاكم بدنياه ومطامعه فالملك الجني صاحب الأرض البيضاء لا شغل له ولا الجن الحاكمين معه سوى التسبيح ومقاتلة الكفرة من الجن ، وهم بعد إنهاء قتالهم نهاراً راحتهم مساء وبعد أن ينهوا متعلقات حياتهم من أكل وشرب تراهم يسبحون الله ويصلون على نبيه[190] فكأن القاص قد أخذ صورة الخوارج الذين وصفوا بأنهم رهبان في الليل ، وفرسان في النهار[191].

مملكة البحر

ربما يشتط الخيال بالقاص إلى أن يرسم صورة غريبة لمملكة البحار وقد يتبادر إلى ذهن القارىء أننا سنبحث تنظيمات حياة السمك او الحيتان أو مخلوقات البحر ، والحقيقة أن الموضوع يتعلق بأناس لا واقع لهم إلاّ في مخيلة القاص ، سكنوا عالم البحار ، وهم في واقعهم بشر جعلتهم مخيلة القاص لغرض الايهام والابتعاد عن موطن خطر التصريح

فمملكة البحر التي تقع تحت الماء أو في جزائره إنما تدار من ملوك لهم تنظيماتهم وعاداتهم ولهوهم ومرحهم وفرحهم وانقلاباتهم ، فلو قرأنا قصة «جلنار البحرية[192]، وهي تحدثنا عن خيالها لأحسسنا منذ أول وهلة أن المراد انما هو التخوف من الأنقلابات العسكرية ضد الحاكم »وكان أبي من ملوك البحر ومات وخلف لنا الملك فبينما نحن فيه إذ تحرك علينا ملك من الملوك وأخذ الملك من أيدينا»[193]، فاذن ربما دامت الممالك بقوة حياة الملك فأذا ما حصل اختلاف بموت الحاكم وانتقال الحكم لأبنائه الذين لا يستطيعون ادامة ملكهم

---

(١٨٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠١

(١٩٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٢

(١٩١) قول لحمزة «أحد كبار الخوارج»

(١٩٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤٩

(١٩٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٤٩ .

تحرك الطامعون مستغلين ظرفاً مناسباً وفي هذا تحذير وإنذار

وفي نفس الحكاية وعلى مسيرتها التقليدية في سرد الاحداث نجد صدى لأحساس النقد الجريء للملك المتقلب إذ تروي الحكاية أن هذا الملك أحمق قليل العقل بخيل بابنته على خطابها[١٩٤]

وعلى ذلك نجد أن من المراسم التي تتبعها العوائل الملكية في الزواج أن يتشاور الجميع في موضوع الخطبة توقعاً لما قد يحصل فهم يهيؤون حتى أجوبة الأسئلة المتوقع حصولها فعلى لسان ام ملك تخطب لأبنها وفي المجلس العائلي المنعقد بشأن الخطبة نراها تقول «إن احتج علينا بالجمال فهو أي ابنها أجمل منها ، وإن احتج علينا بسعة المملكة فهو أوسع مملكة منها ومن أبيها وأكثر أجناداً وأعواناً فإن ملكه أكبر من ملك أبيها»[١٩٥]

وربما لم يقنع والد العروس بتزويج ابنته غطرسةً منه وتكبراً فأننا نجد أن فشل الخطبة قد يكون سبباً في تعقد الموقف بين المملكتين أو ربما كان دافعاً للانقلاب كما حصل في خطبة ابنة الملك للملك فقد تقدم أهل العريس الملك وهم عصبة قوية لعلمهم بفشل الخطبة نتيجة لحمق الملك ولشدة سطوته فنراهم وقد «ترجّلوا عن خيولهم وجردوا سيوفهم ودخلوا على الملك السمندل والد العروس فحملوا على بعضهم ، فلم تكن غير ساعة حتى انهزم قوم الملك وركنوا للفرار وقبضوا على الملك السمندل وكتفوه»[١٩٦]

ان مبدأ القوة والتنازل لها هو طبيعة السياسة في الممالك البحرية وأن العروش تحمى بالعصبة القوية وان المنطق والنقاش ياتي تبعاً لها وليس قبلها فرد الملك السمندل قبل الانقلاب عليه كان عنيفاً وخشناً «ما الذي أصاب عقلك ودعاك الى هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم حتى إنك تخطب بنات الملوك أصحاب البلدان والأقاليم ؟.. من أنت ؟ ومن هي أختك ومن هو أبوه فهل أنتم بالنسبة إليها إلا كلاب»[١٩٧]

---

(١٩٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٦
(١٩٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٥٧
(١٩٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٧
(١٩٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٩/٢٥٨

اما رده بعد أن أصبح تحت الأسر وبعد ان رد له اعتباره كملك فغير رده العنيف «هي في خدمتك وجاريتك وبين يديك»[198]

والممالك البحرية مختلفة القوانين والتشريعات تضفي عليها الطابع الاسلامي من حيث الزواج غير ان العقوبات أو الحدود تختلف بالنسبة للزاني والزانية فأذا «زنى بعضهم ببعض فان الذي يثبت عليه الأمر إن كان أنثى تنفى الى مدينة البنات فإن كانت حاملاً من الزنا فأنهم يتركونها الى ان تلد فإن ولدت أنثى ينفونها معها وتسمى زانية بنت زانية ولا تزال بنتاً حتى تموت ، وان كان المولود ذكراً فانهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله»[199]

ثم إن الخروج على قوانين سلطنة البحر تعني الموت فمدينة البنات المتخصصة لنفي الزانيات لا يدخلها ذكر فاذا ما «خرجت منها ـ احداهن ـ فكل من يراها من دواب البحر يأكلها»[200]

وممالك البحر تعاونية وعلى رأسها الملك الذي لا حجاب بينه وبين أفراد رعيته فاذا اراد أحد الرعايا بناء بيت له وتكوين عائلة اتصل بالملك مباشرة ويخاطبه بكل يسر «مرادي أن اتخذ بيتاً في المكان الفلاني فيرسل معه الملك طائفة من السمك يسمون النقارين ، ويجعل كراهم[201] شيئاً معلوماً من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود»[202]

ولا يدخل المملكة البحرية غريب حتى يستقدم أمام الملك ، ويستفسر عن دخوله وعادة أن يرسل له الملك عشرة من الرجال الشداد فيرحب به ويستضاف ويكرم من قبل الملك بما يشاء الضيف[203]

وطبيعة المملكة البحرية أقرب إلى الواقع العلمي ، والايمان الديني الحقيقي فانهم اذا ما مات لهم ميت تراهم يقيمون الافراح والولائم وكأن هناك عرس لأنهم يعتقدون أن الروح أمانة الله عند البشر ، ولذلك يستغربون من

---

(١٩٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٠

(١٩٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٠٥ ط محمد علي صبيح

(٢٠٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٥

(٢٠١) اجرهم

(٢٠٢) المصدر اعلاه ج ٤ ص ٢٠٦

(٢٠٣) المصدر اعلاه ج ٤ ص ٢٠٧ .

بكاء أهل البر إذ أن القطيعة التي حصلت بين عبدالله البري وعبدالله البحري كانت بسبب نظرة كل منهما للموت وللتقاليد المتبعة في أمر الميت»[204]

الممالك الأخرى

عددت الليالي إضافة لما سبق أنواعاً شتى من الممالك كل حسب نوعه من الخليفة كمملكة الحيّات[205]، ومملكة القرود ومملكة الطيوز[207]، ومملكة الوحوش ومملكة الهميج[209]

وهذه الممالك أقرب في عرض وسرد احداثها إلى الرمزية على لسان الحيوان كما فعل ابن المقفع في كليلة ودمنة

فمملكة الحيات مثلاً جاءت خلال حكاية حاسب كريم الدين ورحلته العجيبة والتي قيل ان أصلها حكاية إسرائيلية أو منقولة عن الاسرائيليليات[210]

والمهم في مملكة الحيّات رغم بشاعة امر هذا الحيوان وضرواته ، ما يتعلق بالمظهرية الحكيمة والتوزيع الاداري للوظائف العليا ، فالملكة يعاونها إثنا عشر وزيراً كما جاء في وصف مجلس الملكة «وعليه تخت منصوب من الذهب وحول ذلك التخت كراسي منصوبة بعضها من الذهب ، وبعضها من الفضة ثم عدها فرآها إثني عشر كرسياً»[211]

والملكة معظمة جداً فهي لا تدخل إلا محمولة على طبق من ذهب فاذا دخلت زعقت حية موكلة بحراستها تخر على اثرها جميع الجالسات على الكراسي ساجدات ، وهن يدعون لها ولا يجلسن إلا بعد أن تشير لهن بذلك[212]

ويستخلص من حكاية ملكة الحيات تحذير الملوك من وزراء السوء الذين لا يفكرون إلا فيما يحقق مصالحهم ولو على حساب أرواح الآخرين

---

(٢٠٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٠٧
(٢٠٥) المصدر نفسه ج ٣ ص١٨ حكاية حاسب كريم الدين
(٢٠٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٢
(٢٠٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٩
(٢٠٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٦
(٢٠٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٢
(٢١٠) د.سهير القلماوي الف ليلة وليلة ص ١٣٦/١٣٥ وقد ذكرت ايضا في كتب العرائس ، وبدائع الزهور وتاريخ الطبري
(٢١١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠ حكاية حاسب كريم الدين .
(٢١٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٩ .

فالملكة وهي تقص على مسامع بلوقيا الذي شاءت ظروفه أن يدخل هذه المملكة وإن تستضيفه الملكة تخبره بأن نهايتها ستكون على يديه لأن احد وزراء الملك سيظفر به ليحضرها له دواء لملك مريض لا شفاء له إلا إذا أكل لحم ملكة الحيات ، وانه بعد ذبحها وطبخها وأنه سيأمر بلوقيا بأن يشرب رغوة اللحم المسلوق فيموت أما الوزير فسوف يشرب رغوة اللحم الثانية فيصبح عالماً بكل شيء والملك لا يهمه سوى أن يشفى من مرضه بأكل اللحم ولهذا فهي تحذره ألاّ يشرب الرغوة الاولى حسب رأي الوزير لأن الوزير «ملعون ماكر»[٢١٣]

أما مملكة القرود فالملمح السياسي فيها يبدو في مخاطبة الملك الذي نصب عليهم من قبل جموع القرود «أعلم ايها الملك انك بقيت علينا سلطاناً ونحن في خدمتك وكل واشرب وكل ما أمرتنا به نفعله»[٢١٤] يعينه في تدبير المملكة اربعة وزراء ونظام المملكة نظام عسكري صارم وعلى الملك أن يحكم بالصواب[٢١٥]، وعلى الملك أن يحارب معهم لا أن يجلس على عرشه ، مما يجعل هذه المملكة في صراع مستمر ولهذا نجد أن الملك يتمنى الخلاص من حكمها ولكنه لا يجده إلا بمخاطرة شديدة[٢١٦]

وأجمل مملكة صورتها الليالي خلال حكاياتها هي مملكة الطيور ، ولا يخطر على البال أن ملكها سيكون طيراً كالهدهد أو النسر كما في محاكمة اخوان الصفا[٢١٧] وانما ملكها بشر اسمه الشيخ نصر الذي اوكله بحكمهم النبي سليمان وعلمه منطق الطير فهو يجتمع بالطير مرة كل سنة[٢١٨]، وهو ملك طيب وشفاف ومملكته نظيفة ، وقصره مليء بالمقاصير ، وإذا ما حل موعد زيارة الطيور نراها تقبل أجناساً لتقبل يد الملك ، مستأذنة بعد انتهاء زيارته في العودة وهو يستقبل وفودها في بستان كبير وجميل جداً[٢١٩]

وملك الطيور يحل المشاكل التي قد تقع فهو لا يضغط أو يقسو في

---

(٢١٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٧٩/٧٨
(٢١٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٤
(٢١٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٤
(٢١٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٥
(٢١٧) الرسالة الحادية والخمسون من رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا .
(٢١٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٥٠/٤٩
(٢١٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٠

حكمه بل يناقش بهدوء ورزانة فهو في حواره مع إحدى الطيرات اللاتي وقع الملك (جانشاه) في حبها وهي طيرة جنية اسمها (شمسة) نسمعه يقول «إن هذا الشاب يحبك محبة عظيمة فبالله عليك أن تتوصي به فإنه من أكابر الناس ومن ابناء الملوك وأبوه يحكم على بلاد كابل ، وقد حوى ملكاً عظيماً وإن كنت صادقة في قولك فاحلفي لي بالله أنك لا تخونيه ما دمت على قيد الحياة»[220].

ويلاحظ الداخل في مملكة الطيور أو أراضي الطيور انه «من شدة صياح الطيور وخفقان اجنحتها لا يسمع بعضنا كلام بعض ان الدنيا انقلبت من شدة الصياح لدرجة ان يطيش العقل وتنسد الأذن»[221]

ولا تنس الليالي الافادة من القصص الحيواني ، في رسم مملكة الطيور عندما تجد أن الموقف السياسي يستدعي الرمزية البسيطة ففي حكاية الطاووس ملكاً للطيور وحين تكاثرت ودبّ بينها الاختلاف اجتمعوا وأقروا نظام الملكية بالاختيار للضرورة «لابد لنا من ملك ينظر في أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا ، فمر بهم عصفور فأشار عليهم بتمليك الطاووس فاختاروه وجعلوه عليهم ملكاً فاحسن اليهم ، وجعل ذلك العصفور كاتبة ووزيره»[222]

فالتكاثر يؤدي الى تباين وجهات النظر ، ولابد اذن من وجود من يشرف وينظم وينظر في الأمور لقطع دابر الخلاف ، وهذه قاعدة سياسية أقرتها الليالي كما أننا نلمح طبعا أو ملمحاً سياسياً ، وهو اختيار الطاووس لكونه أجمل الطيور شكلاً وهيبة مما يعطي له الصفة الهيبة والمظهرية الواجبة للحكام كما أنها اختارت العصفور الجميل وزيراً لأنه أكثر الطيور سرعة وتنقلاً فكأنه يفتش عن القضايا ويبحث عن الأمور وكذلك رداً لجميله في اقتراح اختيار الطاووس ملكاً فعهد اليه أمر الكتابة والوزارة

اما مملكة الوحوش فلم تظهر لنا بالصورة التي ظهرت فيها مملكة الطيور الا في أن حاكمها ليس الأسد كما هو شائع وإنما هو شاه بدري «ومثله الشيخ نصر ملك الطيور ، حيث تأتي الوحوش جنساً جنساً للسلام

---

(٢٢٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٥

(٢٢١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٧/٢٦ بتصرف .

(٢٢٢) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٤٠ .

عليه» وهو يخضع لادارة الملك النبي سليمان (ع) وهو ملك كريم يجير من يستجير به»[223]

أما أتعس مملكة وأقبحها سيرة فهي ملكة الهمج الذين وصفتهم الليالي بأنهم عراة سود الالوان لا يفقهون ، واكلهم قاصر على ما يصطادونه ولا يعرفون ديناً وان كان ملكهم يعرف اللغات[224]

وهم إضافة إلى ذلك يأكل بعضهم لحوم البشر ، ويقدمون لملكهم الأسرى ليتحسسهم ويأكل السمين منهم[225]

وكانت أصوات الأسرى وهم ينوحون ويبكون على مصيرهم التعس في هذه المملكة مما يعجب أبناء وبنات الملك فيأمرون بوضعهم في الأقفاص كما نفعل بالطيور المغردة حين نحبسها في الاقفاص[226]

والمهم في مملكة الهمج طاعة الهمج له ، وأن الملك أو الملكة عندما يعارضان ولا يريدان التخلص منه في قتله تفرض عليه عقوبة العمل والسخرة

* * *

والخلاصة أن الليالي في أخبارها أكدت على وجوب وجود الحاكم الملك واشترطت فيه شروط الامامة ، وأوضحت حقوقه على الرعية وحقوق الرعية عليه كما أوجبت على الوزير تجاهه أن يكون الناصح الأمين ، والمجتهد في الحق العام ، وبينت لنا كيفية اعداده ، وضربت الأمثلة على انواع الحكام لمختلف الأجناس غير أنها ارادت بكل ذلك الملك العادل وهي لم تقصد من خلال حديثها عن الملوك من غير البشر سوى تصوير آمال الشعوب في حكامهم وكانت في نقدها تهدف الى النقد البناء وان الحاكم سيستفيد من تجارب من سبقه فقد كانت صوت النقد السياسي بأسلوب الحكاية الهادفة بعيداً عن الشتم والكلام القبيح

---

(٢٢٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٦
(٢٢٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٢
(٢٢٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧٠
(٢٢٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٨٣ .

الفصل الرابع
آداب ومراسم الحكم

القسم الأول　سياسة المراسم والمراسلات

القسم الثاني　خطب المناسبات وعلاقتها بالسياسة

القسم الثالث　هدايا الملوك ومراسمها

القسم الأول

سياسة المراسم والمراسلات

تتبع السلطة في سياستها نوعا من التقاليد او الرسوم ، داخل قصورها ودواوينها ومرافقها مما يعرف بالمراسم من حيث طرق التولية والعزل والتهنئة والتعزية والأستقبال والتوديع للوفود والسفراء والاستيزار وعقد الولاية أو القيادة والاحتفالات الوطنية والقومية والدينية أو اعلان التعبئة أو النفير أو الحرب أو الهدنة أو الصلح أو ما يستجد مما يتعلق بمثل هذه المظاهر التي تمليها الأعراف أو التقاليد حتى تصبح جزءا من سياستها العامة لا تحيد عنها بل يزاد عليها ويطور مظهرها ليتخذ مظهرا جديدا يتناسب والوضع المستحدث

والغاية الأخيرة من كل هذا اظهار قوة وهيبة الدولة أمام شعبها أو غيره من الشعوب ، واعطاء صورة من ثقافتها ولياقتها تحمل الدول الأخرى على الثقة والهيبة والأحساس بالتبجيل والتقدير لها

ولا يظهر الاهتمام بهذه المظاهر والأعراف التي يمكن أن تكون معقدة الا خلال التطور الحضاري والتمازج الثقافي وعلى عكس ذلك تظهر البساطة في حكم البداوة

وخلال استعراضنا للتاريخ الأسلامي ، ومن خلال قيام الدولتين الأموية والعباسية وما أعقبها من قيام الدويلات وحتى العصر الحديث ، نجد الأهتمام بهذه التقاليد والرسوم قد ازداد فعلا خلال العصور العباسية وما بعدها وبالأخص خلال قيام دويلات المماليك أو ما سبقها من حكم الفاطميين لمصر أو خلال الحكم العربي لأسبانيا

وقد اصبح الاهتمام بمثل هذه التقاليد كبيراً لدرجة أن دونت فيها الكتب والمؤلفات مما يمكن تسميتها بالآداب السلطانية أو رسوم دار الخلافة مثل كتاب الفخري في الآداب السلطانية للماوردي ، وكتاب رسوم دار الخلافة

للصابي او التعريف بالمصطلح الشريف لبدر الدين بن فضل الله العمري أو التاج في أخلاق الملوك للجاحظ أو كتاب السلطان في أول كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه او اللؤلؤة مقدمة كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة أو ما هو مذكور خلال صفحات مقدمة ابن خلدون وغير ذلك من المؤلفات

وهذه التسميات لهذه الكتب حسب اعتقادنا ما كتبت الا تزلفا للحاكم الذي يهتم بالمظاهر التي تجعل منه مهابا في أعين الناس ويجعل بينه وبين الرعايا الحدود ليبدو أكثر هيبة وعظمة

ويبدو أن جامع الليالي أو مؤلفها قد أفاد كثيرا جدا مما كتب في هذه الكتب من الآداب والتقاليد أو الرسوم خاصة إذا عرفنا أن الحكاية تعتمد على الوصف والمبالغة والتشويق واعطاء صورة من المظهرية التي تتناسب وشخصيات الحكام ومن المعروف ان الليالي تكاد تكون حكايات عن الملوك من مختلف الأجناس والأزمان أو حكايات سلطانية أو وصف لمظاهر حكم أو حاكم أو نقد أو وعظ له بأسلوب الرد المشوق

ومن الجدير بالذكر أن هذا الموضوع موزع توزيعا يتناسب وأهميته لأن هذا يعني تقريب زمن النصوص واظهار بعض أوجه المقارنة بين رسوم الليالي ورسوم الكتب ذات الأطر السلطانية أو المراسم لأن الليالي في الحقيقة كتاب شامل وفي الشامل تجد المتناقضات ، ولكنها السياسة ومظاهرها في مختلف عصور الحكم الأسلامية

١ مراسم الاستقبال والتوديع

تستقبل السلطة الحاكمة أو تودع شخصيات حاكمة أو مؤثرة في الحكم كالملوك والوزراء والأمراء أو السفراء لغرض سياسي أو شخصي يهم الحاكم المسؤول ويكون الأستقبال أو التوديع خاضعا لمكانة أو خطورة مهمة من أوفد أو من استقبل فاستقبال ملك لملك يتم كما صورته الليالي على الشكل التالي

أن يصل رسول من الملك الزائر الى الملك المستقبل كما فعل الملك «جانشاه» حين أرسل مملوكين لأخبار الملك المستقبل بينما يستقر الملك الزائر في

مكانه من المملكة مدة لأجل الراحة من عناء السفر ، وفي انتظار مواكب الاستقبال التي تدخل معه المدينة[1]. فإذا تمت أيام الراحة وتحرك الملك المستقبل بمواكب اللقاء أمر بعد ذلك بأعلان البشائر وبدق الكاسات ، وارسال المبشرين للجميع وكذلك إخبار الملكة وكافة نساء الوزراء وأكابر الدولة اذا ما كانت مع الملك الضيف زوجه فاذا التقى الملكان ينزل كل منهما عن ظهر فرسه ويقبل كل منهما الآخر ، وعند نزول الملكين تترجل العساكر ثم يتقدم كبار القادة للسلام عليه وتقبيل يد الملك الضيف ثم يركب الجميع متوجهين للمدينة فاذا كانت المدينة بعيدة فربما تنزل الجموع للأستراحة بعد أن ينصبوا الخيام والصواوين والبيارق وفي خلال ذلك تدق الطبول والأبواق[2]

فاذا كانت زوج الملك الضيف معه تخرج لاستقبالها مع زوجها زوج الملك المستقبل ولكن لكل منها موكبه الخاص ، وخلال ذلك تجلس داخل الاستراحة في خيمتها الخاصة مع نساء الوزراء ثم تتحرك الضيفة نحو زوج الملك المستقبل بعد أن يسبقها المبشرون بوصول الزائرة فاذا دخلت الملكة الضيفة جلست مع مضيفتها بعد السلام والترحيب ثم تخرج الملكة المضيفة مع ضيفتها لتزورها في خيمتها الخاصة ردا للزيارة[3]

حتى إذا تمت ساعات اللقاء يتوجه الجميع نحو المدينة التي ازدانت بالحلي والحلل وفرشت الأرض بنفيس الديباج تحت سنابك وحوافر الخيول وانتشرت موائد الطعام للفقراء والمساكين وقد لبست الطوائف أثمن ملابسها وأظهر أرباب الدولة نفيس تحفهم لدرجة تبهر المتفرج ثم يتوجه الملك الضيف وزوجه الى مكان استقرارهما في أحد القصور الملكية[4]

أما مراسم استقبال الملوك عند مرورهم بأراضي ملك آخر فنجد أن الملك المستقبل اكراما واحتراما للملك المار في أراضي مملكته يرسل الى الملك المار بأراضيه الرسل للاستفسار عن الموقف أولا فإذا عادت الرسل نزل الملك هو وأرباب دولته لمقابلته فإذا التقى الملكان وسلما على بعضهما يأخذ

---

(١) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٥٧.
(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٧.
(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٧.
(٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٥٨.

الملك ضيفه معه ليدخل به مدينته وعاصمة ملكه ويامر بأعداد موائد الطعام ثم يفرد للملك الضيف دارا خاصة بالضيافة على أن يقيم هناك ثلاثة أيام يتزاور الملكان خلالها مجاملة لبعضهما وشدا لعلاقات الجوار والصداقة"(٥)

أما أغرب أستقبال وأجمله في إضفاء جمال التصوير وحسن الخيال فهو عندما يجد الانسان العادي نفسه وقد أصبح ملكاً وعريساً في مملكة كلها نساء إذ هو استقبال وتتويج

ويتم هذا الاستقبال على شاطيء البحر باعتبار أن مدينة الملك المستقبل على شاطئ البحر فظاهر الاستقبال تتم بأن يكون الملك المستقبل في انتظار زورق تقوده عشر جوار ينزلن ويقبلن يده وهن يخاطبنه «أنت الملك العريس» ثم تتقدم منه جارية أخرى لتلبسه التاج ثم يحملنه على أيديهن الى الزورق ثم ينطلق الجميع فاذا اقترب موكب الملك الضيف وجد البر وقد امتلأ بالعساكر المتدرعين فيتقدم أحد قادتهم ومعه خمسة من الخيل المسوّمة المزدانة بالذهب واللألىء والسروج ذات الفصوص الثمينة ليختار فرسا فاذا ما ركب احد الأفراس عقدت فوق رأسه الرايات والأعلام ودقت الطبول والأبواق والجيوش تحيط به يمنة ويسرة حتى اذا اقترب الموكب من موكب الملك المستقبل يتقدم اليه منفردا بين خواصه ويترجلان ويسلم بعضهما على بعض والملك المستقبل يخاطبه برقة ومن ثم يركب كل منهما فرسه وتتحرك معهما وفود الاستقبال ويد كل منهما بيد الآخر والملك المستقبل هو الآمر بالحركة حيث يقول لضيفه سر بنا فأنك ضيفي حتى يصلان المدينة ومن ثم يدخلان القصر

فاذا كان الوفد الضيف برئاسة وزير ، وكان الملك المستقبل ذا رسالة أو دعوة يريد تحقيقها ونشرها في بلد الملك الآخر كما في مراسم استقبال وزير ملك مصر من قبل الملك النبي سليمان (ع) فاننا نجد أن مظاهر الاستقبال تختلف لدرجة تبيح للخيال أن يتوسع في التصور لأن الملك المستقبل يبغي من وراء استقباله نشر دعوته ورسالته فالملك النبي يرسل وزيره لاستقبال الوزير الضيف وزيرا بوزير ويأمره بالأكرام الزائد في موضع الأقامات فإذا ما تم

---

(٥) المصدر نفسه ج ٣ ص

(٦) الف لله ولله ج ٣ ص ١٥١

اللقاء الأول بين الوزيرين سار به لمقابلة الملك في الوقت الذي يكون الملك قد أمر «جنوده من الأنس والجن وغيرهما أن يصطفوا في طريقهم صفوفا فوقفت وحوش البحر والفيلة والنمور والفهود جميعا واصطفوا في الطريق صفين وكل جنس انحازت أنواعه وحدها والطيور نشرت أجنحتها لتظللهم وصارت الطيور تناغي بعضها بسائر اللغات فلما وصل أهل مصر اليهم هابوهم ولم يجسروا على المشيى فقال لهم آصف - وزير الملك سليمان (ع) ادخلوا بينهم وأمشوا ولا تخافوا منهم فانهم رعايا سليمان بن داود وما يضركم منهم أحد ثم أن آصف دخل بينهم فدخل وراءه الخلق أجمعين»[٧]

ان هذه المظاهر في استقبال وزير ملك مصر من قبل النبي الملك سليمان (ع) لتذكرنا باستقبال وفود دول النصرانية من قبل الملك الناصر في الأندلس الذي وفدت عليه وفود دول النصرانية سنة ٣٣٦ هـ وخاصة رسل صاحب القسطنطينية وهديته[٨]

وقد وضح لنا الوصف المظهري ابن خلدون حيث يقول «ركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة[٩]، وزين القصر الخلافي بانواع الزينة وأصناف الستور وجمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والأخوة والأعمام والقرابة ورتب الوزراء والخدمة في مواقعهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الاعلام أن يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا أمر الأسلام ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه»[١٠]

وقد رددت الليالي في موقف آخر صورة لاستقبال وفد النصرانية كما جاء ذلك في حكاية «الملك عمر النعمان» حين استعان به الملك «افريدون» ضد ملك قيسارية وصورة الاستقبال تنم عن صلابة الملك العربي من خلال خطاب الحجاب للملك عمر النعمان «أيها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين

---

(٧) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٧٤.
(٨) نفح الطيب ج ١ ص ٣٤١.
(٩) شكة بكسر الشين السلاح التام والعدد الكاملة .
(١٠) نفح الطيب ج ١ ص ٣٤٢/٣٤١.

يديك ، فان أذن لهم الملك بذلك ندخلهم ، والا فلا مرد لأمره»[11] ، حتى اذا ادخلت الوفود عليه وقبلوا الأرض بين يديه يبدأ أكبرهم خطابه : «أيها الملك الجليل ، صاحب الباع الطويل ، اعلم ان الذي ارسلنا اليك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية ، يعلمك انه اليوم في حرب شديد مع جبار عنيد ، وهو صاحب قيسارية ، .... والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده ، حتى يصير له الفخر ، وقد أرسل اليك ملكنا معنا شيئا من انواع الهدايا ، ويرجو من انعامك قبولها ، والتفضل عليه بالأنجاز»[12].

ونجد أيضا صورة من استقبال الخليفة الرشيد لرسل ملك افرنجة عندما أرسل وزيره مستعينا به للبحث عن ابنته مريم الزنارية[13].

واقرب وصف لمثل هذه الاستقبالات ، هي انها سفارات اذ المعروف أن التمثيل السياسي بين الدول يؤدي مهام عدة منها توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية ، وكذلك انهاء حالات التوتر بين الشعوب»[14].

أما رسوم استقبال رسل الحاكم الى واليه أو نائبه ، فهناك صورتان تظهران مدى الهيبة والأحساس بالمسؤولية ، وعدم التهاون في اكرام رسول الحاكم - خليفة كان او ملكا - لأنه ممثله الشخصي وأمين سره . ففي «الحكاية المتعلقة بشأن الجن والشياطين» نجد أن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان حين أرسل رسوله «طالب بن سهل» الى موسى بن نصير واليه في المغرب يكلفه الخليفة تكليفا رسميا ، ويعقد له راية خاصة : «أريد أن تكون أنت رسولي الى موسى ابن نصير في هذا الأمر ، ولك الراية البيضاء ، وكل ما تريد من مال أو جاه ، أو غير ذلك ، وأنا خليفتك في أهلك»[15]. فصفة التكليف تظهر أن الرسول محمى ومطمئن على أهله في غيابه ، ... ثم يختم كتاب الرسالة ، ثم يعطي الأموال والركائب والرجال ليكونوا أعوانا له في طريقه ويأمر بإجراء النفقة على بيته في كل ما يحتاج[16].

---

(١١) الف ليلة وليله ج ١ ص ١٦٤.
(١٢) المصدر نفسه ج١ ص ١٦٤.
(١٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٦.
(١٤) السفارات الاسلامية لدول اوربا خلال العصور الوسطى ص ١٣.
(١٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٤.
(١٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٤.

فاذا ما وصل الرسول الى من أرسل اليه استقبل استقبالاً حاراً ومن ثم يأخذ بيده وينزله عنده مع تكريمه ، وعندما يناوله كتاب الخليفة نجد الوالي أو الحاكم أو النائب بعد انتهاء قراءته يضعه على رأسه ويقول سمعا وطاعة لأمير المؤمنين[١٧]

والصورة الثانية هي ما نجده في حكاية (عبدالله بن فاضل عامل الرشيد على البصرة) بعد أن يرسل أليه رسوله للاستفسار عن تأخير الخراج فاذا ما سافر رسول الخليفة حاملا الخط الشرعي ، أو الرسالة التي قد يكتبها نيابة عن الحاكم وزيره[١٨] لا يسافر الا ومعه عسكر خاص بالسفراء فاذا ما أبلغ الوالي بوصول رسول الخليفة ، خرج اليه بعسكره مستقبلا ، وأنزل بقية العسكر في الخيام خارج المدينة بعد أن يصدر أمره بتعيين أرزاق الجند المرافق للرسول ثم يأمر بنصب ديوان طارىء ، ويستدعي اليه كافة الأكابر والمسؤولين محتفين بالرسول ويكون جلوسهم كل على قدر مرتبته ثم يستفسر من الرسول عن سبب القدوم فيشرح الرسول ما أراد ايصاله ، ويبلغه الرسالة الشفوية أن لم يكن هناك رسالة خطية فيذكر له الوالي الأسباب أمر الأجابة[١٩]

٢ مراسم التولية

تعنى التولية اسناد امر لآخر وتعيينه في منصب لادارة شأن أو مرفق كأن يسند له ولاية عهد أو استيزار وزير ، أو جعله واليا أو نائبا عنه أو اسناد قيادة وريادة أو قضاء أو غير ذلك

ولم تنس الليالي في عرض حكاياتها نقل صور من مراسم التولية وما يقدم خلالها وما يعرض للتأثير على العامة ، وشدا للخاصة لأنها مظهر السياسة خاصة اذا علمنا أن للتقاليد المتبعة في المناسبات وقعا حسنا في نفوس من أسند اليهم الأمر

---

(١٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٤.
(١٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٦٧.
(١٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٦٧.

فمثلاً : «كانت التقاليد أيام العهود المغولية ، أن يوزع الحاكم المتوج الجديد الأموال والهدايا على الحاضرين واصبح من التقاليد الأنعام على الملوك والولاة وممثليهم الذين كانوا قد حضروا للمشاركة في احتفالات التتويج لتقديم التهاني ، وقبول هداياهم ، وتلبية مطالبهم»[٢٠].

ووضحت الليالي أن اختيار الحاكم الجديد يتم عن طريقين : احدهما اختيار عشوائي غير مستند الى الواقع التاريخي في شيء ، كما في حكاية «علي شار وزمرد الجارية» حيث اختيرت زمرد هذه ملكة لبلدة دون معرفة لسبب اختيارها بالذات ، ولكن لمجرد التقاليد المتبعة خلال الحكاية . اذ تقضى التقاليد الخاصة بتلك البلدة ، أن يولى عليها ملكا جديدا كل من يدخلها أول مرة دون الالتفات الى أصله أو ثقافته ويتم ذلك بعد وفاة الملك بأن يخرج العسكر وأكابر الدولة الى ظاهر البلدة والذي يدخلها أول مرة ينادي به ملكا ، ويهتف له الجميع بعد أن يترجلوا ويقبلوا الأرض بين يديه : «الله ينصرك يا مولانا السلطان ، ... الله ينصرك ويجعل قدومك مباركا على المسلمين يا سلطان العالمين ثبتك الله يا ملك الزمان ، يا فريد العصر والأوان»[٢١].

ان تولي السلطان عن طريق الاستخارة العشوائية ، حلم من احلام البسطاء ، وبهذا نجد أن زمرد المتنكرة بملابس الرجال قد استغربت لما ساقها اليه حظها الجميل ، فهي تستفسر عما يتم حولها فيقول لها الوزير : «انه أعطاك من لا يبخل بالعطاء ، وجعلك سلطانا على هذه المدينة ، وحاكما على رقاب جميع من فيها ، واعلم أن عادة أهل المدينة اذا مات ملكهم ، ولم يكن له ولد ، تخرج العساكر الى ظاهر المدينة ، ويمكثون ثلاثة أيام ، فأي انسان جاء من طريقك التي جئت منها يجعلونه سلطانا عليهم»[٢٢]. ان مثل هذه الطريقة نقد سياسي وضربة لحكم الأسر ، وعدم حكر الحكم على أسرة دون أخرى ، وفي الوقت نفسه ، دليل على رغبتهم في عدم تحمل مسؤولية الحكم دفعا للصراع حول السلطة اذ هذا التقليد يعني الاستقرار ، وأن القضاء والقدر هو المسؤول . وتقضي المراسم بعد ذلك أن يسير الحاكم ، الذي اختاره الحظ مع

(٢٠) د . محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ص ١٣١.
(٢١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٢٧.
(٢٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٧.

العساكر والجموع ويدخلون المدينة ثم يترجل الجميع ويدخلون قصر الحكم بعد أن يأخذه الأمراء والاكابر من تحت إبطيه لكي يجلسوه على العرش ، ثم يأمر الحاكم الجديد ترضية للجميع وتقليدا بفتح الخزائن والأنفاق على الجيش والأمراء احتفالا بهذا اليوم الجديد[٢٣]

اما الطريقة الثانية فهي طريقة الأختيار والتعيين من قبل الحاكم السابق ، على أن تؤخذ له البيعة من المحكومين في حكاية «الملك بدر باسم ابن شهرمان» نجد الملكة الأم عندما أرادت تنصيب الشيخ عبدالله ملكا على مدينة المجوس أحضرت ما بقي من أهل المدينة من المسلمين وأخذت بيعتهم للشيخ عبدالله وعاهدتهم وحلفتهم أن يكونوا في طاعته وخدمته فقالوا سمعا وطاعة

والطريقة التي اتبعتها الحكاية هي طريقة البيعة العامة بحضور المسؤول الأكبر

وهناك في حكاية «الملك عمروالنعمان» صورة لمراسم تنصيب السلطان الجديد وكيفية أخذ البيعة له ، ورغم انها احدى صور المراسم المتبعة في الليالي الا أنها أرادت بطريق خفي انتقاد أصحاب الوظائف والمصالح ، وأرباب الدولة لكونهم يتقربون للحاكم الجديد ، ويتنكرون لمن مضى حكمه وقوته ، ويكون التقرب للحاجب كثيرا اذ هو أقرب شخص له ، وقد تسبق البيعة مشاورات واجتماعات فعندما يشغر كرسي الحكم ويحضر المرشح للسلطنة يقوم الوزير الأكبر بدعوة الأمراء والوزراء وأكابر الدولة ثم يتوجه الجميع الى الحاجب الذي يأمر بأقامة ديوان البيعة ثم يجلس الحاجب والوزير على تخت الملكة في حين يجلس المدعوون كل حسب قدم وترتيب منزلته ، وتقدم لهم المشروبات غير المسكرة على أن تكون القيادات العسكرية منتظرة مستعدة للحركة لأجل احضار السلطان الجديد بموكب عسكري على أن تكون حركتهم غير سريعة ريثما تتم المشاورات فاذا ما انتهت المشاورات ركب الأمراء والوزراء على ان يتقدمهم الحاجب الأكبر لأعداد سرادق البيعة للسلطان الجديد وقبل أن يسير

---

(٢٣) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٢٧.
(٢٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧٠.

موكب الحاجب يقدم الوزير الأكبر وبقية الوزراء والأمراء هدايا للحاجب تقربا له ليستمروا في مناصبهم

فإذا ما أعد سرادق التتويج يذهب الحاجب وهو يقود فرسا للسلطان ، ويحضره معه ويقف الحاجب في خدمته بعد أن يتوزع المماليك في دهاليز الخيمة الكبيرة وهم يشهرون السلاح ، وتتقدم وفود المبايعين من العساكر عشرة عشرة للتهنئة والدعوات الصالحة والبيعة وذلك بأن يحلفوا له الأيمان الصادق أنهم لا يخالفون له أمرا ثم يقبلون الأرض بين يديه ثم يستأذنون بالخروج ، والسلطان يتلقاهم بالود ، ويكون دخول وخروج المبايعين بمصاحبة الحاجب(٢٥)

ومن مراسم التولية التي تعرضت لها الليالي تنصيب مقدم الدرك الذي يقابل في عصرنا مدير شرطة عام حيث يختار من قبل الوزير ، وربما اختير من قبل الحاكم نفسه فبعد أن يسمى المقدم ، تخلع عليه الخلع ، ويحدد راتبه بالف دينار شهريا ، ويختار له أربعين رجلا ممن يعاونه في حماية الأمن ، فإذا ما نزل المقدم من قصر الحاكم يكون نزوله بمعية أمير المدينة أو واليها ، والمنادي ينادي قدامه حسبما رسم الخليفة وأمر أنه لا مقدم ببغداد - مثلاً - في الميمنة إلا فلان ولا مقدم ببغداد في الميسرة إلا فلان وأنهما مسموعا الكلمة واجبا الحرمة (٢٦)

٣ مراسم تنازل الملك لولي عهده

لم تغفل الليالي صورة ما حلم بها الناس الذين يرون في ملوكهم المثل الأعلى في كل شيء ، وكأنها أرادت أن تعطي الذين لم يروا بأعينهم صورة يتحسسونها كل على قدر تصوراته

في مثل هذه الحالة وفي حياة الملك الأكبر كثيراً ما يتنازل الأب لابنه وهذا يعني اعتراف الملك الكبير بعدم قدرته وعجزه لكبره ، وحاجة الحكم لشاب يعمل تحت رعاية مجرب خبر الحياة ، وكأن غاية الليالي من مثل

---

(٢٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢١٧.

(٢٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢١٢.

هذه الحكايات التي يتنازل فيها الشيوخ للشباب تغليب المصلحة العامة للدولة على المصلحة الخاصة وتنزيه الحكم عن أن يكون مجرد ميراث

وفي مثل هذه الحالات تبدأ المشاورات بين الملك الكبير وكبير وزرائه «يا وزير أنا صرت رجلا كبيرا شيخا هرما لأني طعنت في السن وأريد أن أقعد في زاوية لأعبد الله تعالى وأعطي ملكي وسلطنتي لولدي فانه صار شابا مليحا كامل الفروسية والعقل والحشمة والرياسة»[٢٧]

ثم يأمر الملك بأصدار الكتب بما سيتم ، ويرسلها مع السعاة الى جميع الأقاليم والحصون والقلاع لكي يحضر الولاة والقادة والامراء وكافة الضيوف في موعد محدد ليشهدوا مراسم تنازل الملك وتنصيب ولي العهد مكانه مع أخذ بيعتهم

حتى اذا حان الموعد ضربت الخيام والسرادقات في وسط المدينة وزينت المدينة ونقل الى السرادق تخت المملكة ، وينادى في الناس باسم الله ابرزوا للميدان فيخرج الجميع والضيوف والحكام والولاة والوزراء واصحاب الجاه ويجلس الجميع كل حسب مكانته ، وشرف وظيفته ثم تمد أسمطة الطعام ويطلب الى الجميع عدم ترك أماكنهم ، في حين يكون الملك وحاشيته جالسين في سرادق عليه ستارة ، ومن ثم ترفع الستارة عن الملك الذي يقف بينهم خطيبا موضحا سبب تخليه عن حكم المملكة واسناد الحكم لولي عهده ثم يسألهم بعد كل ذلك عن رأيهم فيما يصنع «فأي شيء قلتم كلكم بأجمعكم ؟ فيقوم الجميع ويقبلون الأرض بين يديه ويجيبونه بالسمع والطاعة وهم يقولون قد قبلناه - أي ولي العهد - ورضيناه على العين والرأس»

فاذا ما تم ذلك نزل الملك الكبير عن عرشه وجلس ولي عهده مكانه وخلع التاج من فوق رأسه ويتوج به رأس الولي للعهد ويشد وسطه بمنطقة الملك ثم يجلس الى جانبه فيقبل الجميع الأرض بين يديها ومن ثم يأمر الملك بنثر الذهب على رؤوس الناس اجمعين ويخلع عليهم الهدايا والعطايا والخلع ثم

---

(٢٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧٠.

تصدر الكتب والمنشورات بعلامة الملك الجديد وتستمر احتفالات السويج اسبوعا يعود بعدها الضيوف الى بلدانهم

وربما تتطور طريقة التنازل للوريث الجديد حتى وان كان من غير ابناء الملك لطريقة اقرب الى الديمقراطية ذات الطبيعة الاستشارية فقد ظهرت في الليالي صورة أرق مما حصل في الطريقة السابقة .فبعد أن يعرض الملك موضوع تنازله أمام القادة والأمراء يطلب إليهم اختيار مرشح للحكم فهو لا يفرض عليهم شخصا بعينه بل عليهم ان يتحملوا جميعا مسؤولية الاختيار وان يذهبوا جميعا لاستقدام من اختاروه حاكما وهو يخشى أنهم بموافقتهم الأولى إنما جاملوه ظاهريا لكبر سنه فعندما يشعر الجميع بما داخل نفس الحاكم يردون عليه «والله إن كلامنا ظاهرا وباطنا واحد لا يتغير وقد ارتضيناه بطيب قلوبنا وانشراح صدورنا فقال لهم ان كان الأمر كذلك فاحضروا قاضي الشرع وسائر الحجاب والنواب وأرباب الدولة بين يدي في غد»[٢٨أ]

وفي اليوم التالي وقد حضر الجميع من العلماء والوجهاء والقضاة والوزراء يعرض عليهم رأيه ويستفسر عما حصل إذ ربما غيروا أراءهم خلال يومهم وليلهم ويخاطب الجميع «يا أمراء بغداد من ترضون عليكم ملكا بعدي لأجل أن أبايعه في حياتي قبل مماتي في حضوركم جميعا ؟»[*]

فإذا تمت الإجراءات وأخذت الموافقة من الجماهير أصدر الملك أمره «ان كان الأمر كذلك فقوموا جميعا وأحضروه بين يدي»[**] وتظهر الليالي تخوف الملك الجديد من عظم المسؤولية ولكن رأي الجميع هو الذي يجعله يرضخ لأرادة الجماهير ولا يستطيع رفض ارادتهم ثم يقرأ للجميع سورة الفاتحة

---

(٢٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٧٨/٢٧٩ وكذلك كتاب الحياة السياسية في العراق خلال السيطرة المغولية محمد صالح النزاز ص ١٣١

(٢٨أ) الف ليلة وليلة ط بو أوفسيت بيه ٤٣٣ مجمد ص

المصدر نفسه ط بو اوفسيت بيه ٤٣٣ مجمد ص ٦١١ .

المصدر نفسه

سبع مراب عند الموافقة ويباركه الجميع"[29]

وهناك صورة أخرى من صور توليه ولي العهد عندما يكون الملك السابق فوق فراش الموت فعندما يحس الملك الكبير بدنو أجله يصدر أمرا بأن يدعو اليه أقاربه وولي عهده وأهل المملكة جميعا"[29أ]

فينادى في الناس بما أمر الملك ويدخل الجميع عليه مستفسرين كيف أنت أيها الملك ؟ وكيف ترى نفسك ؟ «فيرد عليهم بأنه الموت ثم يطلب الى ولي عهده أن يقترب وسط البكاء ثم يخاطبه ناصحا بمثل ما سنثبته في النص التالي

«والزم عشر خصال أخرى ينفعك الله بها في أهل مملكتك وهي اذا قسمت فاعدل واذا عاقبت بحق فلا تجر ، واذا عاهدت فأوف بعهدك واقبل النصح واترك اللجاجة والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكما عادلا بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم»[30]

وتقتضي المراسم ايضاً مخاطبة الملك للحاضرين المحيطين به موكدا عليهم المواثيق والعهود السابقة «إياكم ومخالفة ملككم وترك الاستماع لكبيركم فإن في ذلك هلاكا لأرضكم وتفريقا لجمعكم وضررا لأبدانكم وتلفا لأموالكم فتشمت بكم أعداؤكم وها أنتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لأمره لأن في ذلك صلاح أحوالكم واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام عليكم»[31]

---

(٢٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفسيت نيه ٤٣٣ ص ٦١٢ مجلد ١

(٢٩أ) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦٠

(٣٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦١

(٣١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦١

فإذا ما تمت مراسم الدفن وعاد الجميع نصبوا الملك الجديد وألبسوه حلة الملك وتوجوه بتاج والده وختموه بخاتم الملك وأجلسوه على سرير المملكة»[٣٢]

٤ مراسم الاستيزار

تأتي مكانة الوزير في الليالي بعد مكانة الملك أو كما عرفته «صاحب الكرسي الثاني بعد الملك»[٣٣] فإذا أراد الملك أو الحاكم وزيرا حدد أسمه على ان يختار هذا الشخص بقية الوزراء ، وتقضي المراسم أن «يكتب الى سائر كبراء دولته بالحضور اليه ، وأن يجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وأن يجتمع الأمراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدمة إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل للملك ديوان عظيم وسماط لم يعمل مثله»[٣٤]

وخلال الديوان وبعد الانتهاء من تناول الطعام يقدم الشخص الذي اختير وزيرا ثم يطوق بطوق من ذهب ثم يعمم بعمامة خاصة بالوزراء وتعطى له دواة حبر يحملها في وسطه ثم يركبه أعزّ مركوب ويتقدم موكبه مناد ينادي «هذا صاحب الكرسي الثاني بعد الملك»[٣٥]

وربما تكون صورة الاستيزار على شكل آخر صورته الليالي أيضا فبعد أن يختار الوزير لسبب أو لآخر يجمع الملك رجالات الدولة في ديوانه ومجلس حكمه وربما خاطبهم الملك وعرفهم سبب اختياره كما حصل لحاسب كريم الدين الذي تمكن من معالجة الملك من مرضه «يا معشر الوزراء وأرباب الدولة هذا حاسب كريم الدين الذي داواني من مرضي اعلموا أني قد جعلته وزيرا أعظم لمن أحبه فقد أحبني ، ومن أكرمه فقد أكرمني ومن أطاعه فقد أطاعني فيرد الجميع بالسمع والطاعة ، ومن ثم يقومون بتقبيل يد الوزير المختار وتستمر حفلة الاستيزار بأن يخلع الملك عليه الخلع السنية

---

(٣٢) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦١.
(٣٣) المصدر السابق ج ٤ ص ١٧٥ وارجع الى الفصل الخاص بالوزير والوالي.
(٣٤) المصدر السابق ج ٤ ص ١٨١.
(٣٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٥. ج ٣ ص ٢٧٨.

ويهـدي اليه الجـواري والعبيد والأموال ثم يأمر الملك كافة ارباب دولته ورعيته مهاداه الوزير الأعظم ومن ثم يركب الوزير مركبا لائقا بمكانته يتبعه الوزراء القدامى والأمراء والناس للوصـول الى القصر المخصص له حتى اذا استراح قليلا يتحرك موكبه نحو قصر الوزير الذي سبقه فيختمه ويسـيطر على أمواله وأثاثه حيث تنقل الى قصره شخصيا[٣٦]

ويختار الوزير الأكبر أو الأعظم بقية الوزراء يعلم الملك حيث تجرى لهم حفلة الاستيزار على غير الصورة المعروفة وانما تبدأ بعـد تقـديم اسمائهم للملك حيث يجلسهم الملك على كراسي خاصة بهم ومن ثم يخاطبهم «أنتم تكونون وزرائي تحت طاعة «الوزير الأكبر» وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ويشير الى الوزير الأعظم لاتخرجوا عنه أبدا ، ولو كان هو أصغركم سنا لأنه أكبركم عقلا»[٣٧]

ومن ثم يأمر الملك بأجراء الأرزاق والنفقات عليهم ويطلب إليهـم أن يختاروا من يرونه أهلا لمن يصلح لخدمة الدولة ، ويأمرهم بالعـدل في الرعية والشفقة على الفقراء وخـلال حفلة اسـتيزار الوزراء تزين المدينة ثلاثة أيام وتعلن خلالها الأفراح[٣٨]

٥ مراسم المناسبات

تتبع الليالي خلال عرضها لمراسم المناسبات مظاهر شتى تتفق وطبيعـة المناسبة فإن كانت مفرحة بالغت في العـرض والوصـف والأبهـة والصـور المزخرفة بعكس المناسبة غير السعيدة

والمناسبات شتى منها التهنئة بولي العهد أو بشـارة أو بانتصـار أو وصول شخص له مكانته أو حلول عيد غير أننا لن نتعرض للمناسبات التي لا تمت للسـياسة بشيء في مناسـبة احتياج المملكة لوريث للعـرش وانعام الله على الحاكم الذي يأمر الوزير عند معـرفته بحمل زوجـه بمن سـيرث

---

(٣٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٥٣٦ مجلد ١ ص ٧٠٩/٧١٠.
(٣٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨١.
(٣٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨١.

عنه العرش بما يلي «انزل في هذا الوقف واخرج من كان في الحبس من أصحاب الجرائم ومن عليهم ديون وكل من وقع منه ذنب بعد ذلك تجازيه بما يستحقه وترفع عن الناس الخراج ثلاث سنوات وانصبوا في دائرة المدينة مطبخا

فالفائدة التي ارادت الليالي اخبارنا عنها من خلال مراسم المناسبة إسعاد الناس من قبل الحاكم بالتخفيف عنهم

وهناك وبنفس الحكاية تظهر بقية المراسم حين تعلن البشائر والأفراح في سائر أنحاء المملكة ويحضر أهل العلوم والفلسفة والحكماء والأدباء ليدخلوا مهنئين كل على قدر مقامه ويتبارى الخطباء مبتدئين بالوزراء وكل يتحدث على قدر ما عنده من الحكمة وتكون الخطب سياسية بحتة رغم أن المناسبة مناسبة تهنئة[٤٠]

ومن المراسم السعيدة مراسم الخطوبة والزواج الخاص بالحكام وولاة الأمور حيث تقتضي إظهار الأبهة لدرجة الذهول وبنفس الوقت تهدف الى اسعاد الشعب او التنفيس عنه وذلك بجره للمشاركة في مثل هذه المناسبات ففي حكاية حاسب كريم الدين وعند خطوبة الملك ظيغموس لابنة ملك خراسان نجد التقاليد تقتضي أن يكون الخاطب أكبر وزراء الملك «يا وزير أريد منك أن تتجهز للسفر الى بلاد خراسان وتخطب بنت الملك»[٤١]

فاذا حان وقت رحيل موكب الخطوبة يبرز الوزير إلى خارج المدينة بالعساكر والابطال والجيوش بعد أن يجهز الملك هدية الخطوبة وهدية الخطوبة الملكية تظهر غنى المملكة وقدرة الحاكم ولأن «مهر بنات الملوك واسع ومقامهن كبير»[٤٢]، وتصلح هذه الهدية أن تكون الة العرس ويحمل الوزير معه كتاب الملك بتفويضه أن يقوم مقامه في موضوع الخطبة[٤٣]

وتقضي التقاليد أن يرسل الوزير الذي يقوم نيابة عن الملك بالخطبة أن يرسل رسلا تسبقه الى ملك المدينة المخطوب منها تعظيما لشخصية الملك

---

(٣٩) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٧٧.
(٤٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٣٩
(٤١) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٩.
(٤٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٩٩.
(٤٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٠.

الخاطب وكشفا لرد فعل الخطبة فاذا ما شعرت الرسل بالايجاب أخبر الوزير واستعدت المدينة احتراما لهذه المناسبة(٤٤) ومن مراسم الخطوبة الملكية ان يتقدم الوزير الخاطب بخطبته في حضور الملك في مجلسه إبرازا لعظمة نسب الملكين وتكريما لشخصيتها «أيها الملك الكبير والسيد الخطير اني سعيت إليك وقدمت عليك في أمر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو أني قد أتيتك رسولاً خاطباً وفي ابنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك صاحب العدل والأمان والفضل والأحسان وقد أرسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب»(٤٥)

وربما اتخذت الرسائل وسيلة أخرى مع الرسول الخاطب ففي رسالة ملك لآخر يخطب ابنته يذكر له في رسالته أمرا سياسياً «فاذا تزوجت بنتك أكون أنا وأنت في الملك شيئا واحداً وارسل اليك في كل سنة ما يكفيك من المال»(٤٦)

وتقضي المراسم الملكية في مناسبات الموافقة على الزواج أو الخطوبة ان يجعل الملك شعبه مشاركا له افراحه فهو يعمل على اطلاق السجناء واكساء الأرامل والأيتام ويخلع الخلع على أرباب الدولة واستمرار الأفراح عشرة أيام ويهادي أهل المدينة ملكهم الهدايا(٤٧)

فاذا ما تحرك موكب بنت الملك نحو مدينة عريسها تقضي المراسم ان يحملها بالهدايا ويخرج لوداعها وهو يسير معها ثلاثة فراسخ ثم يودعها(٤٨)

وأما مراسم المرض والأحزان فهي على عكس مراسم الأفراح ففي حالة مرض الخليفة او السلطان تقضي التقاليد بأن تهدي اليه طرائف التحف وانواع الهدايا والجواري والشراب مشاركة له في مرضه واهتماما بشفائه فعندما شرب المتوكل العباسي دواء «جعل الناس يهدون اليه طرائف التحف وانواع الهدايا واهدى اليه الفتح ابن خاقان جارية بكراً وارسل معها

---

(٤٤) المصدر نفسه ط بو اوفست ١٠٨ مجلد ١ ص ٢٣٠.
(٤٥) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٠٨ مجلد ١ ص ٢٣٠.
(٤٦) المصدر نفسه ط بو اوفست ج ٣ ص ٣٩.
(٤٧) المصدر نفسه ط بو اوفست ج ٣ ص ٢٧٠
(٤٨) المصدر نفسه ط بو اوفست ١٠٨ مجلد ١ ص ٢٣١.

إناء بلور فيه شراب أحمر وجاما أحمر»[٤٩]

أما في حالة موت الخليفة او الملك فتقضي التقاليد والمراسم اعلان الحداد رسميا بعد ان ينادى في المملكة بلبس السواد[٥٠]

ويقعد ولي العهد للعزاء ويستمر العزاء مدة شهر ثم يدخل عليه ارباب الدولة لمواساته ثم يقال له ان لا بأس بالحزن ولا يدخل خلال فترة العزاء الحمام ثم بعد ذلك يضع التاج على رأسه لممارسة السلطة[٥١]

ومراسم العزاء في الليالي تقترب من مراسمها في العراق خلال العصر العباسي الأخير حيث كانت العادة بعد انتهاء البيعة أن يجلس الوزير للعزاء وفي اليوم الثالث يخرج كتاب الخليفة الجديد ليكف عن العزاء ، ويقوم بمباشرة العمل ورعاية شؤون الناس على ان فترة العزاء مدتها شهر يخلع الخليفة على كبار الموظفين بعد انتهائها[٥٢]

ومن المراسم الأخرى المنتشرة في الليالي مما له علاقة بالأمور السياسية التقليدية ، «طلب الاستئذان بالسفر من الحاكم ممن له مكانته في المجتمع او في الأمور الوظائفية كما يحصل اليوم من حيث تسجيل أسماء كبار الموظفين في سجل التشريفات الخاص بقصر الحاكم فاذا ما سافر احد دون اشعار القصر غضب الحاكم

ففي نص خلال حكاية الملك قمر الزمان نجد الملك غضبان لأن أحد الشخصيات سافر للحج دون إخباره وعندما عاد ، «أرسل اليه واحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزاً عن شيء اعطيه لك لتستعين به على الحج ؟ فكأن الليالي أرادت إحاطة الملك بتحركات الناس ومساعدتهم كدعاة له في حلهم وترحالهم

ومن مراسم آداب الاستماع لمحدثي اللحاكم وآداب الحاكم معهم بأن يؤذن للداخل على الحاكم فيسلم عليه بما يعظم الحاكم فإن كان خليفة سلم

(٤٩) الف ليلة وليلة ط بو أوفسب ليلة ٤١٩ ص ٥٩٨ مجلد

٥٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٠٤

(٥١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥٥

(٥٢) الحماه السياسية في العراق خلال العصر العباسي الاخير ص ٨٩ نملا عن ابن الجوزي ج ١٠ ص ٢٢٣/١٩٤/١٩٣ وعن ابن الفوطي ص ١٦١ . ١٦٢ . ١٦٦ ١٦٨

(٥٣) الف لىله وليلة ج ٤ ص ٢٦٦.

عليه بسلام الخلافة ثم يؤمر الداخل بالجلوس ولا يبدأ بالكلام حتى يسأل[٥٤]، وهذا المرسوم او التقليد يذكرنا بنص من رسوم دار الخلافة للصابي حيث يقول «ليس للوزير ولا حاضر في ذلك الموقف ان يذكر شيئًا الا ما يسأل عنه أو يورد قولاً في أخبار او مطالبة الا ما استأذن فيه ، وسبيله ان يخفض صوته في حديثه ومحاورته»[٥٥]

---

(٥٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٠٦ حكاية جميل بن معمر لأمير المؤمنين الرشيد

(٥٥) الصابي رسوم دار الخلافة ص ٣٣.

القسم الثاني

خطب المناسبات وعلاقتها بالسياسة

تزخر كتب الأدب والتاريخ بأنواع متباينة من الخطب ، ومنها خطب المناسبات ولكن أوضح ما يعني الموضوع الخطب التي تلق في مناسبات التولية والأفراح الخاصة بالحاكم حيث تظهر اوجه السياسة المرجوة في الحكم على ألسنة المتحدثين ، وقد حفلت حكاية ورد خان بن الملك جليعاد بمجموعة من الخطب التي تظهر مدى تصور القاص للمفاهيم السياسية التي أوردها فلما لم يجد وسيلة جعلها خطباً على السنة المتحدثين خلال حكاية من الليالي

والمناسبة التي ظهرت فيها هذه الخطب هي احتفال المملكة بحمل زوج الملك لوريث العهد ، وخلال مراسم الفرح والبهجة أمر الملك وزراءه (ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن ما هو بصدده)[٥٦]

والمناسبة ولاية عهد حيث اصبحت عرفا تقليديا ان يخطب الخطباء حتى لكأنها مناسبة انتصار اذ ان الاحتفالات بمناسبة النصر تعني اظهار الفرح بأمر الملك وهذه المناسبة بأمر الملك كما ذكر مثل ذلك الجاحظ في كتاب التاج حيث أمر الحاكم «الخاصة والعامة بالحضور وقامت الخطباء اولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له ثم قام المؤيد فتكلم ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء»[٥٧]

وسوف نعرض بعض هذه الخطب لأنها جزء من المراسم السياسيه في مثل هذه لمناسبات ولنبدأ بخطبة الوزير الأكبر والتي يمكن اعتبارها توجها سياسيا باطار من النصح والتذكير

«الحمد لله الذي انشأنا من العدم الى الوجود المنعم على عباده الملوك أهل العدل والأنصاف فيما أولاهم من الملك والعمل الصالح وبما

---

(٥٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٣٩

(٥٧) الجاحظ : في اخلاق الملوك ص ١٧٤.

اجراء على ايديهم لرعيتهم من الرزق ، وخصوصا ملكنا الذي أحيا الله أموات بلادنا بما أسداه علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل فأي ملك يصنع بأهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا ، وانصاف بعضنا من بعض ، وعدم الغفلة عنا ورد مظالمنا ومن فضل الله على الناس ان يكون ملكهم متعهدا لأمورهم وحافظا لهم من عدوهم لأن العدو غاية مقصده أن يقهر عدوه وأن يقع في يده ، وكثير من الناس يقدمون أولادهم الى الملوك خدما فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لأجل أن يمنعوا عنهم الأعداء ، واما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء في زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وانما هي فوق ذلك

وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل هذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك ...»[٥٨] فلو اردنا تحليلها او تسليط الضوء عليها لوجدناها تؤكد ضرورة وجود الملكية ، وانها هي رمز العدل والأنصاف وهي فوق ذلك أكدت الشروط الواجب توافرها في شخص الحاكم حسب رأي القاص كما انها تعتبر تمهيدا للخطبة الثانية التي وضعت بعض النقاط على بعض الحروف في سياسة النقد التوجيهي للسياسة التي أرادتها الليالي خلال عرضها للملامح السياسية عبر ألف ليلة وليلة

قال الوزير الثاني ضمن ما قاله في خطبته

«ان الملك لا يسمى ملكا الا اذا اعطى وعدل حكم واكرم واحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الاذى عنهم ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم واسعاف اعلاهم وادناهم ، واعطاءهم الحق الواجب لهم حتى يصبروا جميعا داعين له ، متمثلين لأمره لأنه لا شك ان الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرعية مكتسب من الدنيا اعلاها ومن الأخرة شرفها ورضا خالقها ونحن معاشر العبيد ، معترفون لك أيها الملك بأن جميع ما وضعناه عندك كم قيل خير الأمور ان يكون ملك

---

(٥٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١١٩.

الرعية عادلاً وحكيمها ماهراً وعالمها خبيراً عاملاً بعمله ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك قد وقعنا في اليأس من حصول ولد لك يرث ملكك ولكن الله جل اسمه لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم أمرك اليه

واذا تجاوزنا هذه الخطبة الصريحة بتسمية الملك واوصافه الواجبة من خدمته للرعية والتفاني من أجل اسعاد الجميع الى الخطبة الرابعة وجدنا أنه لا مساس لها بأية ناحية سياسية حيث يقول الوزير الرابع

«أن الملك اذا كان فهيا عالماً بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية ، واكرام من يجب اكرامه ، وتوقير من يجب توقيره والعفو عند المقدرة الا فيا لابد منه ، ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم والانعام عليهم ، وستر عوراتهم ، والوفاء بعهدهم كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والأخروية فان ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على اعدائه ، وبلغ مأموله ، مع زيادة نعمة الله عليه ، وتوفيقه لشكره والفوز بعنايته

ان الملك اذا كان بخلاف ذلك فانه لم يزل في مصائب ، وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ...»[٦٠]

فالنماذج السالفة التي قيلت في تهنئة الملك بحمل زوجه بولي العهد انما هي محاولة نقدية للحكم او دعوة الى تثبيت المفاهيم التي يهدف اليها الكتاب وأن الملك ان لم يكن قد طبق ما وصف به في الخطبة فعليه على الأقل ان يطبق مثل هذه الصفات في تربيته لولي عهده ، وذلك بأن يستفيد مما حصل او مما سمع

(٥٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٤٠.

(٦٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٤٢.

خلال ليالي ألف ليلة وليلة تناثرت صور من المراسلات والمكاتبات والخطوط الشرعية بين الملوك والولاة وهي متباينة في اهدافها ، ومقاصدها اذ بعضها استنجاد وبعضها استفسار ، او تهديد أو أمر ، وقسم منها مجرد أحاجي جاء ذكرها في غير ألف ليلة وليلة[٦١]

والمهم في هذا الجزء هو عرض نماذج منها اذ خلال حروفها وكلماتها نجد آمال الشعوب على السنة القاصين فيما يرجونه في الحاكم او ما يشعرون به تجاه سياسته والأهم ان هذه المكاتبات والمراسلات تذكر دائما وجوب وجود الختم والتوقيع في اغلب الأحيان دليلاً على أن التزوير ربما كان متفشياً واهتماماً بسرية المراسلة أو المكاتبة على أساس ان التوجيه السياسي وحفظ المعلومات أمر ضروري للسياسي لأنه ادراك للمسؤولية في تحقيق الأمن والطمأنينة للملك ورعيته

ففي حكاية عبدالله بن فاضل عامل البصرة عندما طلب اليه الرشيد عدم تعذيب اخويه وعدم الامتثال لأمر الجنية التي أمرته بضربهما نجد أن الرشيد «كتب لها ورقة مقدار اصبعين وبعدما كتبها ختمها»[٦٢] كما نجد نفس الصورة عند مكاتبة ملك الافرنجة للرشيد «وبعد ان كتب الكتاب برأي أهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه ارباب دولته بعد أن وضعوا خطوط ايديهم فيه»[٦٣]

---

(٦١) جاء في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٦١/٢٦٠ انه «كتب قيصر الى معاوية اخبرني عمن لا قبله له ، وعمن لا أب له وعمن لا عشيرة له ، وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشسياء لم تخلق في رحم وعن شيء ونصف شيء ولا شيء وابعث لي في هذه القارورة ببزر كل شيء فبعث معاوية بالكتاب الى ابن عباس فقال اما من لا قبلة له فالكعبة واما من لا اب له فعيسى ، واما من لا عشيرة له فآدم ، وأما من ساربه قبره فيونس ، واما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم فكبش ابراهيم وناقة ثمود وحية موسى» وهذا النص نفسه نجد صداه في حكاية تودد الجارية حين سئلت عن خمسة أشياء «اكلوا وشربوا وما خرجوا من ظهر ولا بطن ؟ قالت هو آدم وشمعون وناقة صالح وكبش اسماعيل ، والطير الذي رآه ابو بكر الصديق قال اخبريني عن قبر مشى بصاحبه قالت هو حوت يونس بن متي حين ابتلعه» «الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٤

(٦٢) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٨٢.

(٦٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٧/١٢٦.

ومهما كانت موضوعات الكتاب حتى وان كان عادياً أو يتعلق بأشياء شخصية فلابد من الختم كما جاء ذلك في حكاية خطوبة الملك ظيغموس فهي تنص «ان الملك طيغموس ختم الكتاب وناوله لوزيره»[٦٤] أو ما نص عليه في موضوع التهديد بالحرب في حكاية ورد خان فبعد ان كتب الكتاب وأطلع عليه الملك «ختم الكتاب واعطاه للرسول»[٦٥]

وهناك ملاحظة أوردتها الليالي واكدتها في موضوع المراسلة والمكاتبة وهي شخصية الرسول الناقل لهذه الكتب ففي الغالب يكون الرسول هو الوزير المقرب للشخصية الحاكمة اذ يكون ممن يوثق به حرمة لكتاب الحاكم لأن ما كتبه الحاكم يعني تثبت شخصيته فيه ، ويجب ان يكون الرسول معروفاً أو أن يسمى من قبل الحاكم نفسه وقد ينيب وزيره في اختيار الرسول على أن يكون مسؤولاً عنه

فكتاب الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان لواليه كان محمولاً من قبل رسوله طالب بن سهل حيث قال له «يا طالب صدقت فيما قلت واريد أن تكون رسولي الى موسى بن نصير في هذا الأمر ولك الراية البيضاء»[٦٦]

ورسول الرشيد الى الجنية الملكة بنت الملك الأحمر هو عامله ونائبه عبدالله بن فاضل والي البصرة[٦٧] كما أن رسوله لنفس والي البصرة اسحق الموصلي[٦٨] ورسوله ألى والي البصرة الآخر محمد بن سليمان الزيني هو نور الدين بن خاقان الوزير[٦٩] ورسول ملك افرنجة الى الرشيد وزيره الأكبر[٧٠] ورسول الملك ظيغموس الى الملك الذي اراد أن يتزوج ابنته «وزيره الكبير الذي هو أحد البهلوانات العظام والمقوم بالشجاعة واسمه عين زار»[٧١]

الا رسل الحرب فلم تحدد الليالي مكانتهم ولا شخصياتهم ان تسمية الرسل واختيارهم لمكانتهم وامانتهم انما هو لدفع الشبهات وخوفا من

---

(٦٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٩.
(٦٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٧١.
(٦٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٤.
(٦٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٨٢.
(٦٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٨٣/٢٨٢.
(٦٩) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣.
(٧٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٦.
(٧١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٩.

التزوير وقد نص على ذلك عندما شك وزير والي البصرة برسول الخليفة غير المعروف لديهم حين قال للسلطان أو للوالي «هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره ، وانما هو علق شيطان مكار ، وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأي شيء تعزل نفسك من السلطنة مع أن الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ، ولو كان الأمر صحيحا لأرسل معه حاجباً أو وزيراً لكنه جاء وحده»[٧٢]

وجزاء من يزور كتاباً على الخليفة او الحاكم الى أحد الولاة الموت بعد التشهير به في المدينة[٧٣]. كما تقضي تقاليد ورسوم المراسلة أن لا يذيع الرسول ما في الكتاب فان اذاعه استحق القتل ممن أرسل له[٧٤]

نماذج من المكاتبات الملكية والسياسية

١ نموذج مراسلة ملك افرنجة للرشيد[٧٥]: حيث كتب ملك افرنجة الى الرشيد مستعينا به للبحث عن ابنة له هربت مع احد الأسرى المسلمين وقد استشار في موضوع المكاتبة كبار وامراء دولته فأشاروا عليه ان يكتب كتاباً الى

(٧٢) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٤٣.
(٧٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٤.
(٧٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٧.
(٧٥) جاء في كتاب السفارات الاسلامية الى أوربا في العصور الوسطى للدكتور ابراهيم احمد العدوي ص ٩٣ وما يمكن الافادة منه
«وتجدد النشاط الدبلوماسي مع دولة الفرنجة في غرب أوربا حين ولي هارون الرشيد عرش الخلافة في بغداد ، اذ نال هذا الخليفة من السطوة والسلطان والغنى ما جعله يفكر في اعادة الاندلس الى التبعية للخلافة العباسية واعد الخليفة سفارة عظيمة لهذا الغرض ... دون أن يكون فيها امتهان لعظمته ، ذلك ان مقاليد دولة الفرنجة آلت في ذلك الى شخصية عرفت في التاريخ باسم شارلمان العظيم ، وتطلع هذا الامبراطور الفرنجي الجديد الى مزاحمة امبراطور الروم في السيادة على العالم المسيحي ، ورأى شارلمان أن خير وسيلة تحقق له هذه الزعامة الروحية هو أن يظهر بمظهر حامي حمى الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين ولما كانت تلك الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين تابعة للخلافة العباسية فقد أرسل شارلمان سفارة الى هارون الرشيد تطلب منه عقد تحالف بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة ، وتسليم مفاتيح بيت المقدس للامبراطور شارلمان فانتهز الخليفة هارون الرشيد ، وصول تلك السفارة الفرنجية الى بغداد واستقبلها بالحفاوة والترحاب واعد سفارة اسلامية تعود مع سفراء الفرنجة لتحقيق سياسته ازاء امارة الأمويين بالأندلس»
ملاحظة لم ينهب هذا الرأي تاريخيا أبدا بالنسبة للمصادر العربية والاسلامية .

خليفة الله في أرضه ، أمير المؤمنين هارون الرشيد ويعلمه بهذه القضية فكتب الى الرشيد»[٧٦]:

«بعد السلام على أمير المؤمنين ان لنا بنتاً اسمها مريم الزنارية وقد افسدها علينا أسير من أسرى المسلمين اسمه نور الدين علي بن التاجر تاج الدين المصري ، واخذها ليلاً ، وخرج الى ناحية بلاده وانا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها الينا مع رسول امين ، من خدام حضرة امير المؤمنين وانا نجعل لكم نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ونجعل لكم خراجها»[٧٧]

٢ - مرسوم الرشيد إلى ابنة ملك الجن

ملاحظة كتب الرشيد الى ابنة الملك الأحمر من ملوك الجن المشهورين يأمرها بفك سحر اخوي عامله على البصرة اللذين مسختهما كلبين بعد أن عفا عنهما اخوهما هكذا تقول الأسطورة

«بسم الله الرحمن الرحيم من ملك الأنس هارون الرشيد الى بنت الملك الأحمر سعيدة

اما بعد فان هذا الرجل قد سامح اخويه ، واسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهما بالصلح ، واذا وقع الصلح ارتفع العقاب فان اعترضتمونا في أحكامنا اعترضناكم في أحكامكم ، وحرقنا قانونكم وان امتثلتم أمرنا ، ونفذتم أحكامنا فأننا ننفذ احكامكم ، وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فان كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي الأمر وان عفوت عنهما فأنا أجازيك بما يقدرني عليه ربي وعلامة الطاعة ان ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد وان لم تخليصهما فأنا أخلصهما قهراً عنك بعون الله»[٧٨]

---

(٧٦) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٢٦ حكاية مريم الزنارية
(٧٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٦ ارجع الى الموضوع الخاص بموقف الرشيد من الفرنجة ص ٩٢
(٧٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٨٢ ٢٨٣ حكاية عبدالله بن فاضل

٣ مرسوم خلع وتولية

ملاحظة أصدر الرشيد مرسوماً بتنحية واليه على البصرة وتعيين آخر

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بني سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في بعض مملكتي أعرفك ان الموصل اليك هذا الكتاب نور الدين بن خلفان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فاني وليته على ما كنت وليته عليك سابقا فلا تخالف امري والسلام»[٧٩]

٤ مكاتبات الحرب والتهديد

ملاحظة المكاتبة الأولى من ملك استغل فرصة انشغال مملكة مجاورة بأحداث داخلية صعبة فهددها بالغزو والرد من الملك العابث والذي صحا مما وقع فيه من الخطأ بعد أن أصلح خطأه

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما اوقعت نفسك فيه من البلاد حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك ، حين طغيت وافسدت وان الله قد اعطاني النصر عليك ، وظفرني بك (فأسمع)[٨٠] كلامي وامتثل امري «ابنِ لي قصراً معينا في وسط البحر ، وان لم تقدر على ذلك فأخرج من بلادك ، وفزّ بنفسك فاني باعث لك من أقصى الهند اثنى عشر كردوساً كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل ، فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك ، واجعل قائدهم بديعاً»[٨١]وزيري وآمره ان يرسخ عليها محاصر الى أن يملكها ، وقد أمرت هذا الغلام المرسل اليك أنه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام فان امتثلت امري نجوت والا ارسلت اليك ما ذكرته لك ..»[٨٢].

(٧٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٤٣ حكاية الوزيرين
(٨٠) غير موجودة في الاصل
(٨١) اسم الوزير القائد
(٨٢) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧١.

وكان جواب الرد كما يلي

«بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالأمان ورحمة الرحمن أما بعد فاني أعلمك ايها المدعو ملكا كبيراً اسما لا رسماً قد وصل الينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا ، وقد مددت يديك الى ما لا تقدر عليه ولولا الرأفة أخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرت عنك

وأما رسولك فإنه خرج الى السوق ، ونشر اخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص ولكن أبقيناه رحمة منا لكونه معذورا قصاصه وقاراً لك ...»[٨٣]

٥ - مكاتبات نشر الرسالة السماوية والتهديد

ملاحظة أراد النبي سليمان (ع) نشر رسالته السماوية في أمة عرف أنها تحت أمرة ملك ملحد فأرسل له يبلغه الرسالة السماوية فلم يوافق الملك فهدده النبي سليمان بما يشبه البرقيات السريعة «زوجني بنتك واكسر صنمك العقيق وأشهد أن لا اله الا الله وأن سليمان نبي الله ، فان انت فعلت ذلك كان لك مالنا وعليك ما علينا ، وان انت أبيت ، اتيتك بجنود لا طاقة لك بها فاستعد للسؤال جواباً ، والبس للموت جلبابا ، فسوف اسير لك بجنود تملأ الفضاء وتدرك الأمس الذي مضى»[٨٤]

- وكان رد الملك الملحد خشناً

«لقد حدثتك نفسك بالأماني اتوعدني بزور الأقوال ؟ فاما ان تسير أو أن أسير اليك»[٨٥]

فرد عليه سليمان وقد احاط بجزيرته

«ها أنا قد أتيت فاردد عن نفسك مانزل والا فادخل تحت طاعتي ، وأقر برسالتي وكسّر صنمك ، واعبد الواحد المعبود وزوجني بنتك

---

(٨٣) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٧.

(٨٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٧.

(٨٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٨.

بالحلال وقل انت ومن معك اشهد أن لا اله الا الله ، واشهد ان سليمان نبي الله فان قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة وان ابيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة فان الله تبارك وتعالى امر الريح بطاعتي فأمرها أن تحملني اليك بالبساط وأجعلك عبرة ونكالاً»[٨٦]

٦ مرسوم خطوبة

ملاحظة خلال حكاية حاسب كريم الدين نجد صورة لمرسوم ملكي بخطبة ابنة ملك آخر له ، غير أن المكاتبة تعني اكثر من الخطوبة حيث نجد خلال سطورها احساسا بتهديد الملك والد البنت اذا لم يوافق على تزويجها للملك الخاطب

«أما بعد السلام على الملك بهروان اعلم اننا قد جمعنا المنجمين والحكماء وارباب التقاويم ، فاخبرونا أننا نرزق ولداً ذكراً ، ولا يكون ذلك الولد الا من بنتك وها انا جهزت لك الوزير «عين زار» ومعه اشياء كثيرة من آلة العرس ، واني اقمت وزيري مقامي ، في هذه المسألة ، ووكلته قبول العقد واريد من فضلك ان تقضي للوزير حاجته ، فانها حاجتي ، ولا تبدي في ذلك اهمالاً ولا امهالاً وما فعلته من الجميل فهو مقبول منك والحذر من المخالفة في ذلك

واعلم يا ملك بهروان ان الله قد منّ عليّ بمملكة كابل وملكني على بني شهلان ، واعطاني ملكاً عظيماً ، واذا تزوجت بنتك اكون انا وانت في الملك شيئا واحدا وارسل اليك مني كل سنة ما يكفيك من المال وهذا قصدي»[٨٧]

ان هذه النماذج البسيطة في تصوراتها وعقليتها لا يمكن ان تقنع الواعي من الناس الا انها رغم بساطتها وقصورها وضعف اساليب بعضها وعدم امكانية اغناء من يحاول تحليلها الا انها رغم كل شيء تعطي نموذجا للمستمع والقارىء لنوعية المكاتبات السياسية ، وان الحاكم يأمر وينفذ ويهدد لأنه في موطن المسؤولية وان له من قوة السلطة ما يقويه في مثل هذه المواقف

(٨٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٨.
(٨٧) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٩.

القسم الثالث

هدايا الملوك ومراسمها

تزخر الليالي بذكر مهاداة الملوك وهداياهم غير أنها تخضع لتقاليد محددة حيث لا تقدم ولا تعطى اعتباطاً فهي تنم عن طباعهم ونفسياتهم وكرمهم ودوافعهم ولغايات يقصدونها

وقد تكون الهدية ذهباً او فضة او تحفاً ، وقد تكون لقباً ، وقد لا تكون هذا ولا ذاك وربما تقبّل الملك هدية لا لشيء او لمطمع وانما لمجرد انه اولى بها لكونه رب اسرة هذه المملكة او الأمة

ولو حاولنا متابعة ذلك خلال الليالي لوجدنا مثلاً في حكاية الصياد مع العفريت المارد وتروى ان ملك الروم اهدى لاحد ملوك المشرق جارية ماهرة بالطبخ [٨٨] فكأنما أراد ملك الروم اشباع رغبة ملك المشرق في حبه للطعام او ربما دسها عليه لتقتله باعتبار انها ستكون مسؤولة عن أكله

كما اننا نلاحظ ان ملوك اوربا في مهاداتهم لملوك الشرق انما يحاولون اشباع رغباتهم الجنسية في ميلهم للنساء ، فنحن نجد ملك الروم صاحب مدينة قيسارية قد ارسل للملك عمر النعمان ملك دمشق جارية رومية بعثها هدية له وارسل معها تحفا كثيرة[٨٩] كذلك نجد أن رسل ملك القسطنطينية الذين وفدوا على ملك دمشق - عمر النعمان - أهدوه باسم ملكهم «خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكاً عليهم اقبية من الديباج بمناطق الذهب وكل مملوك في اذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي الف مثقال من الذهب»[٩٠]

وهذا التصور في اغراء ملوك الشرق بالنساء يؤكده قول احد بطارقة الروم لحاكم حصن في الشام أيام الفتوحات عند محاولة رد اسير مسلم عن

---

(٨٨) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٤.
(٨٩) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٣.
(٩٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦٥.

دينه «ايها الامير انا أفتنه حتى يرتد عن دينه وذلك ان العرب تكثر الصبوة الى النساء»[٩١]

وتبدو المبالغة في هدايا الزواج والتقرب بين الملوك فخلال حكاية العاشق والمعشوق نجد أن الملك سليمان شاه عند خطبته لابنة الملك زهر شاه يهديه في الخطوبة الهدايا التي تصلح للملوك من ثمين الجوهر ، ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل وثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال ومائة مملوك ومائة جارية»[٩٢]

وهدايا ملوك المشرق بعضهم لبعض هدايا عينية وقد تكون محدودة «مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية»[٩٣]

وقد تكون الهدايا مسببة فابن الملك «تاج الملوك» يخاطب اباه في سبب تقديم هديته لرجل فيرد عليه «ان عزيزاً رجل من الكرام ، وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب وسافر معي ، واوصلني الى بغيتي فالمقصود اننا نهيء له تجارة ثم هيأوا له مائة جمل من أغلى القماش ......»[٩٤]

وربما تكون الهدية التي يقدمها أبناء العامة لملوكها كبيرة دون أن يرد الحاكم عليها بشيء عيني كما حصل بالنسبة لهدية التاجر المليونير محمد الكسلان وكانت هدية ثمينة فأعطاه مواهب الخلافة ، عوضاً عن هديته وأنعم عليه انعاما يليق به»[٩٥]

وعلى نفس الاطار ما نلاحظه في تقديم مرسوم اللقب للشخص الذي خدم الملك الذي يقول له تمنَّ شيئاً عظيماً لائقاً بمقامي ، فقال أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التوقيع ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد[٩٦]

وكرم الرشيد وهداياه للناس غير محدودة في فتوى الامام أبي

---

(٩١) المصدر نفسه ط بو أوفسيت مجلد ١ ص ٦٤٨
(٩٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٢.
(٩٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٦.
(٩٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٧.
(٩٥) ألف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢١٦.
(٩٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٩.

يوسف له أهداه أطباق الذهب بين يديه وهو لا يجد ما يضعه فيه فتذكر مخلاة بغلته الي ملئت ذهباً[97] أو أن يجمع خراج العراق والشام وخراسان في أحد اللواوين ثم يقدمها هدية لشاب في وجهه عرق أصفر ليزيله بأن يهديه كل ذلك[98]

وأثمن الهدايا التي يمكن أن تتثبت هنا والتي تدل دلالة قاطعة على اهتمام الملوك بالعلوم ما فعله ملك زوج بناته للحكماء الذين قدموا آلات نافعة للملكة حيث حقق لهم أمنياتهم بأن زوج كل حكيم عالم منهم من احدى بناته[99]

ومن اللياقات السياسية والدبلوماسية أن يقدم وزير الملك المرسل من قبله في طريق عودته لبلاده تحف وهدايا البلاد التي يمر بها بالاضافة الى الهدايا المرسلة اليه التي يحملها الرسول معه في طريق العودة[100]

(٩٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٤.
(٩٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢١٨.
(٩٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٤.
(١٠٠) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٢٣ مجلد ١ .

الباب الثاني
قضايا سياسية

الفصل الأول

العروبة والشعوبية في ألف ليلة وليلة

القسم الاول ألف ليلة وليلة تدافع عن عروبتها

القسم الثاني الشعوبية في ألف ليلة وليلة

القسم الثالث العروبة في ألف ليلة وليلة

القسم الأول

ألف ليلة وليلة تدافع عن عروبتها

ظلَّ ألف ليلة وليلة حائرا بين الأدب والتاريخ ، هذا يدفعه والثاني ينكره لأن الأدب الرسمي أدب السلاطين الذي يكتبه من ساروا وداروا في افلاكهم يتخوف من كل ما يأتي به غيرهم ممن حسبوا على العامة لأنهم لا يحبذون مشاركة أحد لهم في مراكزهم

والتاريخ لا يعتمده لأنه لا يتخذ السند اصلاً لما يعرضه اذ ما يعرضه ذوق العامة وافكارها ، ولكونه مجرد حكايات قابلة للتغير والزيادة والنقص

وقد تعرض الكتاب لحملات ساخرة عبر التاريخ فالمسعودي عند تقريره عن أصل الكتاب ارجع اصوله الى الحكايات الهندية والفارسية والرومية بعد أن قرر انه كتاب مترجم عن «هزار افسان» أي ألف خرافة في اللغة الفارسية[1]، وابن النديم قرر ذلك أيضا بل تعدى ذلك حين وصفه بعد أن أوضح انه مترجم عن الفارسية ايضا بأنه كتاب غث بارد[2]

ولما كانت الليالي قد انطبعت بطابع الدولة العربية الاسلامية فقد عرفت من أين تبدأ ، والى أين تنتهي بأحكامها لأن قصصها وحكاياتها مترجمة ، أو منقولة عن أدب ووعظ العرب انما حاولت رسم صورة مبسطة في أذهان قارئها أو المستمع لها ، وهذه الصورة انما هي صورة للسياسة العربية الاسلامية الموجهة المقصودة من قبل واضعي أو مؤلفي او مترجمي الليالي ، في تحديد مسارها ابتداء من تعظيم شخصية الرشيد وتحطيم وتقليل شأن جعفر البرمكي كوزير له مطامع خاصة الى الغض من شأن للمجوس والاعجام

---

(١) د . سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٤ نقلا عن المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٨٩/٩٠.
(٢) المصدر نفسه كتاب الف ليلة وليلة ص ١٦ نقلا عن ابن النديم الفهرست ص ٤٣٦.

والزنادقة واليهود والنصارى وتعظيمه واكباره للعروبة والاسلام ويعظم شخصية النبي محمد (ص)

إن هذه الغاية السياسية التي سعت اليها الليالي ، لم تعرض عرضا تاريخيا واضحا ولكنها جاءت متفرقة في القصص والحكايات المختلفة ، بحيث يمكن جمعها وتنسيقها ومن ثم عرضها

وقد رأيت أن أعرض الآراء التي تؤيد اهتمام الليالي بالعروبة اولا وما أقره الكتاب نفسه عن عروبة أصله ثانيا

وأول رأي يمكن اعتماده ، رأي دائرة المعارف الاسلامية التي تقول بأن الليالي «أشهر مجموعة عربية للقصص ، فكان العرب منذ أقدم العصور مشغوفين بالاستماع الى القصص ، ولكن ضيق افقهم العقلي بعض الضيق جعلهم يأخذون مادة هذه القصص عن غيرهم أمثال الفرس والهنود»(٣) والحقيقة أن هناك ترجمة بدأت أيام المنصور والمأمون(٤) غير أن هذه الترجمة لم تجمد على ما كانت عليه بل زيد عليها وانقص منها ، حتى اوشك الأصل أن يضيع والعبرة في الخاتمة

نعم «أن بعض هذه القصص مقتبسة في بادىء الأمر من بلاد الهند وفارس ثم لم يلبث المؤلفون العرب أن حاكوا قصصا على غرارها ، وتطور ذلك التأليف حتى تحرر من الأصل الأجنبي ، واتخذ الطابع العربي الأصيل وعلى ذلك نستطيع أن نقول ان الأغلب الأعم من مجموعة هذه القصص التي غزت بلاد العالم المتحضرة عربية دون شائبة ، واذا انكر بعض كتاب الغرب والشرق ذلك فان الرأي العالمي يقر به ، فقصص ألف ليلة وليلة معروفة في أرجاء الدنيا بأنها قصص عربية»(٥)

يؤيد هذا الرأي البارون «دوساسي» الذي أعلن بجرأة أن الكتاب عربي الأصل للأسباب التالية

١ - ان جميع أو أكثر ابطال الكتاب مسلمون

٢ - ان مسرح حوادثه في أكثر الأحيان هو ضفاف دجلة والفرات والنيل

---

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ /المجلد الثاني ط تهران ص ٥١٨ مادة الف ليلة وليلة

(٤) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٤ ، مروج الذهب للمسعودي ج ٤ ص ٨٩/٩٠.

(٥) القصة العربية القديمة ص ١١٦.

٣ ان ما فيه من اشارة الى العلم والسحر قد مارسه العرب

٤ الجن التي جاء ذكرها فيه ، هي وليدة الأساطير العربية وعليها طابع الاسلام وهي ترتجف دائما من اسم سليمان على نحو ماجاء في القرآن الكريم

٥ الأديان التي ذكرت فيه هي الاسلام والمسيحية واليهودية والمجوسية

٦ تتضمن قصص الليالي احاديث شتى عن موسى وداود وأصاف الذين كانوا مجهولين تماما من حكماء الهند وفارس قبل دخول الأسلام الى هذين البلدين

ولا يكتفي البارون بما عرضه وعدده بل يتعرض لمناقشة نص المسعودي في مروج الذهب الذي قال ان الليالي مترجمة عن هزار افسان الفارسي فهو «يجزم ان نص المسعودي إما منسوب اليه او محرف ، وان النسخة الاولى من كتاب ألف ليلة وليلة قد كتبت في سوريا بلغتها العامية وان مؤلفه لم يتمه لسبب ما فأنشأ النساخ من بعده ، يحاولون اكماله أما بأن يضيفوا اليه قصصا معروفة من قبيل قصة السندباد والوزراء السبعة[٧]، وأما أن يؤلفوا قصصا تختلف في جودتها أو رداءتها ويحشرونها فيه وهذه الأشياء تمت في مصر .»[٨]

«وكما لاحظ البارون ذلك لاحظ نفس الشيء أحد الآباء اليسوعيين في مقدمتهم لطبعة مهذبة لهذا الكتاب ، وقد دافع هذا الأب عن عروبة الكتاب بعد أن عرض رأي كل من المسعودي وابن النديم في كتابيهما مروج الذهب والفهرست حيث قالا ان الكتاب مترجم عن الفارسية ولم يكتف باطلاق الحكم بأن الكتاب في مجمله عربي بل سبب هذا الرأي تفصيلا فقال «أما مجمل الكتاب فعندنا انه تأليف عربي لافارسي لأسباب

الأول إن صاحب الفهرست قال في جملة كلامه في الكتب المنقولة عن الفارسية «وتناوله الفصحاء والعلماء ونمقوه ، وهذبوه ، وصنفوا في معناه مايشبهه»[٩] وذلك مما يؤذن أن كتاب ألف ليلة وليلة لو افترضنا

---

٦) أساطير العرب في قصة الف ليلة وليلة ج ١ ص ١١.

٧) وهي غير القصة المدونة في الف ليلة وليلة الخاصة برحلات السندباد البحري

٨) أساطير العرب في قصة الف ليلة وليلة ج ١ ص ١١.

٩) الفهرست ص ٤٣٦.

انه منقول وقد وقع فيه ايضا بعض التحريف

الثاني ان مؤلف الكتاب من المسلمين لامحالة لأنك أيان قرأب ، رأيته يعظم دين الاسلام ويغض من دين المجوس وغيره ، وتلك حجة قاطعة بأن الكتاب كانَ ظهوره بعد الاسلام ، وأنه لم ينقل عن كتاب في عهد الدولة الساسانية أو غيرها

الثالث انه يكثر من ذكر هارون الرشيد وهذا برهان ساطع على أن الحكايات التي ورد فيها ذكره قد الفت من بعده بزمان لأن خلفاءه لم يكونوا ليرضوا وليرتاحوا أن يحط من قدره ، أو ينزل مثل هذا الخليفةالعظيم منزلة السفلة والغوغاء

الرابع وهل يصح ان نتصور فارسيا ، ألف حكايات لقومه الفرس لا يختار لأغلب أماكنها الا دمشق وبغداد ومصر ؟ أو ليس أن كثرة ذكره للديار المصرية والشامية وإتيانه على مافيها من الاخلاق والعادات التي تكاد من مميزاتها ، دليل على أن الكتاب مصنف عربي ؟

الخامس إن كثيراً من الحكايات ، مع ما أدخل فيها المؤلف من التغيير ليست مجهولة النسب ونعلم بالتحقيق الاصل المأخوذة عنه فان خبر (سوسنة ودانيال) مأخوذ من التوراة وهكذا يمكن القول عن حكايات اسحق الموصلي ، وحاتم الطائي ، ومعن بن زائدة ، وما اشبه فأنها مأخوذة عن تآليف عربية

السادس ان الاختلافات الواقعة في نسخ الكتاب الخطية ، وفي طبعاته سواء أكان ذلك من جهة ترتيب الحكايات واستيفائها ، أو من جهة تنسيق الليالي أو من جهة أساليب التعبير في الخبر الواحد كل هذا يدلنا على أن الكتاب على فرض أنه نقل عن اصل فارسي فقد تصرف فيه العرب كل على هواه ، فهو اشبه بسبحة قد تبدلت خرزاتها ولم يبق منها الا سلكها

السابع ان الذين يدّعون استنادا الى كتاب الفهرست ان حكايات ألف ليلة وليلة منقولة من الفارسية الى العربية لو امعنوا النظر فيما جاء في

النص الذي سنورده لعدلوا عن رأيهم وزعمهم ، «قال محمد بن اسحق ابتدأ ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لايعلق بغيره ، واحضر المسامرين فأخذ عنهم احسن مايعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل واكثر ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه الف سمر ، ورأيت من ذلك عدة اجزاء بخط ابي الطيب أخي الشافعي»[١٠]

الثامن ان عبارة الكتاب ليست عبارة قديمة خالصة وإنما هي تشبه لغة العامة في عصرنا وذلك يرينا انه كتب في أيام العباسيين على حين كانت اللغة في رونقها وكمال شبابها»[١١]

ومن الآراء التي تؤيد عروبة هذا الكتاب ماقاله جرجي زيدان وهو يعلق على زمن تأليفه «الارجح ان تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تم بعد القرن العاشر الهجري واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الأصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة ألف ليلة وليلة كالفرق بين اوديسة «هوميروس» وايناذه «فرجيل» فأن اكثرها منقول عن الاوديسة ، ومع ذلك فهي تنسب الى «فرجيل» ولهذا السبب يصح ان يقال عن ألف ليلة وليلة انها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لايزال على أصله الفارسي وكما وصلت الينا الآن تمثل الأداب الاجتماعية في القرون الأسلامية الوسطى»[١٢]

بل انه «لا يجوز الشك في أن أكثر القصص فيها عربي وان مافيها من أصل عربي يختلف كثيرا عما فيها من أصل هندوسي وفارسي بارز»

---

(١٠) الفهرست ص ٤٣٦.

(١١) من مقدمة طبعة الف ليلة وليلة لأحد الآباء اليسوعيين ص ٥ ٦ ٧ ٨ سنة ١٨٨٩ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت

(١٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٩٦.

كما وصفها بذلك استاذ اللغات الشرقية في «هيد ليبزغ» «مسيوفيل» في مقدمة الطبعة الألمانية لرواية ألف ليلة وليلة بحسب النص الشرقي[١٣]

فالكتاب وان لم يعز الى شخص ما غير أن حكاياته ما ظهرت الا لأنها «نتيجة لقريحة شعبنا وفيض ملكات الموهوبين من الناطقين بالعربية»[١٤]

اننا لا ىكر ان هناك كتابا اسمه هزار افسان ترجم مع ماترجم عن اصول هندية وفارسية الا ان «مجموعة ألف ليلة وليلة وان اختلفت في مصادرها فقد انتهت الى أن تكون مجموعة جديدة ليس لها صلة بأصلها عليها طابع واحد وتكاد تكون ذات وحدة مستقلة عن غيرها فقد محى الاصل الفارسي بما لحقه من التبديل الدائم الذي كان يقوم به الكتاب والرواة إرضاء لذوق الجمهور»[١٥] كما ان نثرها هو «نثر القرن الثالث الذي اتسمت مدرسته في الكتابة بالانطلاق الشامل انطلاقة اللفظ وانطلاقة المعنى».

ثم اننا لنتساءل ما هذا التشريح لحكاياتها والبحث عن هفوة او كلمة لرد اصولها لغير العرب او آدابهم مع العلم ان اسلوب الليالي وروحها عربيان الا يكون هذا الا لغرض طعننا حتى في حكاياتنا وقصصنا بعد أن تعرض شعرنا الجاهلي للانتحال وتفسيرنا للاسرائيليات ولغتنا للتمحك والحديث النبوي الشريف للدس والكذب ؟ ومادامت ألف ليلة وليلة أقرب في روحها الى الذوق العام العالمي فليرجع المغرضون إذن اصوله لغير العرب ولترجع أصول الأصول الى الهندية القديمة والفارسية الفهلوية ولعل سبب ذلك الشعوبية العلمية الجديدة فلنقرأ ما جاء في مقال الأستاذ (على أصغر حكمت) استاذ الأدب والتاريخ في جامعة طهران وهو يحاول جاهداً إرجاع اغلب حكايات الليالي الى غير العرب الا القليل فهو يقول في بداية المقال «انه من الكتب المشهورة التي تمثل العهود التاريخية السابقة وانه افضل أثر متبقٍ من آداب الشعوب الشرقية القديمة وانه يضم منذ ألفي سنة مزيجاً من لطائف آداب الشعوب القديمة كالهنود والايرانيين والعرب والاتراك و

---

(١٣) حضاره العرب ص ٥٤٤/٥٤٣.

الأدب في موكب الحضاره الاسلامية ص ٦٢٣

(١٥) محمود تيمور مقال في الحديثه ج ٢ جمع محب الدين الخطيب ط ٢ سنة ١٣٤٨هـ ص ٢٠٢ ٢٠٣.

الادب في موكب الحضاره الاسلاميه ص ٥٠٦.

بوصح بهذه المدسات الكبرى منذ عهد الساسانيين إلى أعقاب الفاطميين وان كتاب ألف ليله وليلة ظهر في الهند قبل عهد السلاطين الفرس القدامى «الهخامنشيين» ثم انتقل الى ايران في عهد ما قبل الاسكندر على ما يظهر وترجم الى اللغة الفارسية القديمة وسمي «هزار افسان» أي الف اسطورة ثم نقل الى العربية في القرن الثالث الهجري»

ولم يكن هذا الكلام الا ترديداً لآراء المستشرق الهولندي «دغوية» Degoeie الذي نشر في مجلة "Legids 1886 بحثا أرجع فيه مقدمة ألف ليلة وليلة وقصة «استير» في التوراة الى اسطورة شعبية فارسية قديمة وبحث «دغوية» عن الشبه القوي بين شهرزاد واستير وكيف ان كلا منهما تطوعت لنجاة بنات جنسها من طاغية ثم وجد نص ابن النديم الذي يشير فيه الى «حمّى بنت بهمن» فبحث في التاريخ الفارسي القديم فوجد أن أم «بهمن» تسمى استير او ما يشبه استير بينما زوج «بهمن» كانت يهودية تسمى احيانا شهرزاد واحيانا دنيا زاد»[١٨]

ان هذا الرأي لا يمكن ان يكون مقبولاً لأن مجرد تشابه الأسماء لا يحدد أصل الكتاب وأصل حكاياته كما شرحت ذلك الدكتورة سهير القلماوي باعتمادها على بحوث عارضت دغوية من أمثال «كوسكان cosquin »[١٩]وخلاصة ما جاء في الرد «أن المسألة فوضى لا يمكن ان يعتمد فيها على اي شيء وان تشابه الأسماء وتوافقها لا يدل وحده على كثير في باب التحقيق التاريخي وان قصة استير وقصة شهرزاد تختلفان في الخصائص المميزة وان تشابهتا في بعض الصفات الأساسية»[٢٠]، واننا لو رجعنا إلى تاريخ الهند في العصر الاسلامي لوجدنا اسم شهرزاد كان معروفاً بوصفه اسما لأميرة هندية مسلمة[٢٢]، وعلى هذا ألا يمكن أن يكون واضع الليالي قد أخذ أسماء شهرزاد

---

(١٧) مقال «من هزار افسان الى هزار دستان» دراسة تاريخية لكتاب الف ليلة وليلة للاستاذ علي اصغر حكمت مجلة الدراسات الادبية السنة الاولى العدد ١٩٦٠/٤ الجامعة اللبنانية قسم اللغة الفارسية وآدابها ص ٥ ٦ ٨

(١٨) سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٢ ص ١٢٤

(١٩) المصدر نفسه ص ٤٤ ٤٥.

(٢٠) المصدر نفسه ص ٤٥.

(٢١) المصدر نفسه ص ٤٥.

(٢٢) عبدالمنعم نمر تاريخ الاسلام في الهند ص ١/٢٣٥ سنة ١٩٥٩ ـ دار العهد الجديد

وشهريار ودنيا زاد من أسماء حكام الهند المسلمين وأميرات القصور الهندية ؟[٢٣] ثم ان عبارة الملك السعيد «التي ترددها شهرزاد على مسامع الملك شهريار في بداية كل ليلة من الليالي «بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد» نجدها عند الجاحظ في كتابه «التاج في اخلاق الملوك» حيث يقول «ومن اخلاق الملك السعيد ترك القطوب في المنادمة» «ومن اخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان»[٢٤]، الا يمكن اعتبار هذا دليلاً لغويا على أن الكتاب بعباراته صورة من صور الأدب العربي ؟ وأن تشابه العبارات لا يمكن ان يكون إلا استمرارا لتمازج الأدب بعضه مع بعض ، والأدق من هذا اننا لو اطلعنا على «حكاية الملك جليعاد في ألف ليلة وليلة وحكاية «مكايدة الملوك في كتاب التاج» وقارناهما أسلوبا وفكرة لوجدنا التشابه كبيرا معنى وأسلوبا حتى ليكاد المرء يحكم من أول وهلة بأن الليالي أو بعض اجزائها من وضع الجاحظ نفسه نظرا لظهور فكرة موسوعية المعلومات في كل من كتب الجاحظ وكتاب ألف ليلة وليلة إذ أن الجاحظ كتب في كل شيء والليالي حكت عن كل شيء

في «حكاية الملك جليعاد» نجد ولده «ورد خان» قد قتل وزراءه وعظماء مملكته ، حتى استخف به عدوه وطالبه بترك المملكة ، وضمها الى مملكته فلما لم يجد من يقف الى جانبه خرج الى المدينة متنكرا فوجد غلاماً صغيراً يحدث آخر بما ينجي المملكة على طريقة الخدعة السياسية والحربية وكان من نتيجة ذلك أن أخاف كتابه هذا العدو وحمله على أن ينصرف عما كان دبره لورد خان[٢٥]

اما في حكاية «بهرام جور» او مكايدة الملوك في كتاب التاج فنجد أن الملك المهاجم يقابل سائساً ماهراً في رمي النشاب وفي رمي الأبر أمام الملك وهو في الحقيقة الملك «بهرام جور» فيخاف الملك من شدة بأس الملك الذي ظنه ضعيفا فيحتال للعودة من حيث أتى

---

(٢٣) المصدر نفسه ص ٢٣٥

(٢٤) التاج في اخلاق الملوك ص ٤٥ ٥١

(٢٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٣٤ ١٨٢

(٢٦) التاج في اخلاق الملوك ص ١٧٧ ، ١٧٨ ١٧٩ ، وقد نقل هذه الحكاية صاحب كتاب تنبيه الملوك ص ٣٤ ٢٨ ، ولخصها صاحب نفائس الملوك ص ١٠٧.

فحكاية «بهرام جور» التي أوردها الجاحظ لو أردنا ضمها الى حكايات الليالي ووزعناها توزيع الليالي لما لاحظ أحد الفرق بين الاسلوبين

وهذا نموذج من حكاية بهرام جور «فبهت الملك ومليءَ قلبه رعبا فقال له ويلك ملككم هذا جاهل اما يعلم أني قريب من قرار داره فضحك بهرام وقال ان اعطاني الملك الأمان نصحته قال قد اعطيتك الأمان قال ان ملكنا تركك استهانة بأمرك وتصغير لشأنك وعلماً بأنك لا تخرج من قبضته وذلك إني أحسن من في دار مملكته واخملهم ذكراً فاذا كنت وانا بهذه الحال أقتل بألف سهم ألف رجل فما ظنك بالملك وله ألف عبد في قرار داره أصغرهم شأنا أكبر مني ؟[27]

وحين نترك الجاحظ والجهشياري نجد غيرهما ممن يؤلف الحكايات الحافلة بالخرافات من مثل ما يروى «أن أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى عام ٣٢١هـ قد ألف أربعين حديثاً استنبطها من ينابيع صدره تدور حول حكايات عربية قديمة للتاريخ والحب فيها نصيب»[28] فهذه التآليف وغيرها وهي على نمط الليالي افلا يمكن ان تكون هي اصولها العربية غير أنها اختارت عنوانا غريبا هو ألف ليلة وليلة ولو اخذنا الترجمة الحرفية لكلمة هزار افسان لوجدناها الف خرافة او اسطورة في حين ان كلمة ألف ليلة لا تعني الف اسطورة او خرافة ومن قال ان الليلة في القاموس تعني الأسطورة او الخرافة ؟ ثم حتى لو آمنا فرضا بذلك فمن أين جاءت الليلة الأخيرة بعد الألف الا أن تكون الليالي عربية حتى في التسمية وذلك لأن العقلية العربية التي انتهى اليها الكتاب «لم تكتف بهذا الرقم ألف ليلة بل اضافت عليه على سبيل التأكيد والتسجيع معا فجعلته ألف ليلة وليلة»[29]

ولرب سائل يقول وابن الشعوبية والليالي زاخرة بالأدب المكشوف والحقيقة التي يمكن الرد بها ان استعمال الليالي للأدب المكشوف في

---

(٢٧) التاج في اخلاق الملوك ص ١٧٩

(٢٨) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١١٦ نقلا عن الامالي وزهر الآداب للحصري ج ١ ص ٣٠٧.

(٢٩) مجلة المستمع العربي العدد ٢ السنة التاسعة ١٩٤٨ عن مقال «الف ليلة وليلة يتحدث عن نفسه» للدكتور عبدالحميد يونس .

بعض لياليها انما اتخذ وسيلة اعلامية جذابة وجريئة تدفع القاريء لقراءتها سراً او علناً بل ان الذين ينهون عن قراءة هذا الكتاب انما جاء نهيهم بعد قراءتهم له ويظهر أنهم يصدرون في ذلك عن غاية اخلاقية ولم يفطنوا الى المغزى من وراء هذه الحكايات من حيث انها رمز عن مواقف بعينها

ولرب سائل آخر يعترض فيقول ان الكتاب انما وضع ترويحا عن النفس والرد انه كذلك فهو «وان وضع في أول امره للتسلية والترويح عن النفس لا يخلو من حكمة تساق اليك وموعظة تصل الى قرارة نفسك ودراسة عامة لأحوال الحياة»(٣٠)

فالكتاب بلياليه الجميلة انما هو عربي في واقع حكاياته وغرضه الذي كان يسعى الى تحقيقه وهو في موقفه السياسي تجاه الشعوبية التي سنعرضها انما أراد التوكيد على الخط العربي الأصيل وخاصة في توجيه العامة واطلاعهم على ما للحاكم وما للمحكوم ، وما عليهما يؤيد ذلك ما نجده في مقدمة التاج الذي الفه الجاحظ للأمير الفتح بن خاقان حيث قال له «اما بعد فأن الذي حدانا على وضع كتابنا - يعني التاج - منها أن الله عزّ وجل لما خص الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ، ومكن لهم في البلاد ، وخولهم أمر العباد اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم وتقريظهم كما اوجب عليهم طاعتهم ومنها أن اكثر العامة وبعض الخاصة لما كانت تجهل الأقسام التي تجب لملوكها عليهاوأن كانت متمسكة بجملة الطاعة حصرنا آدابها في كتابنا هذا لتجعلها قدوة لها واماما لتأديبها ، وايضا فأن لنا في ذلك اجرين واما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها واما الآخر فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها ، ورد كل نافر اليها»(٣١)

وهذا ما وجدنا لمثله صدى في واجبات الملوك تجاه رعاياها ، وما الملوك على رعاياها كما وضحنا ذلك في الفصا الخاص بالحكام من خلال ما عرضته الليالي(٣٢)

---

(٣٠) الحياة الادبية بعد سقوط بغداد ص ٣٨.

(٣١) التاج في اخلاق الملوك ج ١ ص ٢.

(٣٢) ارجع الى الفصل الثالث ص ١٧٧ .

القسم الثاني

الشعوبية في ألف ليلة وليلة

تعرضت الأمة العربية بعد استقرارها السياسي لضربة كانت أول أمرها خفية ثم تصاعدت حاقدة من قبل أمم غير عربية ، دخلت الاسلام رهبة او من اجل تحقيق مصالحها كما كانت هذه الضربة دفاعا عن شخصيتها القومية التي أعتقدت انها ستخسرها اذا ماآمنت بالدين الجديد الذي أذاب الشعوب في بوتقة العروبة وهذه الضربة هي ما تعرف بالشعوبية التي كانت تظهر الاخلاص وتبطن الهلاك مبتدئة بثقافة الأمة العربية ومنهجها موجهة اليها التشكيك والنقد والطعن وتشويه التاريخ والانساب وقد كانت هذه الحركة ذكية اذ تجنبت اول الامر الصراع السياسي والتزمت الجانب الثقافي لأنها كانت تعي أن الثقافة هي أبرز صورة لحضارة الأمم ورقيها فهي اذن «بدأت بمحاولات شعوب غير عربية لمقاومة السلطان المتوثب ، مستترة بمظاهر عربية أو اسلامية»[٣٣] وهي اذن حركة تحاول الغض من شأن الأمة العربية والزراية بماضيها ايام بداوتها وتزييف تاريخها ومحاولة استحلال الاخلاق والاستهانة بتعاليم الدين»[٣٤]

ولما كانت الحكاية كما هو معروف تروى حادثة على لسان راوٍ لها وربما كان هذا الراوي او المحدث او المخبر يقصد أمرا فلماذا لا تتخذ وسيلة من وسائل افهام العامة بأسلوب مبسط شيق ملون بالايهام المقصود «كما يفعل الحالم اذ يلبس حلمه تهاويل لا تمت للواقع لتغطية الرغبة المكبوتة»[٣٥] مما قد يؤثر في اخلاقه وذوقه وربما يدفعه هذا التأثير الى التحرك ضد المظالم اذا كانت الحكاية تدور حول حوادث الظلم[٣٦]

---

(٣٣) د عبدالعزيز الدوري بحث في الجذور التاريخية للاشتراكية عن كتاب دور الأدب في المعركة ص ٢٤٨.

(٣٤) عمر الدسوقي مقدمة كتاب مظاهر الشعوبية في الأدب العربي للدكتور محمد نبيه حجاب ص/ج

(٣٥) بثينة الناصري بحث في مجلة التراث الشعبي العدد ٧ ٨ السنة الثانية آذار ١٩٧١/بغداد

(٣٦) الهلال ج ٥ سنة ٤٣ سنة ٣٥٣/١٩٣٥ ص ٦٤٠ نقلا عن مراحل الهلال الجزء السابع والثامن من السنة الخامسة سنة ١٨٩٦ تحت عنوان تأثير الرواية».

ولما كانت سياسة ألف ليلة وليلة عربية اسلامية فلم لا تتخذ وسيلة اعلامية موجهة ضد ثقافة هاجمت الأمة وحاولت اسقاط سلطانها كما لاحظنا ذلك في موقفها من البرامكة العائلة الفارسية العريقة[٣٧]

فلو اطلعنا على نص من حكاية علاء الدين ابي الشامات حيث جلس الرشيد يلحظ لعبة الأكرة والصولجان فحاول أحد الجواسيس قتل الرشيد بأن أخذ الأكرة وضربها بالصولجان نحو وجه الخليفة فتلقاها رجل عربي وضرب بها راميها» فلما احضر الذي حاول قتل الخليفة وسئل عمن اغراه وهل هو عدو أم صديق أجاب «أنا عدو وكنت مضمراً قتلك فقال له - أي الخليفة ما سبب ذلك أما انت مسلم ؟ فقال لا وانما انا رافضي فأمر الخليفة بقتله»[٣٨]

ان ارتباط هذا الموقف ضد السلطان بالدين يعني أنه كان هناك تيار مضاد للخلافة الاسلامية العربية اتخذ الرفض مبدأ وهو تيار بدأه الذين «رفضوا ابا بكر وعمر ولم يرفضها أحد من أهل الأهواء غيرهم ولهم غلو شديد في عليٍّ ، ذهب مذهب النصارى من المسيح»[٣٩] فهو مذهب مغال والغلاة مدسوسون على الأمة بتأثير المجوسية والزندقة

ولكن يجب الا نذهب بعيدا ونتصور أن الليالي صرحت بلفظ الشعوبية ولكننا نحسها في مواقفها من المجوس والاعجام أو الزنادقة او الروافض لأننا لو استقرأنا التاريخ والحوادث خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين لوجدنا الصراع مع الزندقة انما هو صراع بين الاسلام والمجوسية المتسترة وراء مظاهر خادعة وان توسع الأسلام وقوته المعنوية هددت المجوسية بالانحسار المتصل فكانت حركة الزندقة رد فعل وسبيلاً لضرب السلطان العربي ومن هنا تداخلت الزندقة والشعوبية[٤٠]

وعلى هذا نجد الليالي لا تكتفي بذكر مفاخر العرب وعظمة الدين الاسلامي الحنيف فحسب بل وضحت ذلك بأسلوب قريب من ذهنية البسطاء

---

(٣٧) ارجع الى القسم الخاص بالرشيد وموقفه تجاه البرامكة في الفصل الأول ص ١٠٦
(٣٨) الف لىله ولىله ج ٢ ص ١٧٤
(٣٩) العقد الفريد ج ١ ص ٣٥٠.
٤) الجذور التاريخية للاشتراكية العربية/بحث في كتاب دور الأدب في المعركة ص ٢٤٩.

فكرهت المجوس والمجوسية[٤١] كراهية وتخوفت منهم ومن انحلال خلقهم وشهرت بهم أقسى تشهير لدرجة لتقزز منه النفس ففي حكاية الحمال مع البنات[٤٢] نقرأ استحلال عشق الأخ لأخته ونكاحها وانه كان يتستر لعمله معها بأن جعل لها طابقا تحت الأرض فغضب الله عليهما فماتا محترقين[٤٣] وهذا اول مطعن موجه للمجوسية الفارسية وهذا مما يثير كراهية العامة لهم والتعصب ضدهم حيث ينطبق عليهم حكم الشريعة في تحريم «أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم»[٤٤]

وتستمر غضبة الليالي عليهم وعلى فساد دياناتهم حتى صورتهم بالمسخ والحجارة السوداء فعلى لسان ابن ملك مجوسي انقلب أهل مدينته حجارة يقول «ان هذه مدينة والدي وجميع اهله وقومه ، وهو الملك الذي رأيته على الكرسي ممسوخا حجرا واما الملكة التي رأيتها فهي أمي ، وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور»[٤٥]

ولم تكتف الليالي بما وصفتهم بعبادة النار بل وصفتهم بالكفر رغم أن الحكاية تتحدث عن ملك العجم في «حكاية زواج الملك بدر باسم بن شهرمان ملك العجم الخراساني»[٤٦] كما وصفتهم بالسحرة والشياطين في حكاية الملكة «لأب» ومعناه «تقويم الشمس» فقد صرحت بذلك قائلة «مدينة السحرة وبها ملكة ساحرة، كأنها شيطانة وهي سحارة مكارة غدارة ولأن كل من يدخل هذه المدينة وهو شاب مثلك تأخذه هذه الكافرة الساحرة وتقعد معه أربعين يوما وبعد الاربعين يوما تسحره ، وكذلك كل من كان في المدينة

---

(٤١) «اساس المجوسية عبادة الاجرام السماوية ، وعبادة الاجرام اقدم الأديان لأن الانسان في حالة نظرته أول ما استوقف نظره الشمس والقمر والنجوم ، فنسب اليها حدوث البرق والرعد والمطر والرياح وسائر الظواهر الجوية لأنه رأى هذه الحوادث تحدث في الجو ولم ير هناك غير الاجرام السماوية فنسب تلك الاعمال اليها فهابها وعظمها ، ثم عبد ما يشبهها وهي النار «الهلال ج الثاني سنة ٤٣ ، ١٩٣٤ م نقلا عن مراحل الهلال عن الجزء الأول والثاني في السنة الخامسة ١٨٩٦ ص ٢٥٥.

(٤٢) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٤١.

(٤٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١.

(٤٤) الاحكام السلطانية ص ١٢٩

(٤٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٥٥.

(٤٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٤/٢٦٧.

ساحر مثلها على هذا الشكل ، ... وكلهم على دينها يعبدون النار ، دون الملك الجبار»[٤٧].

وهي تفضحهم بما وصفتهم له من أوصاف الشيطنة لتسترهم واخفاء حقيقتهم حتى أنها تعكس التشبيه حيث تقول ان العفريت المؤذي عندما يريد أخفاء حقيقته يتزيا بزى الاعجام المدعين للدين كما جاء على لسان العفريت جرجيس من ذرية ابليس عندما أراد معرفة الرجل الذي خانته حبيبته معه إذ تزيا بزي الاعجمي المتدين ، حيث نص على ذلك بقول صاحب الدكان للصعلوك : «في الدكان شخص اعجمي ، يطلبك ، ومعه فأسك ونعلك ، وقد جاء بهما الى الخياطين ، وقال لهم : اني خرجت وقت آذان المؤذن لأجل صلاة الفجر ، فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما ؟ وهاهو قاعد في دكاني فأخرج اليه ، واشكره ، وخذ فأسك ونعلك ، فبينما أنا كذلك ، واذا بأرض محلي قد أنشقت ، وطلع منها الأعجمي ، واذا هو العفريت»[٤٨].

ولا يقف الامر بالليالي عند وصفهم بالشيطنة والكفر والسحر والغدر ، بل تحذر الناس وتخوفهم منهم علانية في حكاية دخول قمر الزمان الى مدينة المجوس يتلقاه خولي مسلم فيقول له : «الحمد لله الذي اتى بك سالما من أهل هذه المدينة ، فأدخل هذا البستان سريعا قبل أن يراك احد من أهلها ... لأن أهل هذه المدينة مجوس»[٤٩].

وقد اعطت الليالي وصفا واضحا للمجوسي المتظاهر بالدين ، مما يذكرنا بالداعية الاسماعيلي ، كما وصفه الأسعد بن قمر الزمان «فلقيه في طريقه رجل ، وهو شيخ كبير طاعن في السن ، وقد نزلت لحيته على صدره ، وافترقت فرقتين ، وبيده عكازة ، وعليه ثياب فاخرة ، وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء ، فلما رآه الأسعد ، تعجب من لبسه وهيأته ، فذهب به الشيخ الى بيته وهو يقول : سبحان من نجاك من أهل هذه المدينة .... حتى دخل دارا واسعة ، وفيها قاعة جالسا فيها اربعون شيخا طاعنون في السن ، وهم مصطفون حلقة وفي وسطهم نار موقدة ، والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ،

---

(٤٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٤.

(٤٨) الف ليلة وليلة ط . بو اوفسيت ١٣ مجلد ١ ص ٣٦.

(٤٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦٧/٢٦٤.

وسجدون لها فلما رأى ذلك الاسعد اقشعر بدنه ولم يعلم ماخبرهم ثم ان الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يا مشايخ النار مابركه من نهار» ثم نادى قائلا ياغضان .فخرج له عبد أسود بوجه أعبس وأنف أفطس ثم أشار الى العبد فشد وثاق الأسعد ثم قال الشيخ انزل به الى القاعة التي تحت الارض واتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فأخذه العبد فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفا واحدا من أول النهار ورغيفا واحدا في أول الليل وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشي ثم أن المشايخ قالوا لبعضهم لما يأتي آوان عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به الى النار

ان هذه الصورة لتثير في أذهان العامة من الخوف والكراهية الشيء الكبير غير المتناهي ولا يمكن درء ذلك خاصة وانهم يذبحون ابناء المسلمين تقربا من النار وان مظهرهم لا يعني حقيقتهم فالحذر واجب منهم فهم قساة غلاظ القلوب وهي كذلك تظهر صدى لمخاوف الناس من البابكية المحمرة[٥١]

بل انه ليمكن ردها الى كون هذا الشيخ كما أشرنا سابقا احد دعاة الاسماعيلية كما يصفها «براون» حيث يقول «والداعية شخصية فارسية تماما بأوصافها واساليبها لم تتغير منذ زمن أبي مسلم الخراساني حتى اليوم وكان الداعي يتظاهر عادة بمهنة معروفة تجارة طبابة كحالة وكانت اولى غاياته أن يأخذ بالباب من حوله ويحملهم على الاعتقاد الراسخ بتقواه وصلاحه وللوصول الى ذلك كان يكثر من الصلاة والصوم ، واعطاء الصدقات حتى يكوّن لنفسه شهرة بالصلاح»[٥٢]

إن هذه الاوصاف وغيرها تعني ان الليالي شاركت في حملة التصدي للهجمة الشعوبية ضد السياسة والثقافة والدين العربي الاسلامي فهي من

---

(٥٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٢٢/١٢١.

(٥١) البابكية المحمرة ، طائفة من الاسماعيلية تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمي ، وكانوا من الباطنية ، وسموا بالمحمرة لانهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في ايام بابك ولبسوها «نقلا عن كتاب الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية عبدالله سلوم السامرائي ص ٠٧ .

(٥٢) المصدر نفسه ص ١٠٧.

خلال تتابع حكاياتها المحذرة من المجوسية والاعجام كما في حوار أم حسن البصري مع ابنها حين دخل عليها مستبشراً حيث علمه رجل سر تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة : «مابالك ياولدي .احذر ان تسمع كلام الناس ، خصوصا الاعجام ، فلا تطاوعهم في شي ؛ فان هؤلاء غشاشون يعلمون صنعة الكيمياء ، وينصبون على الناس ، ويأخذون أموالهم ويأكلونها بالباطل»[٥٣] وهذا مايقرره التاريخ عن الشعوبيين لأن غالبيتهم من «الاعجام وبخاصة الفرس الذين عزّ عليهم زوال ملكهم ، كما عزّ عليهم مارأوه من العرب أيام بني أمية من أنفة وكبرياء ؛ فتحركت في نفوسهم بحكم العصبية الجنسية - هذه النزعة العدائية التي ترمي الى تصغير شأن العرب»[٥٤] والحط من قدرهم .

فالليالي لم تخف على السنة شخوص حكايتها الناطقة بالسنة واضعيها أو جامعيها شيئًا يكمن في قلوب الناس الا واظهرته ، فقد وصفتهم بالغش والخداع والتدين الكاذب والكفر والقتل والفساد والتحذير من صناعة الكيمياء التي حاربها الخلفاء العباسيون[٥٥] فهي تظهر خبث سريرة المجوسي وطباعه ، فلا تردعهم حرمة او ذمة أو عيش أو ملح ، فحسن البصري تصوره للأنسان العربي السليم النية الذي ينخدع بالمجوسي المتظاهر بالصلاح والمعرفة لدرجة انه يغريه بتزويجه من ابنته ، حتى اذا وصل هذا المجوسي الاعجمي الى قلب حسن ، نجد الليالي عندها ، تصور خيانتهم للعيش والملح فالمؤاكلة لدى العربي تعني المشاركة لدرجة تذكره بالخبز والملح ، فقد جاء على لسان حسن البصري : «يا والدي ما هذه الفعال ؟ واين الخبز والملح واليمين التي حلفتها ؟ فنظر اليه الاعجمي ، وقال : ياكلب هل مثلي يعرف خبزاً او ملحاً ؟ وانا قتلت الف صبي ؟ .»[٥٦].

ولا تقف الليالي عند هذا الحد وانما تعرض في تفصيل وفي كثير من المواضع مدى كراهية الاعجام والمجوس للعرب : «وقعت يا علق يا كلب العرب ، في اعوام كثيرة كنت افتش عليك ، حتى حصلتك»[٥٧] والليالي تعلق

---

(٥٣) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٠٣.
(٥٤) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ص ١ .
(٥٥) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥.
(٥٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٠٦.
(٥٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٥.

على هذا الموضوع «فان الاعجمي كان مجوسيا وكان يبغض المسلمين كثيراً وكلما قدر على احد من المسلمين يهلكه وهو خبيث لئيم كيماوي كما قال فيه الشاعر

هو الكلب وابن الكلب والكلب جده ولا خير في كلب تناسل من كلب

وكان اسم ذلك الملعون بهرام المجوسي ، وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحه»[58]

وقد اطلقت الليالي لفظة الزنديق على المجوسي وهم أعداء الله والمسلمين «ياملعون ياعدو الله وعدو المسلمين ياكلب ياغدار ياعابد النار ياسالك طريق الفجار .اتعبد النار والنور وتقسم بالظل والحرور ياكافر يازنديق ؟»[59]

ولكي تثير الليالي الناس ضد الشعوبية المجوسية فهي تظهر المسلمين ابطالا في مواقف تدعو الى العجب فلقد تجلى في الحوار الذي كان بين بهرام المجوسي وحسن البصري انهما في موقف دقيق كل يدافع عن دينه ولكن طريقة المجوسي طريقة مادية تنزع الى الاغراء المالي في حين تظهر ان انقلاب المسلم الى المجوسية يعني أن هذا الأمر مصيبة في الاديان إذ كيف نستبدل الذي هو دون بالذي هو خير ؟ وأن الموت في سبيل الحق هو الشهادة الخالدة فالمجوسي بعد أن أوقدت له النار ليعبدها يخاطب حسنا عسى أن يدخل في دينه «هذه النار صاحبة النور والشرور وهي التي أعبدها فان كنت تعبدها مثلي فانا أعطيك نصف مالي وازوجك بنتي فصاح حسن عليه وقال له ويلك انما انت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وما هذه الا مصيبة في الأديان»[60]

والتحذير من الرجال المجوس عام ولكن الليالي لم تغفل التحذير من المجوسيات لانهن أكثر فاعلية بالنسبة للنساء العاميات في حكاية «مزين بغداد» نقرأ أن امرأة محسنة تقدم لصعلوك فقير مبلغا من المال ليستعين به في

---

(٥٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٦.
(٥٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣١٣.
(٦٠) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٠٧ .

حياته ، ولكن عجوزا فارسية تتحايل عليه باسم الدين لسرقة المال ، فتجره الى بيت فيه جوار حسان ، فينجو بأعجوبة ثم يفكر في الانتقام منها . فيتنكر ويلبس ثياب العجم ، ومن ثم ينتقم منها ، بعد أن كلمها بكلام العجم ، فقد حاربها بمثل ماحاربته[٦١].

وقد بالغت الليالي في تحذير البسطاء من المجوس لدرجة ان جعلتهم من أكلة لحوم البشر ففي الحكاية الرابعة من حكايات السندباد البحري بعد وصولهم الى جزيرة مجهولة بعد غرق سفينتهم حيث استقبلهم قوم متوحشون ، يقدمون طعاما يذهل العقول لكي يزدادوا سمنة ثم يذبحونهم ويقدمونهم لملكهم .... وبعد أن تأملهم السندباد قال : «فاذا هم قوم مجوس ، وملك مدينتهم غول ، وكل من وصل الى بلادهم ... يجيئون به إلى ملكهم ويطعمونه من ذلك الطعام ... حتى يسمن ، ويغلظ فيذبحونه ، ويشوونه ويطعمون به ملكهم ، واما اصحاب الملك فيأكلون من لحم الأنسان بلا شوي ولا طبخ»[٦٢].

فالمجوسي في نظر العامة من خلال حكايات الليالي محتقر ، ويجب تجنبه لان خدعه لا تقتصر عليهم ، بل تتعدى الى الخاصة ، وهم يتوسلون للوصول الى مآربهم بأية وسيلة علمية او دينية او تجارية ، فاذا كان المجوسي صاحب حسن البصري كيماويا ، فان الحكيم الفارسي الذي صنع الفرس الطائر في «حكاية الحكماء اصحاب الطاووس والبوق والفرس» ، «إنما صنع الفرس ، وقدمها للملك الذي أنعم عليه ، فهو لم يكتف باكرام وانعام الملك بل قصد أمرا اخفاه في نفسه ، وهو سرقة زوج ابن الملك الجميلة ، اذ حاورها بعد أن تمكن من سرقتها ، وسرقة فرسه التي قدمها للملك . «فقالت له : ياويلك كيف تخالف مولاك فيما أمرك به ؟ فقال لها : ليس هو مولاي . فهل تعرفين من أنا ؟ فقالت له لا أعرفك الا عما عرفتني به عن نفسك . فقال لها : انما كان اخباري بهذا الخبر حيلة مني عليك ، وعلى ابن الملك ، ولقد كنت متأسفا طول عمري على هذه الفرس التي تحتك ، فأنها صناعتي ، وكان قد استولى عليها ، والآن قد ظفرت بها وبك أيضا ، وقد احرقت قلبه كما احرق قلبي»[٦٣].

فالفرس أو الاعجام المجوس منهم ، إنما يمثلون دائما صورة الشعوبيين

---

(٦١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٠.
(٦٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٠١.
(٦٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٦٢.

لدى العامه الذين لايمكن افهامهم هذه الأخطار بمثل ما بفهمها الواعون من أن خطر الشعوبية يتمثل فيما يسعون الى تحقيقه من قيام دولة لهم او اعادة مجدهم وقد اصاب الحكم في ذلك الدكتورة سهير القلماوي حيث قالت «وكره المجوس يزداد في بعض القصص حتى يصبح اسمهم وصفا لكل جماعة عملها الاضرار بالناس»(×)

ويمتد تحقير الليالي وتحذيرها من المجوس والشعوبية التي يستبطنونها حتى يصل الى متصوفتهم وزهادهم فأنت تحس أن تدينهم وتصوفهم انما هو ضرب من الخبث ففي حكاية «علاءالدين ابي الشامات» نص يهاجمهم يصف شخصا يتمثل في محمود البلخي «وكان مسلما في الظاهر ومجوسيا في الباطن وكان يبغي الفساد ويهوى الاولاد»(٦٤)

وهذا النص يذكرنا بنص آخر في «حكاية الملك عمر النعمان» حيث سخر من تصوف الفرس في خبر مروي عن احد زهادهم «قال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ما شأنكم في بلادكم ؟ فقال شقيق اننا اذا رزقنا أكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ لكننا إذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم فقال انت استاذي»(٦٥)

فالقاص في الليالي ادرك اخطار الشعوبية الفارسية فتمثلها في المجوس واكد عليها وعرف سر خطورتها ومقاومها لأن الشعوبي المجوسي كان قد عرف أيضا أن القوة تكمن في الطبقات الدنيا في المجتمع ولهذا كانت الليالي سهماً موجهاً ضدها بما ترويه عنهم حسبما اقره (هـ ج جب) حيث يقول عن الشعوبي المجوسي الذي كان يعمل على تغذية العداء التام للعرب بين الطبقات الدنيا في العراق وفارس»(٦٦)

وتحاول الليالي رسم خط الشعوبية المجوسية في الدين بأن تجعل بعضهم يثوب الى الحق ويعود الى الطريق السوي والعودة الى الرشاد اذا ما

(×) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٦٠
(٦٤) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٥١
(٦٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٤
(٦٦) دراسات في حضارة الاسلام ص ٩١

وضع امام الحقيقة والقوة وجهاً لوجه ، كما يبدو ذلك في حكاية «قمر الزمان» حيث «ان السلطان احضر المجوسي وامر بضرب عنقه . فقال بهرام : أيها الملك الأعظم ، هل صممت على قتلي ؟ قال : نعم : فقال بهرام : اصبر علّي قليلاً . ثم أطرق برأسه إلى الأرض ، وبعد ذلك رفع رأسه ، وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا باسلامه»[٦٧].

كما فعلت ذلك الليالي في موقف اسلام ابنة بهرام ، ودخولها في الدين الحنيف وتنكرها لعبادة النار .[٦٨].

ولكن لا يفوتنا ان نقول : ان الليالي رغم تكريهها للمجوس ورغم موقفها العنيد ضدهم كدين ، فقد عظمت ملوك فارس ، ووصفتهم بكل قوة وعظمة مما يدل على، أن واضع الليالي كان مدركاً للحقائق ، ومفرقا بين الضار والنافع .

ففي نص في «حكاية اصحاب الطاووس والبوق والفرس» ، يقول ابن الملك الفارسي مترفعا : «لولا أني ارعى ذمامك ، وحرمة ابنتك لسفكت دمك . كيف تنسبني الى الشياطين ، وانا من أولاد الملوك الأكاسرة الذين لو شاءوا أخذوا ملكك ، وزلزلوك عن عزك وسلطانك وسلبوا عنك جميع مافي أوطانك ؟[٦٩].فالليالي وصفتهم برعاية الذمام والحرمات والقوة .

وفي نص آخر تعترف الليالي بفضل ملوك الفرس على العرب البدو كما في حكاية «عجيب وغريب وسهيم الليل» ، حيث حفظت العرب كرامة ابنة الملك الفارسي فأراد الملك تزويج ابنته لمن حفظ شرفها فقال العربي الفقير : «ياملك الزمان . أين العبد من المولى ؟ فقال الملك «الفارسي»: فخر تاج - اسم ابنة الملك - صارت جاريتك لأنك خلصتها من مخالب الغول ، ومالها بعل سواك»[٧٠] الا أنه يجب ان لا ننسى فكرة العداء التقليدي بين العرب والفرس ، «فسابور» ملك الفرس رغم اعترافه بشهامة العرب فهو يريد الانتقام من ملوك العرب كما ان العرب يريدون الانتقام من «سابور» الذي تسبب في قتل الناس وقد جاء على لسان ابن غريب ملك العراق : «يا

---

(٦٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٣٢.
(٦٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣١.
(٦٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٧.
(٧٠) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ٦٦٣ مجلد ٢ ص ١١٨.

مولاي اعلم اني خرجت آخذ ثار ابي وأمي من سابور ملك العجم»[٧١] بل إن الليالي تصور انتقام ملك العرب من ملك الفرس بصلبه هو وولده على باب المدينة لعدم دخولهما في دين الحنفية فأبيا فصلبهما على باب المدينة «ثم أحضر الملك سابور وبخه على ماقاله هو وولده ، وعرض عليه الاسلام ، وفرح أهل المدينة وزينوها والبسوا «مراد شاه ملك العراق العربي التاج الكسروي وجعلوه ملك العجم والترك والديلم»[٧٢]

إن هذه الأخبار والحكايات إنما هي صدى للحروب التي كانت دائرة قبل الأسلام في العراق ، والتي تصدت لها قبائل العراق من بني شيبان وخاصة موقعة (ذي قار) قبل دخول العرب الفاتحين أرض العراق والتي امتدت آثارها الى ما بعد الاسلام صراعا من أجل عروبة العراق حين ظهر المثنى بن حارثة الشيباني[٧٣]

ولم يقتصر ذكر المواقف المضادة على المجوس بل تعدتهم الى اليهود والاتراك كجنس وان كان مظهر هذا التضاد خفيفاً جدا بالنسبة لموقفها من المجوس والاعجام فهي قد وصفت اليهود بالجشع والطمع والمكر والخديعة وممارسة أعمال السحر ولم يظهر لهم موقف سياسي معاكس الا في الذي أشاعوه عن سوء أخلاق المصريين لخبث في نفوسهم حيث يروون عن أبنة حاكم دمشق التي تزوجت من أبن عمها في مصر فلما توفى زوجها عادت الى أهلها فجاءت وقد تعلمت العهر من أولاد مصر

وبالنسبة للاتراك فقد رفضت أن يكونوا في مستوى الحكام فقد جاء على لسان جارية شاءت الظروف ان تنصّب ملكة قولها لأهل مملكتها «لا تحسبوني من اولاد عامة الترك بل أنا من أولاد الأكابر»[٧٥] كما لامتهم عند تدخلهم في قتل المتوكل ، حيث لم يرعوا حرمة الخلافة فروت كيف هجم «عليه ولده المنتصر هو وجماعته من الاتراك ....»[٧٦]

---

(٧١) الف ليلة وليلة ط بو افست ٦٨٠ مجلد ٢ص ١٦٤.
(٧٢) الف ليلة وليلة ط بو افست ٦٨٠ مجلد ٢ ص ١٦٤.
(٧٣) محمد فرج الفتح العربي للعراق وفارس/دار الفكر العربي ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م المطبعة العالمية بالقاهرة ص ٤٥.
(٧٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٠٢.
(٧٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٧.
(٧٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٣٧ ارجع الى موقف الليالي من المتوكل في الفصل الأول ص ١٢٤

القسم الثالث

العروبة في ألف ليلة وليلة

أما الصورة المضادة التي أعطتها للعرب دون الأعراب[٧٧]،فقد ظهرت جلية في تعظيم الأمة العربية التي يعتز بها ابناؤها ، حيث يصف أحدهم ذلك «اعلم يا أمير المؤمنين ، اني من صميم العرب العرباء الذين هم اشرف من تحت الجرباء»[٧٨]،وقد وصفت العرب بالوفاء عكس المجوس واليهود والاتراك الذين وصفوا بالغدر والخيانة وقد روت دليلاً على ذلك موقف الشاب العربي في حكاية «الشريف حسين بن ريان»[٧٩]،الذي قتل شيخا كبيرا قتل له فحل جماله فقدم هذا الشاب الى عمر (رض) ليقتص منه فقضى بقتله ولكنه استمهل عمر ثلاثة أيام ليرتب احوال اخوته الصغار فضمنه الصحابي الجليل ابو ذر (رض) ويعود الشاب مع أنه كان يستطيع الهرب وعندما سئل عن سبب عودته مع امكانه الهرب ؟ قال «اخشى ان يقول الناس ان الوفاء ذهب من العرب»[٨٠].وهذه الحكاية تذكرنا بحكاية حنظلة وموقفه من النعمان في يوم بؤسه ونعيمه صاحب الغربيين[٨١]،وتذكر الليالي للعرب صفة الكرم تلك الصفة اللاصقة لهم ، حتى انها تحكى ثلاث حكايات تتعلق بأشهر ثلاثة من الكرام هم حاتم الطائي ومعن بن زائدة الشيباني[٨٢] وعكرمة الفياض[٨٣]

---

(٧٧) الاعراب هم سكان البادية البعيدون عن الحواضر من ذوي الطباع الخشنة او كما وصفهم القرآن الكريم «الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله» سورة التوبة ٩/آية ٩٧.

(٧٨) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٨٨ والجرباء السماء

(٧٩) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٧ ٢٨٨.

(٨٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٧ ٢٨٨.

(٨١) بناءان بالكوفة قيل ان الذي بناهما هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء حين قتل نديمين له وهو سكران فلما صحا ندم فجعل من يوم مقتلهما يوم بؤس

(٨٢) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٨١ ١٨٢ ١٨٣

(٨٣) المصدر نفسه ط . بو اوفسيت ٦٨٣ مجلد ٢ ص ١٦٨.

وإذا ما افتخرت شخصية من شخوص الحكايات بترفها وغناها ومكانتها نجدها تقول «ان اباك شاه بندر التجار بأرض مصر وهو سلطان أولاد العرب» بل ان المفتخر يقول «الحمد لله الذي جعلني انا ابن سلطان العرب»[٨٤]

وإذا ما تحدثت عن القبائل العربية كالأوس والخزرج فهي تذكرهم بالتعظيم في الحكاية التي دارت حول «عتبة بن الجبان بن المنذر بن الجموح الانصاري وريا بنت الغطريف السلمي عندما طلبها من أبيها للزواج فيها ورده ابوها رداً قبيحاً قالت لأبيها «ان الانصار لا يردون مراداً قبيحاً فأحسن لهم الرد وهم سادات كرام استغفر لهم النبي عليه افضل الصلاة والسلام»[٨٥]

فاذا ما تحدثت عن الهاشميين فبالرغم من وصفهم بالغنى والسعادة والترف الا انها تحفظ لهم شرف نسبهم فهم الاشراف الكرام وهم يمثلون أبناء الاسرتين العباسية والعلوية فعلى لسان المعتضد الذي يخاطب الخراساني «اشريف انت يقصد عباسي او علوي قال لا ياسيدي وإنما أنا من أولاد التجار»[٨٦] او أن تظهر كرمهم المفرط كما في حكاية التاجر الهاشمي الذي يشتري جارية الرجل البغدادي لكنه يعيدها له بمجرد معرفته للحب الذي بينهما ويهب له ولها المال الكثير دون أخذ ثمنها منه[٨٧]

ويمتد افتخار الليالي إلى فتوحات العرب الكبرى كما في عرضها لفتح الأندلس وانتشار العرب والاسلام في تلك البقاع[٨٨]

أما افتخارها وتعظيمها للخلفاء والشخصيات العربية المسلمة فغير خاف[٨٩]، فقد قرنت كل واحد بما يزينه فعمر بن الخطاب في عدالته[٩٠]،

---

(٨٤) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٢٥١ مجلد ١ ص ٢٥١.
(٨٥) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٦٨١ مجلد ٢ ص ١٦٦
(٨٦) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٩٦٠ مجلد ٢ ص ٥٤٤.
(٨٧) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٨٩٩ مجلد ٢ ص ٤٦١.
(٨٨) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٨٣ وكذلك كتاب الف ليلة وليلة د . سهير القلماوي ص ٢٦٢.
(٨٩) ارجع الى فصل الخلافة والرشيد ص ٨٤
(٩٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٨٨.

وعبدالملك في انفته وعدم رضاه عن الحجاج[٩١]، والوليد في فتوحاته[٩٢]، وهشام ابن عبدالملك في عفوه وكرمه[٩٣]، وعمر بن عبدالعزيز في عفته وزهده[٩٤]، والرشيد وقد غلب اسمه على كل خليفة لعروبته وقوته وحربه ضد الشعوبية[٩٥]

والأمين في خوفه على عرضه والمأمون في خرصه ونقده لزواجه من بوران بنت الحسن بن سهل والمتوكل في مقتله حيث تجرأت العنصرية التركية على الخلافة والعروبة والمنتصر في تدينه وندمه على ما فعل بأبيه والمعتضد في علو شأنه وشرف نفسة كما عظمت الولاة من العرب الاقحاح من امثال خالد القسري[٩٦] ومن الفقهاء الامام ابو يوسف وقدرته على الفتوى[٩٧]، والشافعي بمحبة الناس له وانصياعهم لآرائه[٩٨]، وابو حنيفة النعمان في عدم تقلبه وصموده على رأيه[٩٩]

أما بالنسبة للقادة فقد ذكرت اثنين من العرب والمسلمين هما موسى بن نصير عابر الصحراء وفاتح الاندلس[١٠٠]، وطارق بن زياد وهو يدك حصونها ويعاون موسى في فتح اسبانيا «الاندلس»[١٠١]

إن هذه المواقف الدقيقة التي عرضتها الليالي خلال سردها لحكاياتها إنما هي بسبب الموقف المتباين بين الشعوبية والعروبة من جهة وبين الادبين الرسمي والعامي او الجماهيري من جهة اخرى ، خاصة بعد ان ظنت الشعوبية عند انتقال الخلافة الى العباسيين ، انتهاء السلطان العربي وانها أي العجمة ظنت «انها انتصرت على العروبة تحت ستار الاسلام لا باعتباره دينا للعرب بل دينا للأمم»[١٠٢]

---

(٩١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٢
(٩٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٣
(٩٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٥
(٩٤) ارجع الى القسم الخاص به في فصل الخلافة ص ٦٧
(٩٥) ارجع الى القسم الخاص بالرشيد كذلك ص ١٤ د سهير القلماوي في كتابها الف ليلة وليلة ص ٢٦٣.
(٩٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٠٤
(٩٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٣
(٩٨) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٣٠٣
(٩٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٢٥
(١٠٠) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٢
(١٠١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٣ د سهير القلماوي ص ٢٦٢.
(١٠٢) تاريخ الدولة العربية ص ٥٢٨.

وحيث ظهرت أول بادرة ثقافية للشعوبية وضعها ابن المقفع «وهو من الموالي المتعصبين ضد العرب فلجأ الى الأدب الرمزي فترجم كتاب كليلة ودمنة ليصلح حسب رأيه من اعوجاج الخليفة المنصور ، وهو يرجو أن يقرأه الخليفة فيعدل عن غيه وان يقرأه الشعب فيغضب لظلمه»(١٠٣).فيتنبه المنصور لهذا فيقتله بل ان الشعوبية الثقافية بالغت في تعظيم الشخصيات الفارسية مما يدل على وجود قصد جر الناس اليهم ولكن العرب يتنبهون لهذا من ذلك ما نقرأه في وفيات الأعيان «حضر ابو العيناء يوما ، فجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم ، وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم ، وما كانوا عليه من البذل والافضال قد اكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا من تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين»(١٠٤) كذلك نجد شبيها لهذه الحكاية ما نقل عن الملك العادل ابي بكر بن أيوب ، وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم «انما هذا كذب مختلق من الوراقين والمؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والاكابر للسخاء والبذل وتبذير الأموال»(١٠٥)

فاذن هناك صراع ثقافي واضح في الأدب الرسمي بين الشعوبية والعروبة يتجسد في تعصب بديع الزمان(١٠٦) للعرب حيث يقول العرب اوفى واوفر وارق واوقر وأعلى واعلم واحلى واحلم واقوى واقوم وابلى وابلغ واشجى واشجع واعطى واعطف... ولا ينكر ذلك الا وقح وتح»(١٠٧)في حين نجد الأدب الشعوبي لا يستحي من وصف العرب بكل صفة قبيحة كما جاء ذلك على لسان احد وزراء الدولة السامانية محمد بن أحمد الجيهاني ببخاري ممن كان يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة في سب العرب

---

(١٠٣) الشعوبية في الادب العربي ص ٤١١.

(١٠٤) حبيب زيات مجلة المشرق سنة ١٩٤٧ مجلد رقم ٤١ نقلا عن الوفيات طبعة بارس ص ٧٠٨.

(١٠٥) حبيب الزيات ص ١١٣ ، مجلة الشرق سنة ١٩٤٧ ، مجلد رقم ٤١ ص ١١٧ نقلا عن نفح الطيب ج ١ ص ٤٦٤/٤٦٥.

(١٠٦) هو ابو الفضل احمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان واصله من همدان واليها نسب توفي عام ٣٩٨هـ نقلا عن يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٤٢ ، وكذلك الفن ومذاهبه في النثر العربي د شوقي ضيف ص١١١

(١٠٧) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١١٣ نقلا عن رسالة تفضيل العرب على العجم ص ٢٧٩.

وتناول الاعراض : «يأكلون اليرابيع والضباب[١٠٨] والجرذان والحيات ، ويتعاورون ويتساورون ويتهاجون ويتفاحشون ، وكأنهم سلخوا من فضائل البشر ، ولبسوا اهب الخنازير.... ولهذا كان كسرى يسمى ملك العرب «سكان شاه» أي ملك الكلاب[١٠٩].

فاذا كان الجاحظ قد جند نفسه للدفاع عن العرب ، وتوجيه النقد للشعوبية في أول أمرها فان جارالله الزمخشري من أبناء القرن السادس الهجري قال في مقدمة كتابه المفصل «الله احمد ، على أن جعلني من علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية ، وابى لي أن انفرد عن صميمهم ، وامتاز وانضوي الى لفيف الشعوبية وانحاز ، وعصمني من مذهبهم ، الذي لم يجد عليهم الا الرشق بالسنة اللاعنين ، والمشق باسنة الطاعنين»[١١٠].

إذن ليس بعيداً ان تقف الليالي كما رأينا هذا الموقف السياسي والثقافي تجاه عروبتها واسلامها ، فحتى لو كانت مترجمة فقد ذاب الاصل وضاع ، وبقيت اطرها العربية ، لأنها «لم تخرج بصورتها الحالية وانما الفت على مراحل ، واضيف اليها على مر العصور الشيء الكثير وان الجزء المترجم عن الهزار افسان الفهلوية اقل الأجزاء شأناً ، وأصغرها حجماً ، ولأن قصصها تمثل بيئات شتى خيالية وواقعية واكثر البيئات الواقعية بروزاً ، مصر ثم العراق وسورية»[١١١].

ولما كان الأدب ابن بيئته ، فان البيئات الثلاث عربية اصلاً اذن فألف ليلة وليلة عربية الروح ، عربية البيئة ، عربية الهدف . به وصفت بغداد وعرفت ، وعرفت مصر ، ورفعت دمشق ، فهي بارتكازها على الاعمدة التاريخية في حياة الأمة العربية بغداد والقاهرة ودمشق انما أرادت معنى مهماً ذلكم هو واقع الأمة العربية . فمصر كنانة الله في أرضه ، وبغداد دار السلام وحرم الخلافة وحصنّ العرب الشرقي ، ودمشق روح وريحان وعروبة وهذا ما

---

(١٠٨) جمع ضب : دويبه زاحفة كبيرة تعيش في الصحاري .
(١٠٩) الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ٧٩/٧٨.
(١١٠) الزمخشري/جارالله محمود . مقدمة/المفصل .
(١١١) الموسوعة العربية الميسرة : مادة الف ليلة وليلة ص ٢٠٣.

حققته الليالي خلال جغرافية حكاياتها من أن هدفهـا السـياسي هو الوقوف في وجه الثقافة الوافدة والمعارضة للحقيقة ورد طمع الكيد الشـعوبي ضـد الأمة بما روت وحاورت وحذرت وقيمت وافادت تسلية وتوجيها واخـيراً فألف ليلة وليلة كتاب عربي موضوعاً ولغة(١١٢)

(١١٢) د داود سلوم وجماعة مؤلفين روائع الكتب ص ١١٣.

الفصل الثاني

الدين وسياسة تزهيد الحكام والعدالة

القسم الاول   الديـــن

القسم الثاني   الشخصية المحمدية

القسم الثالث   المذهبية والسياسة

القسم الرابع   سياسة التزهيد

القسم الخامس   العدالة والقضاء

القسم السادس   صـور من التشريعـات العـامة والجـديدة ونماذج للمحاكمات العادلة .

القسم الاول

الديـــــن

لما كانت لفظة السياسة لغة تعني ولاية شؤون الرعية ، وتدبير أمورها والاضطلاع بأمرها ونهيها[١]، فقد ارتأينا تطبيق مفهومها كما نص الحديث النبوي الشريف «كان بنو اسرائيل يسوسهم انبياؤهم»[٢]، على ما جاء في الليالي من خط سياسي ديني هادف لأن الدين والسياسة متلازمان في مفهوم الامامة الاسلامية التي هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا[٣]، اذ «أمست العلاقة بين السلطة والنظرية او السياسة والدين لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين»[٤]، وهذا الارتباط الشديد جعل السلطان الحاكم يسترشد برجال الدين كما ذكر عن (الظاهر بيبرس) مثلاً الذي كان منقمعاً تحت كلمة سلطان العلماء (عزالدين بن عبدالسلام)»[٥]، معتمدين على تصورنا في ربط السياسة الدينية والزمنية خلال حياة النبي محمد (ص) اذ «لم يكن يفصل بين الجماعة السياسية والجماعية الدينية لأنه عرف من أول الأمر ان النبي هو الرسول الذي يرسله الله ليكون على رأس قومه»[٦]

وتطبيقاً لمبدأ الأفادة الشامل ، من المقارنة بين ما جاء في الليالي من نصوص تتعلق بالدين بشقيه العبادات والمعاملات من حيث علاقة الأنسان بربه وعلاقته بالناس وما تبع هذين الشقين من تفاسير فقهية ، وتنظيم للاسلام ومقارنته بغيره من الأديان وتكريم الشخصية المحمدية ، وما يدور

---

(١) أدب السياسة في العصر الأموي ص ٦
(٢) لسان العرب مادة سوس واساس البلاغة للزمخشري
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٥٩
(٤) الفرق الغالية في حضارة العرب ص ٣٧ نقلا عن نيكلسون في تاريخ العرب ص ١٩١.
(٥) عصر سلاطين المماليك المجلد السادس ص ٧٣.
(٦) تاريخ الدولة العربية ص ٥.

حول المناظرات والتطبيقات والأوامر والنواهي في محاولة لاظهار وجه العدالة ومحاربة الظلم اذ أن كل ذلك هدف سياسي ديني وآخر دنيوي مما يجعلنا لا نستغرب ظهور الأدب المكشوف والمجون والدعارة بجانب الدين لأن ما يروى في الليالي صدى لواقع المجتمع العربي الاسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وما جاء بعدهما ، حيث نجد أن البويهيين والفاطميين في العراق ومصر فرضوا «الضرائب على المغنيات والراقصات وعلى بيوت الفواحش ولأن الحكومة لم تعد ترى في ممارسة هذا المجون ، ما يوجب حداً او عقاباً بل على العكس كانت تنظر الى الزنا والرقص في المحلات العامة مثلاً نظرها الى اية وسيلة من وسائل الارتزاق كالزراعة والتجارة»[٧]

غير أن أبسط صورة من صور السياسة الدينية التي أعتمدتها الليالي للجمع بين الحياة الدنيا والآخرة الصدق في المعاملة وبراءة ذمة الانسان كما جاء على لسان والي البصرة حيث قال «ان الدنيا لا تغنى عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل ، وكل منا يعرف الحلال من الحرام ، ونخاف من الله تعالى ونتجنب أكل مال اليتيم»[٨]

فاذا كانت السياسة المجردة في مفهومها الاصطلاحي تعني «فن الحكم والرجل السياسي هو الذي يمارس اعمال الادارة المدنية ، وهو ايضاً الحاكم الرسمي الموجه الناصح»[٩]، فان مفهومها تحت ظل الدين الاسلامي يعني طريقة الحكم على دعائم من الشرع اذ كان الاسلام ديناً ودولة[١٠]، وقبل الخوض في غمار الموضوع علينا أن نعرف فكرة عن الدولة ، لحاجتنا الماسة لمثل هذه الفكرة فأن الدولة في «نظر الأسلام ليست الا محاولة لتحقيق الروحانية في بناء المجتمع الأنساني وبهذا المعنى تكون كل دولة ليست مؤسسة على مجرد السيادة والسلطان بل تستهدف تحقيق المبادىء المثالية»[١١]ولأن «الدولة لم تتكون الا لتحقيق نوع من الخير ، ولأنها اذا تأسست

---

(٧) الأدب في ظل بني بويه ص ٢٤٨ نقلا عن البيروني في حكاية عن ملوك الهند الذين كانوا يفرضون مثل هذه الضرائب

(٨) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٩٨٠ مجلد ٢ ص ٥٧٩.

(٩) ادب السياسة في العصر الاموي ص ٧ نقلا عن قاموس اكسفورد كونسيس

(١٠) المصدر نفسه في العصر الاموي ص ٧.

(١١) تقدمية الدعوة الاسلامية ورجعية الطائفية العرقية : مقال في مجلة الكتاب ص ٧٨.

على الخلق الكريم كانت عنايتها موجهة الى الحرص على مصير الوطـن ، ولا وجود لهذا الحرص الا اذا اعتقـد الافراد جميعـا ان هناك واجبات عامة لا تتحقق الا اذا قام كل وطني بنصيبه من الجهد والبذل ، في نزاهة تسود معها المساواة حتى تتحقق الفضيلة السياسية»(١٢)

فالليالي عند سردها للموضـوعات الدينية لم تكن تقصـد السرد التشريعي الفقهي المجـرد ، الا اذا اعتبرناها سـياسة تعليمية ، لمباديء الدين اذ منذ اعترافها «بالخليفة خليفة الله على ارضه لم تكن تقصـد انه مشروع ولكنه حـاكم مدني ليسـت له او لأي هيئة من الهيئات التي تمارس السـيادة والسـلطان الاجتماعي مثل القضـاء والافتاء وهيئة علماء الدين وشـيخ الاسلام الحق في الهيمنة الدينية»(١٣)

ثم لما كانت الليالي جزءاً من التراث الشعبي الذي يسمو بلغته فوق العـامية الدارجـة درجـة او درجتين ، وينحـدر عن القصص الرسمي او الادب الرفيع درجة او درجتين فقد عاشت في الجو الاسلامي المتأثر بما سبقه(١٤)، لابد انها تأثرت بطبيعة هذا الجو وهو تأثير ينقسم الى ثلاثة أقسام

«قسم حمل من هذه المعتقدات الأسلامية والاسرائيلية خاصة ما يتعلق بالعالم الآخر وتكوينه وما حـول العـالم من خيال مما يتصـل بالجـن والشـياطين وقسـم حمل من هذه الديانات بل من الأسـلام والاسرائيلية خـاصة تعـاليم تختص بالخلق الديني والوعظ وهي مصـطبغة بصـبغة دينية قوية وقسم ثالث اختص بالكلام عن الديانات من حيث هي»(١٥)

وسوف نتجنب القسم الأول اذ لا علاقة لنا به إلا بمقدار علاقته بالاتجاه الديني في سياسة التعليم الهادف خـاصة ، او من اجـل دعم لرأي ديني او اجْتهاد فقهي او لاظهار علاقتها بشخصية النبي أيا كان

ثم أن الروح الاسـلامي المسـيطر على الليالي انعكاس لما في نفـوس

---

(١٢)عن نقد لكتاب «علم الدولة» لاحمد وفيق مطبعة النهضة مصر سنة ١٩٣٥ نقلا عن الهلال ج ٥ سنة ٤٣ عام ١٩٣٥م/١٣٥٣هـ ص ٦٣٣.

(١٣) تقدمية الدعوة الاسلامية ورجعية الطائفية العرقية ص ٧٩.

(١٤) ادب السياسة في العصر الاموي ص ٧.

(١٥) د.سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٥٧.

القاص والمستمع والقاريء ودفاعها عنه من حيث هو دين وشعور انما هو خط مقصود لسياسة اسلامية فرضت على الكتاب طابع التوجيه لما فيه من احساس بالدفاع عن صحة المعتقد الاسلامي وتفنيد غيره من المعتقدات وهذا الخط هو ما يعرف بخط السياسة الدينية فهي لا تستطيع ان تقلل من قيمة الدين او من قدسيته خوفاً من الحاكم المسؤول عن رعايته دون أن يكون له حق في تشريع جديد اذ الاسلام هو العرق النابض الذي يسري في الليالي كلما استدعى الكلام ذكراً للدين وكما كان قصص اوربا إبان تحمس أهلها لدينهم حوالي عصر الحروب الصليبية كثيرا ما يصور تنصر غير النصارى وكيفية هذا التنصر فكذلك صور قصص الليالي إسلام غير المسلمين»[١٦] فالاسلام من حيث هو دين يظهر واضحا في سياسة دينية تعليمية تبدأ من الحرف الأول من حروف الأبجدية الدينية خلال حكايات تعليمية على شكل سؤال وجواب وخلال مناظرات تعقد وجلسات يحضرها العلماء والممتحنون كما في مناظرة العلماء (لتودد الجارية) «قال فاخبريني ايتها الجارية عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة ؟ ومن ربك ؟ ومن نبيك ؟ ومن أمامك ؟ وما قبلتك ؟ وما طريقتك ؟ وما منهاجك ؟ قالت الله ربي ومحمد (ص) نبيي والقرآن إمامي والكعبة قبلتي والمؤمنون اخواني والخير طريقي والسنة منهاجي قال احسنت فأخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة؟ قالت اما الفرائض الواجبة فخمس شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلاً واما السنن القائمة فهي اربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن يدنين العمر والأجل وليس يعلم ابن آدم انهن يهدمن الأجل قال احسنت فأخبرني ما شعائر الأيمان ؟ قالت شعائر الايمان الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال احسنت فاخبريني بأي شيء تقومين الى الصلاة ؟ قالت بنية العبودية مقرّة بالربوبية قال كم فرض الله عليك قبل قيامك إلى الصلاة ؟ قالت الطهارة وستر

---

(١٦) د.سهير القلماوي كتاب الف ليله وليلة ص ١٦٩.

العـورة واجتناب الثياب المتنجسـة والوقوف على مكان طـاهر والتوجــه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الاحرام.....»[17]

تلك النصوص نموذج بسيط جـدا حيث تسـتمر المناظـرة في سـؤال وجواب عن كل المعتقـدات والفـروض والسـنن والأحكام الفقهية للعبادات ولا يمكن تصـور أنهـا حشرت حشراً ولا يمكن بعـدها ان تؤيد ما ذهبت اليه د سـهير القلماوي في حكمهـا «ليس من الأنصـاف ان ننتظر ان نجـد في الليالي شـيئاً عن الدين الاسـلامي من حيث هو دين وانما الذي ينتظر ان نجده هو صورة هذا الشـعور الديني في نفـوس أبطال القصص وما أحيط به شعورهم الديني في معتقدات دينية شعبية كمرآة عكست عليهـا نفـوس سكان الدولة التي عاش بها الكتاب»[18]

أو أن نردد ماردده السباعي بيومي لرأي الدكتورة سهير القلماوي دون أن يشير الى نص ما أخـذ حيث قال «ولم يكن للكتاب ـ أي ألف ليلة وليلة عمق في الأديان حتى الاسلام وانما كان شـعبيا يدين القـاص فيه بدين العوام ولهذا نرى فيه ذكر كرامات الأولياء والاسـتشفاء بهـم كالسـيدة نفيسـة في قصـة علاءالدين كما نرى زيارة مشـاهدهم والتبرك بهـم كما في قصة دليلة المحتالة»[19]

اذ أن الدين الاسـلامي حــظي من الليالي بالشيء الكثير اعتماداً على الفقه الشافعي فقد ذكرت فيه أحكام الزكاة والحـج والصـيام تفصـيلاً بعـد تفصيل أحكام الصلاة[20]، بالنسبة للعـامي والمختص او المثقف ، حيث لم يغـادر صـغيرة ولا كبيرة الا احصـاها وذكرها وتعـدت اخبار العُبادات الى آداب الأكل وعقــائد القلب والايمان والموانع والابواب فكانت بذلك موسـوعـه دينية تختص بأحكام العبادات عامة وذكرت خــلالها أحكام القــراءات وأنواع السـور والحـروف والنكات التي تتعلق باعداد الأنبياء وفضــل الآيات وما يثاب عليه الانسان او يعاقب ، واحكام القرآن الكريم وتاريخه

---

(١٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٣٠٦.
(١٨) د.سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ١٥٨.
(١٩) تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي ص ٤٦.
(٢٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٣٠٨ ٣٠٩ ، ٣١٠.
(٢١) المصدر نفسه ج ٣١٠/٢ ، ٣١١.

لدرجة أن كل الأخبار المنقولة عنه تكاد تكون موجودة بصـورة تدل على أن ثم قصداً تربوياً وتعليمياً لظاهرة القرآن الكريم[٢٢]، لدرجة أن الكتاب بعد ان انهـى عرضه لموضوع الدين قال الممتحـن الثاني وهو طبيب فرغنا من علم الأديان فتيقظي لعلم الأبدان»[٢٣].

أما بالنسبة للمعاملات فقـد ذكرت تطبيقـاتها فهـي باشـتراطها صلاحية العدالة في الحاكم والقاضي ، وطبيعـة الفتاوي والتحليل والتحـريم في ذكر المحلل للزواج والصداق والمكاتبة إنما هدفت إلى أن المعاملة تقع فعـلاً لا لتذكر فقهاً مكتوباً ، بل حياة معاشه كما في صفات الحاكم[٢٤] والقاضي[٢٥] أو من حيث التحريم والتحليل[٢٦]، والصداق والزواج[٢٧]

وكذلك مكاتبات العقود والأحكام وما شاكل ذلك

وحيال هذا التناقض الأجتماعي الذي تعـرضت له الأمة الأسـلامية تحت حكم البويهيين في العراق والفاطميين في مصر ابان القرنين الثالث والرابع الهجريين والذي كان من صورة الأغضاء عن الفساد الخلقي ، وهو ما تمثل في فرض الضرائب على بيوت الدعارة والحانات[٢٨]، اضطر القاص الى ان يعـظ ويحـدث ويزهد ، على ان تكون فكرة تزهيده ، وتوجيهـه التوجيه الديني خـلال حكاياته تخويفاً من النهاية الحتمية ، وتذكيراً بالآخرة ، على اساس من هدى الحديث الشريف «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فأن لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الأيمان»[٢٩]

واننا لنلاحظ بالنسـبة للوعظ ، والتوجيه الديني ، اسـتنكار الأم أن يشرب ابنهـا الخمر فهـي تتـول في الليالي لولدها «يا ولدي كيف بعـد الصلاة والعبادة ، صرت تشرب الخمر وتعصى من له الخلق»[٣٠]، او حين يخاطب

---

(٢٢) المصدر نفسه ط بو اوفست الليالي ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ مجلد ١ ص ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣.
(٢٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١٤.
(٢٤) ارجع الى الفصلين الأول والثالث في القسم الخاص بشروط صلاحية الخليفة والصفات الواجبة في الحاكم.
(٢٥) ارجع الى القسم الخامس من هذا الفصل ص ٥٠ ص ١٧٧
(٢٦) الف ليلة ج٢ ص ٢٠٢ حكاية الرشيد وجعفر وابي يوسف.
(٢٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٥ حكاية خديجة بنت الحسن.
(٢٨) الأدب في ظل بني بويه ص ٢٤٨.
(٢٩) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث مادة نكر ج ٦ ابن ماجه ١٥٥.
(٣٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٨٩.

الأب ابنه متهماً أياه بالسفه «ويلك ، هل بلغ بك السفه الى هذا الحد ، حتى تشرب الخمر»[31]؟ لأن الاعتقاد الخفي الكامن في نفسية العوام عدم قدرة الأنسان على التخلي بسهولة عن التدين مهما كانت الدوافع كما قررت ذلك الليالي على لسان السيدة زبيدة تجاه زوجها الرشيد ، عندما قالت جاريتها «تحفة» عن جمال امرأة حسن البصري ان الرشيد لو رآها لخالف الشرع وقتل زوجها وتزوجها «ويلك - يا تحفة - هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال ان أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ، ويخالف الشرع لأجلها»[32]؟ او كما رد الأسير المسلم على النصرانية التي راودته عن نفسه فقال لها «لا اذهب عبادة اثنتي عشرة سنة بشهوة لحظة»[33]

فاذا ما أرتكب المرء خطأ كبيراً ، او خالف التحريم ، صبت عليه الليالي اللعنات بأبشع صورها كما في حكاية عشق الأخ لأخته فهي تصور نهايتها السوداء وقد ماتا «فصارا فحماً اسود وهما متعانقان كأنهما القيا في جب من نار»[34] وقد علقت على الأمر نتيجة لغيرة الخالق ، »فغار عليه وعليها الخالق سبحانه وتعالى واحرقهما ولعذاب الآخرة اشد وابقى»[35]

أما تعظيمها للاسلام واعتقادها الراسخ فيه ، فقد ظهر خلال الليالي على صور متفاوته كتعصب المسلم لدينه تعصباً مطلقاً بحيث يجعله يفضل الموت على التخلي عنه كما جاء في حكاية الشاب مع النصرانية التي طلبت اليه التخلى عن الاسلام والدخول في دينها «معاذ الله ان انسلخ من دين التوحيد وادخل في دين الشرك»[36]

والليالي تؤكد على قوة العزم الديني عندما يتعرض المسلم القوي الايمان للأغواء الجنسي ففي حكاية الشابين اللذين استشهد احدهما وأسر الآخر وقد حاول الآسر تنصير الباقي منهما بأن يتولى ذلك أحد الرهبان عن طريق الأغراء بالجنس على اساس أن العرب تكثر الصبوة الى النساء

(٣١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٨٩.
(٣٢) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٠.
(٣٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٧.
(٣٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١.
(٣٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢.
(٣٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٧.

«ولي بنت لها جمال وكمال فلو رآها لفتن بها»[٣٧] فلما ادخل الفتى عليها واخلى المكان لهما نجد المسلم وقد «اعتصم بالله تعالى وغض بصره ، واشتغل بعبادة ربه وقراءة القرآن»[٣٨]

او كما رأينا في رد حسن البصري على المجوسي الذي حاول تهجمه «ويلك انما انت مجوسي كافر تعبد النار ، دون الملك الجبار وما هذه الا مصيبة في الأديان»[٣٩]

ويحدث العكس عندما يتعرض غير المسلمين لمثل مواقف المسلمين بأن يتخلوا عن دينهم ويدخلوا في الاسلام كما في موقف بهرام المجوسي عندما تعرض للانتقام فانه شهر اسلامه[٤٠] كما حصل ذلك بالنسبة لأبنة الراهب التي حاولوا اغواء الأسير المسلم بها حيث راها بعد امتحانها لقوة ايمانه «ترامت عليه طالبة منه عرض الاسلام عليها لتسلم»[٤١]

وقد تبدو قضية تعظيم الاسلام في فكرة امتداد تاريخ الأسلام بابعد من البعثة النبوية حتى أنها لتجعله امتداداً للحنفية دين ابراهيم (ع) ففي حكاية «عجيب وغريب وسهيم الليل» جعلت الحروب القائمة خلال الحكاية الطويلة من أجل نشر الأسلام في بلدان خيالية ولكن لا بشخصية النبي محمد (ص) بل بشخصية ابراهيم عليه السلام»[٤٢]

ثم ان السلطان الحاكم مهما كان قوياً لا يفرط في المسلم كما في رد الرشيد على ملك (رومة) الذي طلب اليه رد ابنته بعد ان اغراه باعطائه خراج روما وبناء المساجد فيها «كيف ارسلها الى ابيها الكافر وهي مسلمة موحدة فاتحمل أنا ذنبها يوم القيامة ؟»[٤٣]

ويظهر تعظيمها للاسلام كخط ديني مسؤول عنه الحاكم باعتباره ظل الله في الارض وهو مسؤول عن فروضه وسننه إذ أن القاص المسلم

---

(٣٧) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٤٧٥ ص ٦٤٨ مجلد ١
(٣٨) المصدر نفسه ط بو أوفسيت ليلة ٤٧٥ ص ٦٤٨ مجلد ١
(٣٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٧.
(٤٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٢
(٤١) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ليلة ٤٧٥ ص ٦٤٨ مجلد ١
(٤٢) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٧٢٧ ص ١١٠ مجلد ٢ .
(٤٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٨/١٢٩.

متعصب لدينه لا يفرط فيه مما تسبب في تقليل شأن بقية الأديان غير أن هذا الموقف يتفاوت تبعا لمقدار ما يحمله الدين المعترض عليه واتباعه ، من تعصب ضد المسلمين ودينهم وتبعاً لمقدار الأيذاء والعداء الذي يقع على المسلمين ودينهم فطبيعة الأيذاء والاعتداء أو المسامحة ، هو الزمام المتحكم في الموقف السياسي الديني تجاه الملل والنحل

فوقفها من اليهودية يبدو موقفاً ليناً نسبياً ، رغم الكراهية التقليدية بين المسلمين واليهود وسبب ذلك عدم التعصب ضد الرعايا من غير المسلمين ما داموا لا يتسببون في الايذاء والضرر ، وما داموا راضين بحكم الحاكم المسلم مطبقين ما فرض عليهم من دفع للجزية او الخراج ، وكذلك «لتسرب طائفة من اخبار بني اسرائيل ، عن صفات العالم الأخر او من اخبارهم عن الزهاد والصالحين ذكرت على انها عظات لا على إنها معتقدات او ايمان»[٤٤] او لأن مؤلفاً مصرياً «كان يهودياً واسلم قد وضع بعض الحكايات عن اليهود»[٤٥] أو «لتسامح المسلمين في حكمهم لليهود»[٤٦]

ورغم أن الليالي لينة في موقفها العام تجاه اليهود ، في عرضها لأخبار زهادهم وأغنيائهم وأطبائهم وفي عرضها لبعض قصص النبي سليمان (ع) ولكنها وصفتهم بالغدر والمكر والسحر والتعصب لدينهم كما في حكايتها عن المعلم (عذرة) اليهودي[٤٧]، وكذلك في حكايتها عن المعلم التاجر الغني صاحب الحظ ابي السعادات ، مع خليفة الصياد حين قال له «يا قطاعة المسلمين هل تريد أن افارق ديني لأجل سمكتك ، وتفسد على ملتي وعقيدتي التي وجدت عليها ابائي من قبلي ؟»[٤٨]

غير ان هناك موقفاً غريباً تذكره الليالي ، وهو يستحق الانتباه لأنه اشارة سياسية غامضة تدل على ان اليهود على الرغم من عيشهم تحت رعاية وحكم السلطان الاسلامي الا انهم منطوون على أنفسهم ، وعلى حفظ

---

(٤٤) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٦٤.
(٤٥) المصدر نفسه ص ٢٢ ٣١ نقلا عن المستشرق شوفان ويتان
(٤٦) تاريخ القصة والنقد ص ٤٥.
(٤٧) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤٤
(٤٨) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٨٣٢ ص ٣٦٣ مجلد ٢.

أموالهم وكانوا يحلمون بالاستقلال الذاتي منذ العصور الوسطى في حكاية (عذرة) اليهودي نجده يحفظ أمواله وكنوزه ويتخذ مقره الخاص خارج نطاق المملكة ويظهر هذا القصر ما دام هو موجوداً فاذا غاب عنه ورجع الى عمله اخفاه بقوة سحره ، واستعمال اليهودي قصره خارج المملكة دليل على ان سياستهم الدينية اضطرتهم الى ممالأة الجو الذي هم فيه ، على أنهم مستقلون ذاتياً او داخل انفسهم[49]

ان وصفهم بالمكر والخديعة والسحر ، لم يمنع الليالي ان تذكر سلطانهم المالي وجعلهم مقربين للولاة والحكام ، وكأنها تنتقد الحاكم الميال لهم ، طمعاً بما يقدمونه له من الهدايا أو الرشاوي او أي سبب آخر فالسياسي المسلم لم يمنع نفسه من تقربه اليهم رغم قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتوهم منكم فانه منهم»[50].

ومن الأدلة على مكانة اليهودي الغني أبي السعادات وجاهه العريض مخاطبته الصياد المسكين «خليفة» أهلاً بك يا خليفة ما حاجتك ؟ وما الذي تريده ؟ فان كان أحد كلمك او خاصمك فقل لي حتى أروح معك الى الوالي فيأخذ لك حقك منه ؟»[51].

غير أن الاتجاه السياسي نحوهم عامة ، هو محاولة تثبيت فكرة إذلال كل اليهود وتحقيرهم وتقريعهم لأن المال بأيديهم ولهذا فهم محسودون في أكثر من حكاية نجد أن العامة تحاول إحتقارهم ، واذلالهم ، ففي حكاية «خليفة الصياد» نجد محاولة خيالية وهي أن يستبدل حظه التعس بحظ ابي السعادات اليهودي المفرط الغنى ، وذلك بأن يطلب اليه وهو يهديه سمكة كبيرة اصطادها دون أن يأخذ الثمن سوى أن يقول له

«أن يكون حظه هو حظ خليفة الصياد والعكس»[52].

كما نجد نفس الموضوع في (حكاية التاجر مسرور مع زين المواصف) التي ادعت الاسلام ظاهراً لتتخلص من زوجها اليهودي ، وادعت اغتصابها

---

(٤٩) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤٤ حكاية أحمد الدنف

(٥٠) القرآن الكريم سورة المائدة آية ٥١.

(٥١) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٨٣٤ مجلد ٢ ص ٣٦٢.

(٥٢) الف ليلة وليلة ط . اوفست ليلة ٨٣٤ مجلد ٢ ص ٣٦٢.

من قبله لتثير حكم الشرع والناس ضـده كدليل على عمق كراهية اليهود حيث نجد أن رسل القاضي المسلم تعلقوا به و «ضربوه ضرباً شديداً وجردوه وسحبوه على وجهه حتى أتوا به الى القاضي وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من أمرك انك فعلت ما فعلت وابعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت مالهن وتريد أن تجعلهن يهودا»[٥٣]

ان هذا العداء التقليدي بين اليهود والمسلمين متبادل حسب رأي العامة ففي حكاية «الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني» نجد الطبيب اليهودي الذي ظن أنه تسبب في قتل رجل أحدب فلما فكر في التخلص منه قالت له زوجه «وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا فأنا وانت نطلع به الى السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم»[٥٤]، كما وصفتهم بالاغواء واستغلال الناس كالمجوس تقريبا في محاولة البحث عن سر المعادن النفيسة في حكاية «جانشاه» الذي قدم له اليهودي التاجر ألف دينار وجارية على أن يقعد في جوف جلد بغل مذبوح ليختطفه الطير العظيم «الرخ» ليصعد به الى جبل الياقوت والزبرجد ليرمي له منها ما استطاع حتى اذا اكتفى تركه دون أن يدله على طريق العودة إلى الأرض سالماً[٥٥]

وقد تظهر الليالي سياسة البغضاء تجاههم لأنهم كاذبون مرابون فتوافق على دفن اليهودي حيا تخلصاً منه ومن خبثه حتى وأن كان صاحب حق كما في حكاية مسرور التاجر مع زوجه اللعوب «زين المواصف» عندما اسرعت جاريتها على دفن الزوج ، وهو مدهوش ثم سدت عليه باب القبر ورجعت الى سيدتها واعلمتها بهذا الخبر غير انها لم تجعل مثل هذا العمل الا لليهود أنفسهم فجارية زوجه يهودية مثلها وهذا توكيد على قساوة قلوبهم[٥٦]

ومن الاتجاه السياسي نحوهم أن جعلت بِيعَهم على الرغم من أنها دور عبادة ظالمة حتى حجارتها ظالمة فضربت بقساوة قلوبهم الأمثال العامية

---

(٥٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٧٦.

(٥٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٨٥/٨٦.

(٥٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٤٧ ٤٨ ٤٩

(٥٦) المصدر نفسه ط . بو . أوفست ليلة ٨٦٣ مجلد ٢ ص ٤٠٤.

فهي في وصفها (لأبي قير) القاسي القلب ، الذي لا يعرف للصداقة والأخوة معنى ، وصفته الليالي ساخرة ذامة «وكان الصباغ - ابو قير - نصاباً ، كذاباً صاحب شر قوي ، كأنما صدغه منحوت من الجلمود ، مشتق من عتبة كنيسة اليهود ، لا يستحي من عيبةٍ يفعلها بين الناس»[٥٧].

وبالرغم من كل هذا ، وبالرغم من ترديد نكراتهم لدعوة ودين محمد (ص)[٥٨]، كما لم تنس الليالي ان لليهود انبياء ، يعترف بهم المسلمون ، وان فيهم الصالحين الذين يمكن أن تكون سيرتهم قدوة للزاهدين ، فهم «ممجدون كسائر الصالحين ، لا فرق بينهم وبين المسلم في مخافة الله ، والقاص يسميهم بني اسرائيل ، بينما هو يدل عليهم بلفظ اليهود ، وإنما في غير معرض الكلام عن صالحيهم»[٥٩].

وهذه التسمية كما يبدو لنا متأثرة بالروح الأسلامي التي احترمت أنبياء بني اسرائيل وصالحيهم ، حتى أننا لنجد طريقة عرض أخبار النبي سليمان (ع) في نشر رسالته ، إنما هي ترديد لنفس ما جاء في كتب التاريخ والسير الاسلامية ، وبنفس الألفاظ الا في الأسماء مثلا كما لاحظنا في رسائل النبي سليمان الى أحد ملوك البحر الجاحدين بالوحدانية[٦٠].

كما ذكرت بنوع من التقديس ذكرى النبي دانيال وهو مازال ابن اثنتي عشرة سنة ، حيث فرق بين الشهود في موضوع ابراء امرأة أتهمت بالزنى ، فحكم لها بالبراءة[٦١].

فالسياسة الدينية تجاه اليهود خلال سردها لأخبار وحكايات اليهود ، هينة بما هو مضر للناس ، وما هو شائع عن انبيائهم وما قست الليالي عليهم ، الا عندما تكون القسوة واجبة او ارضاء لعواطف العامة التي تردد الأمور ترديداً ببغاوياً نابعا عن اعتقاد قديم بعدم قدرة الانسان على التخلي عندما يجد الانسان نفسه امام قيم اجتماعية ، وهدف سياسي مقصود ، فالمتوكل في سياسته

(٥٧) المصدر نفسه ط . بو أوفست ليلة ٩٣٠ مجلد ٢ ص ٥٠٣.
(٥٨) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٥.
(٥٩) د . سهير القلماوي : كتاب الف ليلة وليلة ص ١٦٣.
(٦٠) ارجع الى القسم الخاص بالملك النبي في الفصل الثالث ص ٢١٦ .
(٦١) الف ليلة وليلة ط . بو . أوفست ليلة ٣٩٤ مجلد ١ ص ٥٧٦.

الغريبة ميز غير المسلمين بميزات الملبس والركوب كما عرفنا ذلك سابقا[٦٢] ولهذا اعطهم الليالي لونا هو اللون الأصفر الذي ما زال لون نجمة داود المسدسة

أما بالنسبة للنصرانية فكان «تعرض الليالي لها على قلته أكثر من تعرضه لليهود وسبب ذلك ما كان من الحروب الصليبية ولعل خوض النصارى هذه الحروب جعلهم في الليالي على العكس من اليهود مكروهين مبغضين»[٦٤]، ولكن يجب أن نتذكر ان صور الكراهية والبغضاء للنصارى لا يتجلى الا في الحروب فاذا ما بدأت الحرب بدأت والنصارى قد شبعوا نقدا وتجريحا»[٦٥] كما في حكاية الملك عمر النعمان وحروب اولاده شركان وضوء المكان[٦٦]، حيث الصفات والطعون القبيحة ضد الفرنجة وفرسانهم وملوكهم لدرجة تظهر لنا مدى الألم الذي سلط على القاص الذي عبّر عن روح الكراهية الشديدة خلال الحروب الصليبية ، وما تبع ذلك من مهاجمة للسواحل المصرية

فبالرغم من وصفها لأحد فرسان الفرنجة المعدودين «لوقا» فقد جمعت الليالي فيه أرذل الأوصاف «كان ذلك الملعون «لوقا» ما في بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا اطعن بالرمح والنزال فكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد له من الليل ظلمته ومن القوس قامته ومن الكفر سميته ولايقف الأمر عند الفرسان من الرجال بل إلى المحاربات من النساء وخاصة إن لم تكن ميالة الى الأسلام فالويل لها فهي «شواهي ذات الدواهي»[٦٨]، على خلاف «مريم الزنارية» بنت ملك روما فهي موصوفة بأشجع وأجمل الأوصاف لكونها آمنت بدين محمد (ص)[٦٩]

---

(٦٢) ارجع الى الفصل الأول الخلافة في القسم الخاص بالمتوكل

(٦٣) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٩.

(٦٤) تاريخ القصة والنقد ص ٤٥.

(٦٥) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٦٥

(٦٦) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٣

(٦٧) المصدر السابق ج ١ ص ٢٣٢ سهير القلماوي ص ١٦٥

(٦٨) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٥

(٦٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٨٩٢ ص ٤٥٢ مجلد ٢ .

إن غلبة الروح الديني على الحكايات المتعلقة بحروب النصارى والمسلمين هي التي أدت الى أن يتعصب القاص لدينه ويبالغ في ذم النصرانية لكون طبيعة الايذاء مرتبطة بذلك الدين فالأسرى مثلا يجب ان يحافظ عليهم في حين يذكر القاص كدليل على جبنهم وخستهم ان النصرانية تبيح لملوكها ذبح مئات الاسرى من أبناء المسلمين تقرباً للمسيح والكنيسة والقصور[70]، ولكونهم ملحدين كافرين إذ «يشركون بالملك العلام ، ويعظمون الصليب ويعبدون الأصنام ، ويعتقدون إلٰهية عيسى وهو مخلوق»[71] في حين لا يفرط الحاكم المسلم بأسير اذا ما أسلم[72]

ثم ان إرتباط فكرة الغزو والجهاد بفكرة محاربة النصرانية ومحاولة فتح القسطنطينية[73]، جعلت السياسة والتوجيه الديني لليالي منصبا على ابراز الأسلام ، وإخفاق وإضعاف موقف المسيحية تجاه دينهم ، وكتبهم مما جعل منهم مثاراً للسخرية ، حتى خارج نطاق الحروب كما رددت ذلك الليالي في احد مواقف اولاد المسلمين في مصر تجاه كنائسهم وسرقة الاطفال لكتب اناجيلهم وبيعها استخفافا[74]

وليت الامر وقف عند هذا الحد بل جعلت منهم سماسرة للسلطان ولكن مقامهم هذا مهما ارتفع فهم في نظر العامة ضعاف يقضون اوقاتهم سكارى وانهم حتى بسكرهم يتصورون الدين والمسيح ، فكأن الليالي قد جعلت من دينهم سخرية فالسمسار المسيحي السكران الذي خرج قال له سكره «ان المسيح قريب فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الأحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحت منه التفاتة ، فوجد واحداً واقفا ، وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل ، فلما رأى الأحدب واقفا اعتقد أنه يريد خطف عمامته »[75]، فالعامة اذاً لاتحترم النصراني ابدا ، وهو مجال سخرية وطعن شديدين والويل للنصراني المقرب من السلطان عندما اتهم بقتل

---

(٧٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ٨٨٥ ، ٨٨٦ مجلد ٢ ص ٤٤٢ ٤٤٣.

(٧١) المصدر نفسه ٨٩٤ ص ٤٥٤ مجلد ٢

(٧٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٧ ج ٢ ص ٢٩٧.

(٧٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٩.

(٧٤) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٩٩١ ص ٥٩٩ مجلد ٢

(٧٥) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ليلة ٢٥ مجلد ١ ص ٧٤.

الأحدب لم يتشفع له أحد ولا اعتبرت وظيفته ومعرفته بالسلطان فالحارس الذي الق القبض عليه قال «كيف يقتل النصراني مسلما ؟. ثم قبض على النصراني وكتفه وجاء به الى بيت الوالي والنصراني يقول في نفسه يامسيح يا عذراء كيف قتلت هذا ؟ وما أسرع مامات (وأمر الوالي السياف أن ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة وأوقفه تحتها وجاء السياف ، ورمى في رقبة النصراني الحبل....)[٧٦]، بل أن ما جاء في حكاية الجارية «زمرد» ما هو أفظع من هذا حيث لم ترحم المسيحي حتى بعد قتله بل تمثل به وتحرقه بعد التمثيل[٧٧]

إن الليالي على الرغم من كل هذا قد صبت لعناتها عليهم فهي في نفس الوقت جعلت الرأفة والرحمة في قلوب المسلمين عند المواقف الانسانية وهم أهل ذمة ففي نفس حكاية (علي شار وزمرد الجارية) نجد أن قلب (علي شار) يرق للرجل النصراني عندما طلب اليه شربة ماء فقال في نفسه «هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فوالله لا أخيبه». الا أنه يخون بصاحب العطف عليه فيسرق زوجه[٧٨]

ولكن يجب أن نعترف ان المسيحيين على الرغم من رهبانية قسسهم يتخلون بسهولة أمام قوة الدين الاسلامي كما جاء ذلك في حكاية «الراهب عبدالمسيح اذ نراه يرتد عن دينه إلى الأسلام مع رهبان ديره ، ويغير اسمه من عبدالمسيح الراهب ، الى عبدالله الراغب[٧٩] وترمز الليالي الى النصارى بلون أزرق[٨٠].

اما موقف الليالي من غير الأديان السماوية ، فموقف قاس جدا خاصة تجاه المجوسية كما رأينا[٨١]

---

(٧٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٢٥ مجلد ١ ص ٧٤.
(٧٧) المصدر نفسه ليلة ٣١٢ مجلد ١ ص ٤٨٩.
(٧٨) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٣١٢ مجلد ١ ص ٤٨٩.
(٧٩) الف ليلة وليلة ج٢ ص ٢٩٨.
(٨٠) المصدر نفسه ط بو أوفست ليلة ٨ ص ٥٣ مجلد ١
(٨١) ارجع الى الفصل الأول من الباب الثاني في القسم الخاص بالشعوبية .

القســم الثاني

الشخصية المحمدية

لما كانت الليالي يسيطر عليها طابع اسلامي فلابد اذن من أن تكون شخصية النبي محمد (ص) معظمة بما تستحقه هذه الشخصية الشريفة المكرمة المطهرة والتي فرضت نفسها لأنها على خلق عظيم ولأن الله جلت قدرته جعل من شخصية النبي الرسول محمد (ص) قدوة حسنة للناس مسلمين وغير مسلمين «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة»(٨٢) وتعظيمها له خلال سردها للحكايات وفي مقدمتها ونهايتها تعني الكثير من مفهوم ترسيخ ذكره في نفس القارىء والمستمع فهي اذا وصفته وصف المحب للحبيب (الصلاة والسلام على إمام حضرته وخيرته من خلقه سيدنا محمد سيد الأنام)(٨٣) وتظهر عظمة النبي (ص) خلال حكاية «حاسب كريم» وبطل الحكاية «بلوقيا» أحد ملوك الاسرائيليين الذين شغفوا بصفات محمد (ص) بأسلوب يثير الأنتباه ويشد القاريء للنص فهي قد أرادت في نفس الوقت طعن اليهود بأنكارهم هذه الشخصية التي أقرتها توراتهم فلما اطلع هذا الملك على اسرار التوراة آمن به وترك ملكه بحثا عن زمن هذا النبي الكريم حيث «اتفق - أي الملك بلوقيا حاكم اليهود في مصر الذي تولى الحكم بعد أبيه في بعض الأيام أنه فتح خزائن أبيه ليتفرج فيها فوجد صندوقا - من الأبنوس ففتحه فوجد فيه صفة محمد (ص) وأنه يبعث آخر الزمان وهو سيد الاولين والآخرين فلما قرأ بلوقيا هذا الكتاب وعرف صفات سيدنا محمد (ص) تعلق قلبه بحبه ثم أن بلوقيا جمع أكابر بني اسرائيل من الكهان والاحبار والرهبان واطلعهم على ذلك الكتاب وقرأه عليهم وقال يا قوم ينبغي أن أخرج ابي من قبره وأحرقه لأنه اخفى عني هذا

---

(٨٢) القرآن الكريم سورة الاحزاب آية ٥١.

(٨٣) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ١٠٠١ مجلد ٢ .

الكتاب -ولم يظهره لي وقد كان استخرجه من التوراة ومن صحف ابراهيم»[٨٤]

هذا السرد البسيط أنما هو ترديد لما وصف به النبي (ص) في القرآن الكريم «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الأنجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً واجراً عظيماً»[٨٥]

وقد استهدفت الليالي من وراء ذلك في تقديسها لشخصية محمد (ص) ان ثبتت صورة الايمان الغيبي على لسان «بلوقيا» «والجن والحيات والملائكة وكل شيء لأن اسمه «مكتوب على الجنة ولولاه ما خلق الله المخلوقات ولم يخلق جميع الموجودات الا من أجل محمد وقرن اسمه باسمه في كل مكان ولأجل هذا نحب محمداً»[٨٦]

إذن فمحبة محمد جزء من محبة الانسان لخالقه ، ولأن الليالي أرادت أن تكون داعية للأسلام فهي تردد «أن كل من يحب محمداً لم تحرقه النار وهو معتوق لأجل محمد (ص) وكل من كان على ملته تهرب منه النار»[٨٧]

والملاحظة التي يجب ادراكها ، ان الليالي في تعظيمها لشخصية النبي (ص) إنما تردد ما جاء من أخبار في قصة المعراج[٨٨]

---

(٨٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٢ ٢٣ حكاية حاسب كريم الدين

(٨٥) القرآن الكريم سورة الفتح ٤٨ آية ٢٩.

(٨٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٣.

(٨٧) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٢.

(٨٨) جاء في كتاب الف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي ص ١٣٥ - تعليقا على قصة بلوقيا ما نصه «وقصة بلوقيا في أكثر الكتب الشعبية التي تقص قصص الأنبياء ، فهي في كتاب العرائس مفصلة وفي كتاب بدائع الزهور موجزة ، ويشير اليها الطبري فيقول لم ير قبر سيدنا سليمان الا عفان وبلوقيا فالقصة اذن كانت معروفة ايام الطبري على الاقل ، وهي مروية في كتاب العرائس على لسان قاص روى عن عبدالله بن سلام اليهودي على كل حال تمثل هذه الثروة اليهودية التي دخلت معتقدات الشعب الاسلامي» والقصة حسب رأي السباعي بيومي في كتابه تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي ص ٤٤ تمثل «شوق اليهود الى بعثة محمد (ص)»

ومحبة النبي محمد (ص) تزداد ظهورا في الحكايات التي تقع فيها المفاضلة بين الأديان كما في حكاية الملك (قمر الزمان) في موقف تعذيب ابنه الأسعد من قبل بنت المجوسي التي أحبت أسيرها عندما تسأله عن شخصية النبي الكريم (ص) فقال لها «سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرة والآيات الطاهرة»[٨٩] او مع ابنة ملك «جنوه» في (حكاية علاءالدين ابي الشامات) التي آمنت به لأنها «قرأت الأنجيل وغيره من الكتب فرأت اسم محمد في الأربعة كتب التوراة والأنجيل والزبور والفرقان، فآمنت بمحمد وأسلمت»[٩٠]

وتعلق القاص بشخصية محمد (ص) يزداد بظهور الأمل والشوق اللذين يراودان المسلم، لحج البيت الحرام وزيارة قبر النبي (ص) كما جاء على لسان عبدالله البحري وهو يخاطب زميله البري «هنيئاً لكم يا أهل البر بزيارة هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم، الذي من زاره استوجب شفاعته يوم العرض على الله»[٩١].

إن هذه الصفات والمحبة والتعلق بشخصية النبي (ص)، وتقديس وتكريم مكانته واقتران اسمه باسم الله تعالى له هدف سياسي مقصود لأن ذلك تمهيد لربط أنساب الخلفاء وقرابتهم بنسبه الطاهر مما يؤيد الخلافة ويدعم موقفها السياسي تجاه رعيتها، فسرور السياف في خطابه لأم حسن البصري وهو يذكر الرشيد ذكره مقترنا بقرابة الرشيد للنبي الكريم (ص) «أن السيدة زبيدة بنت القاسم زوج هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي (ص) تدعوك اليها ....»[٩٢]، او كما جاء على لسان جعفر البرمكي للشاب العماني «هذا أمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين»[٩٣]، او حين يقسم الرشيد «وأنا أقسم بآبائي الطاهرين»[٩٤]

بل الأبعد من هذا ما نجده في خطاب هشام بن عبدالملك بعد أن سمع

---

(٨٩) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٣١.
(٩٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٨.
(٩١) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٣.
(٩٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠.
(٩٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢١٠.
(٩٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٠٨.

اعتذاراً رقيقاً من قبل البدوي الذي أغضبه أول مرة «حيث يقسم في خطابه «وحق قرابتي من رسول الله (ص) لو تلفظ بهذا اللفظ في أول كلامه وطلب ما دون الخلافة لأعطيتها أياه»[٩٥]

---

(٩٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٥.

القسم الثالث

المذهبية والسياسة

على الرغم من أن الليالي سنية على مذهب الشافعي (رض)[٩٦]، إلا أنها لم تتعرض للمذهبية الدينية إلا في موقف سياسي يتعلق بمحاولة إغتيال الرشيد من قبل الروافض الذين «رفضوا أبا بكر وعمر ، ولم يرفضهما احد من أهل الأهواء غيرهم ولهم غلو شديد في عليّ ذهب بعضهم فيه مذهب النصارى في المسيح»[٩٧]

وهذه المحاولة التي تظهر إيمان الروافض بفكرة الأغتيال السياسي إنما هي فكرة الأعتقاد بامكانية التغيير السياسي ، ونقل الخلافة من السلطة العباسية الى الفاطمية كما سنرى من جهة ، ومن جهة أخرى ، أنكرت الليالي على الروافض كونهم من المسلمين في اعتراف الرافضي المتهم امام الرشيد والذي رد عليه بجرأة «انا عدو ، وكنت مضمرا قتلك فقال له الرشيد ما سبب ذلك اما أنت مسلم ؟ فقال لا ، وانما أنا رافضي ، فأمر الخليفة بقتله»[٩٨]

فالصراع المذهبي الذي تطور الى صراع من اجل السلطة ، هو ما ذكرته الليالي بحكايات غير متعمقة ، وإنما هي مجرد اشارات يمكن إدراكها وربطها تاريخيا

في احدى حكايات الليالي تذكر خوف الحاكم من هجوم الروافض على بغداد من أجل امتلاكها مما يضطر الحاكم الى اغلاق أبوابها من مغرب الشمس الى مشرقها حفظا للأمن وحرصا على الكتب العلمية لأن الروافض لو دخلوا المدينة فسيقومون برمي الكتب في دجلة ويمتلكون السلطة[٩٩]

---

(٩٦) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٣٠٧ حكاية تودد الجارية

(٩٧) العقد الفريد ج ١ ص ٣٥٠.

(٩٨) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٧٤.

(٩٩) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٥٤ ، وكذلك د . سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٧١.

بل ان قطاع الطرق الذين كانت الخلافة العباسية تخشاهم وتخشى مهاجمتهم للقوافل التجارية يمكن أن تكون للخلافة الفاطمية في ذلك يد حيث يقرّ بذلك المستشرق (ماسينون) في احدى مقالاته «وكان قطاع الطرق يهاجمون القوافل التي تنقل أموال الصيارف حتى ضج أغنياء اليهود وأصحاب المصارف وكانت بغداد تتهم الفاطميين بأنهم هم الذين يحرضون قطاع الطرق على مهاجمة القوافل ونهب اموالها»[١٠٠]

ولو حاولنا ربط ذلك بالواقع التاريخي فستجد أن الروافض هم الذين انكرتهم الليالي في حين أنها لم تتوسع في ذكر المذهب الشيعي ، رغم كون الليالي يمكن ان تكون غنية بالحكايات عن هذا المذهب ومعتنقيه اذ هو مدعوم سياسيا ايام حكم الفاطميين في مصر والبويهيين في العراق[١٠١] فهي لم تذكر الا حكايتين بسيطتين وكلتاهما عن الحاكم بأمر الله الفاطمي أحداهما تتعلق بالكشف الذي اختص به الامام[١٠٢] خلال (حكاية وردان الجزار) ، والثانية في حكاية تتعلق بكرم الرعية وغناها وتقديرها لأمر الحاكم بأمر الله حيث وجد الحاكم بأمر الله نفسه أمام رجل غني قادر على اطعام الحاكم وعسكره دون اعداد ولا استعداد فيقول الحاكم بامر الله «الحمد لله الذي جعل في رعايانا من وسع الله عليه حتى يطعم الخليفة وعسكره من غير استعداد لهم بل من فاضل طعامه»[١٠٣]

أما الأسباب التي أدت الى عدم توسعها في الحكايات عن المذهب الشيعي أو أخبارهم فهي حسب اعتقادنا

١ التزام الليالي للمذهب الشافعي

٢ ان مصر موطن ألف ليلة وليلة الثاني ، وبعد سقوط الخلافة الفاطمية كانت تخضع خلال العهد الأيوبي الذي كان سبب في «الانبعاث السني في مصر وسوريا في ظل نورالدين وصلاح الدين وخلفائهما وقد

---

(١٠٠) ماسينون مقالة مصارف العصور الوسطى مجلة الهلال ج ٥ سنة ٤٣ سنة ١٩٣٥م ١٣٥٣هر ص ٦١٣.

(١٠١) كتاب محاضرتان عن الف ليلة وليلة ص ٥١ ، كذلك تاريخ القصة والنقد في الادب العربي للسباعي بيومي ص ٤٤

(١٠٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٥٠ د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٧١.

(١٠٣) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ليلة ٣٨٩ مجلد ١ ص ٥٧١.

كانوا يرمون إلى إستئصال التشيع[١٠٤] حسب اعتقاد السلطان العباسي المناهض للتشيع

٣ المحاولات التي قامت بها الدولة الأيوبية في اتهام الشيعة - عامة بأنهم روافض حيث جندت لذلك من يقوم بالتشهير على الفاطميين في أنهم روافض وليسوا شيعة فقد جاء في نص الادفوي في كتاب الطالع السعيد عن ابن دقيق في نهاية الخلافة الفاطمية عام ٦٤٨هـ انه «اتى الى الصعيد في طالع لأهله سعيد ، فتمت عليهم بركاته ، وعمتهم علومه ودعواته وكان مذهب الشيعة فاشياً في ذلك الاقليم فأجرى مذهب السنة على أسلوب حكيم ، وزال الرفض وانجاب ، وثبت فيه الحق حتى لم يبق فيه شك»[١٠٥]

٤ ان موقفها المضاد تجاه بقية الأديان جعلها لا تذكر انقسام الدين الاسلامي الى فرق مذهبية بل ارادته وحدة متكاملة ضد الغزو الأجنبي في الحروب الصليبية وما قاساه المجتمع من طغيانهم وقتل أسراهم كما في حكاياتها تجاه الملك عمر النعمان ، ومريم الزنارية وعلاء الدين ابي الشامات

---

(١٠٤) دراسات في حضارة الاسلام ص ٣٣.

(١٠٥) الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ، ص ٩ نقلا عن مصر في عصر دولة المماليك د سعيد عاشور ص ٢٢.

القسم الرابع

سياسة التزهيد

إن أوضح اتجاه في السياسة الدينية خلال الليالي ، هو فكرة التزهيد في الحياة للملوك والحكام أولاً ، وللرعايا ثانياً ، رغم فكرة المجون التي تجابهنا على صفحاتها مما يجعلنا أمام تناقض غريب الا أن لهذا التناقض سببه كما ذكرنا[١٠٦]، ولشمولية الكتاب لشتى أنواع إتجاهات الحياة حسب اعتقادنا ولكونه تدرج خلال التاريخ ، منذ التفكير المبدئي في وضعه أو ترجماته وحتى جموده على الشكل الأخير بطباعته والموجود بين أيدينا[١٠٧]، حيث تنسحب على الكتاب دفعات من حكايات التزهيد تشد الأنسان الى الدين ، والى الباريء جلّ شأنه منذ السطر الأول من الكتاب إذ هو عبر عن نفسه «وبعد فان سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الأنسان العبر التي لغيره فيعتبر ويطالع حديث الأمم السالفة ، وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين»[١٠٨]، وليست نهاية كل حكاية سوى وعظ وتزهيد وتذكير فهي تردد عبارة ترن في أذن القاريء والسامع ، فكأنها

---

(١٠٦) ارجع الى القسم الأول من هذا الفصل ص ٣٢٣.

(١٠٧) للكتاب طبعات مختلفة أولاها طبعة كلكتا الأولى ، وهي ناقصة حوالي المائتي ليلة طبعها الشيخ الشيرواني تحت رعاية كلية فورت وليام سنة ١٨١٨ ، وثانيتها طبعة برسلو التي قام بها هابشت سنة ١٨٢٤ على اساس نسخة من تونس وثالثتها طبعة كلكتا الثانية على اساس نسخة في الهند من مصر للميجر ما كان سنة ١٨٣٢ الى ١٨٤٢ ، وهي كاملة وهناك طبعات مصرية كاملة أشهرها طبعة بولاق ١٨٣٥م ١٢٥٣هـ معتمدة على نسخة كلكتا ، وطبعة الأب الصالحاني من الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٨ ١٨٩٠ التي اعتمدت على نسخة بولاق ، والتي حذف منها الكثير لأسباب خلقية «نقلا عن هامش كتاب الف ليلة للدكتورة سهير القلماوى ص ٢ ثم ان هناك طبعات بسيطة مقاربة لطبعة بولاق وان كانت تنقصها كثير من الحكايات كطبعة مطبعة محمد على صبيح ميدان الازهر والتي لم يحدد تاريخ طبعها وكذلك طبعة مكتبة المتنبي ببغداد التي صورت نسخة بولاق بالاوفست مقابلة وتصحيح الشيخ محمد قطة العدوى

(١٠٨) مقدمة الف ليلة وليلة ص ٢ ط بولاق المصورة بالاوفست و ص ١ ط محمد على صبيح

ناقوس الانتباه بأن تقول له «حتى اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الأوقات ولا يعتريه شييء من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال»[١٠٩]، فأن غيرت بعض كلماتها جاءت العبارة وهي أشد حزناً وتذكيراً «حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومهدم القصور ، ومعمر القبور أو غيرها وغيرها بعد كل حكاية مهما تضمنت من لغو وعشق وطمع أو سرقة أو تحايل أو تجارة أو سياسة أو حرب وفي هذا أمر يعنيه من رتبها ووزعها أو قسمها على الشكل الذي نراه اليوم فهي اذن اشارة دقيقة وخفية وصرخة زاجرة أيها الأنسان قف فما حدثناك به وما استمتعت به وما استرحت اليه ، سيزول ومصيرك الى الموت لكي لا ينساق الأنسان وراء شهواته وتتابع لذاته وهذا هو نوع من قصد السياسة الزاهدة لأن الزهد ، هو «صرخة السياسة الدينية في ذهن الأئمة الصالحين الذين آمنوا بمثالية الأسلام وبنفس الوقت هي نقد لمن لا يتعظ من الولاة والحكام»[١١٠]

ولو تتبعنا حكاية الزهد والزهاد بل حتى حكايات الفساد لوجدنا أن الأنسان في الليالي يعود اخيرا الى الله ، وان الظالم مهزوم والمظلوم منتصر فهي تنتهي دائما وأخيرا في خلال سرد الحوادث الى الاقتناع إذ يحصل للقارىء لها ما يشبه الزجر عن المعاصي أو التشبه بالصالحين

ولكن هناك أمرا يخص فكرة الزهد في الليالي من أنه ليس تصوفاً منقطعا أو رفضاً رهبانياً للحياة وانما هو زهد من غير قساوة الرياضة الهندية في معاقبة الجسد أو حرمان الروح مما تشتهى وانما هو اعتدال وعدالة في الأخذ بما لا يزداد عن الحد فابن الرشيد مثلا في حكاية زهده لم يكن سوى انسان بسيط آمن بالزهد فترك الملك ، ولكنه لم ينقطع في صومعة أو جبل بل تراه يشتغل ويأخذ الأجر ويأكل ويتصدق وينام ويصحو اعتياديا ولكنه لم يأبه بمظاهر الملك شريطة أنه لم يغفل عن العبادة لأن العبادة الأخلاص في العمل فالشاب الزاهد قال لمن يعمل عنده في

---

(١٠٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ١٠٠١ ص ٦١٩ مجلد ٢.

(١١٠) الادب في موكب الحضاره الاسلامية ص ٣٢٧ .

الطين وهو يوضح شروط عمله «الأجر درهم ودانق واذا أذن المؤذن تتركني حتى أصلي مع الجماعة» فاذا ما حاول الرجل صاحب العمل زيادة أجر هذا العامل المجد في عمله والمخلص له نجد الشاب يرد عليه «لا أريد زيادة على ما كان بيني وبينك»[١١١] وتعني سياسة التزهيد في الليالي عفة النفس عن شييء لا ترتضيه لاعتقادها بحقها في هذا التعفف تقربا الى الله تعالى كما جاء على لسان ابن الرشيد الزاهد متمثلا بالشعر

ما صده عنك بغض لا ولا ملل — لأن قربته من لثم يمناك
وانما أبعدته عنك يا أبتي — نفس لها عفة عن نيل دنياك[١١٢]

ولا يعني الزهد في الليالي الانقطاع في المساجد أو الأديرة بل ممارسة العمل كما في حكاية العابد من بني اسرائيل اذ «كان كل يوم يبيع الغزل ويشتري قطنا وما خرج من الكسب يشتري به طعاما لعياله يأكلونه»[١١٣]، بل انه عندما وجد نفسه يوما بلا شييء اضطره الى بيع حاجات قديمة كاسدة فاشترى بها سمكة كاسدة ولم يكتفف الناس أبدا[١١٤]

ونفس الصورة ذكرت بالنسبة للزاهد بشر الحافي[١١٥] واخواته فهم ليسوا عالة على المجتمع فقد سألت أخت بشر الأمام أحمد بن حنبل رض «يا إمام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك ؟ » فيرد عليها الأمام أحمد «من أنتِ ؟ قالت أخت بشر الحافي فقال يا أهل بشر لا أزال استشف الورع من قلوبكم»[١١٦]

فالزهد في رأي الأمام أحمد ورع في القلب وخوف من الحرام

ولقد حذرت الليالي من فكرة الزهد المفتعل والتدين المظهري

---

(١١١) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ١ مجلد ١ ص ٥٨١

(١١٢) المصدر نفسه ط بو أوفسيت ليلة ١ مجلد ١ ص ٥٨١

(١١٣) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٣٤٨ مجلد ١

(١١٤) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٤٩ مجلد ١

(١١٥) بشر الحافي أحد العلماء الزاهدين المسلمين ايام الأمام أحمد بن حنبل أو بعده المتوفى عام ٢٤١هـ ٨٥٥م ومدفون في مقبرة باب حرب في الجانب الغربي من بغداد نقلا عن دليل خارطة بغداد قديما وحديثا مصطفى جواد د احمد سوسة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م ص ٩٧ ٢٠٨

(١١٦) الف ليلة وليلة ط . بو أوفست ليلة ٨١ ص ١٩٤ .

والانقطاع بحجة التعبد فقد أثبتت رأي بشر الحافي وهو ينهي عن سرائر الشرك فقيل له وما سرائر الشرك قال

«أن يصلي أحدكم فيطيل ركوعه ، وسجوده ، حتى يلحقه الحدث»[117]

فالزاهد لا يطيل وقت عبادته بحيث يؤثر على أعماله الحياتية فالزهد في الليالي زهد بعيد عن التنطع والأنهزامية وأكدت هذه الفكرة بأن روت خبر النبي موسى (ع) وزواجه من احدى ابنتي شعيب (ع) فقد ذكرت الليالي تفسير قول الله تعالى على لسان موسى «قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير» فأن موسى سأل ربه ولم يسأل الناس وبذلك يسر له العمل عند شعيب وانه رفض تقاضي أجر الأحسان حين أراد شعيب إعطاءه أجره على سقيه لغنمه فقال له موسى «أنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة» ولكنه وافق أن يشتغل بعقد لمدة ثماني سنوات وجعل أجره على ذلك زواجه من ابنة شعيب»[118]

وأبعد من هذا ما قاله الزاهد العابد المنقطع (لأنس الوجود) بعد أن حدثه عن عشقه وعفته، فقد قال له محرضاً على العمل ولم يطلب اليه الجلوس معه في غاره «فان من لم يخاطر بنفسه لم يبلغ المقصود»[119]

وزيادة في توكيدها لسياسة الزهد الديني غير المنهزم نراها تذكر حكاية الحداد الذي لا تحرقه النار ولا تؤذيه حيث كان في شبابه يراود فتاة جائعة عن نفسها فلما امتنعت عنه عفة اضربها الجوع حتى كادت أن تموت فوافقته ولكنه ما أن هم بها حتى عفت نفسه خشية لله ، فرزقه الله كرامة عدم احتراقه بالنار وقد سئل عن كرامته علما أنه لم يكن متعبداً طويل التعبد والأجتهاد ولكنه منشغل بعمله وايمانه على حد سواء[120]

فالليالي في سياستها الدينية الزاهدة جعلت من الزهاد الحقيقيين ، من يعملون اعمالهم الدنيوية بكل مظاهرها ثم تجدهم بعيدين عن التنطع كما في

---

(١١٧) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٨١ ص ١٩٤ مجلد ١
(١١٨) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٨٢ ص ١٩٤ مجلد ١
(١١٩) المصدر نفسه ط بو أوفست ليلة ٣٧٥ ص ٥٥٢ مجلد ١
(١٢٠) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٤٧١ مجلد ١ ص ٦٤٠ .

حكاية الملك الذي يحكم بما يرضي الله والناس عنه وهو في مظاهر الملك وابهته حتى اذا انهى مهامه كملك دخل غرفته هو وزوجه متعبدين يعملان الخوص ويأكلان مما يبيعانه سرا ومن عرق جبينه دون أن يعرف سرهما أحد[١٢١]

وويل للمتنطعين في تعبدهم وتزهدهم من سخريات الحكايات وقد اعطت وصايالذات الدواهي التي تمظهرت بزي الزاهدين ولكنها عملت الأضرار وقتلت وقد جاء وصفاً ذلك على لسان وزير الملك عمر النعمان

ومن جلب هذه الأحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه في الأول والآخر لأنني أعرف ان كل متنطع في الدين خبيث ماكر»[١٢٣]

وقد ازدادت سخريتها من الأدعياء في الزهد المتسترين بالمظاهر حينما وصفت دلالة محتالة كانت تتزيا بزي الزاهدين الكاذبين ، «فقامت ضربت على وجهها لثاماً ولبست لباس الفقراء من الصوفية ولبست لباساً نازلاً لكعبها وجبة صوف وتحزمت بمنطقة عريضة وأخذت ابريقاً وملأته لرقبته وطلعت تقول الله الله واللسان ناطق بالتسبيح ، والقلب راكض في ميدان القبيح كما رددت أنه ليس من تزيا بزي الدراويش كان صادقاً إذ ربما يتخذ لغاية التستر مع أن كثرتهم فسقة[١٢٤]

ولا يمكن أن يكون خطها السياسي الديني الزاهد الا كذلك بعد أن أكدت ان الفكرة الأنهزامية للدين فكرة محاربة شرعا ، وأن هجر الدنيا خطأ إذ لا تستقيم آخرة بغير دنيا وقد نصت على ذلك حرفياً «من لم يكن له دنيا فلا آخرة له»[١٢٥]

ولكن الأهم من ذلك قصدها السياسي الى تزهيد الحاكم الظالم والملك المتجبر أو من يخشى منهم التجبر خوفا على الرعية من طغيانهم وجبروتهم ولذلك نراها وقد جندت نفسها بضرب الأمثال ، والاستشهاد

---

(١٢١) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٤٧٤ مجلد ١ ص ٦٤٨
(١٢٢) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ١٠٤ مجلد ١
(١٢٣) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٦٩٩ ص ١٨٧ ١٨٨ مجلد ٢
(١٢٤) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٩٦٣ ص ٥٥٣ مجلد ٢
(١٢٥) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ص ٤٧٣ مجلد ٢ .

بالشعر وابراز المواقف التي تضطر الانسان الى الرجوع الى الله ونبذ الخطأ ظهرياً والركون الى التسامح متخذة وسيلة الوعظ والتذكير المعروفة منذ العصر الأسلامي والأموي كالذي نجده في رسالة الحسن البصري لعمر بن عبدالعزيز حيث قال له «اعلم ياأمير المؤمنين أن الله جعل الأمام العادل قوام كل مائل وقصد كل حائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف»[١٢٦] فأن مثل هذه الرسالة انما هي «صرخة السياسة الدينية في ذهن الأئمة الصالحين الذين آمنوا بمثالية الاسلام وبنفس الوقت هي نقد لمن لا يتعظ من الولاة والحكام»[١٢٧]

ونلاحظ ما يشبه ذلك فيما يعرف بالمواعظ السياسية ، ذلك «الفن الأدبي الذي يقصد ذيوعه والعناية به وهو عبارة عن مجموعات من الحكم والأمثال وأقوال الفلاسفة من الهنود واليونان واللاتين والعرب الذي كتب فيه أبو الوفا مباشر بن فاتك في كتابه (الأمثال) وكذلك كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمد موسى بن يوسف ملك تلمسان ومثل هذا الفن انتشر في اسبانيا على أيام فرناندو الثالث والفونس العاشر»[١٢٨]

والحقيقة أن الليالي عندما قلدت مثل هذا أو قلدها غيرها بطريقة عرض النصوص التي تهدف الى تزهيد الملوك بالذات استهدفت تعزية الشعب عما حرم منه[١٢٩] والى كونها ارادت الروح الديني الحقيقي الملائم لروح العصر لأنها رددت على لسان وزير الملك عمر النعمان وهو يخاطب ضوء المكان عن وصية للنبي محمد (ص) لرجل «أوصيك ان تكون في الدنيا مالكا زاهداً وفي الآخرة مملوكاً طامعاً»[١٣٠]

وتبدىء ذكر الليالي لحكايات تزهيد الملوك في القصص على السنة الحيوان والتي تتعلق بالطيور مما يجعل الملك شهريار العابث بجنس المرأة

---

(١٢٦) العقد الفريد ج ١ ص ٣٤

(١٢٧) الادب في موكب الحضارة العربية ص ٣٢٧

(١٢٨) نقلا بتصرف عن كتاب تاريخ الفكر الاندلسي ص ٥٧٧

(١٢٩) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٩٥ .

(١٣٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٢٣ .

بعد سماعه لتلك الحكايات أن يقول وهو يحس ثقل مظالمه «لقد زهدتني ياشهرزاد في ملكي ونَدمتني على ما فرطت في قتل النساء والبنات»[١٣١]

غير أن الليالي بعد أن ذكرت زهد ابن الرشيد واخبار الخلفاء الزاهدين تتجه نحو الملوك الظالمين الذين يجب ان يرتدعوا فقد افردت لهم حكايات تتضمن عدم الاغترار بالدنيا والوثوق بها[١٣٢]، ففي الحكاية الأولى نجد القاص يضفي على الملك الطاغية صور العجب والفخر والتيه والأبهة والمظاهر التي تقترب من مظاهر الآلهة بل انها تذكر الحوار الهمسي في نفس الملك المغرور «من في العالم مثلي» وطفق يتيه بالعجب والكبر ويظهر الأبهة ويزهو بالخلاء ولا ينظر الى أحد من تيهه وكبره وعجبه وفخره»[١٣٣] وهنا يقابله ملك الموت

كما حصل نفس الشيء بالنسبة لأحد الملوك المترفين الغافلين الذي جمع كل شيء وقال يحاور نفسه «يانفس قد جمعت لك نعم الدنيا بأسرها فالآن تفرغي وكلي مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل»[١٣٤] ثم لا يطول هناؤه بل يدركه الموت

وقد أكدت الليالي على أن الملك أن كان زاهداً هيأت له عناية الله الغنى والقوة والسمعة الحسنة كما في حكاية الملك الزاهد المنقطع في جزيرة فقد جاءه الناس طمعاً بالأمن والغنى والسعادة تحت ظل «الملك العادل الصالح»[١٣٥]

اما الحكاية التي حكمت عليها الدكتورة سهير القلماوي بأنها من قصص الزهد الانشائية فهي حكاية مدينة النحاس[١٣٦] وحكاية أخرى تتعلق بالجن والشياطين المسجونين في قماقم النحاس[١٣٧]، والحكايتان متداخلتان ، وعلى الرغم من أنها وصفتها بأنها انشاء أدبي الا أنها صورة من صور تزهيد

---

(١٣١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٨

(١٣٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٩/٨

(١٣٣) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٨

(١٣٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٩

(١٣٥) المصدر نفسه ج٣ ص ١٧

(١٣٦) د سهير القلماوي كتاب الف ليلة وليلة ص ١٩٥ .

(١٣٧) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٥ .

الملوك ، والتذكير بالموت ، مستعينة بما استشهدت له من شـعر يخلع قلب قارئه ، ويبعده عن الظلم والتعسف ، لانها كتبت على السنة ملوك ظلموا وحكموا حكما أشد من القساوة ، ثم اذا أدركهم الموت ، أو أوشك أن يدركهم ، ندموا على ما فرطوا فيه ، فراحوا يذكرون الحكام بعدهم ليكف الظالم عن ظلمه ، والبخيل عن بخله ، واللاهي عن لهوه والملحد عن الحاده ، وهي ذات أطر درامية ، ممتزجة بجو ملكي ، وهي تربط العبرة بالعبرة ، فهي بعد أن يقرأ المترجم للأمير (موسى بن نصير) نراه يبكي ويبكي ، خاصة إذا ما عرفنا أن الأبيات الشعرية المستشهد بها تؤكد ذلك الموقف الحزين الذي جمع بين الخطأ والتذكر بالعقاب ، واقتراب أو حصول الموت مما يزيد الصور المعطاة عن الزهد أو عن تزهيد الملك في الملك رهبة .

فالأبيات الأولى التي بدأت بها بعد أن اعطتنا وصفا لقصر ملكي ضخم حوى ما حوى ، ولكنه انتهى بأن سكت كل شيىء ورفرف عليه طائر الموت والوحشة والخراب .

قوم تراهم بعد ما صنعوا — يبكي على الملك الذي نزعوا
فالقصر فيه منتهى خبر — عن سادة في الترب قد جمعوا
أبـادهم موت وفرقهم — وضيعوا في الترب ما جمعوا
كأنما حطوا رحالهم — ليستريحوا سرعة رجعوا

ثم تتبع ذلك بوصف الملامح الحزينة على وجه الأمير المعتبر ، فقد بكى الأمير موسى حتى غشى عليه وقال : «لا اله الا الله الحي الباقي بلا زوال ....»[١٣٨]. او أن يقول بعد أن يقرأ غير تلك الابيات وبنفس المعنى : «لقد خلقنا لأمر عظيم» . أو أن تعطي وصفا للمكان «ثم تأملوا القصر ، فاذا هو قد خلى من السكان ، وعدم الأهل والقطان ، دوره موحشات ، وجهاته مقفرات وفي وسطه قبة شاهقة في الهواء ، وحواليها اربعمائة قبر»[١٣٩]، ثم تطالعنا وصية الملك الراحل وهو يقص على الداخل عظمته وقوته وكيف طغى وتجبر ونتيجة كل ذلك : «اما بعد : أيها الواصل الى هذا المكان : اعتبر بما ترى من

---

(١٣٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٥

(١٣٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٦ .

حوادث الزمان» وطوارق الحدثان ولا تغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفتها فانها ملاقة مكارة غدارة أمورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير فهي كأضغاث النائم وحلم الحالم فهذه صفات الدنيا فلا تثق فيها ولا تمل اليها فانها تخون من استند اليها فاني ملكت أربعة آلاف حصان أحمر في دار وتزوجت الف بنت من بنات الملوك ورزقت الف ولد كأنهم الليوث العوابس وعشت من العمر الف سنة منعم البال والأسرار ، وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الاقطار وكان ظني أن النعيم يدوم بلا زوال فلم أشعر حتى نزل بنا هازم اللذات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات وأن سألت عن اسمي فاني كوش بن شداد بن عاد الأكبر

ان تذكروني بعد طول زماني وتقلب الأيام والحدثان
فأنا إبن شداد الذي ملك الورى والارض اجمعها بكل مكان
دانت لي الزمر الصعاب بأسرها والشام من مصر الى عدنان
قد كنت في عزّ اذل ملوكها وتخاف أهل الأرض من سلطاني

وتستمر الحكاية بالتوكيد على أن الزهد في الدنيا هو غاية التوفيق ونهاية التحقيق وهي تدعو الملوك الى ذلك بأن تذكرهم خاصة بعد أن ذكرت بني آدم عامة «اين الملوك الذين عمّروا العراق ، وملكوا الآفاق ؟ «اين من عمروا اصفهان وبلاد خراسان ؟ دعاهم داعي المنايا فاجابوه وناداهم منادي الفناء فلبوه وما منعهم ما بنوا وشيدوا ولا رد عنهم ما جمعوا وعددوا

اين الذين بنوا لذاك وشيدوا غرفا به لم يحكها بنيان
جمعوا العساكر والجيوش مخافة من ذل تقدير الآله فهانوا
أين الأكاسرة المناع حصونهم تركوا البلاد كأنهم ما كانوا»[142]

فالليالي في زحمة تداخل دعواتها الى الزهد إنما هي تذكر وبنفس

---

(١٤٠) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٦
(١٤١) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٣٠
(١٤٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٣١ .

الوقت تهدد وتخوف الملوك وتحذرهم بأسلوب فيه القدرة والردع النفسي

اين الذي عمر البلاد بأسرها سندا وهندا واعتدى وتجبرا
والزنج والحبش استقاد لأمره والنوب لما أن طغى وتكبرا[143]

وأحزن وأزهد من صور التزهيد مع العدل وصية ملكة مدينة النحاس العادلة الطيبة والتي بليت بالقحط فاتوا جميعا

وما كتب على لسانها تذكير للأنسان عامة ، وللحاكم خاصة ، اذ أنها أكدت على الملوك العمالقة الجبابرة لكي يتعظ الجميع وأسلوب هذه الرسالة أسلوب استفهامي يثير تساؤلات قد لا تنتهي ، ولا جواب لها سوى لفظة الموت وهذا هو ما أرادته بالنسبة للخليقة لكي يكونوا على أن كل شيىء فانٍ الا وجهه

«أين الملوك الأكاسرة والقياصرة ؟ أين ملوك الهند والعراق ؟ أين ملوك الآفاق ؟ أين العمالقة أين الجبابرة ؟ خلت منهم الديار ، وقد فارقوا الأوطان اين ملوك العجم والعرب ؟ ماتوا جميعا ، وصاروا رمماً أين السادة ذوو الرتب ؟ قد ماتوا جميعاً أين قارون وهامان ؟ أين شداد بن عاد ؟ أين كنعان وذو الاوتاد ؟ قرضهم قارض الأعمار وأخلى منهم الديار ياهذا أن كنت لا تعرفني فأنا أعرفك بأسمي انا (ترمزين) بنت عمالقة الملوك من الذين عدلوا في البلاد ، وملكت ما لم يملكه احد من الملوك وعدلت في القضية ، وأنصفت بين الرعية ، وأعطيت ووهبت ، وقد عشت زمنا طويلا في سرور وعيش رغيد ، واعتقت الجواري والعبيد ، حتى نزل بي طارق المنايا وحلت بين يدي الرزايا ، وذلك انه توافرت علينا سبع سنين لم ينزل علينا ماء من السماء ، ولا نبت لنا عشب على وجه الأرض فأكلنا ما كان عندنا من القوت ثم عطفنا على المواشي من الدواب فأكلناها ولم يبق شيىء فحينئذ احضرت المال ، واكتلته بمكيال ، وبعثته مع النقاة من الرجال ، فطافوا جميع الأقطار ولم يتركوا مصرا من الأمصار في

---

(١٤٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٣١ .

طلب شيء من القوت ، فلم يجدوه ثم عادوا الينا بالمال بعد طول الغيبة فحينئذ اظهرنا أموالنا وذخائرنا واغلقنا أبواب الحصون التي بمدينتنا وسلمنا لحكم ربنا وفوضنا أمرنا لمالكنا فمتنا جميعا كما ترانا وتركنا ماعمرنا وما ادخرنا فهذا هو الخبر وما بعد العين الا الأثر»(١٤٤)

تلكم صورة من صور تزهيد الساسة والملوك ومحاولة لتذكيرهم بما سينتهي اليه أمرهم فالذكرى الحسنة للأنصاف والعدل خير من ذكرى الظلم والتعسف ويمكن ان نختتم موضوعنا هذا بما قيل عن (الأسكندر ذو القرنين) الذي مر بمدينة يحفر اهلها قبورهم أمام بيوتهم خوفا من أغواء واغراء الدنيا لهم فلما اضطر (الأسكندر) الى الاستعانة بهم على أن يتخذ منهم أحد وزرائه فيقال له «هيهات هيهات مالي رغبة في هذا فقال له اسكندر ولم ذلك ؟ قال لأن الخلق كلهم اعداؤك بسبب المال الذي أعطيته وجميعهم اصدقائي في الحقيقة بسبب القناعة والصعلكة لأنني ليس لي ملك ولا طمع في الدنيا ولا لي اليها طلب ولا فيها أرب وليس لي الا القناعة حسب»(١٤٥)

إن ما ارادته الليالي في ايضاح خطها الديني وفيما روت وعرضت انما هدفه الصرخة الشعبية الصادقة الموجهة الى الحاكم العادل الخائف مما وكل الله اليه من رعاية أمر عباده لأنه مهما كانت سلطته مسؤول امامه باعتباره خليفته في الأرض أو نائبا عن خليفته إن كان واليا أو سلطانا أو قائداً أو قاضياً إذ الخلق عيال الله

(١٤٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٣٥/١٣٦

(١٤٥) ألف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٤٦٤ مجلد ١ ص ٦٣٨ .

القسم الخامس

العدالة والقضاء

- ١ -

ليس للعدالة مفهوم محدد دقيق إذ يتفاوت إدراك الناس لها بما يحقق للانسان الفرد أو المجتمع حقوقه دون الاضرار بحقوق الآخرين

والعدل «هو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيماً هو الملك»[١٤٦] وعلى هذا يصبح السلطان مسؤولا عنه بحكم منصبه ولا يعني العدل في المفهوم الديني الاشتداد بالضرب أو السيف ولكن بقضاء الحق[١٤٧] في تنفيذ الشريعة إذ أنها «سياسة الله في الخلق والملك سياسة الناس للناس على أن الشريعة متى خلت من السياسة كانت ناقصة والسياسة متى عريت من الشريعة كانت ناقصة .»[١٤٨]

والعدل موازنة بين حق الراعي والرعية كل منهما يؤدي للآخر ما عليه تجاه الآخر ، «فاذا أدت الرعية الى الوالى حقه وأدى اليها حقها عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل فصلح بذلك الزمان لأنه «إذا رغبت الملوك عن الرعية رغبت الرعية عن الطاعة

وتشمل العدالة بمفهومها الواسع ، «السياسة والتشريع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية حيث تبدو فكرة العدالة في سيادة الشريعة القانون على الحاكم والمحكوم لأن الشريعة تؤكد على العدل وتنكر الجور وما الحاكم إلا من نصب إماما على الناس ليقوم بمصالحهم من

(١٤٦) مقدمة ابن خلدون ص ٢٨٧

(١٤٧) العقد الفريد ج ١ ص ١٥

(١٤٨) الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٣٣

(١٤٩) تذكرة ابن حمدون ص ٣٩

(١٥٠) زهر الآداب ج ١ ص ١٩٢

(١٥١) مقال الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، ص ٢٤٣ ، عن كتاب دور الأدب في المعركة .

إنصاف المظلوم من الظالم وتنفيذ الاحكام»[152]

وبذلك تعني فكرة العدالة الحقيقية التي يجب أن تحرك كل شيء وأن الجور الذي هو ضد العدالة ان ساد المجتمعات فان عمر السلطان قصير «لأن الله قاصم ظهر كل جبار عنيد ومهلك كل مارد معتد وهو منصف المظلوم من الظالم»[153]

تقترن العدالة بالبيئة الاجتماعية فهي لصيقة بالحاكم والمحكوم بالوزير باعتباره أمام حاكمه وأمام محكوميه بالحاجب في نقله الحقائق أو في حجبها عنه بالقاضي المندوب نيابة عن الحاكم في تنفيذ ووضع العدالة في كفتي الحق دونما رهبة أو خوف حتى ممن أصدر له أمرا للتولية في العبد والسيد في التصرف في كل أمور الحياة حتى يعود شعار العدل والانصاف واجبا والا ضاعت القيم

والعدالة مطمح الجميع ولهذا نجد الليالي في حكايتها قد حوت الكثير عنها عند حديثها عن الملوك والوزراء والسادة والأمراء والقضاة وكل صاحب أمر فقد أقرت مبدأها باعتبار أن العدالة حامية السياسة وأن السياسة مسؤولة عنها «لأن العدل لابد منه في كل الأشياء حتى أن الجواري يحتجن إلى العدل»[154] بل حتى لقطاع الطرق «المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقتسمونه لأختل نظامهم»[155] ولهذا فالليالي في ترديدها لكلمة العدل بالشكل الموسع انما أرادت أن تثبت روحها وتقرها في نفس من يسمع ويقرأ ليطالب بها إن وجد نفسه مظلوما أو ليقوم بها ويردع نفسه عنها إن شعر بظلمه للآخرين وقد رفعت الليالي شعار العدل السياسي في استشهادها بقول شاعر

ان يبغ ذو جهل عليك فخله وارقب زمان الانتقام الباغي
وتجنب الظلم الوخيم فلو بغى جبل على جبل لدك الباغى

---

(١٥٢) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء مخطوطة آثار عراقية رقم ٢٦٧٤/الباب الاول
(١٥٣) الأدب في موكب الحضارة العربية ص ٧٢٣ نقلا عن رسائل اخوان الصفا
(١٥٤) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٢
(١٥٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٢
(١٥٦) المصدر نفسه ط . بو أوفست ليلة ٦٠٧ مجلد ٢ ص ٨٢ .

ثم أن الليالي احتفت بالحاكم العادل ، وسخرت منه إن ابتعد عن العدالة ولم تقف عند هذا الحد بل انها حددت له الحدود ، وأعلنت عن آدابه في حكمه ومن له الحق في اصدار الحكم

وعلى نفس المنهج المتبع في البحث سنحاول رسم الحدود لكل شخصية لها مسؤولية الحكم وعرض طبيعة العقاب كسياسة مقصودة ، مع ذكر الشروط وكيفية الاحتكام مع مقارنتها بما يقاربها من الوقائع والأخبار المروية في الكتب والمراجع المسندة ، بحثا عن سياسة العدالة في كتاب الليالي الزاخر بكل شيىء

- ٢ -

ولما كان «نظام الحكم في الدولة الأسلامية نظاما دينيا ، وهذا يتميز بالمرونة التي تسمح بتشكيل نظام الحكم على النحو الذي يتلاءم مع ظروف الزمان وطبيعة المكان ويعتمد على قواعد كلية أهمها العدل في الحكم حتى تستقيم الأمور بالمساواة ، وتعتبر من سبل تحقيق العدل ، والشورى حتى لا ينفرد الحاكم بالرأي ...»[١٥٧]

فان علاقة الليالي بسياسة العدالة التنبيه والتذكير ، وضرب الأمثال والاستشهاد بالشعر بصورة واضحة وكبيرة كما قلنا فما من ملك محبوب إلا وهو موصوف بالعدل ، وأن «أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلاً وشرهم من كان ملكهم جائراً السكنى مع الأسود الكواسر ، ولا السكنى مع السلطان الجائر»[١٥٨]، بل رفعت شعار «النظر الى وجه الظالم خطيئة ، وان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس»[١٥٩]، فهي بمهاجمتها فكرة الظلم ، إنما تريد العدل ، وتحرض عليه ، وقد أظهرت فكرة التشفي من الحكام الظالمين ، وسخرت منهم كما جاء على لسان الجارية «زمرد» بعد أن انتقمت ممن آذاها ظلما وعدوانا فهي تقول «الحمد لله الذي اراح قلبي

(١٥٧) النظم السياسية تلخيص عن صفحتي ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(١٥٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٤٦
(١٥٩) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢١ .

من الذين آذوني ثم انها شكرت فاطر السموات والأرض وأنشدت

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم وبعد حين كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فاتى عليهم الدهر بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتب على الزمن[١٦٠]

واهتمامها بالعدل وسياسته في المجتمع ، دفعها لأن تنقل أخبار الخلفاء والملوك العادلين واوضحت احكامهم في بعض القضايا كما فعلت في نقل حكاية (الشريف حسين بن ريان)[١٦١] التي وقعت أيام عمر بن الخطاب رضي اشهر الخلفاء العادلين والتي دارت حول مقتل شيخ كبير قتله شاب لكون الشيخ قد قتل فحل جماله فجيء به الى عمر الذي قضى بعدله بعد اعتراف القاتل بفعله فنطق عمر بالحكم «قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص» فيقول الشاب «سمعا وطاعة لما حكم به الإمام ورضيت بما اقتضته شريعة الأسلام»[١٦٢]

ولهذا فهي تقضي ان يكون الحاكم عادلاً لأنه مسؤول عن الرعية علم أم لم يعلم والا فهو مسؤول أمام الله وقد رددت الليالي هذا الرأي على لسان العجوز الجائعة مع اطفالها وقد اعترضت على ابن الخطاب فقال لها «وما يدري عمر بحالهم ؟ قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم ؟[١٦٣]

ثم إنها ربطت عدالة الحاكم بسعادته الدنيوية والأخروية «اذا كان الملك فهما عالما بأبواب الحكمة والأحكام السياسية مع صلاح النية والعدل في الرعية كان حقيقا بالسعادة الدنيوية والاخروية»[١٦٤]

ثم ان صفات العدالة والانصاف مما يزيد الحاكم هيبة واحتراما وتكون ألسنة الخلق هاتفة به شكراً ومدحاً كما جاء على لسان رجل عادي سئل عن ملكه في بلد آخر فقال «اما ملكنا فعادل حسن

---

(١٦٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٣١ ٢٣٢
(١٦١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٨٧
(١٦٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٨
(١٦٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٣
(١٦٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٤٢ .

السيرة محسن لأهل دولته منصف لرعيته»[١٦٥]

بل ان الملوك في بقية الممالك لتهادي الملك العادل ، حتى وان كان بعيدا عنها كما حصل عندما أرسل أحد الملوك للرشيد هدية مع السندباد البحري لكونه موصوفا بالعدل واحواله مرضية[١٦٦]

فاذا ما شرع حاكم ما تشريعا يؤذي الناس ، ضجروا منه فاذا ما رفعه ، فرحوا ، وهذا دليل على صفاء النفس الأنسانية ، وايمانها بالعدالة ففي حكاية تجوال جارية الجوهري كل يوم جمعة في مدينة البصرة ، بعد أن يستقر الناس في بيوتهم وفي المساجد ، حتى تنتهي الجولة مما سبب للناس ضجرا فكانوا يقولون «انه يضيق علينا كل جمعة ، ويحبسنا في الجوامع والبيوت ، حتى يحبس قططنا وكلابنا ....»[١٦٧]،فهم عند اعلانهم غضبهم ، لم يكن منصباً على الجارية بل على تشريع الوالي والوالي نائب الخليفة

والملك العادل يبكي عندما يجد نفسه مقصرا في حق رعيته كما حصل للرشيد عند رؤيته لصبية مقتولة ، فأخذ يرغي ويزيد ، ويهدد الوزير جعفرا باعتباره مسؤولاً عن الرعية معه بحكم منصبه «ياكلب الوزراء اتقتل القتلى في زمني ويرمون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي ؟ والله لابد أن اقتص لهذه الصبية ممن قتلها ، وأقتله وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس ان لم تأتني بالذي قتل هذه لأنصفها منه لأصلبنك على باب قصري ؟[١٦٨]

ولا فرق في العدل بين أمير وفقير ففي أحدى الحكايات نجد أن الحرس الليلي يلقي القبض على أمير يحمل كيساً فيه قتيل فيؤخذ الى الحاكم فلما اعترف بجرمه أمر بقتله بل بالتشهير به قبل القتل ، «وأمر الوالي المنادي ينادي في أزقة المدينة بالفرجة على «بهادر» أمير ياخور الملك»[١٦٩]

وقد أعطت صورا عن العدالة بوصفها أعلى مراتب السياسة عندما

---

(١٦٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٥٠

(١٦٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ١١٦ حكاية السندباد البحري رقم ٦ .

(١٦٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٦٦

(١٦٨) الف ليله وليله ج ١ ص ٦١

(١٦٩) الف ليله وليله ج ٢ ص ١٢٦

حدثنا عن عدالة كسرى أزدشير الثالث من ملوك الفرس بعد أن ملك الأقاليم وقسمها على أربعة أقسام لادارتها . وجعل له من أجل ذلك أربعة خواتم ولكل قسم خاتم الأول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه بالنيابات الثاني خاتم الخراج وجباية الأموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل»(١٧٠)

- ٣ -

ولما كان التقاضي العادل أعلى صور العدالة لحماية الحقوق والشريعة فقد لزم علينا اعطاء اوسع صورة له ارادتها الليالي مدحاً أو نقداً أو تشهيراً لأن «عمل القضاة هو الحكم في الخلافات التي تظهر بين الناس فصلته بالسكان وثيقة وهم ملزمون بتطبيق القواعد المعترف بها بين الناس ومراعاة المباديء التي يؤكد عليها الأسلام»(١٧١)

غير أننا يجب أن ندرك أساسا أنه «لم يكن للقضاء سلطان على السياسة والادارة التي تدخل في صميم واجبات الخليفة ولهذا فقد أصبح القاضي موظفا معينا في الدولة لتنفيذ حسم الخلافات من أجل حماية السياسة والشريعة»(١٧٢)

واذن فتعرض الليالي للقضاة والسخرية منهم لا يعني وظيفة القضاء بل شخص القاضي إذا ما استغلوا وظائفهم وارتشوا مثلاً فقد شددت على اختياره فهي تقول في أدبهم «أنه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغي أيضا أن يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالاً ، وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك ، وتبين رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرع والرجوع الى الحق خير من التمادي

---

(١٧٠) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠١

(١٧١) د صالح أحمد العلي مقاله قضاة بغداد في العصر العباسي ص ١٥٢ مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثامن عشر ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

(١٧٢) قضاة بغداد في العصر العباسي ص ١٥٢ .

على الباطل ثم اعرف الأمثال وافقه المقال وسوِ بين الأخصام في الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا ، وفوض أمرك الى الله عزّ وجلّ واجعل البينة على من ادعى ، فان حضرت بينته أخذت بحقه ، وإلاّ فحلّف المدعي عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدو المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى أمر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي أن يتجنب الألم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فإنّ من خلصت نيته ، واصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس»[١٧٣]

فالليالي بعرضها شروط القاضي وواجباته لم تكن تستهدف شيئا واحدا هو تحقيق العدالة ، وانما تهدف الى المثالية في القضايا النظرية التي تستهدف لها التشريع والعرف السائد في الأمة ، وكذلك التأكد من علم القاضي ومكانته ونفسيته وطبعه وشخصيته فاذا زل او تجاوز حدوده ، وجب عزله وقد ذكرت الليالي الأسباب التي تؤدي إلى عزل القاضي ، ومما جاء فيها «ثلاث إذا كن في قاض كان منعزلاً إذا أكرم اللئام ، وأحسب المحامد ، وكره العزل»[١٧٤] وقد ضربت لنا أمثالاً على اعتماد الحاكم العادل على قاضيه وإلا فهو معزول فقد روت «أن الأسكندر قال لقاضيه أني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك»[١٧٥]

فاذا ما كان مقاله أكبر من مقامه فهو معزول[١٧٦]

فالليالي قد أفادت في الواقع مما كتب عن احكام القضاء لأنه ينتخب بأمر الحاكم فن الأسباب التي نصت عليها كتب الآداب السلطانية قول ابن قتيبة «لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال يكون عالما قبل أن يستعمل مستشيراً لأهل العلم ملقيا للرثع[١٧٧] ، منصفاً للخصم ، محتملاً للائمة»[١٧٨] وهناك شروط أوسع ذكرها

(١٧٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٢٠
(١٧٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٠
(١٧٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٠
(١٧٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٠
(١٧٧) الحرص والمطمع
(١٧٨) عيون الأخبار ج ١ ص ٦ .

الماوردي «لا يجوز أن يقلد القضاء إلا من تكاملت فيه شروطه التي يصح معها تقليده وينفذ بها حكمه وهي سبعة شروط فالشرط الأول أن يكون رجلاً وهذا الشرط يجمع صفتين البلوغ والذكورية الشرط الثاني مجمع على اعتباره الثالث الحرية الرابع الاسلام الخامس العدالة وهي معتبرة في كل ولاية والعدالة أن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم متوقياً المآثم بعيداً عن الريب مأموناً في السمع والبصر السابع أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية»[١٧٩]

ولهذا نجد أن المأمون عند اختياره لأبي حسان الزيادي للقضاء إنما اختاره لتدينه ولعفته ولسمعته ولأن المأمون رأى في المنام أن الرسول (ص) يوصيه به خيراً[١٨٠]

أما سخريتها من القضاة فبسبب شخصياتهم وتصرفاتهم فاذا ارتشى فمعنى ذلك فساد الحكم ونقض العدالة واستهزاء بالشريعة وبالقائم عليها ففي حكاية علاء الدين أبي الشامات وحول مسألة طلاق زوج من زوجها وبعد دخولهم المحكمة تقدم من رفعت الشكوى عليه إلى القاضي وقبل يده «ووضع فيها خمسين ديناراً وقال له يامولانا القاضي في أي مذهب أني أتزوج في العشاء واطلق في الصباح قهراً ؟ فقال القاضي لا يجوز الطلاق بالأجبار في أي مذهب من مذاهب المسلمين»[١٨١]

بل أن الليالي لتصب سخطها على القضاة الطامعين في أموال المسلمين حتى لتعود الشكوى والمطالبة بالحقوق إضاعة للمال لدرجة أنها تطلق عليهم الظلمة ففي حكاية أخرى توضح موقفا يترافع فيه أخوة على مال أبيهم لأكثر من مرة وهم يغرمون المال رشوة وطمعاً حتى قالت عنهم الليالي «وما زالوا في أذيته من ظالم الى ظالم وهم يخسرون ويخسر حتى أطعموا جميع ماهم للظالمين وصار الثلاثة فقراء»[١٨٢]

---

(١٧٩) الأحكام السلطانية ص ٥٤/٥٣

(١٨٠) الف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٣٥٠ مجلد ١ ص ٥٢٨ .

(١٨١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٥٧

(١٨٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٧٨ .

والرشاوي تغير الأحكام في موقف آخر حيث يتهم جـزار بأنه يبيع لحوم الناس فيؤخذ على حين غرة وتثبت عليه الجـريمة ولكن بدلاً من أن يعدم يضرب خمسمائة عصا ويؤخذ ماله «ولولا كثرة ماله لقتلوه»[١٨٣]

ولم تكتف الليالي بذكر الرشـوة في القضـاة والحكام الفـاسدين بل تهكمت منهـم إن أغراهم جمال أو مالوا لصبوة كما في حكاية الجـارية العابثة والتي عبثت بأركان الدولة ابتداء من الملك والوزير والوالي والقاضي حتى جعلتهم في صندوق برفوف فكلما جاء واحد ضرب الباب فتخبره بأنه زوجها فتخفيه وهكذا تجعلهم سخرية للناس لأنهـم تناسـوا مسؤولياتهم واتبعوا غرائزهم الجنسية[١٨٤]

كما أن السخرية تنصب عنيفة على القضـاة لاتهـامهم بالفسـاد ففي مشهد من مشاهد «حكاية العجمي صاحب الجراب والكردى» صرخة اسـتهزاء في قول العجمى المدافع عن جـرابه أمام القـاضي «وفيه الف موسى ماضٍ تحلق دقن القاضي ان لم يخش عقابي ويحكم بأن الجراب جرابي» وعندما يغتاظ القاضي يقـول «ما اراكما إلاّ شـخصين نحسـين أو رجلين زنديقـين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان الملام»[١٨٥]، ولم يسلم من الضحك حـتى في مشيه وهيبته فقد صورت لنا حكاية «أحمد الدنف» سـقوط حجـر في طـاجن من الزيت المغلي فيتطاير هذا الزيت الحـار الذي يقلى به السـمك ويسـقط «الجميع في عب القاضي حتى وصـل الى محـاشمه فقـال القـاضي يا محاشمي

وتتصاعد حملة التشنيع والسخرية بالفـاسدين من القضـاة حـتى تبيح الليالي لنفسها طعنهم في شرف بناتهـم ، فعلى لسـان «مزين بغـداد» حـين يخاطب أحد القضـاة «لا تكن شـيخاً نحسـاً فأنا أعلم الحكاية وسـبب دخوله يعني الفـتى العـاشق لبنت القـاضي - دارك وحقيقـة الأمر كله ابنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنه دخل دارك وأمرت غلمانك فضربوه

(١٨٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٦
(١٨٤) الف ليله وليله ج ٣ ص ١٥٨ وكتاب الف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي ص ٢٣٨
(١٨٥) الف ليله وليله ج ٢ ص ٢٠٠ وكتاب الف ليله وليلة للدكتورة سهير القلماوي ص ٢٣٨ .
(١٨٦) المصدر نفسه ط . بو أوفست ٧٦٥ مجلد ٢ ص ٢٠٨ .

والله ما بيننا وبينك إلاّ الخليفة أو تخرج لنا سيدنا فألتجم القاضي عن الكلام وصار في غاية الخجل من الناس ......»[187]

إن هذه السخرية بصورها المختلفة ليست عديمة الصدى في الواقع التاريخي فهناك صورة رواها ابن الاثير ذهب فيها الى أن أبا العباس بن ابي الشوارب وقد ولى قضاء القضاء ، وضمن أن يؤدي كل سنة مئتي الف درهم في أيام معز الدولة البويهي ولم يسمع بذلك قبله فلم يأذن له الخليفة المطيع[188] بالدخول عليه وأمره الا يحضر الموكب لما ارتكبه من ضمان القضاء»[189]، فالخليفة يرفض ان يكون القضاء اقطاعية تؤجر لأنه مسؤول عنه مسؤولية دينية ودنيوية باعتباره رمز العدل وميزان الله بين خلقه[190]

وقد تسحب الليالي أحكامها في النقد الذاتي على الولاة أو الأمراء الذين يأخذون موقع القاضي في أحيان كثيرة وخاصة فكرة التستر على الجرائم وذلك باستعمالهم لفكرة الشفاعة غير المستحبة لأنها تمثل السكوت على إضاعة حقوق الناس كما نجد ذلك في (حكاية علاء الدين) حين نقرأ أن سارقاً مجرماً قضى الخليفة نفسه عليه بالسجن والقيد مدى الحياة ، ولكن الأمير المسؤول عن العدالة يخضع لمؤثرات زوجه ألتي توسطتها أم المجرم مما يضطر الأمير غير الحازم الى التشفع له لدى الخليفة[191] فالليالي وان عرّضت بهم جميعاً في موافقة السلطان والوالى على الشفاعة لأنها أرادت أن تقول ناقدة نقداً خفياً أن الحاكم خالف أمر الله «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا»[192]

وكل هذا يذكرنا بصورة من صور قواعد أهل الاندلس الذين كانوا يطمحون للعدالة فهم إذا مارأوا تهاون القضاة والولاة بالعدالة أو تدخل السلطان في شؤونها لأجل شخص فهم «يدخلون عليه قصره المشيد ولا يعنون بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم ، وهذا كثير في أخبارهم واما

---

(١٨٧) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٠٨

(١٨٨) المطيع بالله هو أبو القاسم الفضل بن المقتدر ٣٣٤/٣٦٤هـ ٩٤٦/٩٧٤ م

(١٨٩) الكامل ج ٦ ص ٣٦٠ الأدب في ظل بني ص ٣٤

(١٩٠) مقدمة ابن خلدون ص ٢٨٧

(١٩١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٦٦/١٦٧

(١٩٢) القرآن الكريم سورة المائدة ١٥ آية ٣٨ .

الرجم بالحجر للقضاة والولاة والعمال إذا لم يعدلوا فكل يوم»[١٩٣].

غير أن الليالي لم تنس أن الطيبين من القضاة يعتبرون شموعاً للحق ، وأن قلوبهم الرقيقة تدفعهم للطيبة لدرجة أن بعضهم يقدم المساعدة للمتهم ان صحت براءته ، كما في حكاية «معروف الأسكافي» ومعرفته ادعاء وكذب الشكوى عليه ، حيث نجد القاض من أهل الخير يخرج الفلوس للمتهم البرىء[١٩٤]، بل تذكر الليالي خبر امتناع الأمام ابي حنيفة النعمان - رض - عن قبول رسم قضاء للخليفة رهبة من أن يقع في الظلم ، حين قصت الخبر : «قيل لأبي حنيفة أن أمير المؤمنين ابا جعفر المنصور . قد جعلك قاضياً ، ورسم لك بعشرة آلاف درهم ، فما رضى ، فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى اليه فيه بالمال ، صلى الصبح ، ثم تغشى بثوبه ، فلم يتكلم ، ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال ، فلما دخل عليه وخاطبه لم يكلمه . فقال له رسول الخليفة : لولا دخلت اليهم وتحفظت من ودهم ، قال : هل آمن أن الج البحر ولا تبتل ثيابي»[١٩٥].

فاذا إمتنع ابو حنيفة النعمان - رضى - عن رسم القضاء ، فان السياسة ممثلة في شخوص حكامها ، تستفيد من العلماء ، من أبناء الأمة لهذا المنصب ، ولكن شدة التخوف من انسياق القاضي ليكون في ركابها لحمايته في هفواته أو دفع أو تبرير أخطاء قد يرتكبها بغير قصد . كما حصل لأبى يوسف حين أفتى للرشيد ولجعفر ، فوافقت الفتوى هوى في نفس الرشيد ، إذن عليه اكرامه مالاً ، ويعينه قاضياً : «مثلك من يكون قاضياً في زماني»[١٩٦].

ولهذا يكون منصب القضاء مرموقاً في الدولة ، لأن اختيارهم وأن كان بأمر الحاكم ، فهم أحد اركان المملكة او الدولة فهم يحضرون في المناظرات والامتحانات التي تجري أمام الحاكم[١٩٧] وهم يدعون عند تنحى الولاة أو نواب الخليفة[١٩٨].

---

(١٩٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٤/٢٠٥ .

(١٩٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٩٠ .

(١٩٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٢٥ .

(١٩٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٤ . ملاحظة «ربما عين ابو يوسف قاضيا للقضاة لأن هذا المنصب ظهر في زمن الرشيد» د .عبدالعزيز الدوري : العصر العباسي الأول ص ١٧٦ .

(١٩٧) الف ليلة وليلة ط . بو . أوفست ليلة ٦٠ مجلد ١ ص ١٧٣ .

(١٩٨) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٣ .

وللعدالة سوط يؤدب كل خارج على الشريعة والقانون ، يستعمله السلطان في سوس الناس وحفظهم ولهذا فأن في الليالي صوراً شتى عرضتها لتكون عبرة ودروساً ، من أجل الصالح العام أذ يمكن الأفادة منها في التطبيق العملي للتشريعات المنصوص عليها أو العرف السائد

فمن صور العدل السياسي والقضائي التشهير بالمجرم ففي أغلب الحكايات وعندما يتم التصديق على الحكم ، نجد أن الحاكم أو القاضي أو الوالي يأمر بالنداء في شوارع المدينة وأزقتها ، أنه - مثلاً - من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكي ، وزير الخليفة ، وصلب أولاد عمه ، على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج[199]، أو أن ينادى على المجرم مع جعله راكباً على دابة يطاف به في المدينة «خذوه جروّه في المدينة»[200] أو أن يركب جملاً والناس تنادي من حوله في شوارع المدينة «هذا جزاء من يهجم على حريم الناس»[201].

وبعد التشهير القاسي ، يعاقب صلباً ، أو رميا في البحر أو قطعاً للرأس أو ضرباً بالسياط ، وقد تشدد العقوبة حتى تصل الى السلخ وحشو جلد المجرم تبناً ، ثم يحرق لحمه وعظمه وترمي عليه الأوساخ[202]، أو أن يدفن الى نصفه في الأرض ، بعد ضربه ضرباً شنيعاً ، ومن ثم يسلخ ويحرق وتوضع عليه الأقذار[203]. أو أن يوضع في زكيبة من القار المشتعل ثم يرمى في البحر

وهناك ملاحق للعقوبة ، منها أن تصادر أمواله ، ويختم عليها بالشمع الأحمر أو أن يصدر الأمر الى الناس بنهب دار المتهم المجرم ، إذا لم يتمكنوا من القاء القبض عليه[206].

---

(١٩٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦٢
(٢٠٠) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٩٧
(٢٠١) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٢
(٢٠٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٧
(٢٠٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٣١
(٢٠٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٩٧
(٢٠٥) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٢٦٤ مجلد ١ ص ٤٣٥
(٢٠٦) المصدر نفسه ج ١ ص ١٥٨ حكاية غانم بن ايوب .

غير أن هذه الصور ، لا تعني فقدان سلك النظام في الأحكام ، أو أن الأحكام جاءت عفوية ، بل على العكس ، فأن الليالي أكدت ، أن الحاكم لا يقتل من أصدر عليه الحكم من قبل سيافه ، الا أن يستأذنه قبل تنفيذ الحكم ثلاث مرات ، فاذا ما حصلت الموافقة الأخيرة ، نفذ أمر الحاكم ، واستئذان السياف يكون على الشكل التالى «يا أمير المؤمنين هذا عبدك المذل بنفسه السائر إلى رمسه ، هل اضرب عنقه ، وانا برىء من دمه ؟ قال نعم فاستأذن ثانياً فأذِنَ له فأستأذن ثالثاً ...»[٢٠٧].

كذلك لا يتسرع القاضي في تنفيذ الحكم فوراً بل حتى لحظة التنفيذ نجده يحاول إنقاذ المتهم من الجريمة ، وذلك بدرء التهمة في محاكمة الشاب السارق وفي لحظة تنفيذ قطع يده ، نجد القاضي يسأل المتهم «أن هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم ، وسرقت مالهم ، فلعلك سرقت دون النصاب ولعلك شريك القوم ؟»[٢٠٨].

وتأخذ العدالة القضائية في التظلم الشكل التالي ، أن لم يجد المتظلم من يسمع شكواه وخاصة إذا أراد رفع مظلمته للحاكم الأعلى مباشرة فتراه يلبس الملابس المزقة أو الملطخة ثم يضع حبلاً في رقبته ، ويأخذ حزمتين من الحلفاء ثم يقف تحت قصر الحاكم وينادي «يا ملك الزمان مظلوم» ويظل ينادي الى أن يأمر الملك بادخاله[٢٠٩] أو أن ينادي من يحس بالظلم أو يريد الشكوى وهو غير قادر على ايصال رأيه للسلطان الحاكم «يا مسلمين أنا بالله وبالسلطان أنا بالله والوالي انا بالله والأمير» فيحس به جماعة السلطان أو جماعة الوالي أو الأمير ، ويقدمونه للسلطان أو الامير او الوالي[٢١٠] ولا يعامل السجناء بتركهم في سجونهم بل بالأفادة منهم وشغل أوقاتهم بالبناء أو غير ذلك من وسائل التعليم في حكاية (سيف الملوك) نقرأ هذا النص «فصار في السجن ، ولما خرجوا بالاسارى الى اشغال العمارات أخذوه معهم ، وصار يشتغل معهم وكثر عليه الوسخ»[٢١١]

---

(٢٠٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٤

(٢٠٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٥

(٢٠٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٣٤

(٢١٠) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٥

(٢١١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٩٢ .

وفي حالة إشهار الأفلاس أو الاعسار فان الاعلان وحده لا يكفي من جهة المُشهِر للأفلاس أو عن الأعسار فعندما يدعى عليه يرسل القاضي من يكشف عن صحة ما أدعى المدعي عليه فإن لم يصح اعساره وجب سجنه كما في النص التالي «لأجل إذا نزل كشف من طرف القاضي لا يجد شيئاً

كذلك تتخذ العدالة القضائية التي هي جزء من السياسة العامة عندما يحصل شك في سارق ما لا يخشى السلطة فان مقدم الدرك يستأذن الخليفة عند تكليفه البحث عنه ان يطلب إليه بأن يرسل معه اثنين من جماعة الوالي واثنين من جماعة القاضي ليكونوا لجنة تحريات خاصة كما حصل عند سرقة بعض حاجات من قصر الخلافة فان الخليفة تبعاً لسلسلة اللقاءات يستدعي الوزير الذي ينقل الأمر الى المسؤول الأخير وهو مقدم الدرك الذي يطلب الأشخاص الأربعة ليكونوا حماة وشهوداً ثم يزود بأمر تفتيش البيوت[٢١٣]

فالبيوت لها حرماتها ولا تدخل إلا بأمر يتعلق بأمن الدولة

ومن صور العدالة المثالية في الليالي الدعوة إلى التفريق بين الشهود لكي لا يلتبس الحق بالباطل وقد أقرت ذلك الليالي عند حديثها عن عدالة النبي (دانيال) في قضية إتهام المرأة الأسرائيلية الزاهدة بالزنى فقد فرق بين الشهود فاجاب كل واحد منهم برأي تبين من تفريقهما ان الحق مع المتهمة وانهما كاذبان فأقرا بذلك[٢١٤]

---

(٢١٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢١٨

(٢١٣) ألف ليلة وليلة ط بو أوفست ليلة ٢٦٣ مجلد ١ ص ٤٣٥ .

(٢١٤) المصدر نفسه ليلة ٣٩٤ مجلد ١ ص ٥٧٦ .

القسم السادس

صور من التشريعات العامة والجديدة ونماذج للمحاكمات العادلة

- ١

تتميز السياسة عامة بوضع التشريعات الجديدة أو السير على التشريعات المتفق عليها ديناً وعرفاً ، لحماية المجتمع ، غير أن الليالي باعتبارها مجموعة حكايات شعبية عامة عبر العصور اطلقت للقاص خياله في أن يشرع ما شاء أو يقنن ما أراد ، وأن ينقل ما مر به تبعاً لجو الحكاية واضفاء لنوع من الغرابة لتعميق الخيال ، وإثارة القراء بضرب من التشويق

فلو استعرضنا الحكايات بحثاً عما تستهدفه لوجدنا تشريعاتها اسلامية خاضعة للفقه الشافعي[٢١٥]

وإن كانت الليالي تؤكد دائماً وجود أربعة قضاة على أساس المذاهب السنية الأربعة كما نرى ذلك في (حكاية الوزيرين التي ذكر فيها أنيس الجلس) ، وحكاية (معروف الاسكافي) وكذلك (حكاية تودد الجارية) فقد أقرت على طريقتها التعليمية أن عقوبة السرقة للنصاب الكامل مثلاً قطع اليد[٢١٦]، وقد تستبدل العقوبة بالسجن المؤبد[٢١٧] وينص تشريعها «كل من فتح ضبة بغير مفتاح يكون مجرماً وعلى الوالى تأديبه»[٢١٨] اما بقية الأحكام فمعروفة كما في حكم السرقة حسب الحدود الشرعية كقتل القاتل بغير سبب ، والسجن والاشغال لمن ثبت عليه جريمة ما ، مهما كان نوعها عدا التي أقرتها الحدود وكذلك عقوبة التزوير فاشدها عقوبة الموت إن كانت في كتب الخليفة[٢١٩]

---

(٢١٥) أحمد حسن الزيات محاضرتان عن تاريخ الف ليلة وليلة ص ٣٥ كذلك كتاب الف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي ص ١٧١ الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٣٠٧

(٢١٦) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٤ ٢٠٥

(٢١٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٦/١٦٧

(٢١٨) المصدر نفسه ط بو أوفست ليلة ٧١١ مجلد ٢ ص ٢٠٣

(٢١٩) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٠٢ الحكاية الرابعة لرحلات السندباد البحري .

أما التشريعات الغريبة غير المعروفة شرعاً ، ولا عرفاً لدى المجتمعات الأسلامية أو العربية فهي محض خيال قد يكون سقيماً ، وقد يكون نافعاً غير أن سياق الحكاية دفع القاص لمثل هذا اللون من التشريعات أو العقوبات أو الأعراف

وأغرب هذه التشريعات أنه «إذ مات الرجل تدفن زوجه بالحياة وإذا ماتت المرأة تدفن مع زوجها بالحياة حتى لا يفرق بينهما في الحياة ولا في المات»[٢٢٠]

وفي هذا التشريع نوع من القساوة مع العدالة لحماية الزواج والأخلاص لكل منهما وأنه مشاركة مقدسة لا يفلها الموت

ومن غرائب التشريعات النفي والقتل للزانى وهذا خاص بالممالك البحرية فإنه «إذا زنى بعضهم ببعض فان الذي يثبت عليه الأمر إن كان انثى ينفونها إلى مدينة للبنات فأن كانت حاملاً من الزنى فانهم يتركونها الى ان تلد فان ولدت بنتاً ينفونها معها وتسمى زانية بنت زانية ولا تزال بنتاً حتى تموت وإن كان المولود ذكراً فانهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله»[٢٢١]

فقساوة العقاب بالنسبة للزانية هي حرمانها من جنس الرجال والحكم عليها بالعيش مع بنات مثلها يعني الموت وكذلك انطباق حكم النفي على المولودة وان كان قاسياً لأنها لم تكن المسؤولة غير أنه حكم يردع المرأة من الاندفاع وراء شهواتها لأنها ستتسبب في حرمان مولود من الحياة الأعتيادية أما بالنسبة لقتل الذكر فلأنهم لا يريدون أن يكون في المجموعة الأنسانية ابن حرام وهذا التشريع رغم قساوته عموماً يعد دفاعا عن العائلة وعن اختلاط الأنساب

ومن عجائب التشريعات أن يبعد الرجل عن الأدارة السياسية والادارية والديوانية «فالملكة والوزراء والأمراء والقادة وكل أرباب الدولة كلهم من النساء أما الرجال فهم يحرثون ويزرعون ويحصدون

---

(٢٢٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٢٠٥ حكاية عبدالله البحري والبري
(٢٢١) نفس المصدر السابق .

ويشتغلون بعمارة الأرض أو عمارة البلاد ومصالح الناس في سائر الصناعات»[٢٢٢]

وهذا التشريع ردة وانتقام من شخصية الرجل الذي ظل قاسيا على المرأة ، فحاولت الحكاية عدم قتل هذا الجنس لحاجة المرأة اليه ولهذا فأول من تخرج على هذا التشريع الملكة[٢٢٣].

- ٢ -

ومن نماذج المحاكمات العادلة أن شاباً قتل شيخاً بسبب قتل الشيخ لفحل جمال الشاب فتعلق أهل القتيل به وقدم الى عمر بن الخطاب (رضي) وقد وقف الجميع امام الخليفة العادل

والحوار الذي نورده في هذا السياق منقول حرفيا من الليالي

«قال عمر باعتباره حاكما وما قصتكما معه» ؟

قال الشابان نحن اخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير ، معظم في القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل فخرج يوما الى حديقة له ليتنزه في أشجارها ويقطف يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أمرك الله

قال «عمر وقد نظر الى الشاب نظرة مرهبة» قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول في الجواب ؟

قال الشاب «والله يا أمير المؤمنين لقد وعيت ما ادعوا وصدقا فيما قالاه حيث اخبرا بما جرى وكان امر الله قدراً مقدوراً ولكن سأذكر قصتي بين يديك والأمر فيها اليك اعلم يا أمير المؤمنين اني من صميم العرب العرباء الذين هم أشرف من تحت الجرباء نشأت في منازل البادية فأصابت قومي سود السنين العادية فأقبلت الى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد وسلكت بعض طرائقها الى المسير بين

---

(٢٢٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٥٤
(٢٢٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٥٤
(٢٢٤) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٨٧ .

حدائقها بنياق كريمة لدى عزيزات عليّ بينهن فحل كريم الأصل كثير النسل فعدت بعض النياق الى حديقة أبيهم ، وقد ظهر من الحائط اشجارها ، فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة ، وإذا بشيخ الحائط وزفير غيظه يرمي الشرر وفي يده اليمنى حجر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله فلما رأيت الفحل سقط بجانبي آنست أن قلبي قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته فكان سبباً لحينه والمرء مقتول بما قتل

قال عمر قد اعترفت بما اقترفت ، وتعذر الخلاص ، ووجب القصاص ولات حين مناص

قال الشاب سمعاً وطاعة لما حكم به الأمام ، ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام ولكن لى أخ صغير كان له أب كبير قد خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم أمره الي وأشهد الله عليّ ، وقال هذا لأخيك عندك فاحفظه جهدك فأخذت ذلك المال ودفنته ، ولا أحد يعلم به الا أنا فان حكمت الآن بقتلي ، ذهب المال ، وكنت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه ، وان انظرتني ثلاثة أيام اقمت من يتولى أمر الغلام وعدت واختار لي من يضمنني

قال عمر بعد أن اطرق رأسه من يقوم بضمانه والعود الى مكانه ؟

قال الشاب (بعد أن نظر في وجوه القوم ثم اشار الى ابي ذر) « هذا يكفلني ويضمنني»

قال عمر يا أباذر اسمعت هذا الكلام وتضمن لي خضور هذا الغلام ؟

قال ابو ذر نعم ياأمير المؤمنين اضمنه الى ثلاثة أيام

«ويذهب الغلام ثم يعود موفيا بعهده فقبل أن يحضر يدور الحوار التالي

قال الشابان اين الغريم يا اباذر ؟ وكيف رجوع من فر ، ولكن نحن لا نبرح مكاننا حتى تأتينا به للأخذ بثأرنا

قال ابو ذر وحق الملك العلام ان انقضت الثلاثة أيام ، ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وسلمت نفسي للامام

قال عمر : والله أن تأخر الغلام لأقضين في أبي ذر ، ما اقتضته شريعة الأسلام .

قال الغلام : القاتل وقد حضر : قد أسلمت الغلام الى أخواله وعرفتهم بجميع أحواله ، واطلعتهم على مكان ماله ، ثم اقتحمت هاجرة الحر ، ووفيت وفاء الحر .

قال بعض الحاضرين : ما أكرمك من غلام وأوفاك بالعهد والذمام .

قال الشاب القاتل : اما تحققتم ان الموت اذا حضر ، لا ينجو منه أحد ، انما وفيت كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس

قال ابو ذر : والله ياأمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ، ولم أعرفه في أي قوم ، ولا رأيته قبل ذلك اليوم ، ولكن لما اعرض عمن حضر ، وقصدني ، وقال هذا يضمنني ، ويكفلني لم استحسن رده ، وابت المروءة أن تخيب قصده ، اذ ليس في اجابة القصد من بأس كيلا يقال ذهب الفضل من الناس .

قال الشابان : ابناء القتيل : يا أمير المؤمنين ، قد وهبنا لهذا الشاب دم ابينا ، حيث بدل الوحشة بالايناس كيلا يقال ذهب المعروف من الناس .

ولعل من أبرز الملامح السياسية في هذه المحاكمة أن الثأر يجب أن ينتقل من يد الناس الى يد الحاكم ، وهذا دليل على سيطرة الدولة ونضوج المجتمع وطرح البداوة جانبا ، إذ كان باستطاعة أبناء القتيل قتل القاتل ، كما تدل الحكاية ايضا على أن عدالة عمر اصبحت مثلا يحتذى ، كذلك حضور فكرة الصدق في الاتهام والاعتراف ، ومهما يكن من شيء فقد اظهرت المحاكمة أن الناس ما زالوا بخير ما دام هناك الوفاء والمروّة ، والفضل والمعروف ، فإذا ما زالت هذه الصفات فسدت الأمم ، ولو ادارتها سياسة الفلاسفة ، وهذا ما تبحث عنه ارقى فلسفات العالم سياسياً وخلقياً .

ومن نماذج تلك المحاكمات ، محاكمة الشاب الذي تظاهر بالسرقة ليصون سمعة حبيبته ، ويبرئها من الاتصال به . وقد قدّم لوالي البصرة خالد ابن عبدالله القسري[٢٢٥] .

---

(٢٢٥) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٢٠٤ .

قال أهل البيت وهم يخاطبون الوالي هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا

الوالي خلوا عنه ما قصتك ؟

المتهم إن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكر

الوالي ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟

المتهم حملني على ذلك الطمع في الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى

الوالي ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك ، وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر يزجرك عن السرقة ؟

المتهم دع عنك هذا أيها الأمير ، وامض الى ما أمر الله به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد

الوالي ان اعترافك على رؤوس القوم قد رابني ، وانا ما أظنك سارقاً ، ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها

المتهم أيها الأمير ، لا يقطع نفسك شييء سوى ما اعترفت به عندك ، وليس لي قصة اشرحها الا اني دخلت دار هؤلاء ، فسرقت ما أمكنني فأدركوني وأخذوه مني وحملوني اليك

الوالي :ليؤخذ الى السجن ، ونادوا في البصرة ألا من أحب أن ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر الى المحل الفلاني

«يسجن ثم يتجسس عليه في السجن ، لمعرفة أن كان هناك دافع آخر فيكشف انه فعل هذا من أجل ستر محبوبته من الفضيحة حيث زارها ليلاً فأحس به أهلها ثم يخبر الوالي بما عرفوه عنه»

الوالي لقد علمت أن لك قصة غير السرقة فاذا كان الصباح ، وحضر الناس وحضر القاضي ، وسألك عن السرقة ، فأنكرها ، واذكر ما يدرأ عنك حد القطع ، فقد قال رسول الله (ص) «ادرءوا الحدود بالشبهات»

---

(٢٢٦) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة شبه نقلا عن ابن ماجه حدوده

(وفي الصباح)

القاضي أن هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم ، وسرقت مالهم فلعلك سرقت دون النصاب

المتهم بل سرقت نصاباً كاملاً

القاضي لعلك شريك القوم في شيء منه

المتهم بل هو جميعه لهم لاحق لي فيه

ومن البديهي أن السرقة جريمة اجتماعية يكون الحاكم فيها طرفا ان لم يؤخذ السارق بالعقاب وتطبيق الحدود في الدولة الأسلامية ففي قطع اليد عقوبة جماعية اذ سيظل السارق حاملاً طوق العار

غير ان الملاحظة التي تلفت النظر ، وهي أن الحاكم ، قد يستشف من خلال محاورته للمتهم ، أن هناك أسبابا أخرى غير دافع السرقة ، حتى لو اعترف لأن الأعتراف ليس في جميع الاحوال دليلاً قاطعاً كما رأينا في اعتراف الشاب الذي أراد أن يصون سمعة حبيبته فهو يستفسر منه عن كل شيء لأن العقاب ليس سجنا ، يمكن العفو عنه أو انهاء مدته بل هو القطع ولذلك لابد من معرفة جميع الدوافع والمسببات ، حتى لا يقع الحاكم في خطأ ، لأنه مسؤول أمام الله ، وأمام الضمير ، وأمام المجتمع ، فهو وأن كان حاكماً ، ولكن بدون اضرار بالمتهم الا اذا ثبتت أركان الجريمة وتحقق أنه حكم بالعدل

الفصل الثالث

سياسة الحرب والجند

القسم الاول ١) الجند والسياسة
٢) الانقلابات العسكرية
٣) كيفية وقوع الانقلابات وخطط القضاء عليها
القسم الثاني ١) الحروب ودوافعها
٢) الحرب النفسية وعلاقتها بالسياسة

القسم الاول

- ١ -

الجند والسياسة

تتميز الحروب في السير والحكايات الشعبية عموما بأنها نوع من التحميس القومي للأمة خلال أزمة تاريخية ودعم للذات القومية خشية الأنفراط أو الضياع فهي في مثل هذه الأحوال قصص بطولي للبطل فيها الدور الأكبر بل انه ليبدو محور الحكاية اصلا كما في حكاية عنترة بن شداد أو الأميرة ذات الهمة ، أو الملك سيف بن ذي يزن أو الامير حمزة البهلوان أو الظاهر بيبرس او السيرة الهلالية

وتعد الحرب بالنسبة للسياسة العامة ، وحسب مفهومها القديم من حيث كونها ادارة وتدبيرا جزء من تلك السياسة لأن الحرب «تدبير الجيوش في السلم والحرب وما يلحق بها بذلك من تبادل الاسرى ، وأساليب الفداء ثم سائر العلاقات بين الدولتين كالوفادة والسفارة»[1]

وايماء الى ما سبق فان ما يمكن تحديده بالنسبة للحرب خلال كتب الآداب السلطانية والأحكام العامة في شتى مراحل التاريخ الاسلامي يعتمد اعتمادا تاما على أن الحرب كسياسة انما اعتمدت على فن تدبير حركة الجند وادامة نموهم ، وتوجيههم لصد او مهاجمة عدو ، وفي نفس الوقت الحذر منهم ورعايتهم ليكون الجيش حماية للسلطان والأمة أو سوطا لتأديب السلطان ان ظلم او خرج على الشرع والعدل

فالحرب والجند مرتبطان ارتباطا عضويا بسياسة الحاكم ، ولهذا تؤكد الكتب في باب الحرب والسياسة اعتمادها على الفكرة المنقولة عن الملك الفارسي (كسرى ابرويز) التي قالها لأبنه (شيرويه) «لا توسعن على جندك فيستغنوا

---

(١) فؤاد افرام البستاني المحاضرات العامة لعام ١٩٥٢ ج ١ ص ٢١٨ .

عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا ، وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا توسع عليهم في العطاء»[٢]

وهذه الفكرة بالذات هي التي اعتمدتها حكايات الليالي في سياستها تجاه الجند والحرب ، حيث رددت نفس نصيحة الملك الفارسي بشكل مقارب تماما «لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء بمقتصد وامنحهم منحا جميلاً ووسع عليهم في الرجاء ولا تضيق عليهم في الشدة»[٣]

والذي يهمنا في موضوعنا هذا ليس فن الحرب كحزب ، ولكن علاقة الحرب بالسياسة ، وموقف السلطان من الجند وادارتهم حماية له ، وخوفا منهم وذلك لأن فكرة الفتنة والانقلاب مسيطرة على الحاكم خلال الليالي فالجند في الليالي لهم المجال الكبير حيث نجد الحاكم مثلا في تسيير الجيوش للحرب لا ينصّب عليهم من القادة الاّ المقربين منهم كأن يكون القائد ابنه او وزيره الأمين ليأمن شر انقلابهم ويوزع عليهم الارزاق ليطمئن اليهم ويكسب قلوبهم ويسهر على راحتهم ، ويجهزهم بكل ما يحتاجونه كما نص على ذلك في احدى حملات دولة على أخرى ، «ثم أن الملك امر باحضار ولده ـ القائد وأوصاه بأخذ الأهبة والتجهيز للسفر ، وأن لا يخالف الوزير فيما يشور به عليه ، وأمره أن ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملي العدة صابرين على الشدة فقام واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره ، واخرج مالا جزيلا ، وانفق عليهم المال ، وقال لهم قد امهلتكم ثلاثة ايام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لأمره وخرج الملك عمر النعمان لوداع ابنه شركان فقبل الأرض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال واقبل على الوزير (دندان) وأوصاه بعسكر ولده شركان»[٤]

فالأهتمام بالجند واضح تماما من حيث القيادة والاستشارة والمال والسلاح ، والطاعة والتوديع ، وهذا يعني احترام الحاكم لجنده لأنهم أداة تحقيق سياسته دفاعاً وتعاونا

---

(٢) عيون الاخبار كتاب السلطان ج ١ ص ١١ وقد جاء نفس النص في كتاب الفخري في الآداب السلطانية للماوردي ص ٤٠

(٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦٥ حكاية الملك عمر النعمان .

(٤) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦٥ .

ثم أن أول أمر يعمله الحاكم الجديد ان يطلب الى حاشيته أن «يعرضوا عليه العساكر ثم يطلب من وزيره اخباره بخزائن ابيه الراحل فيخبر ، وتعرض عليه ، وهنا يبدأ بالانفاق أولا على العسكر ، ومما يؤيد ذلك في حكايات الليالي ان قال الحاكم للحاجب «اعرض عليّ الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال ، والتحف ؛ والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق شيئا فقبل الأمراء الأرض بين يديه ودعوا له بطول البقاء»[٥]

وفي حكاية أخرى نجد الصورة تتكرر تماما فمنذ ان اختيرت الجارية «زمرد» ملكة على المدينة «امرت بفتح الخزائن ففتحت وانفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك واطاعها العباد وسائر اهل البلاد»[٦]

فالحاكم يعرف كيف يسيطر على الأمة اذا ضمن جيشه وتقرب اليه بالمال والتقرب الى الجيوش بالمال صورة لواقع مصر في عصر المماليك اذ أن سرعة انتقال المماليك في الرتب انما يعكس هذا السلوك وهو صورة للضعف الذي عانته الأمة أيام العصور المتأخرة[٧]

وتذهب الليالي الى ابعد من هذا أعني الى قدرة ونفاذ أمر الجند في تنصيب الحاكم الجديد كما جاء ذلك في حكاية «جودر» بعد موت الحاكم الذي لا وريث له حيث «طلبت العساكر من جودر زوج ابنة الملك أن يكون سلطانا فرفض ولم يزالوا يرغبونه وهو يمتنع حتى رضي فجعلوه سلطانا»[٨]

ولقد كانت الليالي في عرضها لسياسة الحاكم تجاه الجند تردد ما جاء في كتب الأداب السلطانية والسياسية مما يدل على القصد السياسي الذي احتفلت به فيما يتصل بالجند الذين هم عدة الامة في الملمات ونستطيع

---

(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٧

(٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٨

(٧) محمد سليم رزق مصر في عصر دولة المماليك ص ١٢١ نقلا عن الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ص ٢٢

(٨) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٠٠ .

ان نلخص آراء هذه الكتب لكي يسهل مقارنتها بما جاء في الليالي في النقاط التالية

١ - «الرفق بالجند في السير الذي يقدر عليه ضعيفهم ، ويحفظ به اقواهم

٢ تفقد خيلهم ومواكبهم التي يجاهدون على ظهورها

٣ مراعاة المقاتلة المسترزقة والمتطوعة

٤ تعريف العرفاء وتنقيب النقباء

٥ - اتخاذ الشعارات الخاصة لكل طائفة لتتد عي بها ، ولتمييزها عن غيرها

٦ استعراض الجيش ومن فيه واخراج من يخذل المجاهدين ويرجف بالمسلمين او من كان جاسوسا

٧ - حراسة الجند من غرة يظفر عليهم بها العدو ، وذلك باختيار الأماكن الآمنة لهم

٨ إعداد كل ما يحتاجه الجيش من زاد وعلوف

٩ معرفة اخبار العدو وذلك بارسال الارصاد والعيون والاستطلاع

١٠ تحميس الجند ومشاورة ذوي الرأي في الحرب»(٩)

وبالطبع لم تسرد الليالي هذه الواجبات سردا تاريخيا ، وانما جاءت في شكل مواقف واحداث قامت عليها حكايات الحرب ، وقصصها ، فمثلا في حكاية الملك عمر النعمان بعد أن نصب ابنه قائدا في حرب القسطنطينية نجد القائد قد «دخل خزائن السلاح ، واخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ، ثم دخل الاصطبل واختار من الخيل المسالمة كما أن الملك اوصى القائد بمشاورة الوزير في سائر الأمور»(١٠)

وقد اهتمت الليالي بأمر راحة الجند ، فكثيراً ما نجد القائد يتفقد جنده ويسأل عن مشاكلهم ، ويحقق لهم اغراضهم ، ففي حكاية حصار القسطنطينية الذي طال ، قال الوزير للملك القائد «اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة ، والرأي عندي ، ان نرحل الى الأوطان ، ونقيم فترة من الزمان ثم نعود فقال الملك نعم هذا الرأي لأن الناس

(٩) نقلا عن الماوردي في الاحكام السلطانية ، ونهاية الأرب السفر السادس ص ١٥٢/١٥٣ - بتصرف - .

(١٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦٥ .

اشتاقوا الى رؤية عيالهم فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير»[11]

والأهم من هذا اراحة الجند بعد انتصارهم ان يفكر القائد في ذلك استعدادا للمواجهة المقبلة فنحن نقرأ حوارا بين قائد واخيه «يا أخي أن دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة ايام حتى نأخذ راحة لأجل ان تنشط عساكر الاسلام ، وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام»[12]

اما فكرة توزيع الجيوش على وحدات وكراديس وبيارق ، من أجل معرفة كل وحدة شعارها ، وقائدها فهي موجودة في حكاية «حاسب كريم الدين» حيث اطلقت لفظة البيرق على القطعة الكبيرة المكونة من ثلاث آلاف فارس[13] كذلك امر توزيع القيادات الذي نص عليه في حرب النبي سليمان (ع) مع أحد ملوك البحر حيث «امر الوحوش ان تنقسم شطرين على يمين القوم وشمالهم وأمر الطيور أن تكون في الجزائر ، وعند الحملة أن تخطف أعينهم بمناقيرها وأن تضرب وجوههم باجنحتها وجعل وزيره «آصف ابن برخيا» على الجانب الأيمن ، ووزيره «الدمرياط» على الجانب الأيسر وملوك الأنس على يمينه وملوك الجن على يساره والحيات امامه»[14]

أما فكرة بث الارصاد والعيون فاننا نجدها واضحة في مراسلات الملوك خلال الحرب فالملك الذي اعلن الحرب على آخر عندما ارسل رسله ختم الكتاب وسلمه لرجل من عسكره وارسل معه جواسيس يتجسسون على الأخبار

اما شرط استعراض القائد لجنده فقد جاء ايضا في سرد لحكاية «عمر النعمان» حيث أن أول عمل عمله الحاكم الجديد أن طلب بأن «يعرضوا عليه العساكر»[16]

---

(١١) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٣٠٨
(١٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٩
(١٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٣
(١٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٩
(١٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٦٠
(١٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٧ .

إن هذا وغيره إنما قصدت الليالي من وراء سرده الى تحقيق أمرين التخويف من انقلاب الجند والاعداد للحرب

٢ -

الانقلابات العسكرية

ومع أن الانقلابات انما تقع عادة ، دفاعا عن خط سياسي مضاد للخط السياسي للحاكم لوجود تناقض بينهما ، فقد ذكرت الليالي اسبابا أخرى للانقلابات تتعلق أكثرها باهمال الحاكم وظلمه ، وخروجه على تقاليد أمته

ففي حكاية زواج الملك «بدر باسم بن شهرمان» ، وبسبب ظلم الحاكم وحمقه وغطرسته وقع انقلاب ضده ، حيث نص على أن جماعة متمكنة من القوة دخل احد افرادها على الملك ليخطب ابنته لأبن ملك آخر فأهان الملك رسولهم اليه فلما «سمعوا كلامه فترجلوا عن خيولهم وجردوا سيوفهم ودخلوا على الملك فرأوه جالسا على كرسي مملكته غافلا عن هؤلاء وهو شديد الغيظ على «رسولهم اليه» ورأوا خدامه وغلمانه واعوانه غير مستعدين فلما رآهم وبأيديهم السيوف مجردة صاح على قومه وقال ويلكم ، خذوا رؤوس هؤلاء الكلاب ، فحملوا على بعضهم ، فلم تكن غير ساعة حتى انهزم قوم «الملك» ، وركنوا الى الفرار ، وكان «رسول القوم الى الملك» واقاربه قد قبضوا على الملك وكتفوه»[١٧]

وعندما يشعر الشعب ، والجيش بأن الحاكم بدأ يسيء معاملتهم أو ينقض العهد أو يعبث بأمر المملكة نجد أن الجيش والشعب يقومان بعزل من كان يسيء في حكاية الملك عمر النعمان ، وبعد أن تسلم السلطة حاجب الملك نتيجة لمرضه الطويل على أن يرعي ولي عهده في حياته فلما وجد الشاب نفسه أنه اصبح ملكا ، لم يفكر في مسؤولية المملكة بل «لم يكن له

---

(١٧) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٥٩ .

شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب فلما مات والده الملك تغير حال ولي العهد الملك الجديد وعزله أهل بغداد هو وعياله في بيت على حدتهم»[١٨]

فالعبث واللهو والبعد عن تصريف أمور الدولة أدى بالعراقيين الى طرد الملك

ومن الأسباب المؤدية الى الانقلابات انشغال الحاكم بلذاته وشهواته واتباعه للنساء مما يبعده عن الصلاحية للحكم ، ففي حكاية وردخان ابن الملك جليعاد يدخل وزير الملك عليه بعد أن ثارت ثائرة الرعية لاختفاء الملك وعدم اهتمامه بمصالح الأمة فتوجهت وجوه البلد الى الوزير الأكبر تشكو اليه ملكها ورجته اولا نقل رأيها اليه ، فان لم يصلح من نفسه فسبيله القتل وقد خاطب الوزير الاكبر الملك ناقلا رأى الأمة قائلا «أيها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه بنفسك ؟ فيا هل ترى من يغريك على هذا ؟ فإن كنت أنت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء الى الجفاء ، ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك مني الى اعراضك عني ؟ فكيف نصحتك ثلاث مرات ، ولم تقبل نصيحتي ، واشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي ؟ فاخبرني ما هذه الفعلة ، وما هذا اللهو ومن اغراك عليه ؟ اعلم ان أهل مملكتك قد تواعدوا على انهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من أيديهم أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها ؟ فإن كنت أعطيت هذا كله أمنت من قبلهم فلا حاجة لك بكلامي وان كان حاجتك الى الدنيا والملك ففق لنفسك واضبط ملكك ، واظهر للناس قوة بأسك ، واعلمهم باعذارك فأنهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه الى غيرك .....»[١٩]

ولما لم يعِ الملك موقفه ، ولم يستفد من انذار الجماهير له ، فوقع ضده ما يشبه الثورة الجماهيرية فقد «اجتمع الوزراء واكابر الدولة ووجهاء الناس

---

(١٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٣١١

(١٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦٧/١٦٨ .

وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيب الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره فقربوا قريبا من المنزل وسألوا البواب أن يفتح لهم فلم يفتح لهم فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة واعلم الملك ان الخلق مجتمعون و انهم سألوني ان افتح لهم فأبيت فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرني ؟ فقال الملك في نفسه إني وقعت في الهلكة العظيمة»[٢٠]

واذا اختفى الملك او الحاكم عن رعيته لسبب او لآخر فاننا نجد الليالي تصور نفسية الملك بأنها قلقة خائفة رغم ما هي فيه في حكاية الملك الذي اختفى عن مملكته بحثا عن سر بحيرة الاسماك الملونة خلال حكاية (الصياد والعفريت نجده بمجرد انتهاء مهمته يفكر في العودة والظهور لأن «قلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة»[٢١]، وما التهاب قلبه سوى الخوف من الانقلاب حيث تفسر هذه الكلمة في حكاية الملك بدر باسم بن شهرمان عندما تغيب هو وأمه عن ادارة المملكة نجد ان الملكة تخاطب امها «يا أمي اني خائفة عن الملك الذي لنا لأني اتيتكم وما اعلمت أحدا من المملكة واخشى ان أبطأت عليهم ان يفسد الملك علينا وتخرج المملكة من أدينا والرأي السديد ان ارجع واسوس المملكة إلى أن يدبر الله لنا أمرا»[٢٢]

كذلك تردد حكاية (قمر الزمان) نفس الفكرة من أن الاحتجاب عن العسكر قد يدفع الى الانقلاب فخطاب الوزير لمليكه الذي احتجب عن عسكره بسبب مرض ولده يدل على ذلك حيث قال «يا ملك الزمان الى متى انت محجوب عن العسكر عند ولدك ؟ فربما يفسد عليك نظام المملكة بعدك عن ارباب دولتك والرأي عندي ان تنقل ولدك من هذا المكان الى القصر المطل على البحر وتنقطع عن ولدك فيه وتجعل للموكب والدوان في كل جمعة يومين فيدخل عليك فيها الأمراء والوزراء

---

(٢٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٦٩

(٢١) المصدر نفسه ج ١ ص ٣١

(٢٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٦١ .

والحجاب وأرباب الدولة وخواص المملكة واصحاب الصولة وبقية العسكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فاقض حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانه بينهم ولا تأمنن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابا ونصيحته في مصلحته فأثر عنده وخاف أن ويفسد عليه نظام الملك»[٢٣]

ولما كان الروح الديني غالبا على أكثر حكايات ألف ليلة وليلة ، فقد عنيب هذه الحكايات بايضاح مثل يحتذى في موضوع تدخل الجيش لابعاد من يخرج على الحدود الشرعية ففي حكاية (معروف الاسكافي) وبعد انقلاب الوزير على ملكه وتسلطه على أمور الناس حاول الاعتداء على ابنة المنقلب عليه مخالفاً ما نصب عليه الشرائع من وجوب اكمال العدة فلما اظهرا استخفافه بالدين وانه «لا يعرف عدة ولا مدة» ارتفع صوت الدين لتحريض الجيش ضد الظلم «فسكت شيخ الاسلام وخاف من شره وقال للعسكر إن هذا كافر ولا دين له ولا مذهب وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من انه دخل عليها سفاحاً من غير نكاح وأساء للملك ونسيبه وخافوا ان تنتهك شريعة الاسلام لأنه ظهر لهم انه كافر ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون له لماذا لم تمنعه من الدخول على الملكة سفاحاً ؟

٣

كيفية وقوع الانقلابات وخطط القضاء عليها

رسم لنا الليالي خلال استنتاجاتنا من حكاياتها صورا توضح كيفية وقوع الانقلاب وبعضا من صور الانقضاض عليه بوسيلة من الخدع السياسية او اتخاذ سياسة العنف فالمنقلب عادة يستغل فرصة محددة يقال عنها ساعة الصفر بأن يبدأ بالهجوم في حكاية الحمال مع البنات وعلى لسان

---

(٢٣) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ٨٥
(٢٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٣١٣ .

الصعلوك الاول نقرأ ما يدل على كيفية بدء الانقلاب من قبل وزير ملك طامع بحكم المملكة مستغل سلطته كوزير بعد أن اتفق مع الجند فقد جاء «بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة ، واهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم»[٢٥] فالبداية اتفاق مع القوى العسكرية ، والخطوة التالية دخول الموقع في ساعة مواتيه مع دراسة لعدم امكانية رد القوة الهاجمة ثم تتخذ الاجراءات الاخرى من حصار المدينة وانتشار الجند فيها ، وعلى أبوابها لكي لا ينفذ منها أحد من حاشية الحاكم المنقلب عليه ، وهذا ما يستنتج من كلام الصعلوك في وصفه لما حدث «فساعة وصولي الي مدينة ابي نهض اليّ جماعة من باب المدينة وكتفوني فتعجبت لأني ابن سلطان المدينة ، وهم خدم ابي وغلماني ، ولحقني منهم خوف زائد ثم بعد حين قال لي بعضهم وكان خادما عندي ان اباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك»

وربما يقع الانقلاب بالهجوم المباشر على قصر الحاكم وينتهي بأسر أو قتل الحاكم كما في (حكاية الملك بدر باسم)[٢٦]

وقد تسبق الانقلابات حالة من التفاوض بين الحاكم والمنقلبين ، وكل يستعد لتحقيق ما هدف اليه ، فالثائر المنقلب الذي لم يرد أن يكون انقلابه عنيفا ربما أتخذ التفاوض المبدئي وسيلة اولى ، ولكن يحسن أن يكون حذرا ممن انقلب عليه اذ ربما دبر حيلة لافشال وابطال الانقلاب فخلال محاولة الثورة على الملك ورد خان بدأت الجماهير تتوجه الى قصر الملك لتحرقه ، نجد أن الملك الخائف من سطوة الجماهير يستعمل الدهاء السياسي بعد أن أشير عليه من قبل امرأة كانت سبب غضب الناس عليه «الرأي عندي انك تعصب رأسك بعصابة وتظهر انك مريض ، ثم ترسل الى الوزير فيحضر اليك ويرى حالك الذي انت فيه فاذا حضر فقل له قد أردت الخروج الى الناس لمنعني هذا المرض فأخرج الى الناس واخبرهم بما انا فيه واخبرهم اني في غد اخرج اليهم اقضي حوائجهم وانظر في احوالهم ليطمئنوا ، ويسكن غيظهم فاذا اصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك ويكونون سامعين لقولك طائعين

---

(٢٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٠

(٢٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٥٩ .

لأمرك كاتمين لسرك حافظين لودك ، ثم اوقفهم على رأسك ، وامرهم ان لا يمكنوا أحدا من الدخول عليك الا واحدا بعد واحد ، فاذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه ولكن ينبغي ان تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فانه هو الوزير الأعظم وهو صاحب الأمر فاقتله اولا ، ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحداً بعد واحد ، ولا تبقِ منهم من تعرف أنه ينكث لك عهداً ، وكذلك كل من تخاف صولته فانك اذا فعلت بهم ذلك لا يبق لهم قوة عليك وتستريح الراحة الكلية ويصفو لك الملك»(٢٧)

إن الخطة التي رسمت للقضاء على الانقلاب إنما هي طعن في شخصية الملك ، اذ هي ليست خطة مواجهة شريفة ، بل انها اغتيال سياسي وتآمر على الناس من قبل الحاكم الذي اعطوه ثقتهم ، واعتقدوا فيه الصدق ولهذا علقت الليالي على هذه الفعلة الشنعاء بقولها «فلم يتركوا احدا من يعرفون له شهامة إلا قتلوه ولم يتركوا إلا سفلة الناس ورعاعهم»(٢٨)

غير أن المنقلب عليه والذي صمم على الأغتيال السياسي راح يبحث عن مبرر شرعي أو وطني يستند عليه في فعلته الشنعاء فهو في اقناعه للمتعاونين معه من عبيد أبيه يقول لهم «إنكم قد علمتم ما كان يفعله أبي بأهل مملكته من الأكرام وما عاهدهم عليه من أمري واقرارهم بأنه لا ينكثون لي عهداً ، ولا يخالفون لي أمراً ، وقد نظرتم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا حولي يريدون قتلي ، وانا اريد ان أصنع بهم أمراً ، وذلك اني نظرت ما كان منهم بالأمس فرأيت انه لا يزجرهم عن مثله الا نكالهم فلابد أن اوكلكم بقتل من أشير لكم بقتله سراً ، حتى أدفع الشر والبلاء غن بلادي بقتل أكابرهم ورؤسائهم»(٢٩)

وتذكر الليالي نوعا آخر من الانقلاب ، حيث يقع بتأثير السحر أو باستخدام القوى الخفية ويتم القضاء عليه بصورة سحرية ايضا وهي وأن كانت تعتمد على القوى الخارقة الا انها تظهر ان الانقلاب ربما تم دون اللجوء

---

(٢٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٩/١٧٠

(٢٨) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٠

(٢٩) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٠ .

الى القتل بل إلى الابعاد ، وتتبع الخدع ، وربما كان للمرأة عنصر الانتصار ، ففي حكاية معروف الاسكافي ، وبعد اضمار الوزير لنية ابعاد الملك الشرعي ونسيبه الاسكافي الذي اغتنى لدرجة جعلت الملك يستوزره لغناه ، ويزوجه من ابنته وبعد احساسه بقلق مكانته فقد احتال على نسيب الملك فاسكره وعرف سر غناه وقوته بامتلاكه للخاتم العجيب ، فلما أصبح الخاتم بيد الوزير نتيجة لخداعه ، أمر خادم الخاتم ، رمي الاسكافي والملك في أبعد وأوحش وأقسى مكان[٣٠] فالانقلاب قد تم بقوى سحرية حتى اذا ما وجد الوزير نفسه هو الآمر الناهي ، راح يأمر باعداد الايوان ويخبرهم ، بما حصل وهددهم بقوة السحر التي في الخاتم وقال : «ان لم تجعلوني سلطانا عليكم أمرت الخاتم ، أن يحملكم جميعا ويرميكم في الربع الخراب ، فتموتوا جوعاً وعطشاً ، فقالوا : لا تفعل معنا ضرراً ، فاننا قد رضينا بك سلطانا علينا ، ولا نعص لك امراً ، ثم انهم اتفقوا على سلطنته قهراً عنهم ، وخلع عليهم الخلع ....»[٣١].

ان الحسد والطمع والخديعة هي أبرز صفات الانقلاب الظالم ، خاصة اذا كان الحاكم السابق شهماً وطيباً ، ولكي تؤكد الليالي شر هذا الانقلاب ، فانها تظهر أن المنقلب او المتسلط لم يكن ليفكر في الأصلاح وانما كان دافعه البحث عن الشهوة والجنس ، فهي تقص عنه أنه بعد أن «جلس على الكرسي ، واطاعة العسكر ،... أرسل الى بنت الملك يقول لها : حضري روحك فاني داخل عليك في هذه الليلة ، لأني مشتاق اليك ...»[٣٢].

ومما يزيد في صب حقد الليالي وغضبها على طبيعة الانقلاب الظالم اظهار الحاكم في نكرانه للحدود الشرعية او الرضوخ للسنن ، فقد رد على ابنة الملك التي أمهلته حتى انقضاء أجل العدة : «انا لا أعرف عد عدة ولا طول مدة ، ولا احتاج الى كتاب ، ولا اعرف حلالاً من حرام ...»[٣٣].

ولكي تثير الليالي سخط العامة عليه طعناً في سياسة المنقلب الظالم ، فقد جعلته يولم الولائم احتفالاً برضوخ الملكة بالدخول عليها سفاحاً ، فقد

---

(٣٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٣١١ .
(٣١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١١ .
(٣٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١١ .
(٣٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١١ .

أرادت اثاره نخوه الجيش والعامة وتدخل رجالات الدين فقد ثارت نخوة شيخ الاسلام فقال وهو في وليمة السلطان الظالم «لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها ، وتكتب كتابك عليها»[٣٤] فرجل الدين قالها امام الجيوش المدعوين وبوجه الظالم فكأن الليالي فرقت بين السلطتين الدينية والدنيوية فلما لم يرتدع قال شيخ الاسلام للجند معلنا تكفيره

«إن هذا كافر ولا دين له ولا مذهب»[٣٥]

ولكي تستمر الحكاية بانتصار الحق وزهوق الباطل أعلنت عدم تمكن الظالم من اتمام ظلمه وحقده فقد استعملت حرب الخدعة فابنة الملك التي دخل عليها لم تمكنه من نفسها بأن ذكرت له أنها تخاف الخادم الذي في الخاتم فلما خلعه دفعت الوزير بعيدا عنها ودعكت الخاتم وأمرت بحمله الى السجن واعادت أباها وزوجها [٣٦]

فالليالي اذن تفرق بين نوعين من الانقلاب أحدهما له الشرعية والتأييد والثاني انما هو فتنة وردّة ويتحققان بالسلطة العسكرية مما يحمل الحاكم على أن يكون شديد الحذر من جنده

---

(٣٤) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ٣١٢

(٣٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١٢

(٣٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣١٢ .

القسم الثاني

- ١

الحرب ودوافعها

لما كانت كلمة السياسة تعني تدبير شؤون الأمة من قبل حكومة تتسم بالشرعية فان هذه الحكومة ربما تقضي ظروفها ومبادئها ان تعلن الحرب تحت تأثير دافع قومي او ديني أو اقتصادي او انتقامي ، ومهما تنوعت العوامل فهي تعني تحقيق فكرة سياسة اقتنعت بها الامة ممثلة في الحاكم

ولو رجعنا الى حروب الليالي لوجدنا أنها رغم اختلاف دوافعها حروب ذات نمط يقترب من أنماط الحروب التي جاءت اوصافها في كتب التاريخ والقصص البطولي بل ان حروب حكاية عجيب وغريب وسهيم الليل هي نفس حروب الملك سيف بن ذي يزن تقريباً[٣٧]، وحرب القسطنطينية التي ذكرت في حكاية الملك عمر النعمان وقد كفتنا عناء البحث فيها الدكتورة سهير القلماوي[٣٨] وانما كان دافعها في أول أمرها استعانة الملك الرومي «افريدون» بملك العرب المسلمين عمر النعمان اعترافاً بقوة العرب ، ضد ملك قيسارية الرومي أيضا حيث ارسل الملك افريدون رسله فخاطبوا ملك العرب «والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر ..»[٣٩]، فامدهم بجنده بدافع سياسي واضح ، حيث قالت الليالي بعد استشارته للوزراء فوافقوا على التدخل الحربي لسببين

«الأول أن ملك الروم قد استجار بك ، وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني أن العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الأمر اليك ويشيع في سائر الاقطار

(٣٧) الف ليلة وليلة ط بو ارمست ليلة ٦٢٩ مجلد ٢ وارجع الى حكاية سيف بن ذي يزن لفاروق خورشيد دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧

(٣٨) د القلماوي ، كتاب الف ليلة وليلة الموضوعات التاريخية ص ٢٦٧ .

(٣٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦٤ .

والبلاد ولا سيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال ...»[٤٠]

إذن فالدافع هو الهيمنة والمنفعة الاقتصادية ، وبث الرعب في قلوب الاعداء فوافقة الملك إنما جاءت بعد دراسة بعيدة المدى ، في حين أن الحقيقة التي أوضحتها الليالي في طلب تدخل الجيوش العربية من قبل الملك (افريدون) انما هو جزء من الخدع الحربية لجر الجيوش الاسلامية الى عمق بلاد الروم لأسرها وتحطيم شوكتها كما ذكر ذلك على لسان الملكة (ابريزة) «وان الرسل ومقابلتهم للملك عمر النعمان حيلة وخدعة والحرب خدعة»[٤١] فهي إنما أرادت أن تقول للحاكم كن حذرا في الحرب

وحرب القسطنطينية حرب دينية وبدافع اسلامي وعربي ، ولها مساس بالحروب الصليبية بل يمكن أن تكون انعكاسا لها فاننا نجد دعوة ملك القسطنطينية ومراسلاته الى جميع ملوك النصرانية «ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاءوا ونريد أن نكون جميعا يدا واحدة ...»[٤٢] «والليالي تذكر تجمع تلك الدول بعد هذا النداء ...» فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ، ثم أقبلت الافرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنيمسا ودوبرة وجورنه وبندق وجنوبر ، وسائر عساكر بني الأصفر

فهذا التجمع يذكرنا بما اجتمعت عليه كتب التاريخ للحروب الصليبية حيث تجمع ملوك أوربا من انكلترا والنمسا والمانيا وفرنسا والنرويج بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا[٤٤]

وتستمر حكاية الحرب العظمى في تجمع المسلمين ، رغم تعدد القوميات التي تلاشت واصبح جيش المسلمين كله في حالة استنفار ، شعارهم أنهم

---

(٤٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦٥
(٤١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٦
(٤٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٠
(٤٣) المصدر نفسه ملاحظة تطلق كلمة بني الأصفر على الروم وقد جاء ذكرها في بيت أبو تمام في وصفه فتح عمورية على يد الخليفة المعتصم

أبقت بني الاصفر المصفر كأسمهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

(٤٤) احمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٥ مطبعة الرسالة

«حماة ملة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام»[٤٥]، أو أنهم : «حزب النبي المختار»[٤٦] فهي تقول :

«قدمت العربان ، وجميع العساكر من كل مكان ... وتتابعت الجحافل ، وكان رئيس عسكر الديلم رستم ، واسم رئيس عسكر الترك بهرمان واصبح لقب القائد شركان أسد الدين ، او سيف الأسلام ... واصبحت الرايات والاعلام ذات لون أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله .... وهتاف الحرب وتحميس الناس صورة دينية حيث صاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، وبالثناء على الرحمن بما أولى من الأحسان»[٤٧].

فالقيادة الاسلامية صارت موحدة ، حيث القائد الكبير الذي اضافت اليه نعوتا غير التي ذكرت فهو «سيف الرحمن ، وبطل الزمان الملك شركان ، وهو الذي يفتح القسطنطينية ويهلك الملة النصرانية»[٤٨]. وقد تكون الحروب دينية في مظهرها ، ولكنها في الوقت نفسه بدافع سياسي انتقامي ، إذ نجد عند قراءتنا للرسالة التي ارسلتها «ذات الدواهي» للملك افريدون ملك القسطنطينية : انها تعمل ما تعمله من خدع وقتل لغرض ديني ونص الرسالة : «من عند الداهية العظمى ، والطامة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون : اما بعد : فاني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين ، وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ، ثم توجهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك ، فانكسرت شوكتهم ، وضعفت قوتهم ، وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية ، حتى ارسلت منهم اثنى عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين ، وما بقي منهم الا القليل ، فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم ، في بقية هذا النهار ، وتهجمون عليهم في خيامهم ، ولكنكم لا تخرجون الاسرى ، واقتلوهم عن آخرهم ، فان المسيح

---

(٤٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٣٠ .
(٤٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٠ .
(٤٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ بتصرف .
(٤٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٨ .

قد نظر اليكم والعدراء قد تعطف عليكم وارجو من المسيح ان لا ينسى فعلي الذي فعلته»(٤٩)

فالرسالة صدى الخوف الذي تركته الحروب الصليبية في نفوس العامة من المسلمين وانها لتمثل في نفس الوقت ضخامة الحقد الذي دفع بأوربا الصليبية ضد المسلمين حتى في تصميمها على قتل الأسرى لدرجة اثارة النعرات وعدم الرأفة ومما يؤكد ما ذهبنا اليه صدى الحروب الصليبية المتأخرة في حرب القرصنة في البحر المتوسط واسر المراكب التجارية فان القرصنة انما كانت بدافع سياسي بأمر الملك اما قتل الاسرى فبارادة دينية صليبية بالنسبة لأسرى المسلمين من قبل الروم في نص حكاية علاء الدين ابي الشامات نلاحظ ما ذهبنا اليه «فبينما هما في الكلام واذا بمركب فيها اربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركب عليهم ووضع الكلاليب في مركبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها وأخذوها وساروا بها الى مدينة جنوة»(٥٠) وتوجه الى المينا وضرب مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان وركب الملك هو والقبطان وامشوهم قدامهم الى أن وصلوا الى الديوان وقدموا أول واحد فقال له من أين يا مسلم؟ فقال من الاسكندرية فقال ياسياف اقتله فضربه السياف فرمى رقبته والثاني والثالث وهكذا الى تمام الأربعين»(٥١)

---

(٤٩) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٥٢

(٥٠) جاء في كتاب رحلة بنيامين للرحالة بنيامين بن بيونة التطيلي الاندلسي عام ٥٦١/٥٦٩هـ ١١٦٥/١١٧٧م ط المطبعة الشرقية بغداد ١٩٢٥ باشراف عباس العزاوي مابلي

«جنوة الفرضة البحرية الكبيرة تدور فيها رحى المعارك بين الاهلين والجنوبيين مسيطرون على البحار يجوبونها لسفنهم الخاصة المساة «غاليش» (الحراقات) ويقومون باعمال القرصنة على الروم والمسلمين فيعودون الى جنوة بالاسلاب والغنائم الوفيرة» ص٥٨

وجاء في تاريخ الاسلام السياسي الدكتور حسن ابراهيم عن العلاقات بين العرب والبيزنطيين نصان يمكن الافادة منها

«اتخذ البيزنطيون من سوء الحالة التي سادت الدولة العباسية في العصر الثاني لاستبداد الاتراك والبويهيين من بعدهم بالسلطة دون الخلفاء فرصة سانحة للاغارة على بلاد المسلمين ففي سنة ٢٣٨هـ أغار البيزنطيون على سواحل مصر واستولوا على دمياط ومنفيس وعاشوا فيها» ص ٢٣١

٢ غير أن العرب لم يسكتوا على ما حصل فقد «تقدموا في سنة ٣٢٥هـ ٩٣٥م الى حدود ليجوريا ودخلوا مدينة جنوة ووقعت في أيديهم ممار جبال الألب الشاهقة» ص ٢٤١

(٥١) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٧٦ .

فهــذه الحكاية يمكن أن تكون وقعــت قبل رحلة بنيامين عام ٥٦٩/٥٦١هـ و ١١٧٧/١١٦٥م أو بعدها

وتحاول الليالي اظهار شدة كراهية المسلمين لظلم وقساوة الصليبين بأن يفضل الأسير المسلم الناجي من القتل الموت على أن يخدم في الكنيسة فقـد جاء على لسان علاء الدين الذي نجا من الموت بأعجـوبة «رديني الى الملك وخليه يقتلني أسهل من هذه الخدمة

واذا انتقلنا من هذه الصورة الى صورة أخرى فاننا نجد أن الحـرب عندها يجب ان تكون حـربا متكافئة شريفـة ولهـذا تعيب حـرب الأوباش وتعتبرها خروجاً على الحـروب الاعتيادية المتفقـة مع القـوانين الحـربية حيث يجبْ أن يعلم الطرفان بالحرب لأن الهجوم المباغت ليس له سـوى عمل غير اخـلاقي وقد ذكرت بنوع من الاصـغار الحـرب التي وقعـت بين ملكين ، هما (الميغموس وكفيد) خـلال حكاية حــاسب كريم الدين ، وقد نص على ذلك في الرسالة الموجهة من الملك طيغموس الى عدوه كفيد إذ كتب اليه يقول

«اما بعــد فالذي نعلم به الملك كفيد انك ما فعلت الا فعــل الأوباش ولو كنت ملكا ابن ملك ، ما فعلت هذه الفعـال ، ولا كنت تجـيء بلادي وتنهــب أموال الناس وتفســق في رعيتي اما علمت أن هذا كله جـور منك ولو علمت بأنك تتجــارى على مملكتي لكنت اتيتك قبل مجيئك بمدة ومنعتك عن بلادي ولكن ان رجعــت وتركت الشر بيننا وبينك فيهــا ونعمت وان لم ترجع فابرز لي في حومة الميدان وتجلد لدي في موقف الحرب والطعان ....»[٥٣]

أما الحروب الجهادية والغزو الاسلامي فقـد تردد ذكرها في حكايات ثلاث الأولى حكاية تتعلق بشأن الجن والشياطين حيث جاء على لسـان دليل الأمير موسى بن نصـير يخـاطبه ناصـحاً «أعلم ايهــا الامير ان هذا الطريق وعرة وانت رجل مجاهد ، وبلادنا بالقرب من العدو ، فربما تخرج النصارى في غيبتك والواجب ان تستخلف في مملكتك من يديرها»[٥٤]

---

(٥٢) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٧٦

(٥٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٠ حكاية حاسب كريم الدين .

(٥٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٤ .

كما ذكرت في حكاية سيف الملوك حيث وصفت محمد بن سبائك[٥٥] بأنه «ملك من ملوك العجم وكان يحكم على بلاد خراسان ، وكان في كل عام يغزو بلاد الكفار في الهند والصين والبلاد التي وراء النهر وغير ذلك من العجم»[٥٦]

كذلك جاء ذكرها في حكاية علي نور الدين ومريم الزنارية في وصفها للسفن الاسلامية التي تعترض سفن الدول المسيحية ، فهي تقول عنها «مراكب المسلمين والمجاهدين في سبيل الله»[٥٧] بينما تطلق على السفن الفرنجية والمسيحية الاوربية لفظة القراصنة وقطاع الطرق ، حيث تقول عن موقف احدى سفن المسلمين التي اعترضتها سفن الدول الأوربية «وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب واسروا جميع ما فيها ، وأتوا بهم الى مدينة افرنجة وعرضوا على الملك فأمر بحبسهم»[٥٨]

بل إن الليالي لتحرض الناس ضد الحكام الذين لا يحركون ساكنا عندما تهاجم السفن المسيحية شواطيء الاسكندرية ، ويخطفون من يجدون من النساء والرجال «فرأى أناسا مجتمعين على الشاطيء يقولون يا مسلمين ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون على هينة ، ولا يخرج وراءهم احد من المسلمين ، ولا من العساكر المغازين ...»[٥٩]، فهي قد اطلقت لفظة «العساكر المغازين» وأرادت بهم المجاهدين في سبيل الله

وتذكر الليالي اعلان النداء بالغزو والجهاد علناً ، في نص حكاية الملك عمر النعمان كما جاء في كتاب الملك لأخيه واوامره ساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك ، وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثأر، ونكشف العار ثم طوى الكتاب وامر أن يجمعوا العساكر من كل جانب ، وينادون بالغزو والجهاد ، ثم أقاموا ينتظرون مجيء

---

(٥٥) تذكر الدكتورة سهير القلماوي انه تحريف لاسم محمود بن سبكتكين الغزنوي كتابها الف ليلة وليلة ص ٢٦٥

(٥٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٧٠

(٥٧) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠٤ كذلك الدكتورة سهير القلماوي كتابها الف ليلة وليلة ، ص ٢٦٢

(٥٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠٨ ١٠٩ كذلك الدكتورة سهير القلماوي كتابها

(٥٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠٨ ، ١٠٩ كذلك الدكتورة سهير القلماوي كتابها الف ليلة وليلة ، ص ٢٦٢.

(٥٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١١٥ .

الجيوش من سائر البلدان ، وكل من حضر يكرمونه ، ويعدونه بالجميل[٦٠] فسياسة الحرب الجهادية والغزو في سبيل الله النداء بالنفير والتكريم والوعد الجميل لمن يشارك فيها .

ولم تظهر الحرب الدينية من اجل نشر الدين والعقيدة الا في حكايتين احداهما ضمن حرب الجن التي قادها سليمان (ع) ضد احد ملوك البحار من الكفرة الملحدين كما نصت رسالة النبي سليمان «ها أنا قد اتيت فاردد عن نفسك مانزل ، والا فادخل تحت طاعتي ، وأقر برسالتي ، وكسر صنمك ، واعبد الواحد المعبود ... وقل انت ومن معك : اشهد أن لا اله الا الله واشهد أن سليمان نبي الله[٦١]، فهي حرب دينية رغم واقعها الاسطوري ، وانها تبدو مصطبغة بالصبغة الدينية ، ذات العاطفة المشبوبة .

كذلك جاء ذكرها في الحروب التي خاضها العرب في «حكاية عجيب وغريب وسهيم الليل» ، وان كانت صورة مشوهة لحروب الاسلام من أجل نشر الدين بشكل خرافي ، يشترك فيه الجن والعفاريت والشياطين مع البشر لنشر دين الحنفية دين ابراهيم (ع) ، بأمرة ملك العراق «غريب» فكانت هناك علاقة ، بين بلد ابراهيم (ع) أور[٦٢] في العراق ، وبين مكان الملك العربي «غريب» في الكوفة[٦٣].

ومع أن الحرب ، قد تكون غزواً ، غير أن هذا الغزو ، في أكثر الأحيان ، يكون بدافع ديني وقومي ، يغلب عليه طابع الفروسية . ففي حكاية «عجيب وغريب وسهيم الليل» تتردد صور فتوح العراق ، وايران في أول الفتح الاسلامي تحت قيادة سعد بن ابي وقاص - رض - ودخوله المدائن[٦٤]. فهي تصف دخول «غريب ملك العراق الى المدائن» فتقول : «وركب غريب في موكب عظيم ، ودخل اسبانير المدائن ، وجلس على كرسي سابور ، ملك العجم ، وخلع ، ووهب وفرق الغنيمة والذهب ، وفرق على الاعاجم فاحبوه ، ودعوا له بالنصر»[٦٥]

---

(٦٠) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٢٩ .
(٦١) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٨ .
(٦٢) اور : مدينة اثرية تقع في جنوب العراق .
(٦٣) الف ليلة وليلة ط . بو . اوفست : ٦٦٩ ولغاية ٦٨٠ مجلد ٢ ص ١٠٥ الى ١٥٦ .
(٦٤) الطبري ج ٣ ص ١٢٥ . نقلا عن «الفتح العربي للعراق وفارس» ص ٢٠٨ .
(٦٥) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ليلة ٦٦٩ مجلد ٢ ص ١٥٦ .

وخلاصه سياسة الحرب في الليالي ان الحرب مسألة مجابهة وتحدد غايتها قهر العدو ورد الحقوق ولهذا لم تبح لأحد الكلام بشأنها كما جاء على لسان وزير الملك «جلهعاد» حين قال «ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم فيها إلا إذا تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذي في الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها»(٦٦)

وان الحرب ليست هجمة اعتباطية وانما خطط مدروسة تقتضي اضافة لما تقدم من اعداد للقيادة ونفير وتهيئة السلاح وارسال الطلائع والتجسس خلال المعركة بل تقتضي اكثر من هذا حسب رأي الليالي لأنها ربما جاءت على غير ما أرادها مدبرها اذ لابد من ان تسبق المعركة معرفة اوضاع البلد والجند الذي سيهاجمه مع سبق وجود العزم والتصميم مع استغلال الفرص المناسبة لتوقيت المعركة

فخلال سرد حكايتي «حاسب كريم الدين والملك ورد خان بن جليعاد» نجد ان الممالك المجاورة لمملكتيهما قد استغلت انشغال الملكين بأمور تمكن المهاجم من التحرك فقد ورد في الليالي أن «الملك (كفيد) ملك الهند لما علم بأن الملك «طيغموس» ملك كابل انشغل بحب ابنه وترك الحكم والملك وقلت من عنده العساكر وصار في هم ونكد جمع الوزراء والامراء وارباب الدولة وقال لهم اما تعلمون ان الملك طيغموس قد هجم على بلادنا وقتل ابي واخوتي ونهب اموالنا وما منكم الا (وقد) قتل له قريباً وأخذ مالاً ونهب رزقه وأسر أهله»(٦٧)

كذلك في حكاية الملك «جليعاد» بعد قتله للوزراء وأرباب الدولة وبعد أن اصبحت بلاده منطقة ضعيفة تغري بالهجوم عليها»(٦٨)

فهؤلاء الملوك لم يهاجموا اعتباطاً بل درس كل منهم الموقف واجتمع بوزرائه وامرائه مبرراً ومسبباً للحرب وقرر ألا يقوم بها الا بعد أن يسمعوا له ويطيعوه ويهبوا له أنفسهم ويجهزوا حالهم

---

(٦٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٩٠ مجلد ٢ ص ٢٦٤

(٦٧) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٩/٦٠ حكاية حاسب كريم الدين .

(٦٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٤

(٦٩) الف ليله وليله ج ٣ ص ٦٠ .

ثم تبدأ الحرب الباردة أولا بالتجسس والمكاتبات التهديدية والانذار وخلال ذلك الوقت تكون الجيوش قد وزعت واعدت القيادات والتقسيمات[٧٠]

وتضيف الليالي سياسة بث الرعب والتخويف قبيل المعركة وخلال زحف الجيوش وذلك بتخويف اهل القرى والضياع ليفروا الى المدن مما يربك العدو ويشل قدرته كما فعلت الجيوش العربية قبل هجومها على القسطنطينية

فإذا ما بدأت المعركة يكون القائد هو الموجه المدبر المحمس حتى إذا غربت الشمس توقف القتال ، وبدأ يتفقد الجرحى ويهنيء المنتصرين ويجتمع مع امراء الجند ويشاورهم استعدادا لحرب اليوم التالي[٧٢]

فاذا ما احس انه لايستطيع دفع عدوه او وجد ان عدوه يوشك أن يتغلب عليه ، طلب المساعدة من الملوك الذين يعتقد انهم معه كما فعل الملك كفيد اذ استعان بالملك «فاقون الكلب»[٧٣] أو كما استعان ملك الروم حردوب بملوك النصرانية ضد الجيوش الاسلامية أو كما فعل (الملك حردوب) نفسه خدعة في استعانته بالملك عمر النعمان لمحاربة ملك قيسارية[٧٥]

وتتبع سياسة الحرب اعطاء حق الأمان للرسل وحق الحياة فاذا ما قتل رسول أو أهين أعتبر ذلك منقصة وعيبا ، وربما تسبب هذه الاهانة ثورة من أرسل رسوله كما حصل لسليمان النبي (ع) عندما أهين وضرب رسوله[٧٦].

والأسرى لهم موقف خاص في سياسة الحرب غير أن الليالي لم يحاول ايضاح موقفها منهم سوى ما اتخذته مطعنا ضد ملوك أوربا ، لقتلهم أسرى المسلمين[٧٧] وما وجدناه عند ملك الفرنجة من أنه يأمر بسجن الأسرى

---

(٧٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٣/ ص ١٢٩ ج ٤ ص ١٧٧
(٧١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٠
(٧٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٢
(٧٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٣
(٧٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٠
(٧٥) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٤
(٧٦) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ١٢٨
(٧٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٦ .

بعد عرضهم على الملك أو الحاكم[٧٨]

وربما تتخذ السياسة الحربية المدنية وسيلة قذرة هي شراء ذمم الأسرى لمعرفة أسرار العدو لقاء دفع شيء أو منفعة كما ظهر ذلك في حكاية (أبي قير وأبي صير) حيث وشى بصاحبه عند السلطان . فقال له هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى أن قتلك يفك له زوجته وأولاده من الأسر»[٧٩]

والأسير في الحرب إن لم يفد فهو عبد . والسبية جارية تباع وتشترى حتى ولو كانت بنت ملك أو وزير والأسرى في مفهوم السياسة الحربية يشمل الكبار والصغار ، وأن كان القتل للكبار سياسة بعض الدول كما جاء في رسالة ملك لآخر تهديدا «نقتل الكبار ونأسر الصغار»[٨١]

فإذا ما تمت الموافقة على المفاداة يكون ذلك باتفاق المتخاصمين كما حصل خلال الحروب الصليبية «فما كان الا أيام قلائل وأتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبي باتفاق وقع بين الملوك فرد كل من كان اسيرا من النساء والرجال ويقعد عادة رسل المتخاصمين لتقبل الاسرى»[٨٢]

وتتبع الليالي تجاه العدو المندحر ، سياسة الاذلال والتشهير كما حصل عندما وقع الملك (كفيد) في الأسر ، فقد تشفعت فيه ابنة ملك الجن بأن طلبت من الملك المنتصر اخراجه من سجنه الانفرادي ، وفكه من الاغلال ثم اركبته فرسا عرجاء واطلقت سراحه ليعود الى بلاده[٨٣]

فاذا لم تنته الحرب سريعا عادت حرب استنزاف كما في حرب الملكين طيغموس وكفيد ، «وصار كفيد في كل شهر يجيء المدينة طالبا القتال والخصام ويقعد سبع ليال وثمانية أيام وبعد ذلك يأخذ عسكره ، ويرجع الى الخيام ليداووا المجروحين من الرجال ، واما أهل مدينة الملك طيغموس فانهم عند انصراف العدو عنهم يشتغلون باصلاح السلاح ، وتحصين الاسوار وتهيئة المنجنيقات ومكث الملك طيغموس والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين

---

(٧٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠٩

(٧٩) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٩٣

(٨٠) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٦ ج ٤ ص ١٠٩

(٨١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦١

(٨٢) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ٨٩٦ مجلد ٢ ص ٤٥٧ .

(٨٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٧٢ .

والحرب مستمرة ...»[٨٤]

كما حصل نفس الامر بالنسبة لحرب القسطنطينية من قبل جيوش العرب ، فقد دام حصارهم لها اربع سنين[٨٥].

فاذا اتفق المتخاصمان انه لا جدوى من الحرب وافقا على الهدنة ، كما حصل خلال الحرب الصليبية على عهد الملك الناصر في حربه ضد عكا ، يوم أن كانت تحت سيطرة الصليبين ، فقد جاء على لسان تاجر يروي خبر الهدنة فقال : واذا بمناد ينادي : «يا معاشر المسلمين ، ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انفضت ، وقد امهلنا من هنا من المسلمين جمعة ، ليقضوا اشغالهم ، وينصرفوا الى بلادهم»[٨٦].

فالحرب والاعداد لها ، والتفكير في نتائجها ومقدماتها ، انما هي جزء من السياسة التخطيطية للأمة . فالملك او الحاكم وما يتخذه من المواقف عامة خلالها ، انما يفكر فيها على غير ما كانت قد رسمته كتب السياسة إذ هي تستهلك المال والانفس هجوما ودفاعا ، وانها لا تقوم الا لغرض وهدف ، وانها آخر حيلة[٨٧].

- ٢ -

الحرب النفسية وعلاقتها بالسياسة

افادتنا الليالي بأن فكرة الحرب النفسية ليست فكرة جديدة في فن الحرب ، لأن سياسة الحرب عموما تعني تثبيط همة العدو وعزيمته ، بأية وسيلة لتجعله خائر القوى ، لا يستطيع رد الهجوم او حتى المقاومة .

وتعتمد فكرة الحرب النفسية ، في سياسة الحرب التي تعرضها الليالي على زعزعة اليقين في قدرة الاعداد والاستعداد ، ويمكن تحديد الخطوط الرئيسة التي رسمتها لهذه الحرب فيما يلي :

(٨٤) المصدر نفسه ط بو . اوفست ليلة ٥٢٠ مجلد ١ ص ٦٩٤ .
(٨٥) المصدر نفسه ط بو . اوفست ليلة ١٣٧ مجلد ١ ص ٢٧١ .
(٨٦) الف ليلة ط بو . اوفست ليلة ٨٩٥ مجلد ٢ ص ٤٥٦ .
(٨٧) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ص ١٧٧ .

١ أسر القائد

ان بث فكرة اسر القائد تعني خلخلة قوى الجيش جميعا لأنه عنصر الارتكاز باعتباره رأس الحملة ومركز ثقلها ولأنهم فوضوا الأمر الى رأيه ووكلوا له تدبيره فلا تختلف آراؤهم ولأن طاعته والدخول في ولايته واجبة[٨٨]، ولأنه يعتبر الأب الروحي لهم وهم حقدنه[٨٩]، فاذا ما بث في الجموع مثل هذا النداء فمعنى ذلك انهيار الخطط ولهذا ضربت الليالي مثلا على ذلك في حربْ القسطنطينية حيث اعلن نداء في جيوش المسلمين زورا وبهتانا «يا مسلمين انا اسرنا سلطانكم ووزيره الذي به انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على أن تخرجوا عن بلادنا وتذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فان طاب خاطركم لها كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا»[٩٠]

لقد كان مرد النداء ان أخا الملك القائد يضطرب وينهار ويبكي والمفروض انه في موطن المسؤولية وان يتحملها فكيف بأفراد الجند وتذكر الليالي اظهارا لرد الفعل انه «لما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان عظم عليه وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك

٢ اطلاق الألقاب على القادة

ان اللقب الذي اطلقه النبي (ص) على خالد بن الوليد رض بأنه «سيف الله المسلول» انما هو جزء من الحرب النفسية ولهذا فقد افادت الليالي من هذه الفكرة بأن اطلقت مثلا عند حديثها عن الحرب بين المسلمين والروم على قائد جيش المسلمين «سيف

---

(٨٨) التاج في اخلاق الملوك ص ١٧٧
(٨٩) نهاية الارب السفر السادس ص ١٥٢
(٩٠) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٤٦
المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٦ .

الاسلام شركان صاحب دمشق والشام بل انها نقلب الاوصاف الاسلامية والنعوت الى جيوش وفرسان النصرانية فقد وصف فارس المسيحية لوقا بن شملوط بسيف المسيح»[93] غير أن اللقب لايعني اللفظ الاعتباطي وحسب بأن يلقي جزافا في المعركة بل انها تمهد له بأن تعطي صورة كاملة عن الملقب بهذا اللقب الكبير فشركان مثلا معروف لدى اعدائه «شرارة جمرة عساكر الاسلام»[94] في حين أن لوقا بن شملوط موصوف بأنه «مافي بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن بالرمح والنزال

وعندما تصادف وجود مثل هذين البطلين وطرح اسميهما في الحرب فان ذلك يعني بث الرعب في قلب كل فريق فاذا اسر او قتل احدهما فمعنى ذلك انهيار جناح الذي سقط فارسه نفسيا وهذا ما اوضحته الليالي في سياستها الحربية النفسية عندما جعلت الفارس لوقا يموت في الحرب فقد اوضحت صورة التدهور والضعف الذي اصاب الجناح النصراني في الحرب «فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستعانوا ببطارقة الديور»[96]

اما وقع الحرب النفسية على الحاكم فشيء افظع من وقعها على عامة الناس وان كانا في مستوى الألم واحد «واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه ان لوقا بن شملوط حلت به النوائب فقامت على الملك افريدون القيامة وقامت بينهم المآتم ، وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب»[97]

فاطلاق اللقب على بطل من الابطال وتعظيمه في اعين الناس ثم سقوطه ميتا يثير في النفس رهبة ، ويسبب تمزقا مما يعني الخوف من

---

(٩٢) الف ليله وليلة ج ١ ص ٢٣٢
(٩٣) الف ليله وليلة ج ١ ص ٢٣٢
(٩٤) الف ليله وليله ج ١ ص ١٧٣
(٩٥) الف ليله وليله ج ١ ص ٢٣٢
(٩٦) الف ليله وليله ج ١ ص ٢٣٣
(٩٧) الف ليله وليله ج ١ ص ٢٣٦ .

العدو حتى وان كان الجيش المقابل قويا

١ -مكاتبات التهديد

ومن أنماط الحرب النفسية التي عرضتها الليالي مكاتبات التهديد التي تسبق عادة الحرب الفعلية وقد تتخذ وسيلة لاظهار الاستخفاف بالعدو مما يضعفه داخليا قبل ان يفيق استعدادا للحرب ففي محاولة الملك الذي حاول غزو مملكة جارة العابث بقتل وزرائه نجد أن المكاتب قد استغل الموقف في بث روح الضعف في جمهور مملكة الملك الاهوج فكاتبه مهددا وأوصى الرسول بأن ينتظر ثلاثة أيام مدة للرد فان لم يرد عليه فعليه ان يقف وسط الاسواق ويخاطبهم تخويفا يا أهل المدينة اني ساعي ملك الهند الاقصى ، وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين له الحديد قد ارسلني الى ملك هذه المدينة وحدد لي ثلابة أيام ، وقال لي ان لم تحضر عقب الايام التي حددتها لك حلت بك نقمتي»[٩٨] فمثل هذا الموقف يعطي للناس علما خاصة اذا كانوا يعرفون ضعف الملك بمقتل وزرائه وقواده ، ويعرفون الثأر القديم بين المملكتين مما ينجم عنه التخاذل علما بأن الرسول سيكون اداة تخذيل بحماية الملك المرسل اليه باعتباره رسولا محميا وان كان قد تعدى حدود رسالته

ويمكن الحاق فكرة الانذار بمكاتبات التهديد خاصة عندما يجد الملك نفسه ضعيفا فعلا ولا يستطيع الصمود في الحرب ان وقعت فقد يستعين بالخدعة ففي موقف مثل هذا نجد الليالي تصور حالة فريدة تجعل من رسول الملك المحرض مخذلا للملك المرسل منه كتاب التهديد والتشهير فالملك قد استدعى الرسول بعد أن شهر به بين رعيته وقال مخاطبا له وقد احضر غلاما صغيرا من صبيان المكتب ليرد على جواب الملك بحضور الرسول «ايها الساعي في اتلاف نفسه الست ناقلا كتابا من ملك الى ملك بينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر اسرار الملوك على العامة لقد استحققت منا القصاص ، ولكن نحن نتحلل ذلك

---

(٩٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٥

لأجل عود جوابك لهذا الملك الأحمق ، والانسب ان لا يرد له جوابا عنا ، الا اقل صبيان المكتب ، ودعا بحضور ذلك الغلام ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد للملك ... وقال له أقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة ...»[99] وتستمر الحكاية في طبيعة التخويف للملك المهدد عند عودة الرسول ويقص عليه الخبر وما رآه «فاندهش عقل الملك ، وقال للساعي : ويحك ما هذه الأخبار التي تخبرني بها عن هذا الملك فاجابه الساعي : ايها الملك العزيز ، ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب ، فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه ، فايقن بزوال ملكه ، وتحير فيما يكون من أمره ، ثم التفت الى وزرائه وعظماء دولته واخبرهم بما جرى ، وقرأ عليهم الكتاب فأرتاعوا لذلك وارتعبوا رعبا عظيما ، وصاروا يسكّنون روع الملك من ظاهر اللسان ، وقلوبهم تتمزق من الخفقان»[100].

وخلاصة الأمر الذي ارادته السياسة تجاه جندها ، وحربها ، في حكايات الليالي ، التوكيد على اهتمام الحاكم بجنده في حمايته وحماية مبدئه ، وكذلك مداراته واعطائه الهبات والعطايا خوفا من أن يتحول الجيش من قوة تحمي الدولة الاسلامية والعربية الى قوة تتدخل في شؤون الدولة نفسها ، كما حصل خلال العصر العباسي بعد أن امتزجت عناصر غير عربية فيه كالاتراك والصقالبة والفرس وخاصة عندما يكون السلطان او الخليفة ضعيفا[101].

كما ان الحروب التي رسمت صورا عنها ، وان كانت غير واضحة إنما هي صدى للمعارك الكبرى كفتوح العراق ايام الفتح الاولى ، وحروب القسطنطينية والحروب الصليبية مع صور من حروب البدو وغزواتهم ، فقد ارضت بهذه الصورة فهم القاريء والمستمع باعتبارها جزءا من حرب البطولة و الفرسان في العصور الوسطى ، وان أرادت في بعض الأحيان المثال في الشيء على أساس ما يخطر في الذوق الفني لا على اساس الواقع الفعلي .

---

(٩٩) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٦ .
(١٠٠) الف ليلة وليلة ج ٤ ص ١٧٧ .
(١٠١) عصر الخليفة المقتدر بالله ص ٢٥٩/٢٥٧ بتصرف ، ونقلا عن ابن الاثير ج ٦ ص ٦٧ ، ٦٩ .

الفصل الرابع

مغزى حكايات الشطار والفتيان والعيارين وقطاع الطرق وعلاقتها بالسياسة

القسم الاول   موقف الشاطر والفتى والعيار من السياسة
القسم الثاني   موقف العامة من السياسة

القسم الاول

موقف الشاطر والفتى والعيارين من السياسة

الكبت والحرمان عاملان خطران في حياة الأمم التي لا تستطيع التعبير عن قدرتها على التغيير الجذري عن طريق العنف أو الانقلاب أو الثورة مما يسبب نضوجاً فكرياً لدى أدبائها وفنانيها فيحاولون جاهدين التخفيف عن آلام المجتمعات ، وذلك باعطائها منفذاً للتنفيس بما يشبه ثقب الأمان في المراجل البخارية ، حتى لا تنفجر ممزقة ، ويكون هذا اما بأرادة السلطان الحاكم ان كان ذكياً ، وعرف الطريق الى قلوب العامة والخاصة أو أنهم بعملهم الفني أو الأدبي يحرضون الناس ويوجهونهم وجهة انقلابية عن طريق اعدادهم بوسائلهم الأدبية أو الفنية ، وبصورة رمزية بسيطة أو مكشوفة دون أن يعرف المؤلف أو الفنان بل يصبح الأديب أو الفنان الشعبي في مثل هذا الموقف صوتاً لضمير الشعب بحكايات متوارثة ، وافكار منسقة وأراء سديدة يرددها الجميع في القرية ، والمدينة حتى تعود جزءاً من الشخصية العامة للفرد والمجتمع على حد سواء وبعد ذلك يحدث التغيير على اية صورة ولكن دون معرفة الوقت طال ام قصر

ومن هنا نجد أن ادب العامة ، وأدب الشعب ، «وكلاهما يعبران عن نفسية المجتمع وبمعنى أقرب ، يعبران عن نفسيات الطبقات المحكومة»[1]، هذا الأدب ، يختلف عن الأدب الرسمي ، أو ما يسمونه بالأدب الرفيع ، الذي لا يكاد يعترف بالعامة ، لدرجة تكاد تكون قاتلة للرأي الانساني ، لأنه يماشي الطبقة الحاكمة والناس برأيها «أربع طبقات ، ملوك قدمهم الاستحقاق ووزراء فضلتهم الفطنة والرأي ، وعلية انهضهم اليسار ، وأوساط الحقهم بهم التأدب والناس بعدهم زبد جفاء»[2]. وبذلك يعود الأدب الرفيع أدباً بعيداً عن

---

(١) الأدب العامي في العصر المملوكي في مصر ص ٧٤

(٢) د . علي الوردي اسطورة الأدب الرفيع ص ٢٦٠ نقلا عن رأي الفضل بن يحيى البرمكي

تصوير النفوس والحياة العامة ، في حين يدل الأدب العام أو الشعبي على صور الحياة والنفوس[٣].

ان هذا التمايز بين الواقع والحياة الأدبية في الأدب الرفيع قد أحس به كثير من العلماء والأئمة ، والمجتهدين ، والمؤرخين ، منذ زمن بعيد ، وادركوا ، أن من الواجب ان لا يقصروا كتاباتهم على الخواص دون العوام ، أو على الملوك دون السوقة ، فقد أكد ذلك عبدالله بن مسلم بن قتيبة في مقدمة كتابه عيون الأخبار ، حيث قال : «ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا ، وقفاً على طالب الدنيا ، دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم فوفيت كل فريق منهم قسمه ، ووفرت عليه سهمه»[٤].

ولما كانت الليالي صورة من صور الحياة العامة ، واصدق أدب يدل على اخلاق العامة ، ونوع معيشتهم ، وطراز تفكيرهم[٥]، فقد نقلت بأمانة ، واقع البيئة الاجتماعية الى قرائها عامة ، على اساس اشعارهم بواقعهم ، مع شيء من التوكيد على المسؤولية بشكل أو بآخر للتذكرة ، والتخفيف عن كواهل الذين ظلوا يحلمون ، ويستحلبون النجوم احلامهم ، وهي لا تمطر سوى الآمال ، وعسى ان تتحرك الآمال لتكون حقيقة فالترف الذي عايشته الليالي ، انما هو ترف الحكام والولاة والأمراء والوزراء والتجار ، فأين بقية الناس ؟ .

وفي «الحياة اغنياء وفقراء ، وفي الحياة ملوك وصعاليك ، وفي الحياة مصائر متفاوتة ، ومن هنا اخذ رجل الشعب سيء الحظ يسلي نفسه بقصص خرافية تحقق له بعض احلامه ، فتصور الفقير وقد اصبح ملكاً بفضل بطولته الفائقة»[٦] وهكذا فعلت الليالي ، لأن القاص فيها وجد نفسه أمام صورة من صور ترف قصور الامراء والأغنياء الحقيقة كالذي حصل في أحد قصور الطولونيين في مصر ، حيث أمر السلطان «خمارويه» االمصري بعمل «بركة من الزئبق ، طولها خمسون ذراعاً وعرضها خمسون ، وكان في اركانها اساطين من

---

(٣) الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ص ٧٦ .
(٤) عيون الأخبار ج ١ ص ط .
(٥) أديب عباس «امثال العوام ودلالتها» مجلة الهلال الجزء الرابع السنة ٤٣ فبراير ١٩٣٥ .
(٦) سيرة الأميرة ذات الهمة ص ١٨ .

الفضة الخالصة ، فيها زنانير من حرير محكمة الصنع ، في حلق من الفضة ، وعمل لخمارويه فرش من آدم ....»[٧].

فماذا يهم القاص ، لو نسج حولها ، ما يسعفه به خياله ، ليثير شخص قارئه ، او سامعه ، اذ سيجعله ، ينظر بعيداً طامحاً ، لأنه لا يجد السبل المسموح بها ، أو التي لا تساعده ظروف حياته الاجتماعية والثقافية ، على أن يتخذ منها ذريعة لتحقيق ما يريد . افلا يحق له ، وهو الطامح القوي ، أن يحترف فن الشطارة والنصب ، على الرغم ، من أن الأغراء موجود ، والوازع الديني والتربوي مهزوز ، وهكذا ظهرت خلال التاريخ الحقيقي ما يعرف بحركات العيارين والشطار والفتيان التي جاءت نتيجة للتطورات الهامة في المجتمع منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي اذ نشطت التجارة في المجتمع ، واتسعت آفاقها ..... وقد امتد نطاق التجارة العربية من كوريا الى البلطيق ، وتغلغل في افريقيا واجزاء من أوربا»[٨]، وهذا التطور التجاري المستمر ، وجد نفسه تحت ظلال حكومات منقسمة ، ودويلات متفاوتة ، يحكمها سلاطين وولاة ضعاف «والضعيف يحاول ان يستبد ، ويجمع حوله الاشرار من أجل السيطرة على الأكثرية ، بوساطتهم ، فيكثر الظلم ، فيخرج من يخرج على القانون ويكثر اللصوص ، حتى انهم يحاولون الاستيلاء على خزائن السلاطين والوزراء ويحاول السلطان استرضاءهم ، وكف آذاهم عنه وعن حاشيته ، بمختلف الوسائل الى درجة الاعتماد عليهم في السلطة»[٩].

وفي نفس الوقت والظرف ، يحس أصحاب الحرف والصنائع والعامة ان السياسة والتجارة واللصوصية متعاونات عليهم ، ولابد لذلك من وجود ، «تنظيمات تهدف الى حماية مصالحهم ، التي تمثل رد الفعل العنيف للأوضاع الاقتصادية والسياسية»[١٠]، غير أن الحركات اتهمت باللصوصية والنهب أيضا[١١]، وسبب هذا الاتهام ، السلطة الحاكمة والتاجر المتعاون معها ، واللصوص

---

(٧) اسطورة الأدب الرفيع ص ٢٦١ نقلا عن آدم متز .
(٨) الجذور التاريخية للاشتراكية العربية مقال في كتاب دور الأدب في المعركة ص ٢٥١ .
(٩) الحكاية الشعبية العراقية : العدد ١٠ السنة الثالثة ١٩٧٢ : مجلة التراث الشعبي .
(١٠) الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ص ٢٥٣ .
(١١) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٨٤ .

الحقيقيون الذين يحمونهم ، في حين أن حركات الشطار والفتيان ، كانت تعبر عن موقف الشعب من التاجر والحاكم(١٢).

في حين نجد أن حركاتهم ، وجدت من يرعاها ، بل هناك ما يدل على وجود العباسيين والعلويين بين العيارين ، - خلال العهد البويهي - وهذا يلقي الضوء على الوضع الاجتماعي ، ويدل على تدهور مركز هؤلاء الأشراف بعد سيادة البويهيين في الشرق»(١٣).

وقد ارتقى بعض العيارين سلم المناصب السياسية والاجتماعية بل ان منهم من كسفوا السلطان كما حصل للبرجمي الذي استبد ببغداد مدة خمس سنين ٤٢١ - ٤٢٥هـ ، بل أن العوام يتفقون معه ويؤيدونه ضد السلطان ، ويأمرون خطيب جامع الرصافة بالخطبة له والا فلا يخطب لخليفة او ملك (١٤). وقد يتعدى ذلك ، الى أن يسند الى بعضهم وظائف حفظ الأمن وجباية الضرائب من الأسواق والمواخير والقيان لنفسه(١٥).

وحركة العيارين اللصيقة بالعامة من الناس ، كانت ذات مبادىء اخلاقية ، وطريقة يسيرون عليها ، بل ما حركة الفتوة فيما بعد الا سليلة حركتهم .... ومن مبادئهم الاخلاقية : ان الفتى لا يزني ، ولا يكذب ويحفظ الحرم ، ولا يهتك ستر امرأة ، فالعفة وعدم المجون من الصفات الاساسية عندهم ، وهم يؤكدون على الأمانة ،.... ومن عناصر قوتهم الرفق بالفقراء والضعفاء ،.... ومن صفاتهم الكرم والصبر الشديد على احتمال الاذى(١٦).

وما كان التاريخ سوى رسم ما وقع في العلاقات والتصرفات ، فقد حدد لعالم العيارين والشطار بالاضافة الى مبادئهم الخلقية أنه «اذا كانت وجهتهم مقاومة السلطة ، وعدم التعرض للضعفاء ، والنساء بل انهم اهملوا مبادىء الدين ، ونصوص الشريعة ، فاستغلوا وأذوا الفقراء والضعفاء ، وان العيارين قاموا لأخذ حقوقهم المهدرة عنوة ، وكانت هجماتهم تتركز على رجال

---

(١٢) د . عبدالحميد يونس دفاع عن الفولكلور ص ٢١٠ .
(١٣) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٨٥ .
(١٤) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٨٥ نقلا عن شرح ابن الجوزي في المنتظم ج ٨ ص ٧٦/٧٥ .
(١٥) المصدر نفسه ص ٢٨٤ ، نقلا عن ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٧٨
(١٦) المصدر نفسه تلخيصا عن صفحتي ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

الشرطة وعلى التجار وقد قاموا بحفظ الأمن ومكافحة الغزاة كما فعلوا في حصار بغداد في منتصف القرن الثالث»[١٧]

هذا في العراق واما في مصر فقد كانت «ظروف حياة الفلاحين واصحاب الحرف وهم الجمهور الغالب للأدب الشعبي تمتاز بالتجرد من السلطة الاجتماعية فينبني على ذلك بالضرورة أن أدبهم أدب استسلام او على العكس من هذا أنه يشتمل بالضرورة على تفكير واضح محدد فيما يخص المستقبل والمصير»[١٨]

ولهذا وجد «الأنسان المصري نفسه أمام واقعه غير الانساني حيث تسلط عليه الظلم والقسوة والاستعباد من قبل حكام دخلاء غرباء زاحموه في العيش وضيقت عليه مسالك الحياة فبدأت حركة العياق والشطار والزعر وهم اصل فتوة مصر وكانت أهدافها بشطارتها وعياقتها تعبر عن موقف الشعب تجاه التاجر المسرف في حمقه والحاكم الظالم»[١٩]

وأذن فالليالي في حكاياتها وهي نتيجة لتحكم آلية النفس الشعبية والعامة[٢٠] وفي الوقت نفسه المرآة التي تعكس الانماط التي اختلقتها القريحة الشعبية حفلت بعض حكاياتها بعالم الشطارة

فاذا رجعنا اليها لوجدناه في عرضها لمواقف الشطار بين مؤيدة للعامة وهم في مواقفهم تجاه السلطة ، وبين اظهار الفاسدين او الخارجين على مبادئهم واخلاقياتهم فهي لاترضى عن تشويه الجميع بما يعمله المفسد

في الحكاية الخاصة بابراهيم بن المهدي أخ الرشيد وخلال صراعه مع ابن اخيه المأمون حول شرعية خلافتها اذ استمر ابراهيم خليفة فترة في بغداد والمأمون في ايران وبعد عودة المأمون الى بغداد واستيلائه على السلطة نجد أن ابراهيم يختفي في بيت رجل تبين أن احد الشطار فرحب به الشاطر واستضافه فعل الكرام وقد عرف امره ، وهو لم يفكر في المكافأة التي قررها المأمون لمن يدل على ابراهيم وقدرها مائة الف دينار بل رفض ان

---

(١٧) الجذور التاريخية للاشتراكية عن كتاب دور الادب في المعركة ص ٢٥٣/٢٥٤

(١٨) فنون الأدب الشعبي ص ١٢

(١٩) دفاع عن الفولكلور ص ٢٠٩/٢١٠

(٢٠) سيرة الأميرة ذات الهمة ١٨

(٢١) الحكاية الشعبية ص ٦٨ : الجذور التارخية للاشتراكية العربي ص ٢٥٣ .

يسلم من ابراهيم اي مبلغ نظير خدمته حيث يقول «يا سيدي ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم ولكن بمقتضى مروءتي كيف آخذ ثمناً على ما وهبه لي الزمان من قربك وحلولك عندي والله لئن راجعتني في هذا الكلام ورميت بالخريطة[٢٢]، لي مرة اخرى لاقتلن نفسي فقال ابراهيم بعد أن رفض اخذ المال كما رفض الوشاية به ورفض ما جعل لمن يدل عليه ومقدارها مائة الف دينار عظم في عيني وثبتت مروءته عندي»

كما انها لم تتردد في ذكر الحقائق عن الفاسقين الفاسدين منهم كما في الحكاية المروية عن تاجر دخل بلداً اغلب أهله من النصابين فلما استقر به المقام نصبوا عليه وجردوه من امواله لأنهم كانوا قد اعتادوا الكذب على الغرباء وكانت جماعة الشطار تستشير شيخهم «لأنه عارف كبير خير وكل الناس تحظر عنده يسألونه عما يريدونه فيشير عليهم بما يكون له فيه الصلاح لأنه عارف بالمكر والسحر والنصب وهو شاطر فتجتمع الشطار عنده بالليل»[٢٤]

وبعضهم قسمه لا يحترمون الذمم ولا يلتزمون بالاخلاقيات كما في قول الشاطر «جوان الكردي» لزمرد الجارية وهو يسرقها «يا عاهرة انا الشاطر جوان الكردي من جماعة أحمد الدنف ونحن أربعون شاطراً وكلهم في هذه الليله يمسقون بك»[٢٥] اما اتهام السلطة لبعض الشطار والعيارين بالسرقه فهذا ماذكرته الليالي في أحد اخبارها في محاولة سرقة لبيت تاجر من قبل لصوص يعملون أفراداً من دار الخلافة وصاحب الشرطة وهم شطار عيارون ولكنهم عندما يشعرون بخطأ ما فعلوه ينقسمون قسمين قسم يريد اعاده ما سرق وقسم يصر على الاحتفاظ بالمسروقات[٢٦]

فالليالي في مواقفها من عالم العامة والشطار والفتيان والعياق والعيارين وقطاع الطرق وعلاقتهم جميعاً بالسلطة انما هو رهن بمبادىء الاخلاق ومقاومة الظلم وهي تعني التحدي للسلطة المستهزئة بالعامة ، وعالم

---

(٢٢) محفظة للدنانير والدراهم على شكل الكيس
(٢٣) الف ليلة وليلة ط بو اوفسيت ليلة ٢٧٣ ص ٢٤٩/٢٤٨ مجلد ١
(٢٤) المصدر نفسه ط بو افسيت ليلة ٦٠٣ مجلد ٢ ص ٨٤
(٢٥) الف ليلة وليلة ط بو اوفسيت ليلة ٣١٧ مجلد ١ ص ٤٩٣
(٢٦) المصدر نفسه ط . بو اوفسيت ليلة ١٦٤ مجلد ١ ص ٣٣٦ .

الشطار والعياق والفتيان فكأنها تريد ان تقول للسلطان ان اليد التي تسرق «بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والمصباح الذي بالجوهر ثم ينزل من الموضع الذي طلع منه»[٢٧] هذه اليد قادرة على التغير فهي اذن صورة اشعار للحاكم بقدرة هذه اليد التي تسرق لا من اجل السرقة بل لتحدي السلطة

ولما كانت العامة في العراق ومصر تخضع لنفس مؤثرات السياسة الحكمية والتجارية وتنوع الحكام الدخلاء الذين لا يحسون بآلام الأمة فقد صبت الليالي سخريتها منهم ومن ولاتهم وشرطتهم في حكايات تعتبر تنفيساً ونقداً وتحذيراً واظهاراً لواقع سياسي مُرْ عاشته الأمة خلال حقب تاريخها الطويل وأول مظهر سياسي يظهر من خلال مواقف الليالي من عالم الشطارة والفتيان هو تعاون العامة في كل من مصر والعراق وان شيخ فتيان العراق يرسل الى من يختارهم من فتيان مصر لأن حركتهم واحدة وهدفهم سام وأن ما يفعله الفتى أو الشاطر في مصر والعراق إنما يعني استمرار صوت الضمير الشعبي في المطالبة بالحقوق للآخرين مما يضطر الخليفة أو السلطان الى الاعتراف بهم والاستعانة بجموعهم لحفظ الأمن بعد أن يظهروا من الشطارة الوانا كما جاء في نص خطاب المقدم أحمد الدنف الذي عينه الخليفة مقدما لدرك بغداد[٢٩] الى اكبر اولاده الروحيين علي الزيبق المصري « وبعد فالسلام من المقدم أحمد الدنف الى أكبر اولاده علي الزيبق المصري والذي نعلمك به اني تقصدت صلاح الدين المصري ولعبت معه مناصف حتى دفنته بالحياة واطاعني صبيانه ومن جملتهم علي كتف الجمل وتوليت مقدم مدينة بغداد في ديوان الخليفة ومكتوب علي درك البر فان كنت ترعى العهد الذي بيني وبينك فأتِ عندي لعلك تلعب منصفاً في بغداد يقربك من الخليفة فيكتب لك جامكية وجراية ، ويعمل لك قاعة وهذا هو المرام والسلام»[٣٠] فالعلاقة واضحة بين العراق ومصر في نقطة تحول القوى الشعبية ضد الذين

---

(٢٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٧

(٢٨) الجذور التاريخية للاشتراكية ص ٢٥٣

(٢٩) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٢٩

(٣٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٩ .

يسيئون للأخيار والطيبين والفقراء ، وسوف نقف عند كل حكاية من حكايات الشطار أو أخبارهم المتناثرة في الليالي باعتبارها من قصص المقاومة الشعبية بطريقة الأخذ من الاقوى واعطاء الاضعف على طريقة طبقة الفرسان وفروسية الغرب خلال العصور الوسيطة[٣١]، لأن حركات الشطار كانت تتحداها سلط الحكم والتجار الظالمين وقد ظهر ذلك على لسان التاجر «عذرة اليهودي الذي يصور غطرسة التجارة واحتقارها للشطار والفتيان ، اعتمادا على القدرة المالية فهو ينادي متحديا شطار مصر ، وفتيان العراق ، ومهرة العجم بأنهم عاجزون عن أخذ ما يريده الشاطر «...... اين شطار مصر ، وفتيان العراق ومهرة العجم من اخذ هذه البدلة بشطارته فهي له ...»[٣٢]

وما رد الشاطر او الفتى الا بالعمل على تحقيق ما يظنه التاجر او الحاكم مستحيلا لأنه انما يمثل ارادة الشعب في تحديها للطغاة او المتحكمين في رد الحقوق لاصحابها وعلى هذا رسمت الليالي صورة الشاطر والصيرفي الذي يجمع الذهب ويكنزه فقال أحد الشطار متحديا انه قادر على سرقة الكيس الذي يحمله الصيرفي وفعلاً يسرقه غير أن هذه السرقة تتسبب في اتهام جارية الصيرفي وتعذيبها فيعيب عليه الشطار ، وان عمله هذا شطارة ولكنها تسبب في ايذاء بريء فيرد الكيس الى الصيرفي وينجي الجارية ثم يعود لسرقته مرة اخرى وقد نص على ذلك حين خاطبوه «ان الذي عملته شطارة وما كل انسان يقدر عليه ، ولكن في هذا الوقت يخرج الصيرفي فلم يجد الكيس فيضرب الجارية ، ويعذبها عذاباً اليماً فكأنك ما عملت شيئا تشكر عليه فان كنت شاطراً فخلص الجارية من الضرب والعذاب»[٣٣]

غير ان الشطارة التي يقوم بها الشطار ، يجب ان لا تسبب في إيذاء الضعفاء او اتهامهم والا لم يعد العمل الذي يقومون به شطارة بل مجرد لصوصية عادية

والشطارة وفنونها ومواقفها من السلطات تختلف باختلاف البلد وان اتفقت في الهدف غير ان الاساليب متفاوتة فهي في العراق تختلف عنها في مصر وذلك باعتراف كبيرهم «أحمد الدنف» عند استقباله لعلي الزيبق

(٣١) ج ج كولتسون عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ص ١٣٧
(٣٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤٠ حكاية احمد الدنف .

المصري في بغداد حيث يقول له «ياولدي لا تحسب ان بغداد مثل مصر هذه بغداد محل الخلافة وفيها شطار كثيرون وتنبت فيها الشطارة كما ينبت البقل في الارض وإن بنات العراق الشاطرات يغلبن رئيس فتيان مصر»[٣٤]

١ حكاية علاء الدين ابي الشامات

ولنبدأ بحكاية علاءالدين ابي الشامات لندرك سر الفروق السياسية والاجتماعية خلالها في مقارنتها بغيرها من حكايات الشطار والفتيان والمهرة فهي تدور اولاً في بيئتين مصر أولاً ، ثم بغداد ثانياً واطارها العام تجاري حيث يعمل الأب والأبن وقد خلقت التجارة طبقة «لعبت دوراً مهماً في الحياة العباسية فحين كانت مصالحهم تصطدم بالخليفة كانوا اما أن يدفعوا كمية من المال درءاً للمصير الذي ينتظرهم او تعرض أموالهم للمصادرة»[٣٥]

ويتاجر علاءالدين من مصر الى بغداد ، وتنهب امواله من قبل قطاع الطرق ويدخل بغداد فقيراً غريباً ليصبح فيما بعد رئيس الستين بعد أن اصبح شاه بندر التجار ، بأمر الخليفة ، ورتبته هذه تابعة لرتبة المقدم التابعة لرتبة الأمير[٣٦].

ورئيس الستين شاه بندر التجار في الحكاية يتمنى لو كان احد اتباع المقدم أحمد الدنف أشهر العيارين والشطار وشيخهم «لعله يقبلني ولده في عهد الله» بل وكان يوسط له من هم اتباع المقدم[٣٧]

---

(٣٣) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ليلة ٣٤٤ مجلد ١ ص ٥٢٤
(٣٤) الف ليلة وليلة ط بو ليلة ٢٣١ ٢٣٣ مجلد ١ ص ٦٥٩ ٦٦١
(٣٥) الجاحظ والحضارة العباسية ص ٦٧ نقلا عن كتاب عصر المأمون رفاعي ج ١ ص ٣١٢ ٣١٣ نقلا عن المسعودي مروج الذهب ج ٦ ص ٤٢٥
(٣٦) كانت للعيارين تنظيمات خاصة ودرجات في الرئاسة والقاب ومن القاب رؤسائهم في القرن الرابع الهجري المقدم ، والقائد والأمير نقلا عن دراسات في العصور العباسية المتأخرة عبدالعزيز الدوري ص ٢٨٤ اما فيما بعد وخلال عصر المماليك فقد اطلقت لفظة مقدم على الذي يتولى أمر المماليك للسلطان او الامير من الخدام الخصيان المعروفين بالطواشية ومقامه منهم مقام رأس النوبة الأدب العامي مصر أحمد صادق الجمال نقلا عن صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٥٦
(٣٧) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٦٣ .

وليس سخرية[٣٨] ما جاء في الليالي ، عند تعيين المقدم بأمر الخليفة ، وهو ممن اتهم باللصوصية والاحتيال ، كما في اختيار أحمد الدنف لهذا المنصب ، اذا ما علمنا ان للعيارين المباديء الخلقية التي ذكرناها سابقا ، وانما السخرية من الوضع السياسي المتردي الذي يلجىء السلطة ، الى مثل هذه المستويات بعد أن كانت من المناصب الحساسة التي تسند الى الاشراف وخاصة لأنها أقرب الى وظائف الشرطة وهو «صاحب المدينه وصاحب الليل»[٣٩] ومقدم الدرك يعرف السراق «فقال له : قبل أن تقتلني ، اقتل احمد قماقم السراق ، فانه لا يعرف الحرامي والخائن ، الا مقدم الدرك»[٤٠].

ثم ان الحكاية ومواقفها السياسية اضافة الى الاستهزاء بالسلطة ، اذ اصبحت لعبة بين يدي السراق ، تصب لعناتها ونقداتها على الوزير والوالي ، فجعفر البرمكي وزير الخليفة الاكبر ينزل الى سوق الجواري ليشتري جارية لشاه بندر التجار ، وهو أحد العيارين ، وشخصيات الولاة ضعيفة يأكلهم الحسد والخوف من العيارين ، فيستعينون باللصوص الحقيقيين ، لينتقموا لهم من العيارين ، كما استعان والي بغداد بالسارق أحمد قماقم الذي سرق قنديل الخليفة ومنديله وخاتمه ، وجعلها في بيت علاءالدين ، لينتقم الخليفة منه ، من أجل مصلحة ابن الوالي ، وليس من اجل المصلحة العامة[٤١].

كما اظهرت الحكاية تعاون طائفة العيارين في تخليص أحد ابنائها اذا ما تعرض لسخط السلطة دون ان يشعروا السلطة بذلك ، فبأعتبارهم مسؤولين عن الأمن ، لا يستطيعون تجاهل حكم الحاكم ولكنهم يعملون المستحيل على انقاذه حتى ولو بطريقة اللعب والخداع المظهري كما حصل بالنسبة للتهمة الملصقة بعلاءالدين لثبوت وجود الأموال المسروقة عنده أذ أمر الخليفة باعدامه ، ولكنهم عزّ عليهم أحد أبنائهم في عهد الله ، فعملوا على اعدام

---

(٣٨) جاء في كتاب اضواء على السير الشعبية لفاروق خورشيد ص ١٣٤ .
«ومعلوم ان مقدم الدرك هو رئيس الشرطة ، والمحافظ على الامن وليس اكبر من هذا سخرية ، في الجهاز الحاكم الذي يبدو فريسة بين ايدي اللصوص ، وربما كان هذا تعريضا بالقائمين على الحكم من المماليك» .

(٣٩) نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٣ .

(٤٠) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٦٥ .

(٤١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٩ .

(٤٢) الف ليلة وليلة ج ٢ ص ١٧١ .

شخص صدر عليه حكم الأعدام ، وتمكنوا من ابعاد ابنهم في عهد الله ، فقد جاء على لسان المقدم وهو يودع المتهم البريء «يا علاءالدين انت ما بقي لك اقامة في بغداد فأن الملوك لاتعادىٰ ، ومن كانت الملوك في طلبه ياطول تعبه»[42]، ثم نجدهم يعملون المستحيل لمعرفة الجاني الحقيق لأنهم أمناء وعلى عادة مبادئهم «حاشا أن يكون الأمين خائنا»[43]

وتستمر الحكاية ألى أن تظهر العيارين والشرطة يتعاونون في حفظ الأمن بل يظهرون ضروبا من البطولة لكي يحموا الخليفة من الاغتيال السياسي[44]

ويمكن استخلاص الملامح السياسية في الحكاية على الشكل التالي

(١) السلطة الضعيفة تستعين بالذين يحمونها ، حتى وان كان ماضيهم متهماً او مطعونا فيه إذا ما أسند إليه الأمر على أساس انه لايعرف اللص الا اللص

(٢) ان بطولاتهم واظهار فنون مقدرتهم لاتتعدى استمرار اهتمام السلطة بهم او لجعل السلطة لاتفرط فيهم

(٣) ان الوزير أو الوالى لاقيمة له اذا ما كانت السلطة والحماية بيدهم

(٤) ان السخط على الفساد والسلطة الضعيفة مشترك من قبل شعب وادي النيل ووادي الرافدين لأن المصيبة واحدة

(٥) ان تعاون السلطة والتجارة اوجد رد فعل شعبي لكي لايستغل الشعب من قبل الحاكم والتاجر ، متمثلاً بالعيارين والشطار مما اوجد نوعاً من التوازن السياسي

٢ ـ حكاية احمد الدنف وحسن شومان مع الدليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة

الحكاية عموما نقدا ساخرا للحكومة المهزوزة ، لأنها تعترف منذ بداية سطورها وهي تصف بطلي الحكاية أحمد الدنف وحسن شومان بمكرهما

(٤٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٤
(٤٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٤

وخداعهما وحيلهما ومع ذلك نصبهما الخليفة مقدمين على الميمنة والميسرة براً وبحراً وجعل لكل منهما الف دينار شهرياً ، وتحت يد كل منهما اربعون رجلا يحمون المقدمين وهما مسموعا الكلمة واجبا الحرمة بأمر الخليفة[٤٥]

وتزداد السخرية بالسلطة ظهورا عندما تتقدم النساء الى ساحة الشطارة فتغلب الرجال وينادي باحداهن ، ويعين لها ما يعين للمقدمين بعد أن يعترف السلطان الحاكم بأنها اتعبت السلطة «لأي شيء عملت هذه المناصف واتعبت قلوبنا»[٤٦]

كما وأن الليالي في هذه الحكاية تظهر وبصورة مباشرة اعتراف الوالي وصاحب الشرطة بعدم مقدرتهم على حماية انفسهم من العيارين والشطار كما نص عى ذلك « واذا بالوالي والبدوي والخمسة - من بينهم رئيس الشرطة يقبلون وهم يقولون اننا مظلومون قال الخليفة للوالي الزمتك بالعجوز - دليلة المحتالة ، فنفض الوالي طوقه وقال لا التزم بذلك فقال الخليفة هل الزم بها غيرك ؟ فقال له الزم بها احمد الدنف»[٤٧]، بل وتظهر ان سلطان الوالي ينتهي ، عندما تظهر سلطة العيار أحمد الدنف فعلى لسان احدى صاحبات خمارة تقول لأحمد الدنف «انا غريبة من الموصل وأبي كان خماراً ، ومات ، وخلف لي مالاً وجئت به خوفا من الحكام ، ففتحت هذه الخمارة فجعل الوالي علي قانونا ، ومرادي أن أكون في حمايتك ، والذي يأخذه الوالي انت اولى به فقال أحمد الدنف لاتعطه شيئا»[٤٨]

كما تؤكد اتفاق السلطة والتجار على الاستعانة بهم ، لحماية التجارة من قطاع الطرق خاصة اذا ما عرفنا أن الأعراب المحيطين بالمدن كانوا يهاجمون القوافل التجارية بتأثير سياسي معاد للسلطة العباسية من قبل الفاطميين حيث نقلنا سابقا رأي (ماسينيون) في ذلك اذ يقول «وكان قطاع الطرق يهاجمون القوافل التي تنقل أموال الصيارف ، حتى ضج اغنياء اليهود واصحاب المصارف ، وكانت بغداد تتهم الفاطميين بأنهم هم الذين يحرضون

---

(٤٥) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢١٢
(٤٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٦
(٤٧) المصدر نفسه ط بو اوفسيت ليلة ٧٠٦ ص ١٩٧ مجلد ٢
(٤٨) الف ليلة وليلة ط . بو اوفسيت ليلة ٧٠٧ ص ١٩٨ مجلد ٢ .

قطاع الطرق على مهاجمة القوافل ونهب اموالها»[٤٩]

أو أن السلطة اصبحت غير قادرة على تثبيت الأمن بجيوشها وشرطتها مما قد يضطر الدول الى الاستعانة بمقدمين من الشطار والفتيان ليكونوا مجموعات لحماية الأمن وتعني هذه الظاهرة في لمفهوم السياسي «قطع الأسباب بين الادارة المركزية والاقاليم البعيدة عنها مع قصور وسائل الاتصال»[٥٠]، وكذلك لقطع دابرهم لان هؤلاء الأعراب «قليلاً ما يهدأون فانهم كانوا يقطعون الطريق على السفر حجاجاً وتجاراً ، ويكرهون النظام ايا كان مصدره والسلب عندهم غنيمة مشروعة ولم يقف أمر هؤلاء الاعراب عند قطع الطرق وتهديد الأمن واستياق الأموال بل تعدى ذلك كله الى الانضواء تحت راية كل ثائر يريد الاستقلال بأمارة او ولاية او ينزع الى القضاء على سلطات الدولة جميعاً»[٥١]

فالحكاية تذكر لأحد افراد العيارين فضله في حماية التجار من قطاع الطرق والوحوش الكاسرة فيقاتلهم ويقضي عليهم فينعم عليه التجار بآلاف الدنانير وتكافئه السلطة بالانعام عليه ، واعطائه راتبا وقلعة وأكلاً وشرباً على حسابها لأنه أصبح في خدمتها[٥٢]

اذن فالخوف من قطاع الطرق متسلط على الأذهان لدرجة ان المقدمين حتى ولو كانوا من العفاريت فهم يخشونهم ففي حكاية التاجر المصري علي بن حسن الجوهري نجد خلال سرد الحكاية الخرافية ان مقدم قافلته كان من العفاريت وقد أخبره عن سبب تأخر وصول التجارة «ياسيدي اننا تعوقنا في الطريق لأننا اردنا الدخول بالأمس فخفنا من قطاع الطرق فمكثنا أربعة أيام ، ونحن مقيمون في محلنا الى ان صرفهم الله تعالى عنا»[٥٣]

---

(٤٩) ماسينوت مقالة «مصارف العصور الوسطى» مجلة الهلال ج ٥ سنة ١٣٥٣/١٩٣٥/٤٣ ص ٦١٣

(٥٠) د عبدالحميد يونس الهلالية ص ٤٨

(٥١) د عبدالحميد يونس الهلالية ص ٤٨ ٤٩

(٥٢) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤٦ وليلة ٦٧٧ ط بو اوفست

(٥٣) المصدر نفسه ط . بو اوفست ليلة ٤٢٩ مجلد ١ ص ٦٠٨ .

والملامح السياسية في الحكاية تتلخص فيما يلي

(١) مشاركة المرأة للرجل في استغلال ضعف الأمن ، للتقرب الى السلطة السياسية في الانضمام لحركة العيارين والشطار

(٢) اتحاد الشطار في العراق ومصر ، من اجل الدفاع عن شخصية الخلافة العباسية كما نص على ذلك من قبل أحمد الدنف وهو يقدم علي الزيبق المصري للرشيد «هذا علي الزيبق المصري رئيس فتيان مصر وهو أول صبياني فلما يكرمه الرشيد يقول له تمن يا علي فقال تمنيت عليك ان اقف على بساطك وآكل من سماطك»(٥٤)

(٣) الاستعانة بهم لحماية التجار من سطوة قطاع الطرق بأمر الخلافة العباسية خوفا من تأثير سياسة الدولة الفاطمية المعارضة لها

اما بالنسبة لحركة الشطار والعيارين في مصر ، فقد اظهرت الليالي نحوهم نوعا من استهزائهم الشديد بالحكام والولاة ، فالشاطر هو الغالب وهو الضاحك دائما لدرجة تختفي معها قوة السلطة الحاكمة تماما ، وعلى الرغم مما نلاحظه من سخرية في نقد الحكايات البغدادية للسلطة ، فأن سلطان الخليفة كان وطيد الاركان وأن اعمال الشطار ، انما تعني لفت نظر الخلافة ، فقد كانت غاية الشاطر أن يقف على بساط الخلافة ويأكل من سماطها(٥٥). كما رأينا

في حكاية الشاطر مع والي الاسكندرية ، نجد احد الجنود قد سرق منه كيس نقوده ، فاستعان بالوالي ، الذي استعان بدوره بالمقدمين لاحضار السارق ، غير أن مقدميه لم يصلوا للسارق الحقيقي فاتهموا أحد الأبرياء ليقال عنهم انهم عرفوا السارق ، ولما عرف الشاطر السارق الحقيقي ، تقدم الى الوالي واعترف بسرقته تطبيقا لمباديء واخلاقيات الشطار وفعلاً أعاد الكيس للجندي مما جلب لنفسه شكر الوالي واحترامه والشاطر يقول للوالي «أيها الأمير ، ماالشطارة اني جئت اليك بنفسي وأخذت هذا الكيس وانما الشطارة في أخذ هذا الكيس ثانيا ، من هذا الجندي ، فقال له الوالي

---

(٥٤) الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤٦ ليلة ٦٧٧

(٥٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٤٦ .

وكيف فعلت ياشاطر حين أخذته[٥٦]؟ وهنا يسرد الشاطر متابعته للجندي حتى ساعة أخذ الكيس وقال وأخذت الكيس هكذا ، ومد يده وأخذ الكيس من بين أيادي الوالي والجندي ، وتأخر الى خلف الوالي والجندي ، والناس ينظرون اليه ، ويعتقدون انه يريهم كيف أخذ الكيس من المخرج ، واذا به جرى ورمى نفسه في بركة فصاح الوالي على حاشيته ، وقال الحقوه ، ولكن دون جدوى»[٥٧].

فالاستخفاف بالوالي لدرجة اضحاك الناس عليه ، وطعن مقدميه في تقديم البريء للدلالة على أن الحاكم اعتمد على اناس يظهرون مقدرتهم بغير حق فهم مطعونون في عدالتهم وانتصار الشاطر في تبرئة ذمة البريء بحسن تدبيره كل ذلك يمثل ملمحاً سياسياً بارزاً في أن سلطة مصر في ولاتها ليست عادلة

ولا يقتصر الأمر على والي الاسكندرية ، بل ان موقف الشطار من ولاة «القاهرة وبولاق ومصر القديمة» هو نفس موقفهم مع والي الاسكندرية

فوالي القاهرة وهو يحكي حكايته للملك الناصر ، يظهر خلال حديثه انه لا يستحق منصب الولاية فعلاً ، فهو في حكايته التي أراد منها أن يكتشف سر نصابين كانا من شهود الزور وحب المال والنساء ، فدخل بيت رجل متنكراً لضبطهما فعرفاه ، وقال صاحب البيت له : اعلم يامولانا الوالي انك تقدر على اكثر من هتيكتنا ، وفي يدك تعزيرنا ، ولكن الرأي عندي أن تأخذ هذا القدر من المال - ثلاثمائة دينار - وتستر علينا فان الله اسمه الستار ، ويحب من عباده الستريين ، ولك الأجر والثواب ، فقلت في نفسي خذ هذا الذهب واستر عليهم في هذه المرة ، غير أن النصابين يتقدمان بشكوى الى قاضي المدينة الى ان لهما عند الوالي المبلغ الذي اعطياه ليلاً ويشهد عليه الشاهدان ويأمره القاضي بدفع ما عليه لثبوت الحكاية»[٥٨]

فلم يكن للوالي المؤتمن ، لو كان الحق والعدل في طريقهما لكان الطرد

---

(٥٦) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٣٤٢ مجلد ١ ص ٥٢٢
(٥٧) المصدر السابق ط بو اوفست ليلة ٣٤٣ مجلد ١ ص ٥٢٣
(٥٨) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٣٤٣ مجلد ١ ص ٥٢٣

والاحتقار ، لأنه قبض ثمن سكوته ولأنه خان واجبه ولكن العدالة رغم شهادة الزور قد طبقت عليه لرد ما اخذه .

أما الوالي الثاني ، فقد أغراه طمعه ، وكثرة ديونه الى أن يأخذ من اللصوص صندوقاً مليئاً ذهباً وفضة ، لأنهم وجدوه محتاجاً ، فأكرمهم على سرقتهم ، فاعطاهم من صافي ماله مائه ألف دينار ، فلما اصبح الصباح وجد أن ما أخذه منهم ، لم يكن إلا معدناً مزيفاً ، وبذلك استحق الخزي كصاحبه والي القاهرة . وكأن الليالى أرادت ان تقول له : انك لا تستحق الولاية ، لأنك قبلت سرقة السراق فسرقوك . وكذلك الوالي الثالث ، فقد أمر بشنق جماعة من اللصوص فهرب احدهم ، مما اضطر منفذي أمره لقتل رجل فلاح مكانه ، مما يدل على تردي الأحوال السياسية والقضائية ، في مصر[٥٩]، وان السياسة لم تستطع اختيار الرجل الأصلح لولاياتها ، وأنهم أناس هدفهم الطمع وسلب أموال الناس ، وأن أرواح الأبرياء عرضة للأزهاق ، دونما سبب جوهري .

وتتكرر الصورة في ضعف ولاة مصر ، وضعف حكوماتها وان الطمع شاغلهم الاكبر ، كما في حكاية قاطع الطريق مع والي مدينة قوص حيث اعلن امامه التوبة ، وانه يقدم ما سرقه طيلة حياته ليتصرف بها الوالي ، وانه يريد العيش الحلال ، فاعطاه الوالي الف دينار ، طمعا بالأموال المسروقة ، ولكن الحكاية كعادتها مع ولاة مصر ، تظهر أن هذه الأموال والمصاغ والذهب والفضة كلها أشياء مزيفة ايضا[٦٠].

فالموقف الذي ارادته الليالي في خلال عرضها لحكايات الشطار والعيارين ، ان السياسة وتدبيرها لحياة الأمة مفقودة بفقدان الأمن ، وأن «علي الزيبق يعتبر منفذاً لأحساس الهزيمة عند الفرد المصري العادي ، الذي تدور أمامه مهازل تولي المماليك واحدا أثر الآخر ، وكأنها لعبة وهو بعيد لا يشارك فيها»[٦١] وان مجموعة الحكايات انما «هي تعريض حقيقي بالحالة الاجتماعية لعصر

---

(٥٩) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٣٤٣ مجلد ١ ص ٥٢٣ .
(٦٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٣٤٥ ، ٣٤٦ مجلد ١ ص ٥٢٥/٥٢٤ .
(٦١) اضواء على السير الشعبية ص ١٥٠ .

المؤلف ونقد روائي للفساد الذي استشرى في أجهزة الحكم ، حتى ضاع معنى الأمن ، وأصبحت اليد العليا للبطش والقوة لا للقانون والنظام خلال أحلك فترة من فترات التاريخ في مصر منذ الظاهر بيبرس حتى طومان باي الغوري[٦٢]

وهي في نفس الوقت «وثيقة اتهام فنية ، وصرخة احتجاج أخرجها ضمير الشعب[٦٣] لا في مصر وحدها بل في العالم العربي الذي تعرض للحكم البويهي والسلجوقي في العراق ثم التتري الذي أعقب سقوط بغداد ، والى الحكم الفاطمي ودويلات المماليك في مصر ، ثم الى مجموعة الدويلات المتأخرة في المغرب والأندلس في حين كانت الهجمات البحرية والقراصنة تهاجم السواحل العربية من قبل أوربا المتعصبة ضد المشرق العربي الاسلامي خلال وبعد الحروب الصليبية

فاذا كانت الليالي قد احترمت فتوة العرب ومهرة العجم ، وأن لم تظهر لهم نموذجا او ابرزت لهم دوراً في واقع الحياة العامة او السياسية فاننا نجدها قد احتقرت فتوة العبيد من السودان ، اذ انها صبت عليهم كل لعناتها من الصفات غير اللائقة ، فهم متهمون بالفساد الخلقي وكأن فارق اللون او المكانة الاجتماعية لهم قد تحكم في آلية الرواية او الحكاية فهي تظهر لنا هذا الفرق في إعطائنا المواقف والامثال عنهم فقد جاء على لسان عبد أسود كان يخون سيده الملك مع زوجته الملكة حين خاطبها «تكذبين يا عاهرة ، وانما لما أحلف وحق فتوة السودان والا تكون مروءتنا مروءة البيضان ان بقيت تقعدين الى هذا الوقت من هذا اليوم لا اضاجعك ....»[٦٤]

ويبدو لي أن سبب هذه النظرة المحتقرة لفتوة السود راجع الى ثورة الزنج المدمرة التي اجتاحت العراق الجنوبي وما لق الناس من عبث وتحريق للمزروعات وحرق للمدن كما حصل للبصرة[٦٥] حتى ضرب بها المثل السائد في

(٦٢) اضواء على السير الشعبية ص ١٣٣ ١٣٥

(٦٣) المصدر نفسه ص ١٥٠

(٦٤) الف ليلة وليلة ط بو اوفسيت ليلة ٧ ص ٢٢ مجلد ١

(٦٥) ثورة الزنج حركة خطرة هددت كيان الدولة العباسية في الصميم واشغلتها حوالي اربعة عشر عاما حيث قامت عام ٢٥٥ هـ حتى عام ٢٧٠ هـ ، وتعرضت البصرة لهجمات الزنج وصاحبهم سنة ٢٥٧ هـ

العراق «بعد خراب البصرة»[٦٦]، واصبحوا محتقرين في نظر الناس حتى وان كانوا حكاماً كما في البيتين الشهيرين من شعر المتنبي تجاه كافور الأخشيدي حاكم مصر في هجائه المر

العبد ليس لحر صالح باخ لو أنه في ثياب الحر مولود
لاتشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجاس مناكيد

او ربما جاء هذا الشعور بالمنقصة تجاهم ، نتيجة لترسبات القيم البدوية الجاهلية رغم نواهي الدين الحنيف عنها وعلى هذا فقد جاءت مواقف القاص في الليالى الممثلة لرأي العامة ، متسمة بالسخرية منهم واتهامهم بالخسة والكذب والزنى والسرقة وأكل لحوم البشر ، ولم تسند اليهم في مجال فتوتهم الا القتل أو الخدمة المنزلية والملمح السياسي الوحيد الذي يمكن الاحساس به هو احتقار المماليك الحكام ، حتى وان كان لونهم غير أسود اذ ان الليالي سحبت حكمها عليهم ما داموا في حكم واحد ، هو حكم الرق او الاستعباد لكي لا يصلوا الى أية سلطة كما جاء في موقف الحاكم الذي رفض أن يكون ابنه مولودا من جارية «اعلم ايها الوزير ، ان الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا نسبها ، فهو لا يدري خساسة اصلها ، حتى يتجنبها ، ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقاً ظالماً سفاكاً للدماء»[٦٧] فكأنما أرادت التعريض بالخلفاء العباسيين لأنهم اولاد جوار عدا الأمين

فاذا ما تطلع العبد الى مالا يمكن ان يرفع بصره شتم محقراً كما جاء على لسان الملكة الاوربية (ابريزة) «ويلك يا غضبان ، وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب ياولد الزنا ، وتربية الخنا اتحسب أن الناس كلهم سواء»[٦٨].

=

وانتقم الزنج من اهلها انتقاما مريعا وقتلوا ٣٠٠ وسبوا النساء والاطفال واحرقوا المسجد الجامع فيها

«نقلا عن الدوري دراسات في العصور العباسية المتأخرة بتصرف من صفحتي ٧٥ ، ٨٨ منه .

(٦٦) يقابل المثل في مصر «بعد خراب مالطة»

(٦٧) الف ليلة ج ١ ص ٢٦١ حكاية العاشق والمعشوق

(٦٨) المصدر نفسه ط بو ليلة ٥٢ مجلد ١ ص ١٦٠ .

بل ان التحقير ليمتد الى السنة الجواري المملوكات فعلى لسان جارية للملكة ابريزة بعد أن قتلها العبد تقول «واخيبتاه كيف قتل سيدتي عبد اسود لا قيمة له بعد فروسيتها»[٦٩]

ان هذه الصورة وغيرها جعلت موقف الليالي تجاههم يتسم بالتحقير ، وفيه ايضا احساس بأنهم قوة معطلة من القوى البشرية ، فكأنها نبهت الحكام لذلك حيث قالت عنهم «غيلان لا يقدر أن يشبعهم غير الله»[٧٠]

(٦٩) المصد رنفسه ليلة ٥٢ ص ١٦٠ مجلد ١
(٧٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٩٣٦ مجلد ٢ ص ٥١١ .

القسم الثاني

موقف العامة من السياسة

وللعامة عموماً مواقفهم السياسية تجاه السلطة أو للسلطة مواقف خاصة تجاههم ولهذا نجد الليالي عرضت للناس العاديين وللمثقفين وللمفكرين البعيدين عن دائرة السلطة أول الأمر ، ولكنهم يصلون اليها بأمر القاص الذي أراد أن يظهر أن الناس لو اتيحت لهم الظروف لأن يكونوا غير ما وجدوا عليه أنفسهم لكانوا فاذا ما وجدنا أن صياداً كعبدالله البري يصبح وزيراً للميمنة والخباز وزيراً للميسرة وجودر الصياد الفقير ملكاً ، ومعروف الاسكافي حاكماً عادلاً فان هذا دليل على أن سياسة الليالي تجاه العامة في أن تجعلهم يظهرون اعتزازهم بحاجة السلطان اليهم مما يعني أن الحاكم لا يمكنه الاستغناء عن عامة الناس ابداً ففي حوار ابي محمد الكسلان التاجر وهو يقدم هديته الى الرشيد يعترف باعتزازه بعاميته «يا أمير المؤمنين لا تظن اني حملت لك هذا فزعا من شيء ولا طمعاً في شيء ، وانما رأيت نفسي رجلاً عامياً ورأيت هذا لا يصلح الا لأمير المؤمنين»(٧١)

فوصول الرجل العادي الى المناصب السلطوية لا يعني أن القاص تخيلها ورسمها نتيجة شطحات ذهنية بل انما الأمر يتعدى الخيال فهو منتزع من الواقع فلو رجعنا الى الحكاية التالية المنقولة عن كتاب الفخري في الاداب السلطانيه عن الجمال الذي وصل الى المراتب العليا في المواقف السياسيه في أيام المنتصر وابنه المستعصم وهو الجمال «عبدالغني بن الدرنوس» الذي ترقى في أيام المنتصر حتى صار براجاً في بعض أبراج دار الخلافة فما زال يحسن التوصل الى ولد المنتصر وهو المستعصم آخر الخلفاء

---

(٧١) الف ليلة وليلة ط بو اوفست ليلة ٣٠٠ مجلد ١ ص ٤٧٤ .

وكان في زمن أبيه محبوساً ، فما زال هذا البراج يتعهده بالخدمة ، طول مدة الأيام المستنصرية الى أن جلس على سرير الخلافة ولده المستعصم فعرف لهذا البراج حق الخدمة ، ورتبه مقدم البراجين وفي آخر الأمر استحجبه في باطن داره ، وخصه وقدمه حتى بلغ الى أنه اذا دخل الى الوزير ينهض له ، ويخلي المجلس من جميع الناس لأجل انه يمكن قد جاء في مشافهة من عند الخليفة ولقب نجم الدين الخاص ، وصار من اخص الناس بالخليفة»(٧٢)

ان هذه الصورة من صور الحياة الاعتيادية في آخر ايام الخلافة العباسية تجعل القاص والمؤرخ على حد سواء ، ينقلانها عن حياة العامة المؤثرة في الوضع السياسي ، وهنا يظهر التعصب ، والصراع بين الفكر الذي يسمح لدخول العامة الى معترك الحياة السياسية ، والذي يمنعها عنه فالذين يؤمنون بالفوارق الطبقية يرون أن ما قام به المستعصم هم عين الخطأ عكس الذين استحسنوه كما جاء في الحوار الذي حصل بين ابن الطقطقي صاحب كتاب الفخري ، وبين صاحب له حيث يقول «وصوبت رأي المستعصم في الأحسان اليه ، وقلت انه خدمه ، واثيب عليه حقاً ، وقد كافأه فلا عيب في هذا وقال صاحبه ان تسليطه لمثل هذا الأحمق ، على اعراض الناس وأموالهم وادخاله في المملكة ، حتى كاد أن يولى الوزراء ويعزلهم قبيح من المستعصم ، ودليل على جهله ......»(٧٣)، ان هذا الكلام وغيره هو الذي دفع القاص في الليالي الى ان يختار شخوص بعض حكايات الليالي من أبناء الطبقة الدنيا ليرد لهم بعض حقوقهم المهضومة ولهذا انزل الحاكم الى مستوى الشعب ، ورفع الشعب الى مستوى الحاكم فجعل الرشيد في شتى الحكايات يلتقي بالناس العاديين كحلاق بغداد ، وخليفة الصياد والرجل البدوي وهو يضحك معهم ، ويشاركهم حياتهم الخاصة ، وان كان متنكراً فاذا ما عرفوه احترموه ، واجلوه ، باعتباره الحاكم المؤتمن الا ان نفس

---

(٧٢) الفخري في الآداب السلطانية ص ٣٦ .

(٧٣) المصدر نفسه ص ٣٦ .

فكرة التنكر والتستر بالصورة الاعتيادية لحياة الناس العـاديين ، انما هو هدف القاص البعيد لتحطيم الحواجز بين الطبقات ، لجعل الحاكم حاكماً عادلاً لأنه يعيش واقعهم وفي نفس الوقت يدرك الحقائق منهم ، فعندما يجد الحـاكم نفسـه محاطا بوزراء وحجاب واسوار فربما لا يصل اليه صوتهم

بل جعلت الليالي الرجل العامي البسـيط ، يغلب العفـاريت العتاة والمردة وهم ما يرمز بهم الى الملوك[٧٤]، كما حصل بالنسبة للصياد والعفريت عندما وجـد نفسـه امام الموت حيث يحكم عقله ويتدبر أمره ويحـاور نفسه «هذا جنى وانا انسى وقد اعطاني الله عقلاً كاملاً»[٧٥]

بل أن الخـاص يلجـأ الى العـام عند التغيير السـياسي ، ففي حكاية (وردخـان بن جليعـاد) نجـده عندما ظلم واسـتبد همّ الناس عليه بالانقلاب وقد حملوا السلاح ضده ، فبواب قصره يقول للملك «قد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلك»[٧٦]

وأكثر من هذا عندما يجـد العـالم والحكيم من ابناء العـامة ومن غير الاشراف ذوي النسـب الرفيع نفسـه في موقف المظلوم بعـد أن أدى خـدمة عظمى للحاكم فهـو يندفع رغم بسـاطته كأنسـان لا يفكر بغـير العلم في الانتقام كما عمل الحكيم (رويان) بالملك (يونان) بعد أن تسبب في شـفائه مما جعله محسداً على مكانته لدى الملك ، فاتهم بطمعـه في الملك ، ورغم اعتذاره وأيمانه وصـحة اقواله ، لم يقنع الملك الذي أمر بموته ، ولما عرف الاصرار فكر في الانتقـام حيث قدم له كتاباً مسـموماً ، وبمجـرد لمس ورقة او ورقتين باصبع مبلول يموت الملك وهكذا انتقم من الظالم[٧٧]

وشدة الضـغط على العـوام تؤدي الى الانفجـار وقذف السـلطة الحاكمة بأقسى الألفاظ التي تتجـاوز حـدود الاحـترام لأن الحـاكم أو المسؤول لم يحترم مكانته فعلى لسـان طباخ - كان اصـلاً ابن وزير - يشـتم الوزير المصري لأجل تهمة تافهة بعد أن اشتد عذابه له ، وقد سـأله الوزير

(٧٤) الحكاية والانسان ص
(٧٥) الف ليلة وليلة ج ١ ص ١٦
(٧٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٩
(٧٧) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٢٢/٢١ .

عندما رآه ساهما مفكراً «بأي شيء تفكر ؟ فقال له في العقول السخيفة مثل عقلك ، فانه لو كان عندك عقل ، ما كانت فعلت معي هذه الفعال لأجل نقص الفلفل»[٧٨]

والرجل العادي قد يجعل السلطة حائرة ، عندما يضطر الى ذلك كما فعل البدوي الذي استنجد بمعاوية لتخليص زوجه من مروان بن الحكم الذي طلقها منه وتزوجها فلما حضرت الزوجة امام الخليفة اعجبته فحاول معه اقناع الرجل البدوي للتخلي عنها له . فقال البدوي ، بعد أن رآه معاوية ساهماً «ما بالك قال بشرٍ بالٍ ، وسوءِ حالٍ ، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد

لا تجعلني فداك الله من ملك كالمستجير من الرمضاء بالنار»[٧٩]

فقد وجه الاتهام للسلطة او جعل الحاكم في دائرة الاتهام

وتندفع العامة مع الذي يتهم مسؤولاً ، وتتكاثر لدرجة التشهير على شكل تظاهره انتقامية كما حصل لقاضي بغداد الذي اتهمه حلاق بغداد بقتل رجل يعشق ابنته مما سبب للقاضي احراجاً وخجلاً من الناس المجتمعين أمام بيته لدرجه انه حبس عن الرد واصبح في أوطأ دركات الخجل[٨٠]، وهذا يذكرنا بما فعله اهالي الأندلس في مقاومتهم لظلم الولاة والحكام والقضاة برجمهم إذا لم يعدلوا[٨١]

غير أن العامة تلتزم بالمراسم التي تصدرها السلطة فاذا ما خرجت عليها فبسبب الحاجة ، وخاصة عامة العراق ، فعلى لسان (الصياد كريم) الذي دخل منطقة محظور دخولها ، يخاطب الرشيد قائلاً «والله يا أمير المؤمنين ما فعلته أي دخول المنطقة المحرمة استهزاء بالمرسوم ، ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى»[٨٢]

---

(٧٨) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٢٤ مجلد ١ ص ٧١
(٧٩) الف ليلة وليلة ٦٩٣ مجلد ٢ ص ١٨١ ط بو أوفست
(٨٠) المصدر نفسه ط بو اوفست ليلة ٢٩ ٣٠ مجلد ١ ص ٩٢ ٩٣
(٨١) نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٥
(٨٢) الف ليلة وليلة ط . بو اوفست ليلة ٣٥ مجلد ١ ص ١١٩ .

فاذا ما تعدت السلطة حدودها ، وتدخلت في ارزاق الناس رفعت العامة صوتها محتجة رافعة شعار التعب هو البديل للارزاق ، وإلا فليست فلسفة «بعض يصيد وبعض يأكل السمكة» ليست من العدالة في شيء[83]

إذن فالملاح السياسية المتعلقة بالعامة وما تظهره الليالي نحوهم من الاهتمام يتجلى في اظهارهم بمظهر المراقبين للسلطة فمتى اعوجت ، وجب على الجميع التدخل في الاصلاح ، دونما خروج على أدب ، او تخطي للمسؤوليات

(٨٣) المصدر نفسه ليلة ٣٥ مجلد ١ ص ١١٩ .

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث ، ان حكايات ألف ليلة وليلة رغم بعدها الظاهري لأول وهلة عن السياسة وأحكامها ، وأداتها ، وآدابها باعتبارها حكايات تسلية وعبث ، أو عظة واعتبار ، الا أنها ضمت التوجيه والنقد السياسي الرمزي والعلني ، واننا لو نزعنا عن كل حكاية ما حيك حولها من خيال او وصف ، لظهر لنا ، أن عقدتها دارت حول ملك ، أو حاكم ، أو والٍ ، أو قاضٍ أو مسؤول ، له أثر على الحياة العامة ، ولهذا فقد نصبت في كل مجتمع بشري أو غير بشري حاكماً ، وأبرزت ما له تجاه رعيته ، وماله‍م عليه

ولم يكتب هذا الكتاب عبثا لمجرد التسلية ، ولكنه كتب بدافع سياسي توجيهي ، دفاعا عن الخلافة العباسية ، أو عن كل ماهو عربي ، اسلامي ولكنه في آحايين أخرى ، عندما يريد النقد أو الطعن ، بحيث لا يلفت النظر يعتمد الرمزية أو يرسل الاحكام خلال سرد الحكايات ، تجنبا لتكرار ما قد حصل لابن المقفع عند تأليفه أو ترجمته لكتاب «كليلة ودمنة» ، أو الذي حصل لابن حمدون في تذكرته أيام الخليفة العباسي المستنجد ٥٥٥/٥٦٦هـ

وأراء الكتاب السياسية أراء ملكية ، تؤمن بها ما دامت عادلة ، وما دامت تمزج الدين بالحياة فان زاغت عن الصواب والعدل ، دعت الجمهور الى التدخل لاصلاح ما اعوج بأسلوب التنبيه والتذكير ، فان لم يع الحاكم خطأه وجب الانقلاب عليه واستبداله بمن يستطيع تحقيق العدالة مستعينة بالجند بعد أن أوضحت سياستها تجاههم حرباً وسلماً ، وهي لا تؤمن بنفس الوقت بالاغتيال السياسي بل تعد ذلك منقصة

ورغم ايمانها بالخط الملكي ، الا أنها أعطت الخلافة الاسلامية ، المجال الواضح ولهذا اختارت النماذج الرفيعة ، من الخلفاء العادلين ، أو الذين لهم الأثر البارز في الحياة العربية الاسلامية ، منذ خلافة الراشدين ، وحتى زمن المعتضد العباسي جاعلة الرشيد محورها الذي دارت حوله

أما ما عرضت علينا من لمحات عن الوزراء والحجاب والولاة والقضاة وعلاقتهم بالسياسة اذ هم ادواتها فانها رجحت فيهم الخير فان زلوا عن الحق سلطت عليهم نار السخرية ، وقد كان اختيارها للشخصيات التي جاء ذكرها ممن له أثر على حياة ونظرات الناس عنهم ، حباً أو كرها

وتبين لنا أيضا ان الخط السياسي في الليالي خط عربي اسلامي يؤمن بوحدة المصير ، ففي نقدها للولاة الأجانب في مصر ، لجدها وقد نقلت شطار مصر الى العراق ليعيشوا تحت ظلال الخلافة العباسية ضاربة بالشعوبية عرض الحائط ، موجهة الطعن لغير العرب والمسلمين وذلك بتبينها كما هو عربي فكراً وانساناً

وكذلك وجدنا أن الآراء السياسية المنشورة ، خلال السرد القصصي أو الاخبار المتناثرة في الليالي منتزعة من كتب سياسية أو ذات علاقة بآدابها ورسومها السلطانية وأبرز هذه الكتب الأدب الكبير وكليلة ودمنة لابن المقفع المولود عام ١٠٦هـ ، والتاج في اخلاق الملوك للجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ وعيون الاخبار والامامة والسياسة لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ والعقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى عام ٣٢٨هـ ، ورسوم دار الخلافة للصابي المتوفي عام ٤٤٨هـ ، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون المتوفى عام ٥٦٢هـ والفخرى في الآداب السلطانية لابن الطقطقي المتوفى عام ٧٠٩هـ ، وغير ذلك من الكتب المؤلفة عبر العصور حتى تاريخ جمود الكتاب على الشكل الذي بين أيدينا ، على أننا يجب أن لا يغرب عن بالنا ، تأثرها بما جاء في رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا أيضا ، خاصة في المحاكمة الشهيرة في الرسالة الحادية والخمسين

المراجع والمصادر

المصادر القديمة

- ابن الأثير أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبدالكريم «الكامل في التاريخ» المطبعة المنيرية/القاهرة ١٣٥٣هـ
- ابن الجوزي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي «٥٠٨ - ٥٩٧هـ» «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية حيدر آباد ١٣٥٧هـ

ابن حمدون محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٥٦٢هـ/١١٦م) «تذكرة ابن حمدون» مطبعة النهضة بغداد ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م

ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد المتوفى ١٤٠٥/٨٠٨م «المقدمة» مطبعة مصطفى محمد القاهرة

ابن خلكان ابو العباس شمس الدين أحمد بن ابي بكر (٦٠٨ ٦٨١هـ)
«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٨م منشورات مكتبة النهضة المصرية

ابن دحية مجد الدين عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحية والحسين
«النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس» مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م تحقيق المحامي عباس العزاوي

ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (٦٦٠ ٧٠٩هـ) «الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية» المطبعة الرحمانية مصر

ابن عبد ربه أحمد بن محمد القرطبي «٢٤٦ - ٣٢٨هـ» «العقد الفريد» المطبعة الجمالية ط أولى القاهرة ١٩١٣م

ابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري المتوفى ٢٧٦هـ/٨٨٩م
١) «غيون الأخبار» المؤسسة العامة للتأليف والترجمة/القاهرة
٢) «الأمامة والسياسة» المعروف بتاريخ الخلفاء تحقيق طه محمد الزيني/القاهرة مؤسسة الحلبي ١٩٦٧ .

٣) المعارف تحقيق ثروت عكاشة . دار الكتب العربية سنة ١٩٦٠
- ابن المقفع ، عبدالله ولد عام ١٠٦هـ /٧٢٢م :
١) «كليلة ودمنة» المطبعة الأميرية/القاهرة : ١٩٢٨
٢) «الأدب الكبير» مطبعة المعارف : بغداد .
- ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن علي بن العباس (المتوفي ٤٠٠هـ) :
«الأمتاع والمؤانسة» ٣ أجزاء لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٣م /١٣٧٣هـ .
- أخوان الصفا :
«رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا» المطبعة العربية/مصر ١٩٢٨م .
- الأبشهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح ٨٥٠/٧٩٠هـ :
«المستطرف في كل فن مستظرف» مطبعة الاستقامة/القاهرة
- الأزدي ، محمد بن احمد أبي المطهر :
«حكاية ابي القاسم البغدادي» ، مطبعة كرل دنتر هيدليربج ١٩٠٢
«طبعة معادة بالاوفست من قبل مكتبة المثنى ببغداد» .
- أسامة بن منقذ : «الامير» ٥٨٤/٤٨٨هـ
«لباب الآداب» تحقيق احمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية مصر ١٣٥٤هـ /١٩٣٥م .
- الاصبهاني : عماد الدين الأصبهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر : الجزء ١ / القسم العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٥ / ١٩٥٥ .
- الاصفهاني : أبو الفرج علي بن حسين بن محمد ٢٨٤ - ٣٥٦هـ
«كتاب الأغاني» ط ١ ، المطبعة المصرية بالقاهرة ١٣٥١هـ /١٩٣٢م ، ج ٦ ، ١٠
- الاصفهاني ، حمزة بن الحسن : (٣٦٠هـ/٩٧٠م) : «تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء» ، مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١ .
- التطيلي ، بنيامين بن يونة الأندلسي :

«رحلة بنيامين ٥٦١ ٥٦٩هـ » ١١٦٥ ١١٧٣م» المطبعة الشرفية ببغداد ١٩٤٥ نشر المحامي عباس العزاوي
التلمساني أحمد بن محمد المقرّي ، المتوفي ١٠٤١هـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب» مطبعة السعادة ١٩٤٩
الثعالبي أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (٣٥٠ ٤٢٩هـ)
«يتيمة الدهر» مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٣٥٢هـ /١٩٣٤م
الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر المتوفي ٢٥٥هـ
١) «التاج في اخلاق الملوك» المطبعة الأميرية/القاهرة ١٩١٤
٢) «رسائل الجاحظ» المطبعة المحمدية/القاهرة ١٩٦٥ ج ٢ تحقيق عبدالسلام هارون
- الجبرتي عبدالرحمن
«عجائب الآثار في التراجم والأخبار» المطبعة الشرقية القاهرة ١٣٢٢هـ ج ١
الحصري القيرواني أبو اسحق ابراهيم بن علي (المتوفي ٤٥٣هـ ١٠٦١م)
«زهر الآداب وثمر الألباب» المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥
الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي «المتوفي ٤٦٣هـ ١٠٧٠م »
« تاريخ بغداد أو مدينة السلام » ج ٢ دار الكتاب العربي « بيروت » ١٩٣١ م
الذهبي شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز التركماني المتوفي «٧٤٨هـ /١٣٤٧م»
«العبر في خبر من غبر» تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت الكويت ١٩٦١
- الصابي أبو الحسين هلال بن المحسن «٣٥٩ - ٤٤٨هـ » «رسوم دار الخلافة» مطبعة العاني بغداد ١٩٦٤ تحقيق ميخائيل عواد

- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير «المتوفي ٣١٠هـ /٩٢٢م» «تاريخ الرسل والملوك» المكتبة التجارية الكبرى/القاهرة ١٩٣٩ م أجزاء ٥ ٨

القفطي جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (المتوفي ٦٤٦هـ /١٢٤٨م)

«تاريخ الحكماء» الناشر مؤسسة الخانجي ، مصر من نسخة «ليبزج ١٣٢٠هـ »

- القلقشندي ابو العباس أحمد بن علي (٧٥٦ ٨٢١هـ) «صبح الأعشى في صناعة الأنشا» ج ٥ مطابع كوستا تسوماس وشركاه القاهرة ١٩٦٣

الماوردي أبو الحسن بن علي بن محمد بن حبيب البصري «المتوفي ٤٥٠هـ /١٠٥٨م»

« الأحكام السلطانية والولايات الدينية » المطبعة المحمودية التجارية مصر

- المسعودي أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي «المتوفي ٣٤٦هـ /٩٥٧م»

١) «التنبيه والاشراف» مكتبة خياط «بيروت ١٩٦٥»

٢) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» مطبعة دار الرجاء مصر

المقريزي تقي الدين أحمد بن علي «٧٦٦ ٨٤٥هـ »

«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المسمى «الخطط المقريزية» الجزء ٢ الناشر مكتبة المثنى ببغداد (عن الطبعة القديمة لسنة ١٩١٠)

مؤلف مجهول ؟

١) «الف ليلة وليلة» طبعة محمد علي صبيح واولاده ميدان الأزهر القاهرة ٤ أجزاء

٢) الف ليلة وليلة ، طبعة مصورة بالاوفست على أصل طبعة بولاق المحرية ١٢٥٢هـ صاحب الطبعة مكتبة المثنى بغداد مجلدان

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب «٦٧٧ ٧٣٣هـ »

«نهاية الأرب في فنون الأدب» مطبعة كوستا تسوماس/القاهرة الجزء السادس .

المراجع الحديثة

- أب يسوعي الأب الصالحاني
«الف ليلة وليلة» المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٨٩م ٤ أجزاء مهذبة
ابراهيم أحمد العدوي «الدكتور»
«السفارات الأسلامية الى أوربا في العصور الوسطى» سلسلة اقرأ العدد ١٧٩
- أحمد أمين
(١) «فجر الأسلام» ج ١ القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠
(٢) «ظهر الأسلام» مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥ ج ٢
أحمد رشدي صالح
(١) الأدب الشعبي مطبعة دار الهنا القاهرة
(٢) فنون الأدب الشعبي دار الهنا القاهرة ١٩٥٦
- أحمد الشايب
«أصول النقد الأدبي» مكتبة النهضة المصرية ط ٧ ١٩٦٤
- أحمد صادق الجمال
«الأدب العامي في مصر في العهد المملوكي» الدار القومية للطباعة والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٦
- احمد كمال زكي «الدكتور»
«الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني للهجرة» دار المعارف بمصر/١٩٧١ سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٥٩
- أحمد محمد الحوفي «الدكتور»
«أدب السياسة في العصر الأموي» مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٠

آدم متز
«الحضارة الأسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في
الأسلام» ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة/القاهرة ١٩٤٧ ترجمة محمد
عبدالهادي أبو ريدة
أريك بارنو
«كتاب الأتصال بالجماهير» مكتبة مصر ، سلسلة مكتبة الفنون الدرامية
ترجمة صلاح عزة فؤاد كامل
أم فوستر
«اركان القصة» سلسلة الالف كتاب «٣٠٦» مطبعة الوحدة القاهرة
ترجمة كمال عياد جاد
أمين عبدالمجيد بدوي «الدكتور»
«القصة في الأدب الفارسي» دار المعارف القاهرة ١٩٦٤
آنخل جنثالث بالنثيا
«تاريخ الفكر الاندلسي» النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥ ترجمة
حسين مؤنس
بدري محمد فهد
«العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري» مطبعة الأرشاد بغداد ١٩٦٧ ط
١
توفيق الفكيكي
«الراعي والرعية» مطبعة أسعد بغداد ١٩٦٢
توماس ارنولد وجمهرة من المستشرقين
«تراث الأسلام» المطبعة العضرية في الموصل ١٩٥٤ ترجمة المحامي
جرجيس فتح الله ج ٢
ثابت اسماعيل الراوي
«تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والأمويين» ط ١ مطبعة
الأرشاد - بغداد ١٩٧٠
ثروت بدوي «الدكتور»
«النظم السياسية» دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٢م

- جب هاملتون (هـ ج جب)
«دراسات في حضارة الاسلام دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤
ترجمة احسان عباس
- جميل سعيد «الدكتور»
«نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق» بغداد ١٩٥٤
جميل نخلة المدور
«حضارة الأسلام في دار السلام» مطبعة الاعتماد مصر
١٣٥١هـ /١٩٣٢م
جرجي زيدان
١ «تاريخ آداب اللغة العربية» مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٢ ، الجزء
الثالث
٢ «العباسة أخت الرشيد» سلسلة روايات الهلال
جورج جوردن كولتون ويرمز اليه «ج ج كولتون»
«عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة» دار المعارف القاهرة
١٩٦٧ - ط ٢ ترجمة د جوزيف نسيم يوسف سلسلة المكتبة
التاريخية
حازم البكري «الدكتور»
«دراسات في الألفاظ العامية الموصلية ومقارنتها مع الألفاظ العامية في
الأقاليم العربية» مطبعة أسعد بغداد ١٩٧٢
- حسن ابراهيم حسن «الدكتور»
(١) «تاريخ الأسلام السياسي والديني والثقافي والأجتماعي» ط ٥ مطبعة
السعادة القاهرة ١٩٦٠
(٢) النظم الأسلامية مع د علي ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة
المصرية ١٩٣٩
- حسين أمين «الدكتور»
«تاريخ العراق في العصر السلجوقي» مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٥
حسين علي محفوظ «الدكتور»
«المتنبي وسعدي» طهران ١٩٥٧ .

حسين مجيب المصري «الدكتور»
«الصلات بين العرب والفرس والترك» مطبعة الفكرة القاهرة ١٣٩٠هـ /١٩٧١م
حمدان عبد المجيد الكبيسي
«عصر الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥ - ٩٠٧/٣٢٠ ٩٣٢م» مطبعة النعمان - النجف ط ١ ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م
- داود سلوم «الدكتور»
«روائع الكتب» مطبعة العاني بغداد ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م
- درويش الجندي «الدكتور»
«الرمزية في الأدب العربي» نهضة مصر/الفجالة القاهرة ١٩٥٨
رينولد نكلسن
«تاريخ الأدب العباسي» المكتبة الأهلية في بغداد ، مطبعة اسعد - بغداد ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م ترجمة د صفاء خلوصي
- السباعي بيومي
«تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي» مطبعة العلوم القاهرة ١٩٥٦
- سهير القلماوي «الدكتورة»
«كتاب ألف ليلة وليلة» دار المعارف مصر ١٩٥٩ سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية (٦)
شكري عياد «الدكتور»
«البطل في الأدب والاساطير» دار المعرفة القاهرة ط ١ سنة ١٩٥٩
شوقي ضيف «الدكتور»
«الفن ومذاهبه في النثر العربي» لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١ القاهرة ١٣٦٥هـ /١٩٤٦م
طه الرواي
«بغداد مدينة السلام» دار المعارف سلسلة أقرأ العدد ٢٧
- عباس خضر :
(١) «الواقعية في الأدب» دار الجمهورية بغداد ١٩٦٧

(٢) «القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ٣٠» الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦
عباس العزاوي «المحامي»
«تاريخ الأدب العربي في العراق» المجمع العلمي العراقي ج ١ بغداد
عبدالله سلوم السامرائي «الدكتور»
«الغلو والفرق الغالية في الحضارة الأسلامية» مطبعة دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٢
عبدالحميد ابراهيم «الدكتور»
«القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث» دار المعارف مصر ١٩٧٣
عبدالحميد حسن
«الأصول الفنية للأدب» مطبعة العلوم القاهرة ١٩٤٩
عبدالحميد يونس «الدكتور»
(١) «الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي» جامعة القاهرة ١٩٥٦
(٢) «الحكاية الشعبية» دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨ - العدد ٢٠٠ ١٥ حزيران يونية ١٩٦١
(٣) «الظاهر بيبرس في القصص الشعبي» دار القلم القاهرة
(٤) «دفاع عن الفلولكلور» الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣
عبدالجبار الجومرد
«هارون الرشيد» المكتبة العمومية بيروت ج ١ ج ٢
عبدالعزيز الدوري «الدكتور»
(١) دراسات في العصور العباسية المتأخرة» مطبعة السريان بغداد ١٩٤٥
(٢) «العصر العباسي الأول» مطبعة التفيض بغداد ١٩٤٥
(٣) «الجذور التاريخية للشعوبية» بغداد
عبدالملك مرتاض
القصة في الأدب العربي القديم » مكتبة الشركة الجزائرية الجزائر ١٩٦٨ .

- عبدالمنعم نمر
«تاريخ الأسلام في الهند» القاهرة
عبدالهادي الفؤادي
«القصص في العصر الأسلامي» مطبعة دار الزمان بغداد ١٩٦٦
- علي الوردي «الدكتور»
«اسطورة الأدب الرفيع» مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٧
- عمر دسوقي
«الفتوة عند العرب» مطبعة الرسالة مصر الفجالة ١٩٥٩
- غوستاف لوبون «الدكتور»
«حضـــارة العـــرب» دار احياء الكتب ١٩٤٨ ط ٢ ترجمة عادل زعيتر
فاروق خورشيد
(١) «في الرواية العـربية عصر التجميع» شركة الاتحـاد للتجـــارة والطباعة والنشر
(٢) «اضواء على السير الشعبية» القاهرة ١٩٦٤ المكتبة الثقافية
(٣) «سيف بن ذي يزن» دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧
- فاروق عمر «الدكتور»
(١) «طبيعة الدعوة العباسية» دار الارشاد بيروت ١٩٧٠
(٢) «الخلافة في عهد الفوضى العسكرية»
فاضل زكي محمد «الدكتور»
«الفكر السياسي العربي الاسلامي» دار الطبع والنشر الأهلية بغداد
فان تيجم
«الأدب المقارن» مطبعة الاعتماد القاهرة
فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري ت ١٢٨٦هـ
«كتاب احـوال البصرة» مطبعـة دار البصري بغـداد ١٣٨١هـ /١٩٦١م
فؤاد حسنين علي «الدكتور»
«قصصنا الشعبي» لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٧م

فدري قلعجي
«أساطير العرب في قصة الف ليلة وليلة» دار النشر العربية بيروت ١٩٤٨
كاري جويس
«فن الأدب» دار الكتاب العربي بيروت سلسلة أضواء على الأدب الغربي ترجمة يوسف عبدالمسيح
محب الدين الخطيب
«الحديقة» المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٨هـ ج ٢
محمد رزق سليم
(١) «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي» مطبعة الآداب/القاهرة ١٩٦٢ المجلد السادس في النثر الفني القسم الثاني من الجزء الثالث
(٢) مصر في عصر دولة المماليك
(٣) الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي
محمد زغلول سلام «الدكتور»
«القصة في الأدب السوداني الحديث» معهد البحوث والدراسات العربية/القاهرة ١٩٧٠
محمد صالح القزاز «الدكتور»
(١) الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ٥١٢ ٦٥٦هـ مطبعة القضاء في النجف ١٩٧١
(٢) الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية مطبعة القضاء في النجف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
محمد عبدالمنعم خفاجي
«الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد الى العصر الحديث» دار العهد الجديد للطباعة
محمد فرج
«الفتح العربي للعراق وفارس» دار الفكر العربي المطبعة العالمية/القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م

- محمد كامل ليلة «الدكتور»
«النظم السياسية في الدول الأسلامية» دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٨
- محمد مفيد الشوباشي
(١) «القصة العربية القديمة» وزارة الثقافة والارشاد القومي دار القلم القاهرة ١٩٦٤
(٢) «رحلة الأدب العربي الى أوربا» دار المعارف مصر ١٩٦٨
محمد نبيه حجاب «الدكتور»
«مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري» مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٦١
محمود غناوي
«الأدب في ظل بني بويه» مطبعة الأمانة مصر ١٩٤٩
مصطفى الشكعة «الدكتور»
«الأدب في موكب الحضارة الأسلامية» الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٨
- مصطفى جواد «الدكتور» والدكتور أحمد سوسة
«دليل خارطة بغداد قديما وحديثا» مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م
مليحة رحمة الله «الدكتورة»
«الحالة الأجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة» مطبعة الزهراء - بغداد ١٩٧٠

- ميخائيل عواد
«ألف ليلة وليلة مرآة الحضارة والمجتمع في العصر الأسلامي» سلسلة الثقافة الشعبية ٤٦ - مطابع المؤسسة العراقية بغداد ١٩٦٢

«نظرية الأنواع الأدبية» مطبعة منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٥٨
المجلد الثاني M. L Abbeci. Vincent ترجمة د . حسن عوف

ناجي معروف «الدكتور»
«المدخل في تاريخ الحضارة العربية» مطبعة العاني بغداد ط ١ ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م
- نبيلة ابراهيم «الدكتورة»
«سيرة ذات الهمة» دار الكاتب للطباعة والنشر/القاهرة
- وديعة طه النجم «الدكتورة»
«الجاحظ والحضارة العربية» مطبعة الأرشاد - بغداد ١٩٦٥
يوسف أمين قصير
«الحكاية والانسان» سلسلة الكتب الحديثة - وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٠
يوبيوس فلهوزن
«تاريخ الدولة العربية» لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٨ - ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة

المعاجم والقواميس

١ اساس البلاغة الزمخشري ط أولى مطبعة اورفاند مصورة اوفست ١٣٧٢/١٩٥٣هـ مادة لمح ومادة سوس

٢ دائرة المعارف الاسلامية ج ١ المجلد الثالث تهران نقله محمد ثابت الفندسي احمد الشناوي عبدالحميد يونس ابراهيم زكي مادة الف ليلة وليلة

٣ فهرس المقتطف ١٨٧٦/١٩٥٢ المجلد الأول المطابع الأهلية بيروت في عام ١٩٦٧

٤ قاموس الجيب قاموس انكليزي عربي الياس انطوان الياس

٥ - لسان العرب ابن منظور ط بولاق القاهرة ١٣٠٤هـ وكذلك طبعة بيروت ١٩٥٥

٦ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي بروخمان ليدن ١٩٦٧

(٧) محيط المحيط المعلم بطرس البستاني بيروت ١٨٦٧م

٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبدالباقي مطبعة دار مطابع الشعب سلسلة كتاب الشعب القاهرة

٩ - معجم سركيس عمود ١٩٩٢ معجم المطبوعات العربية والمصرية ج ٢ مادة الف ليلة وليلة

١٠- الموسوعة العربية الميسرة دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة ١٩٥٩ مادة الف ليلة وليلة ص ٢٠٣

١١- المورد قاموس انكليزي عربي منير البعلبكي دار العلم للملايين/بيروت ١٩٧٠/الطبعة الثالثة

المجلات

١ مجلة المستمع العربي العدد الثاني ، السنة التاسعة مقال للدكتور عبدالحميد يونس «كتاب الف ليلة وليلة يتحدث عن نفسه» سنة ١٩٤٨

٢ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ١ ، المجلد السابع والاربعون كانون الثاني ١٩٧٢ مقال شفيق جبرى دراسة حول كتاب الف ليلة وليلة حول ما كتبه المستشرق نكيتا أليسيف

٣ مجلة مجمع اللغة الغربية بدمشق ج ١ في رسائل لسان الدين بن الخطيب كتاب الاشارة الى أدب الوزارة في السياسة بحث عبدالقادر زمامة/فاس/المغرب الأقصى

٤ مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثامن عشر ١٣٨٩هـ /١٩٦٩ مطبعة المجمع مقال للدكتور صالح أحمد العلي قضاة بغداد في العصر العباسي

٥ - مجلة الدراسات الأدبية/السنة الأولى العدد ١٩٦٠/٤ الجامعة اللبنانية مقال الاستاذ على أصغر حكمت «من هزار افسان الى هزار دستان دراسة تاريخية لكتاب الف ليلة وليلة»

٦ مجلة المشرق سنة ١٩٤٧ مجلد ٤١

٧ مجلة المشرق سنة ١٩٤٩ مجلد ٤٣

٨ مجلة العربي العدد ١٧٢ محرم ١٣٩٢هـ آذار ، مارس ١٩٧٣. مقال الدكتور أحمد كي الدعوة والدعاية والاعلام والبروباجندة» الكويت

٩ مجلة العربي العدد ١٩١ رمضان ١٣٩٤ اكتوبر «تشرين اول ١٩٧٤ مقال الدكتور محمد سلام مدكور» «ولاة الأمر وسلطانهم على الأحكام الشرعية» ص ٧٠

١٠- مجلة الأقلام بغداد - وزارة الاعلام العدد ١ السنة الثامنة ١٩٧٢ «مقال أحمد فياض المفرجي مصادر دراسة القصة القصيرة

١١- مجلة المثقف العربي بغداد - وزارة الأعلام العدد الثالث السنة الثالثة ١ ب ١٩٧١ البيان القصصى للسادة زهدي الداودي أنور الغساني صالح كاظم وتسع موضوعات عن القصة في العراق
١٢- مجلة الكاتب القاهرة العدد ١٥٦ السنة الرابعة عشرة مارس ١٩٧٤ مقال تقدمية الدعوة الاسلامية ورجعية الطائفية العرقية للدكتور محمد علي الشهاوي
١٣- مجلة التراث الشعبي بغداد - وزارة الاعلام
(١) العدد الرابع السنة الثانية ١٩٧٠ مقال بثينة الناصري «الحكاية الشعبية دراسة وتحليل»
(٢) العددان الثاني والثالث السنة الثانية ١٩٧٠ مقال الدكتور عز الدين مصطفى رسول «الحكايات الكردية»
(٣) العددان السابع والثامن السنة الثانية آذار ١٩٧٠ عرض لكتاب الأساطير في بلاد ما بين الرافدين تأليف صموئيل ترجمة يوسف داود
(٤) العدد العاشر السنة الثالثة ١٩٧٢ مقال عبدالحليم لاوند الحكاية الموصلية دراسة وعرض مع نماذج
١٤- مجلة المباحث التونسية العددان ١٩٤٨/٣٠٩/٣٠٨
١٥- مجلة الهلال ج الثاني السنة الخامسة ١٨٩٦ ص ٢٥٥ «المجوسية»
١٦- مجلة الهلال ج ٤ السنة ٤٣ فبراير ١٩٣٥ مقال امثال العوام ودلالتها بقلم أديب عباس.
١٧- مجلة الهلال ج ٥ سنة ٤٣ ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م ص ٦١٣
(١) مقال للمستشرق الفرنسي ماسنيون «مصارف العصور الوسطى»
(٢) وكذلك مقال نقدها لكتاب «علم الدولة» ج ٢ للسيد احمد وفيق ص ٦٣٣
(٣) وكذلك مقال تأثير الرواية لنفس السنة ص ٦٤٠ الجزء السابع والثامن

الجرائد

١ جريدة المقتطف ١٩٠١ ج ١/٢٦
٢ - جريدة المقتطف ١٩٠٤ ج ١/٢٩
٣ - جريدة المقتطف ١٩٣٥ ج ٨٦ مقال للدكتور أحمد ضيف «الف ليلة وليلة»

محاضر ومحاضرات

١ المحاضرات العامة لعام ١٩٥٢ ج ١ «المحاضرة العاشرة» مقال فؤاد افرام البستاني «التفاعل السياسي والثقافي بين البيزنطيين والحمدانيين»

٢ دور الأدب في معركة التحرير محاضر جلسات مؤتمر الأدباء العرب الخامس بغداد ٢١/١٥ شباط ١٩٦٥ مقال للدكتور عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للأشتراكية العربية»

٣ محاضرتان في تاريخ كتاب الف ليلة وليلة تاريخ حياته للعلامة الأستاذ أحمد حسن الزيات. القاهما على طلاب دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٣٢/١٣٥١ ناشرهما محمد سعدي العمري الفاروقي الدمشق وتطلب في دار الكتب الظاهرية

٤ محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى ١٩٣٦ القاها الأستاذ أحمد طربين على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية في معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٩/١٩٥٨ مطبعة الرسالة/القاهرة ١٩٥٩

الاطروحات غير المطبوعة

١ دور الاعلام في الأمم النامية فيصل حسين علي بركات اطروحة لنيل الماجستير ١٩٧٠

٢ الحياة الأجتماعية في مدينة بغداد في العصر العباسي الأول للدكتورة رمزية محمد الاطرقجي ١٩٧٠

المخطوطات

١ - «الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء»
مؤلفها محمود الشيخ اسماعيل بن ابراهيم بن ميكائيل الخربيتي سنة ٩٥٣هـ مسجلة في الآثار العراقية تحت رقم ٢٦٧٤ من مجموعة ناجي محفوظ

المراجع الأجنبية

1— **Jawahar Lal Nehru:** Climpses of World History, Printed in Britain 1939.

2— **Clarence L. Barnhart:** Handy Pocket Dictionary, Printed in Great Britain, London, 1952.

3— **F.C. Fowel and H.W. Foulev:** The Pocket Oxford Dictionary, Oxford University Press, 1947.

Political Views in Alf Layla and Layla

by

Ahmad Mohamed Al-Shahath

a thesis submitted to the Faculty of Arabs, Ain Shams University, to obtain the M.A. in Arabic Literature.

The central idea of the subject is to discover the causes that led to the writing of these tales, specially the political motives.

On reading the different tales one can discover that each story has a political symbol. The thesis is composed of two parts, the first deals with the Islamic Caliphate, since its beginning till the end of the Abbasid periods. This part contains four chapters dealing with the Islamic Caliphs, ministers, secretaries and public rulers.

The second part of the thesis is devoted to the study of the different political problems and contains four chapters in which I attempted a critical study of the different political views which were scattered in the tales.

In these chapters I tried to record the different pointing to Shubiyya (discrimination), justice, leading policy of armies and the ruler's relationship with the people.

The researcher has assured that most of these political views have been taken from different Arabic sources such as Kitab Al-Adab, El-Kabir and Kilaila Wa-Dimna of Ibn El-Muqaffa, Kitab El-Taj of El-Jahiz, Uyon El-Akhbar and El-Imama of Ibn Qutayba and El-Ikd El-Farid of Ibn Abdurabbo, and many other books.

المحتوى

الباب الأول
قضايا الخلافة

الباب الثاني
قضايا سياسية

تصميم الغلاف   نضال الأغا
التصميم الداخلي   نجم عبدالله كاظم
الخطوط   رضا الخطاط

دار الحرية للطباعة - بغداد

الجمهورية العراقية
وزارة الأعلام
بغداد

دار الحرية للطباعة
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

السعر ٤٠٠ فلس

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان